سلسلة المشاريع الوطنية للبحث

طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية
1830 - 1954

منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث
في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954



سلسلة المشاريع الوطنية للبحث



طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية
1954 - 1830

المكتبة
الوصول 21 جانفي 2008
1567 / ع

رئيس المشروع : د. خير الدين عبد النور
أعضاء الفرقة : د. سعيدي مزيان
أ. بوقجاني أحمد

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى ال 45 لعيد الإستقلال و الشباب



منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث
في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

تصدير بقلم معالي وزير المجاهدين
السيد : محمد الشريف عباس

كثيرا ما عادت إلى ذهني عبارة قالها المؤرخ الشاعر الموسوعي الدكتور أبو القاسم سعد الله حفظه الله، مفادها أننا شعب يحسن صناعة التاريخ ولكنه لا يجيد روايته والتأريخ لما يصنعه.

وإذا كان هذا الإستنتاج المشحون بغصّة أكيدة هو وليد معاناة البحث والإستقصاء التي تحمّلها هذا العالم الفاضل، وهو يقلب دفاتر الماضي ويدقق ويغوص بخبرته وعلميته وسعة اطلاعه في ثنايا تاريخنا الوطني ويرى بأم عينيه كم هو قليل عدد الذين يخوضون معه غمار هذا اليم الواسع المليء بالأسرار والمكنونات، والمليء أيضا بالبحارة المزيفين أو المناوئين الذين لم ولن يدخروا ما في وسعهم للمضي في تزوير الحقيقة التاريخية أو تزييفها أو تغليفها بما يخدم الأهداف المعلنة وغير المعلنة للعدو، والتي ما اتسع حقلها و علا صوتها إلا بسبب ما بدر من المؤرخ الوطني من انسحاب وغياب وما ظهر فينا من سلوك غالب لا يعير التاريخ الأهمية التي تستحق والأولوية التي يجب أن يتبوأها .

ولله الحمد إذ وقعت همسة الدكتور أبو القاسم سعد الله الهادفة ومعها كثير من الدعوات الواعية في سمع راعية أمينة حملت همسة الاستغاثة هذه على محمل الجد وقالت معه ومع غيره من الغيورين على التاريخ الوطني، أنه حان الوقت لعمل جاد لاستغلال هذا الفضاء الحيوي وإعادة ترتيبه ليكون من بين أهم الاهتمامات الأولوية

والفضل في هذا المنحى يعود بالدرجة الأولى إلى فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة الذي ما كان ليفوت مناسبة وطنية أو محلية إلا وقد حث الهمم ونبّه إلى الآثار السيئة والثقوب الخطيرة التي بدأت تبدو على هذا المستوى أو ذاك من الأعطاب التي تصيب الذاكرة الوطنية، والتي بدأت نتائجها السلبية واضحة في وعي الأجيال الجديدة وتصرفاتها.

قالها فخامته بلغة واضحة أننا وإن كنا مجبرين على التكيف مع المستجدات الحاصلة من حولنا والمشاركة كطرف فاعل في الفضاء الإنساني الجديد، إلا أن نوعية مشاركتنا وحماية مصالحنا مرهونتان بنجاحنا في تغذية الأجيال الجديدة بالمرجعيات الذاتية ومرتكزات القوة التي تجعلهم

يشاركون ولا يذوبون يتصدرون ولا يكونون تبعا لغيرهم، وليس لبلوغ هذه الغاية من خيار غير العناية بالتاريخ وتطعيم هذه الأجيال بخلاصاته.

وقد تمّ الحرص في كل هذا الجهد المتكامل على وضع الأسس لمدرسة تاريخية وطنية لا تستغني عن المناهج العلمية الموضوعية والانتمان على الحقيقة، ولا تسعى في محصلتها إلى زرع الأحقاد كما تفعل المدرسة التاريخية الكولونيالية، ولكنها مع ذلك لا تنسى أنها إزاء بحث علمي إنساني اجتماعي في المقام الأول، وأنها تخوض غمار العمل في حقل ظل مسكوناً بالمغالطات والتعصب في الكثير من المؤلفات التي صدرت عن المؤرخين الإستعماريين، وإنه من حقها أن تعيد ترتيب الحقائق كما وقعت بالفعل وبالصورة التي تبين للأجيال كفاح آبائهم، وكما قال الإمام الشافعي رحمه الله (من حفظ التاريخ زاد عقله).

في سياق هذا الجهد الذي ابتدأ منذ بضع سنوات و احتفاء بالذكرى الخامسة والأربعين لاستعادة السيادة الوطنية يقدم المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 مجموعة جديدة من البحوث العلمية التاريخية قامت بإعدادها بالتعاون مع المركز، كوكبة من الباحثين والمؤرخين والأساتذة، المعروفين بقدراتهم العلمية، وبمساهماتهم المتخصصة في هذا المجال .

وإني لأغتنم هذه الفرصة لأوجه إلى هؤلاء الأساتذة جزيل التقدير على ما تحملوه من عناء البحث والتنقيب والتدقيق ليقدموا هذا الإنتاج الذي سيكون خير عون للطلبة والباحثين والراغبين في التعرف على التاريخ الوطني من منابعه الصافية.

كما أعبر عن بالغ التقدير والشكر لجميع القطاعات التي ساهمت إلى جانب وزارة المجاهدين، في إنجاز هذا المشروع وأخص بالذكر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والوزارة المنتدبة للبحث العلمي اللذين وجدنا فيهما خير مساند في هذا المسعى الوطني الرفيع.

وفق الله الجميع في خدمة التاريخ الوطني، وتخليد مآثر الأمة الأزلية، ومن سار على الدرب وصل.

محمد الشريف عباس

تقديم بقلم
مدير المركز

يتشرف المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 بإصدار ثلاثين دراسة علمية، هي ثمرة عمل مشاريع البحث المنجزة في إطار البرنامج الوطني للبحث العلمي، والتي نال المركز شرف تأطيرها منذ انطلاقها إلى اليوم.

وإذ تتناول هذه الدراسات تاريخ الجزائر بكل مراحله، فإن ذلك يعتبر تأكيدا لفكرة: أن التاريخ الوطني كل لا يتجزأ على اختلاف العصور والأحداث والأزمنة التي عرفتها بلادنا، وأن هذا المكنون التاريخي، مترابطة مراحله ومتواصلة من القديم إلى الوسيط إلى الحديث والمعاصر، بما في ذلك فترتي المقاومة والثورة التحريرية.

وإذا كان الهدف البعيد في طبع ونشر هذه الأعمال هو إبراز دور المركز ومساهمته الفعالة في كتابة تاريخ الجزائر، في إطار الدور المنوط به منذ نشأته سنة 1995، فإن الهدف القريب و المباشر يتمثل في تدعيم المكتبة الوطنية بعصارة جهد ثلة من خيرة الأساتذة الجامعيين والباحثين الجزائريين المشهود لهم بالخبرة والكفاءة والاختصاص، وإثراء الرصيد العلمي والمعرفي للطلبة والمهتمين والباحثين.

ولا يفوتنا بمناسبة نشر هذه الأعمال أن نهنئ أنفسنا وشعبنا وأن نشكر وزارة المجاهدين وعلى رأسها معالي الوزير السيد **محمد الشريف عباس**، على رعايته واهتمامه البالغ بهذا المشروع، كما نثني على الدور الكبير الذي لعبته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الوزارة المنتدبة للبحث العلمي، الأساتذة والباحثون ،وكل الذين حرصوا وساهموا في إخراج هذا المشروع إلى النور.

د: جمال يحياوي

مقـــــدمـــــة :

قبل البدء في تقديم لمحة عامة عن هذه الدراسة التي انتهت إلى هذه الحلة بعد جهد استمر لأكثر من ثلاث سنوات ، ارتأيت نيابة عن باقي أعضاء مشروع البحث المعنون بأسس ومنطلقات الحركة الوطنية 1830-1954 أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان لمدير المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 الدكتور جمال يحياوي الذي لم يقتر في تقديم أصناف شتى من أوجه الدعم المادي والمعنوي للباحثين الشباب ،وكشف في مناسبات تترا ثقته في قدرة هؤلاء على إنجاز دراسات في مستوى طموح المركز الرامي إلى التحول إلى مخبر وبنك كبيرين للبحث والمعلومات ذات العلاقة الوطيدة بالتاريخ الوطني الحديث والمعاصر

لقد حاولت هذه الدراسة البحث في الأسس والمنطلقات السياسية والثقافية للحركة الوطنية الجزائرية خلال العهد الاستعماري في المرحلة السابقة للثورة التحريرية ، وسلطت الضوء على دور الإسلام كعقيدة وبمؤسساته التقليدية التي توافر عليها الجزائريون من مساجد وهيئات قضاء وطرق صوفية وجمعيات إصلاحية وتعليمية في إذكاء روح المقاومة والمحافظة على الهوية الحضارية العربية الإسلامية ، كما حاولت استكشاف المنابع والمشارب الثقافية والتيارات الفكرية والسياسية للنخب والجمعيات والأحزاب الجزائرية في مرحلتين متمايزتين هما مرحلة المقاومات الشعبية 1830-1883 ومرحلة النهضة الثقافية واليقظة السياسية 1900- 1954 .

أمام سعة وأهمية الفترة التاريخية التي عكفنا على البحث فيها ، بالنظر إلى زخم أحداثها وعظم تأثيراتها وانعكاساتها على تاريخنا المعاصر وقفنا على القصور الأكيد لأي دراسة مفردة ، حتى وإن جمعت بين الفخامة والضخامة معا في الإلمام والإحاطة بمختلف الجوانب المتعلقة بالأسس والمنطلقات الثقافية والسياسية للحركة الوطنية الجزائرية . فلجأنا إلى اتباع مناهج الاستقراء والتحليل والاستنتاج في أغلب مباحث هذه الدراسة كخيار علمي وكحل لتفادي الاستغراق في السرد وتوظيف النصوص التاريخية الخامة بصورة مباشرة أملا في تحقيق الكثافة والضخامة في الأعمال دون استيفاء الجهد المطلوب في البحث الأكاديمي المتميز .

إن توضيح الزوايا والأبعاد التي انطلقنا منها وحاولنا تقصيها بما أمكننا من جهد يفرض علينا بداية إعطاء القارئ صورة عامة عن محتوى هذا البحث و أيضا لمحة عن الأداء والحيز الذي قام به كل عضو من الباحثين الذين أشرفوا على إنجازه في الفترة 2003-2006 .

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة وأردفناها ببيبلوغرافيا منتقاة ، وعند توزيع الأعمال تقرر بالتوافق أن يعكف رئيس المشروع الدكتور عبد النور خيثر على إعداد التقديم والمدخل ،ثم تولي إنجاز مباحث من الفصل الثاني تتعلق بالمقاومات الشعبية ودور الأحزاب والجمعيات السياسية الوطنية كالنجم والعلماء والحزب الشيوعي ، ثم أنجز مبحثا حول تجربة الأمير عبد القادر

في الفصل الثالث المعنون بمحاولات بغاء الدولة الوطنية عن طريق الحركة الجماهيرية المنظمة ، وانتهي بإعداد خاتمة في صورة قراءة عامة وخلاصات دقيقة أقرب ما تكون إلى التأملات والتوصيات .

وقام الأستاذ أحمد بوقجاني بإعداد مادة الشطر الأول من الفصل الأول الذي يحتوى على المباحث الثلاثة المتعلق بدور الإسلام كعقيدة في تحصين الهوية و رفض ومواجهة الاحتلال ،وكذا دوره في الإصلاح السياسي والاجتماعي ودور الطرق الصوفية في إذكاء روح المقاومة وتولي زعامتها . كما أعد مبحثا في الفصل الثالث يتعلق بانجازات حزب الشعب وجمعية العلماء في الجهود السياسية والثقافية والإصلاحية الهادفة إلى التمهيد لبناء الدولة الوطنية .

أما الأستاذ مزيان سعيدي فقد أنجز الشطر الثاني من الفصل الأول المتعلق بالمنطلق الثقافي للحركة الوطنية ، وسلط الضوء على أوجه وأشكال المقاومة الثقافية من جهة وبحث في التطور التاريخي للانبعاث الثقافي في الجزائر في مطلع القرن 20 من حيث جذوره ونتائجه إضافة إلى المبحث الأول من الفصل الثاني المتعلق بالأسس السياسية للحركة الوطنية من خلال نشاط حركة النخبة في بداية الإحتلال . كما عكف على متابعة الإخراج الفني لهذه الدراسة إلى أن أبصرت النور .بعدما أنجزت السيدة منصور حكيمة (مساعدة على البحث) بناء على تكليف من رئيس المشروع بيبلوغرافيا نوعية تتضمن قائمة معتبرة من المصادر والمراجع الهامة التي تشكل إضافة مهمة ومعتبرة لتلك التي اعتمدنا عليها في إعداد هذه الدراسة

في ختام هذا التقديم الموجز لهذا العمل نأمل أن يكون جهدنا اصادق موضع قبول ورضا عند القراء والمهتمين بالتاريخ الوطني عموما ، ولدى الهيئات الوصية والعلمية التي أشرفت وتابعت هذا مجموع أعمال المشروع الوطني للبحث في التاريخ ، ولم تبخل عليه بالعطاء والبذل والتشجيع خصوصا . كما نعرب عن ترحيبنا واستعدادنا لقبول كل تصويب أو نصح أو تقويم يكون قد فات اللجنة العلمية المكلفة بالقراءة بعد نشر هذه الدراسة ، وهذا من صميم حرصنا على تقديم الأبحاث التاريخية إلى القارئ في المستوى اللائق بها .

رئيس المشروع : د. عبد النور خيثر

القادرية في 16-04-2006

موضوع البحث : أسس ومنطلقات الحركة الوطنية الجزائرية (1830م – 1954م)

الخطة المعتمدة :

مدخل : تحديد مصطلح الحركة الوطنية الجزائرية

الفصل الأول : الأساس الديني والمنطلق الثقافي للحركة الوطنية الجزائرية 1830م – 1954م

أ – الأساس الديني :

1 – الأسلام كعقيدة ترفض الخضوع للمستعمر
2 – دور الطرق الصوفية في إذكاء المقاومة الوطنية
3 – البعد الإسلامي في الإصلاح السياسي والإجتماعي

ب – المنطلق الثقافي :

1 – تدمير الثقافة العربية الإسلامية لإنهائها كمقوم أساسي للوطنية الجزائرية

2 – المقاومة الثقافية (ثقافة الأجنبي)

3 – الإنبعاث الثقافي في بداية القرن العشرين

4 – تطور الثقافة الجزائرية (1920م – 1954م)

الفصل الثاني : المنطلقات والأسس السياسية للحركة الوطنية (1830م – 1954م)

1 – حركة النخبة في بداية الإحتلال

2- المقاومة العسكرية (المنظمة وغير المنظمة/ دراسة إستنتاجية

3- منطلقات إحتراف السياسة (1908م –1919م)

4- الأحزاب السياسية والجمعيات

الفصل الثالث : العمل على تحقيق الدولة المستقلة بواسطة الحركة الجماهيرية المنظمة

1- تجربة الأمير عبد القادر في القرن 19م
2 – إنجازات حزب الشعب
3 - مساهمة جمعية العلماء والتيارات السياسية الأخرى

خاتمة : حوصلة واستنتاجات عامة

مدخل : تحديد مصطلح الحركة الوطنية (المفاهيم المتعددة):

الحركة الوطنية مصطلح سياسي حديث التداول لكونه ارتبط تاريخيا بظهور حركات التحرر الوطنية في الكثير من البلدان التي تعرضت للحركة العدوانية المعروفة بالمد الاستعماري في القرن التاسع عشر.و كثيرا ما تتباين تعريفات و مفاهيم مصطلح الحركة الوطنية، بالنظر إلى اختلاف التجارب الوطنية في ردود فعلها على السياسات الاستعمارية.

إن مصطلح الحركة الوطنية بالنسبة لما يتعلق بالتجربة الجزائرية لم يشذ عن هذه القاعدة، لأنه بالعودة إلى الكتابات التي تناولت موضوع الحركة الوطنية بالدراسة و البحث يمكن أن نقف على تعدد المفاهيم والتعريفات للمصطلح، وهو الأمر الذي ينتهي إلى إمكانية حصر مفاهيم الحركة الوطنية الجزائرية في ثلاثة تصنيفات رئيسية هي المفهوم العام و الدقيق و الخاص.

1- المفهوم العام لمصطلح الحركة الوطنية :

الحركة الوطنية كمفهوم عام تتمثل في التعبير عنها كجملة ردود الفعل الوطنية تجاه الواقع الاستعماري الذي كان يلقي بأعبائه على المجتمع الجزائري، و في هذا السياق فان الحركة الوطنية تمثل كل مظاهر و أشكال الرفض للاستعمار، كالمقاومة الشعبية المسلحة التي امتدت لعقود عديدة، و المقاومة السياسية التي قادتها النخبة الحضرية في بداية الاحتلال، والهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي.

و يمكن إضفاء المصطلح بمفهومه العام لدلالة على جملة ردود الفعل الجزائرية، الجماعية منها و الفردية، المنظمة منها و المعزولة. لأنها كانت تنطلق في مجموعها من قاسم مشترك يتمثل في رفض و مجابهة السياسة الاستعمارية في مستويات مختلفة، والقصد هنا الإشارة إلى رفض التجنيس و التهجين الثقافي، رفض التجنيد الإجباري، المطالبة باسترجاع الأوقاف و الدفاع عن القضاء الإسلامي و المطالبة بفصل الدين عن الدولة الفرنسية و غير ذلك من أشكال الاحتجاج و الصمود .

إن هذا المفهوم الشامل لمصطلح الحركة الوطنية يجد القبول عند الذين يرون بأنه يعبر بصدق و بشكل كامل عن حجم الدور الذي لعبه المجتمع الجزائري بمختلف طبقاته الاجتماعية بدءا بالنخبة الحضرية وزعماء الطرق و الجماهير العريضة للفلاحين و الريفيين في مرحلة أولى ثم النخب السياسية المختلفة في الأحزاب الوطنية.

2- المفهوم الدقيق للحركة الوطنية :

إن الكتابات التي تعبر عن المفهوم الدقيق للمصطلح الحركة الوطنية, هي تلك التي تنطلق من أن توظيف المصطلح يجب أن يكون متسقا وملتحقا بمرحلة معينة ظهر فيها ارتقاء وتطور أدوات وأشكال النضال بصورة مميزة سابقاتها في العقود الأولى من الاحتلال.
يطلق المصطلح بصورة حصرية على أداء ومواقف التنظيمات والجماعات الجزائرية المنظمة كالأحزاب والجمعيات .

إن المفهوم الدقيق للحركة الوطنية يجعلها تعبر عن الأداء الجماعي للأحزاب والجمعيات السياسية والثقافية والإصلاحية الجزائرية، التي ارتقت بمستوى المطالبة بتغيير الواقع الاستعماري من ردود الفعل العفوية والمؤقتة إلى حركة سياسية دؤوبة غدت تمتلك أدوات العمل السياسي المنظم بفعل احتكاكها وتأثرها بالتيارات السياسية الخارجية في العالم الإسلامي وأوروبا في بداية القرن العشرين .

وفي الواقع فان المفهوم الدقيق للحركة الوطنية يكاد يكون مرادفا بصورة مطلقة للأداء والنشاط السياسي لمجمل التشكيلات السياسية والثقافية والإصلاحية التي قادتها مجموعات عديدة من النخب الجزائرية في سعيها لإحداث التغيير ثم الإصلاح، وانتهاءا بالقطيعة مع النظام الاستعماري الفرنسي.
لكن لماذا هذا التصنيف في مصطلح الحركة الوطنية ؟

إن تحديد مفاهيم الحركة الوطنية بهذه الصورة لا ينطلق في جوهره من نظريات الفكرة القومية ومن مصطلحات فكرة النخبة التي حفل بها الفكر السياسي الأوربي المعاصر في القرون الثلاثة الأخيرة. وإنما يعكس المفاهيم التي عبرت عنها الرؤية التاريخية لما يمكن أن نسميه اليوم بالمدرسة التاريخية الجزائرية مجازا، أو بتعبير أخر انطلاقا من التراكم الذي تشكله الكتابات التاريخية المحلية.

وتعود خلفية اعتماد الكتابات المحلية كمرجعية في محاولة ضبط مفاهيم الحركة الوطنية بدل الكتابات الأجنبية التي تشكل الفرنسية منها السواد الأعظم، إلى كون هذه الأخيرة غالبا ما تذهب إلى أن التعبير عن الفكرة الوطنية لدى الجزائريين تأخر إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى **(1)**

إن مسايرة هذا الطرح يعني أن توظيف مصطلح الحركة الوطنية لا يعتبر صائبا إذا أطلق على ردود الفعل الجزائرية قبل ظهور حركة الأمير خالد أو نجم شمال أفريقيا.

ومن أجل توضيح تعدد وتباين مفاهيم الحركة الوطنية حتى في الكتابات الجزائرية ذاتها، يمكن التدليل بالإشارة إلى عدد من المؤلفات البارزة، التي اتخذت في عناوينها ومضامينها الحركة الوطنية كموضوع للدراسة التاريخية.

في هذا السياق يعد مؤلف الأستاذ أبو القاسم سعد الله المعنون بالحركة الوطنية الجزائرية في أجزائه الثلاثة، النموذج الأفضل الذي يقدم موضوع الحركة الوطنية في سياقها التاريخي من بداية الاحتلال إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، فهذه الدراسة الضخمة تتضمن الإشارة إلى جميع مراحل تطور ردود الفعل الجزائرية على الاستعمار الفرنسي، بدءا بالمقاومة السياسية التي تزعمتها النخبة الحضرية الصغيرة، ومرورا بالمقاومات الشعبية المنظمة والعفوية.

ولا تتوقف الحركة الوطنية عند سعد الله في المقاومتين السياسية والمسلحة في القرن التاسع عشر، وإنما تضمنت أيضا الهجرة كتعبير عن رفض البقاء تحت نير الحكم الاستعماري، تجربة العمل الصحفي كأداة ومنبر للمطالبة ثم المغالبة، والنوادي والجمعيات التي شكلت في بداية القرن العشرين ما يشبه الفترة الجنينية للتيارات السياسية التي ظهرت في أعقاب الحرب العالمية الأولى مباشرة.

إن ما يمكن أن نخلص إليه هنا، هو توافق مؤلف الحركة الوطنية الجزائرية للأستاذ سعد الله مع المفهوم العام لمصطلح الحركة الوطنية الذي أشرنا إليه سابقا **(2)** و للإشارة فقط فان هذا الكتاب كان ولا يزال إنجيلا لأكثر من جيل كامل لدارسي التاريخ في الجامعة الجزائرية.

من جهة أخرى يعتبر كتاب تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية(1919-1951) للأستاذ محفوظ قداش على سبيل المثال لا الحصر، نموذجا للكتابات التي تذهب إلى دراسة تجربة الأحزاب والجمعيات الجزائرية بدءا بحركة النخبة وحركة الأمير خالد ووصولا الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، من منطلق أن الحركة الوطنية كانت ثمرة للنضج السياسي للنخب الجزائرية، وبذلك فان مصطلح الحركة الوطنية حسب منهج هذا الكتاب يصبح مجازيا إذا ما أطلق على مختلف أشكال ردود الفعل الجزائرية على السياسة الاستعمارية قبل ظهور الأحزاب السياسية.

لذلك فان جل الكتابات الجزائرية التي تذهب إلى ربط مفهوم ومصطلح الحركة الوطنية بتجربة العمل السياسي الوطني ابتداءا من العقد الثالث من القرن العشرين، تبدو متوافقة مع المفهوم الدقيق لمصطلح الحركة الوطنية الذي تمت الإشارة إليه.

إلى جانب هذين المذهبين في تصنيف الحركة الوطنية، تزخر المكتبة التاريخية الجزائرية في رصيدها من المؤلفات المحلية بالكثير من الدراسات التي تضفي على مصطلح الحركة الوطنية مفهوما خاصا واستثنائيا، عندما تقصره على تيار سياسي معين من بين لتيارات السياسية، ونقصد بذلك توظيف المصطلح للدلالة والإشارة إلى التيار الثوري والاستقلالي في الحركة الوطنية.

وكعينة من الكتابات التي تنحو في مثل هذا التوجه، يمكن ذكر كتاب محمد تقية المعنون بالجزائر في حرب، الذي ينطلق من مركزية التيار الثوري والاستقلالي في الحركة الوطنية ليضفي عليه فيما بعد صفة الشمولية، ويصادف القارئ لمثل هذه الكتابات الكثير من الإشارات إلى الحركة الوطنية في صورة مفهوم محصور في دلالته على التيار الثوري والاستقلالي، و مثال ذلك عبارة أزمة الحركة الوطنية الشائعة الاستخدام للإشارة إلى أزمة حزب الشعب. حركة انتصار الحريات الديمقراطية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية (1947-1954)

إن هذه المحاولة لا تزعم تحديد مفهوم دقيق لمصطلح الحركة الوطنية، وبصورة قطعية، ولكنها تهدف إلى تسليط الضوء على مسألة محورية وذات أهمية بالغة في الكتابة التاريخية. وهي مسألة المصطلحات، التي غدت تفرض نفسها بصورة ملحة في خضم الجدل

المتزايد حول العديد من القضايا ذات الارتباط بالتاريخ الوطني، ولا يتعلق الأمر هنا بمصطلح الحركة الوطنية فحسب، وإنما هناك ركام ضخم من المصطلحات التي رسم بها التاريخ الجزائري على يد المدرسة التاريخية الاستعمارية.

إن أهمية المصطلح في الكتابة التاريخية تكمن في أنه يشكل أداة مثلى في عملية البناء التاريخي، بفعل امتلاكه للقوة والإيجاز في التعبير عن الحادثة التاريخية وتحليلها وانتهاءا بإضفاء قيمة عليها.

ولهذا فان التوقف عند محاولة ضبط المصطلحات الأساسية في كتابة التاريخ الوطني مثل مصطلحات الحركة الوطنية، الإصلاح، الثورة، النخبة وغيرها، تبدو من أبجديات المسعى الهادف إلى تأصيل كتابة التاريخ في منظور وطني، يقوم على أسس علمية لتصويب مواضع التزييف والتحريف التي تركتها أقلام مدرسة التاريخ الاستعماري مثل مصطلحات التمرد، والتهدئة والتطهير والتنظيف 3).

إن الحل الأمثل لضبط المصطلحات عند كتابة التاريخ الوطني تستدعي تنقية شوائب مدرسة التاريخ الاستعماري، التي اختزلت تاريخ الجزائر في العهد الكولونيالي والعهود السابقة له في فواصل تاريخية تضمنت أحكاما متحيزة امتزجت فيها الروح الصليبية بالروح الاستعمارية (4) .

وإذا كنا لا نستطيع الجزم بشكل مطلق بأن تراث تلك المدرسة لا يزال إلى حد اليوم السبب المباشر في الضبابية التي تعتري نظرة الكثير من الجزائريين لتاريخهم، فانه يمكن المحاججة بأن كتابات مدرسة التاريخ الاستعماري من دوغرامون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر(1887) إلى بيار بوابيى في سبعينيات القرن المنصرم(1970) ساهمت بقسط وافر في اهتزاز الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري.

ليس هنا مقام للتوقف طويلا عند منهج الفرنسيين في التعامل مع كتابة التاريخ الجزائري (5) ، ولكن المقصد من ذلك هو التمهيد لشرح أهم الأسباب التي أدت إلى تباين وتعدد المفاهيم والمصطلحات، وما نتج عنه من اختلاف في قراءة التاريخ الوطني في الكتابات الجزائرية.

إن التباين الشديد في مفاهيم الحركة الوطنية يعود بشكل جوهري إلى الاختلاف في تحديد جذور الفكرة الوطنية من حيث أشكال التعبير عنها وبداية ظهورها، ومراحل تطور الحس الوطني في أوساط الشعب الجزائري.

يزعم المؤرخون الفرنسيون بأن الحركة الوطنية الجزائرية حديثة النشأة، وأغلبهم يعودون بها إلى ثلاثينيات القرن العشرين، ويربطونها ببداية ظهور الأحزاب السياسية التي امتلكت أهدافا واضحة ومحددة بما فيها هدف الاستقلال، وهناك من المؤرخين الفرنسيين من يعود بها إلى بداية حركة الأمير خالد وظهور نجم شمال أفريقيا (6) .

ومن أبرز دعاة هذا الطرح شارل أندري حوليان، فافرو، وأندري نوشي. والغريب أن أحدهم وهو هيلبارد اسنار، لم يجد حرجا في نفي وجود حركة وطنية جزائرية خلال العشرينيات، وذهب إلى الزعم بأنها لم تتشكل إلا قبيل الحرب العالمية الثانية (7) .

إن إنكار وجود الحركة الوطنية الجزائرية في الكتابات الفرنسية بالنسبة للمراحل السابقة لظهور الأحزاب السياسية، في الواقع يتوافق مع نظرية إنكار وجود الدولة الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي، وهي النظرية التي عبر عنها دوغرامون في كتابه الشهير (تاريخ الجزائر تحت السيطرة التركية) الذي صدر في عام (1887)، وأكدها خلفه في مدرسة التاريخ الاستعماري بيار بواييى بعد نحو قرن من ذلك في دراسته التي ظهرت في المجلة التاريخية الفرنسية في سنتي(1966-1970) والتي خلص فيها إلى القول بأن من يعتقد في وجود دولة جزائرية قبل عام(1830) كمن يصدق خرافات ألف ليلة وليلة (8) .

لقد كان نفي وجود الدولة الجزائرية قبل الاحتلال فكرة متوارثة في أدبيات أحفاد دوغرامون، لذلك مهدت لإنكار وجود حركة وطنية أصيلة قبل ظهور الأحزاب السياسية، ولا عجب بعد ذلك أن تتوج مدرسة التاريخ الاستعماري أطروحاتها الإنكارية بنفي وجود الأمة الجزائرية، التي انتظرت مجيء زعيم الحزب الشيوعي موريس توريز ليقف على بدء تكوينها في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين!. (9)

إن شطب مصطلحات وأطروحات مدرسة التاريخ الاستعماري تعد مسألة حيوية من أجل تأصيل كتابة التاريخ الوطني، لأن التركة الموبؤة لتلك المدرسة لم تكن ثمرة لجهود علمية وموضوعية تنشد الحقائق وتدونها، وإنما كانت نتاجا لسياسة استعمارية رسمية اعتمدتها فرنسا لأغراض التشويه والتزييف.

فقد كانت فرنسا تفرض الرقابة عن قرب على الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري، ومثال ذلك أنه عندما أجاب طالب جزائري في

امتحان التاريخ(الباكالوريا عام1930) بإجابة تضمنت معلومات غير متداولة في كتب التاريخ في الجزائر، سارعت لجنة الامتحان إلى تقديم تلك الإجابة مع عينات أخرى إلى جوزيف ديبارمي الخبير في الآداب الشعبية الجزائرية للاطلاع عليها ودراستها من أجل معرفة توجهات النخبة الجزائرية الناشئة (10) .

إن مسايرة الطرح القائل بأن ميلاد الحركة الوطنية ارتبط بظهور الأحزاب السياسية، يشكل قفزا على الأشكال الأخرى التي اعتمدها الشعب الجزائري في التعبير عن رفضه للسياسة الاستعمارية، كالانتفاضات الشعبية والصحافة والهجرة والعرائض الشعبية الاحتجاجية و أساليب المقاطعة الاجتماعية و الاقتصادية وغير ذلك.

ويمكن التساؤل هنا إذا لم يمتلك شعب ما في فترة ما أدوات ووسائل التعبير عن ذاته وعن رفضه للسياسة الاستعمارية، وعن مطالبه وقضاياه المصيرية، فهل يمكن تفسير ذلك ببساطة بانعدام الحس الوطني لديه! أم أن واجب البحث عن الحقيقة باعتماد الموضوعية التي تفرض نفسها على الباحث يستدعي التقصي الدقيق بدل إصدار أحكام قيمة مغرضة مثل ما ذهبت إليه المدرسة التاريخية الاستعمارية.

إن الكتابات الجزائرية لا تخلو على الرغم من الصورة القاتمة التي قمنا برسمها من بعض النماذج التي خطت النهج الأصيل في كتابة التاريخ الوطني، ومثال هذا العديد من كتابات الأستاذ جمال قنان الذي يمكن اعتباره من أكثر المؤرخين الجزائريين تجردا من تأثير تركة مدرسة التاريخ الاستعماري. وكذلك حال كتابات الأستاذ سعد الله التي حسمت في مسألة جذور الدولة والأمة والفكرة الوطنية في الجزائر.

لقد انتهت تلك الكتابات الرائدة إلى تقرير ثبوتية الأمة والكيان الجزائري قبل الفاصل التاريخي الاستعماري، إن الاستعمار الفرنسي كان عاملا حاسما في تطور الحركة الوطنية الجزائرية في نظر الأستاذ سعد الله، لا لأنه خلقها و لكن لأنه أيقضها (11) .

الفصل الأول : الأساس الديني والمنطلق الثقافي للحركة الوطنية الجزائرية 1830م – 1954م

أ – الأساس الديني :

1 – الأسلام كعقيدة ترفض الخضوع للمستعمر
2 – دور الطرق الصوفية في إذكاء المقاومة الوطنية
3 – البعد الإسلامي في الإصلاح السياسي والإجتماعي

ب – المنطلق الثقافي :

1 – تدمير الثقافة العربية الإسلامية لإنهائها كمقوم أساسي للوطنية الجزائرية

2 – المقاومة الثقافية (ثقافة الأجنبي)

3 – الإنبعاث الثقافي في بداية القرن العشرين

4 – تطور الثقافة الجزائرية (1920م – 1954م)

أ – الأساس الديني :

لا شك أن الدين هو من أهم ما يميز مجتمعا عن آخر، وهو أيضا من أهم العناصر التي تحرك شعور الإنسان وتدفعه لاتخاذ مواقف معينة، والإسلام كدين يهيمن على حياة الإنسان كلها، هو من الديانات التي تحدد بشكل واضح مواقف أتباعها في المسائل الدينية والدنيوية ومنها السياسية بالطبع .(12)

وعلى هذا الأساس فإن معرفة كيف حدد الإسلام –دين الجزائريين– موقفهم من الاحتلال الفرنسي لبلادهم وبلاده منذ 1980 إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية أمر في غاية الأهمية. وذلك حتى نعطي صورة صحيحة عن الحركة الوطنية الجزائرية.

1– الإسلام كعقيدة ترفض الخضوع للمستعمر:

إن العقيدة الإسلامية لا تنحصر فقط في الإيمان بالله والرسل والكتب واليوم الآخر، بل تشمل أيضا الإيمان بوجوب الاحتكام إلى شرع الله وإقامة هذه الأحكام وتطبيقها بين المسلمين من قبل جماعة المسلمين أنفسهم، وهذا ما يعبر عنه عادة بأن الإسلام هو عقيدة ودولة، ولتوضيح رفض العقيدة الإسلامية خضوع معتنقيها خضوعا ماديا أو معنويا، لأي ديانة أو مجتمع أو دولة غير إسلامية، علينا أن نبين مظاهر هذا الرفض وفق النقاط التالية:

أ– الإسلام دين مهيمن على الديانات الأخرى:

إن من أهم المبادئ العقائدية للإسلام، أنه هو الدين السماوي الوحيد الذي بقي بعيدا عن التحريف، عكس اليهودية والمسيحية، ولذلك فإن كل المسلمين ومنهم الجزائريين بالطبع، كانوا يعتقدون ويؤمنون بهذا المبدأ، فالإسلام هو دين الله الوحيد المقبول،(13) أما الديانات الأخرى السماوية وغير السماوية فهي غير مقبولة ومزيفة وتحط من قيمة الإنسان.

وإن الجزائريين الذين كانوا شغوفين بقراءة القرآن، لا شك أنهم ترسخ لديهم، أن الديانة المسيحية –ديانة المستعمر الغازي– هي ديانة محرفة، ولذلك فهي غير صحيحة، وإذا كان أصلها إلهي، فإن فيها كثير

من الآراء البشرية المجانية للحق، وحتى إذا سلمنا جدلا أن هناك مذاهب مسيحية لم يصبها تحريف كبير، فإن مجيء الإسلام قد نسخ المسيحية واليهودية، وبقي الإسلام هو دين الله الوحيد.

إن هذا الاعتقاد كان يعطي المسلمين ومنهم الجزائريين اعتزازا بأنفسهم وديانتهم، وجعلهم يأنفون من الخضوع للكفار الذين هم أدنى منهم درجة وأحط قيمة (14)، وهذا الشعور هو الذي حال بين كثير من الجزائريين والتجنيس فضلا عن التنصير، لأن التجنيس يشترط فيه التخلي عن أحكام الشريعة في الأحوال الشخصية، وقد فسره كثير من الجزائريين على أنه تخل عن الإسلام وخروج منه ،(15)

وكثيرا ما اشتكى رجال الإرساليات التبشيرية في الجزائر وغيرها من البلاد الإسلامية من اعتزاز المسلمين بدينهم ورفضهم التخلي عن الإسلام (16) ، والانتماء إلى دين السلطة القائمة المسيحية في البلاد الخاضعة للاستعمار الأوروبي رغم الضغوطات والإغراءات، ولهذا فكر كثير منهم في طريقة ذكية لإخراج المسلمين من دينهم أو على الأقل إضعاف علاقاتهم به والتزامهم به دون المخاطرة بدعوتهم إلى اعتناق المسيحية (17).

ولتحطيم هذا المبدأ وهذا الاعتزاز، فإن الاستعمار الفرنسي عمل بكل وسائله وإمكانياته البشرية والعلمية والقانونية لإضعاف هذا الاعتزاز وغرس الانبهار أو الخوف من الحضارة الغربية، وكان ذلك عن طريق التعليم العلماني للمدرسة الفرنسية وعن طريق تدجين الزعامات الدينية والسياسية للأهالي، وهم الذين أصبحوا يبشرون بفضائل الحضارة الأوروبية. (18)

وإذا كان المسلمون يرون أن الإسلام أفضل من المسيحية، ويرون أن مكانة الإنسان في الإسلام وقيمته كإنسان، واحترام عقله وحريته هي أرفع بكثير من المكانة التي تعطيها المسيحية للإنسان، ويظهر ذلك حتى في الجزاء الأخروي،(19) وإذا كان عامة المسلمين وخاصة في شمال إفريقيا يعتبرون المسيحيين مشركين ويصفونهم دائما بالكفر،(20) بسبب اعتناقهم للمسيحية، مما يؤكد استعلاء الإسلام عندهم على المسيحية المحرفة، إذا كان هذا واضحا، فإن موقف المسلمين من المذاهب المناهضة للمسيحية في أوروبا لا يختلف كثيرا عن ذلك ولكن يشوبه نوع من الغموض.

فإذا كانوا لا يعترفون بدين سماوي محرف ويعتزون بدينهم فمن باب أولى أن لا يعترفوا بمن لا دين له، أو الذين ينتقصون الدين، وقد وقف المسلمون ضد الإلحاد والعلمانية واللائكية التي تبعد الدين عن الحياة العامة للناس.

ولكن هذا رأي علماء الدين وعامة المسلمين الذين لم يتأثروا بالأفكار الغربية ولم يمتزجوا بالمجتمع الفرنسي سواء في المدن الجزائرية أو بفرنسا، أو في الجيش الفرنسي أو في الوظائف الإدارية، فكثير من هؤلاء تأثروا بهذه المبادئ، ولكن القليل منهم فقط كانت له الجرأة على انتقاص الدين الإسلامي، بينما حاول البعض منهم إيجاد توافق بين الإسلام وهذه المبادئ أو على الأقل إيجاد تعايش بينهما في شخصه، فكثير منهم بقي مصرا على تأكيد انتمائه للإسلام رغم تشبعه بالمبادئ العلمانية (21) .

وعلى العموم فإن المسلمين الجزائريين سواء المتخرجين من المدارس الفرنسية وثكناتها وإدارتها، أو باقي الجزائريين، كانوا في معظمهم يفضلون الانتماء إلى الإسلام ولو شكليا عن الانتماء إلى المذاهب الأخرى وهذا يؤكد انهم ظلوا ينظرون إلى الفرنسيين الغازين انهم مجتمعا آخر له دينه، ومصالحه، وهي تختلف عن دينهم ومصالحهم.

وإذا كان هذا الغازي قد تحكم فيهم وفي بلادهم بقوته المادية فهذا لا يعني عندهم أن دينه أو مبادئه هي احسن من الإسلام، وقد عصمهم هذا من الخضوع النفسي للأجنبي والانبهار لمبادئه، والاعتراف به والاندماج فيه، بل على العكس من ذلك تماما، فإن هذه المفارقة العجيبة، معتنقو الدين الصحيح ضعفاء وفي قبضة الكفار، وتحت سلطة معتنقي المذاهب والديانات الباطلة، مع أن العكس هو الذي يجب أن يكون، وأنه قد كان فعلا عبر تاريخ المسلمين محققا، وقد دفعتهم إلى القول بان الخلل في مدى التزامهم بالإسلام الصحيح،(22) وليس في الدين نفسه وكان ذلك بداية لظهور حركة الإصلاح في الجزائر وغيرها من الأقطار الإسلامية.

وقد شجعهم ذلك أكثر لمواجهة الغازي المستعمر، مواجهة ثقافية علمية لسياسته الثقافية والاجتماعية التي دأبت على مسخ حقائق الإسلام حتى لا يقوى على مواجهة الأفكار التي يبثها الاستعمار.

وخلاصة القول، فإن العقيدة الإسلامية هي العنصر الأساسي الذي حافظ على اتساع وعمق الهوة التي تفصل بين الأهالي المسلمين عند الأوروبيين المقيمين بالجزائر أي عن الفرنسيين وحكومتهم وإدارتهم.

ب-الإسلام دين الجهاد ضد المعتدي على بلاده

إذا كان الإسلام قد شرع الجهاد لنشر الإسلام، وتحقيق مبدأ عالميته وهيمنته على الديانات الأخرى، وذلك بإزاحة كل سلطة تحول دون نشر رسالة الإسلام وتمنع الناس من الاحتكام إلى القرآن ،وليس بإرغام الناس وخاصة أهل الديانات السماوية على التخلي عن دينهم واعتناق الإسلام، أو ليسترجع أرضا إسلامية خضعت لقوة غير إسلامية، فإذا كان الجهاد لنشر الإسلام خارج أرضه هو واجب كفائي إذا قامت به مجموعة سقط الوجوب عن الآخرين، فإن الجهاد للدفاع عن أرض إسلامية مهددة من قبل الكفار غير المسلمين- أو لاسترجاع أرضا إسلامية قد استولوا عليها هو واجب عيني، يجب على كل مسلم، ويجب حتى على النساء، وهذا من الأحكام الفقهية المتداولة بكثرة في كتب الفقه،(23) ولما كان المعتدي الفرنسي مسيحيا صليبيا ،فإن حكم مواجهته ليس جديدا على المسلمين ولا على الجزائريين بالخصوص، فالمسلمون مارسوا الجهاد لنشر الإسلام ضد دول معظمها كانت مسيحية سواء في المشرق أو في المغرب وأوروبا نفسها، كما مارسوا الجهاد للدفاع عن بلاد الإسلام وحمايتها من القوى الصليبية الأوروبية سواء في الحروب الصليبية في المشرق، أو ضد حملات الأسبان والفرنسيين على شمال إفريقيا خلال القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، فهناك سوابق تاريخية تجسد فيها الجهاد ضد آباء هذا المعتدي وجيرانه الأوروبيين المسيحيين، وضده هو نفسه وهذا كله سيزيد من شرعية هذا المبدأ، ومن حماس المسلمين لحماية أرضهم وأنفسهم ودينهم من أعدائه القدماء الجدد.(24)

فمقاومة الجزائريين للاستعمار الفرنسي أثناء وبعد احتلاله للجزائر كانت من هذا المنطلق، إذ كانوا يرون أن طرد الفرنسيين من الجزائر و"إلقائهم إلى البحر" هو واجب ديني (25) ، فمنهم من سارع للقيام بهذا الواجب الديني بالوسائل المتاحة له سلميا، أو عسكريا، ومنهم

من تقاعس عن ذلك، وفضل مصلحته وسلامته على متاعب وتبعات القيام بذلك الواجب الثقيل على النفوس الضعيفة.

ورغم أن هناك من ثار على الاستعمار الفرنسي، وتمرد عليه بعد أن اعترف به وعمل في وظائفه الإدارية والعسكرية، لأسباب مصلحية شخصية، فإن هؤلاء رفعوا شعار الجهاد ضد العدو الكافر ، وأعلنوا أنهم قاموا بالثورة التزاما بآيات القرآن التي تدعو إلى ذلك، وإتباعا لآراء فقهاء الدين الإسلامي،(26) كما رفعه من قبلهم الذين وقفوا ضد الاحتلال الفرنسي منذ أول وهلة.

وبغض النظر عن مدى التزام هؤلاء و أولئك بقواعد الجهاد في الإسلام، ومدى صدقهم في ذلك، وبغض النظر أيضا عن ذكر أسباب تلك المحاولات الجهادية، فليس ذلك غرضنا في هذا البحث، فإن راية الجهاد هي التي كانت تجمع الناس حول قادة أية ثورة ضد الاستعمار الفرنسي (27) .

وإذا كانت السلطات الاستعمارية الفرنسية قد تمكنت من القضاء على الثورات التي قام بها الجزائريون، فهل تمكنت من نزع فكرة الجهاد " الثورة" من رؤوسهم، إن سلسلة الثورات والتمردات التي كانت تحدث هنا وهناك عبر التراب الجزائري في فترة كان "الاستعمار يظن أن مستعمرته أصبحت هادئة تماما، تؤكد أنها لم تفلح، رغم الجهود التي بذلت في هذا الجانب، ففكرة الجهاد لإخراج الفرنسيين " الكفار" من الجزائر لم تبرح أذهان الجزائريين حتى في أحلك الظروف (28) ، وفي الوقت الذي انتشرت فيه الدعوة إلى الإدماج والقبول النهائي بالاستعمار الفرنسي في الجزائر فالجزائريون كانوا مستعدين للجهاد في أية لحظة، إذا وجدوا من يدعوهم إلى ذلك ووجدوا لديه الوسائل التي يمكن أن تحقق رغبتهم هذه، ولكن القيادات الأهلية الفاعلة كانت الإدارة الفرنسية قد استطاعت تدجينها، فمنهم من لا يفكر إلا في مصلحته الخاصة، أما الذين ما زالوا يهتمون بقضايا الأهالي، فإن اهتمامهم أنصب على تحسين ظروفهم المادية والمعيشية بالاندماج في المجتمع الفرنسي وضمن السيادة الفرنسية ولم يعد أحد منهم يفكر في الثورة والجهاد وإخراج فرنسا من الجزائر.(29)

فهذه الفكرة ستظهر لدى القيادات من جديد مع ظهور حزب نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الذي بنى نضاله على أسس جديدة، ولم تعد فكرة الجهاد بمفهومه السابق مطروحة بشكل واضح عنده.

ومن جهة ثانية إذا كانت السلطة الاستعمارية قد تمكنت من إحكام قبضتها على الجزائريين بإجراءاتها وقوانينها وسياستها الثقافية والاجتماعية وضغطها العسكري والإداري والنفسي، وحصلت بذلك على حالة هدوء نسبي، فهل كان هذا الهدوء دليلا على رضا الجزائريين بالأمر الواقع ورضاهم بحالة الاستعمار وبالبقاء تحت سلطته، وهل هناك في الإسلام ما يبرر ذلك؟.

فإذا كان الإسلام يفرض على القادرين الجهاد، فماذا يفرض على هؤلاء الذين أصبحوا بحكم واقعهم كالعاجزين عن الجهاد؟ (30) .

لا شك أن معظمهم وحتى بعض المستفيدين ماديا من الاستعمار والمتعاونين معه، كانوا ينظرون إلى الاستعمار على أنه منكر، وعليهم أن يتعاملوا معه على هذا الأساس، أي أن يغيروه بالقوة والثورة، ولكنهم لا يستطيعون ذلك، وقد دلت تجارب عديدة في القرن التاسع عشر على ذلك، فعليهم أن يغيروه بألسنتهم، ودعايتهم ولكن حتى هذه لا يقبل الاستعمار بها، وهو يتحكم في أمورهم وقانون الأندجينا وغيره من القوانين الردعية مسلط على رقابهم، ومع ذلك فإنهم في مجالسهم الخاصة التي يأمنون فيها من الرقباء يمارسون هذه المقاومة، فهو المقاومة بالقلب، أي عدم الرضا بالاستعمار والخضوع نفسيا وفكريا له والانعزال قدر المستطاع عنه، وهذا ما كان معظم الجزائريين يمارسونه على نطاق واسع (31) .

فرغم أن التجنس بالجنسية الفرنسية يكسب الأهلي الجزائري (المسلم) حظوظا كبيرة ومكاسب مادية معتبرة، ولكنها اقل من حظوظ ومكاسب الأوروبيين على أية حال، فإن ذلك لم يكن قادرا على إقناع الجزائريين بفكرة التجنس هذه والاندماج في المجتمع الغازي، لأنه لا يريد أن ينفصل على مجتمعه أو يرضى بالانضمام إلى مجتمع غير مجتمعه، وإن العدد القليل من المتجنسين من الأهالي دليل على هذا النفور النفسي من الاندماج في المجتمع الفرنسي –الكافر– وقد زاد شرط التخلي عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي للحصول على صفة المواطن الفرنسي أي التجنس بالجنسية الفرنسية الجزائريين نفورا من الاندماج في المجتمع الفرنسي (32).

ويمكننا القول هنا أن هذا النفور ناتج عن اتباع لأحكام الإسلام الخاصة بوضع المسلمين الضعفاء تحت سلطة غير إسلامية، فالإسلام

يجيز للمسلمين الذين لا يستطيعون الخروج من حكم غير المسلمين البقاء تحت هذا الحكم، حتى وإن لم يتمكنوا علنا من أداء شعائرهم، بل حتى وإن أجبروا على إعلان كفرهم مادام أنهم في قرارة أنفسهم مسلمون (33) . أي أنه لا يجيز الرضا بالاحتكام إلى أحكام الكفار والرضا بالخضوع لهم والتشبه بهم في أحكامهم ومعتقداتهم (34) . وبناء على هذا فإن الإسلام من باب أولى يجيز البقاء تحت حكم الكافر إذا كان قادرا على أداء شعائره الدينية، وغير قادر على الهجرة والخروج من حكم هذا الكافر وخاصة إذا كان من قبل العلماء والزعماء الذين يلعبون دورا كبيرا في الحفاظ على دين هؤلاء المسلمين الضعفاء، وفي تماسكهم وتمايزهم عن المجتمع الغازي، ويحفظونهم من الذوبان مما يبقى أمل استعادة البلاد إلى حكم المسلمين واردا بحكم بقاء المســـــلميـــن وكثرتهم العددية (35) .

ولا شك أن ظاهرة الهجرة التي قام بها كثير من الجزائريين في عهد الاحتلال هي دليل أكيد على أن الأساس الديني هو الدافع الأساسي لرفض البقاء تحت حكم الكافر الفرنسي، فأغلب الذين هاجروا من المناطق التي سقطت تحت حكم الفرنسيين، وبرروا ذلك بقولهم حتى لا تجري علينا أحكام الكفار ولا تكون لهم علينا سيادة وسلطا (36) ، والذين رفضوا الرجوع إلى مواطنهم التي استولى عليها الفرنسيين، رفضوا ذلك بناءا على نفس المبدأ، حتى لا يخضعوا لغير المسلمين وأحكامهم، أما الذين كانوا خارج سلطة المستعمر الكافر وكانوا يطالبون الواقعيين تحت تلك السلطة الكافر بالهجرة كالأمير عبد القادر وكاتبه قدور بن رويلة، فإنهم يرون أن البقاء هناك هو رضى بحكم الكافر، والرضى بحكم الكافر كفر ورد (37) .

ولكن السؤال الذي تجب الإجابة عليه هنا هو : هل عدم الهجرة، حتى مع القدرة عليها هو علامة على الرضا بالوضع القائم، والرضى بالاستعمار؟، إن عدم الهجرة بسبب عدم القدرة لا يختلف عن الهجرة، لأن المانع هو عدم القدرة وليس الرضى بالأمر الواقع، وقد بين المفتي محمد بن الشاهد هذا الأمر، فمع أنه كان يدافع على جواز البقاء تحت حكم الفرنسيين عكس ما قال به الأمير عبد القادر فإنه بين أن ذلك مرتبط بعدم القدرة، وبين أنه ليس هناك رضى بالاستعمار كما يدعي الأمير وجماعته وحكموا بناءا على ذلك بردة وكفر الذين لم يهاجروا (38)، بل إن أغلب الناس يتلهفون للهجرة ولا يصلون إلى تحقيقها، إما

عدم الهجرة مع القدرة عليها، فهناك من فعل ذلك ابتغاء مصلحة معينة، مصلحة مادية شخصية، فهؤلاء في رأي ابن الشاهد ارتكبوا إثما، أو معصية وهو لا يخرجهم من الدين ولو كان يعلم أنهم رضوا بالكفر لحكم بكفرهم، ولكن هذا لا يمنع أن يكون هناك من رضي بالكفار وبالاحتكام إلى قوانينهم فيما بعد، أما الذين بقوا ولم يهاجروا من القادرين عليها، فيظهر أن ابن المشاهد وغيره من أمثاله من العلماء والزعماء كانوا مقتنعين إن بقاءهم هو أفضل للإسلام والمسلمين في تلك المناطق من الخروج والهجرة منها، فالغرض من ذلك إذن يعاكس تماما فكرة الرضى بالاستعمار والخضوع له (39)، فإن كان هناك من رضي بالاستعمار حقيقة، ولم يحمل تجاهه أية كراهية بغض النظر عن درجتها، فإن عددها القليل إن لم نجازف ونقول بأنه لم يكونوا البتة.

وبعبارة أخرى فإن هؤلاء العلماء ومنهم ابن الشاهد، برروا بقاءهم تحت حكم الأجنبي، بأنهم يقومون بجهاد صامت ضد هذا الأجنبي، ويتجلى هذا الجهاد في تلك الواجهة الفكرية والاجتماعية وحتى الدينية، بالحفاظ على عقيدة المسلمين من الضياع، والحفاظ على روابطهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم من الزوال بسبب الاندماج في المجتمع الغالب، والحفاظ على مؤسسات الإسلام من المصادرة والتهديم، وغير ذلك من صنوف الاعتداء، كأنهم يقولون للأمير وبقية الثوار بالسيف، إنكم لستم أكثر منا عداءا لفرنسا ونصرة للإسلام والمسلمين، فلكل طريقته في الجهاد.

وبمكن في الأخير إن نخلص إلى القول بأن الإسلام كعقيدة متحكمة في الجزائريين هي الحصن الذي حماهم من الانهزام النفسي الفكري والذوبان في المجتمع الأوروبي الغازي، بعد أن انهزموا عسكريا وسياسيا أمامه، وأن هذه العقيدة هي التي دفعت بهم إلى المقاومة المسلحة، والى المقاومة السلمية حسب الظروف، فلا نعجب بعد هذا إذا وجدنا الكتاب والساسة الفرنسيين وقادتهم العسكريين، على اختلاف توجهاتهم الفكرية والسياسية، من دعاة الإدماج المتحمسين له، أو المعارضين لذلك، يؤكدون أن الإسلام وعقيدته هي العدو الأكبر وأن القرآن هو رمز هذا العداء المستحكم بين الأهالي والفرنسيين (40)، فالمتحمسين لإدماج الجزائريين وتذويبهم في المجتمع الفرنسي رأوا بان الإسلام هو الهوة السحيقة بين المجتمعين، والتي لا يمكن ردمها، وربط المجتمعين ببعض أحسن ربط إلا بإزالة الإسلام وتهوين تأثيره على

اتباعه، بتنصيرهم أو بنشر المبادئ العلمانية والإلحادية بينهم عن طريق التبشير والمدارس العلمانية الفرنسية والقوانين والوظائف وتطوير الهياكل الصناعية وإضعاف نفوذ رجال الدين الرسميين ورجال الطرق الصوفية على السواء (41).

أما الرافضون للإدماج من غلاة المعمرين وبعض القادة العسكريين، فإنهم يبررون رفضهم لفكرة الإدماج، بأنها خيالية، ولا يمكن تحقيقها بسبب استحالة تحول الأهلي "المسلم" إلى مواطن فرنسي حقيقي، حتى وإن اعتنق المذاهب العلمانية وفكر الثورة الفرنسية والحضارة الغربية، وحتى وإن تخلى عن أحكام دينه فإنه يظل يحس في قرارة نفسه على أنه مسلم ويختلف عن الفرنسي الأصلي، وعلى هذا الأساس فإن أي تنازل للأهالي بغية إدماجهم في العائلة الفرنسية هو خطر على الوجود الفرنسي في الجزائر (42).

أما إدماج الأهلي بالتنصير وجعله مسيحيا، فإذا كان هذا من الناحية النظرية فعالا في عملية الدمج لوجود الرابط الروحي الديني، فإن تحقيقه أمر في غاية الخطورة لأنه سيثير مجموع الأهالي ضد السلطة، إذ اتخذ طابعا رسميا وكان شاملا، فقد اضطر احد القادة العسكريين إلى توقيف بعض نشاط المبشرين حتى لا تفلت الأمور من يده، أما محاولات التبشير للأطفال اليتامى فهي غير مجدية لسياسة الإدماج، لأنهم إذا لم يعودوا إلى الإسلام من جديد كما حدث عدة مرات عند بلوغهم رشدهم، فإنهم يعزلوا بذلك عن الأهالي ولا يبقى لهم أي تأثير، بل يؤدي إلى زيادة تمسك الأهالي بدينهم وبغضهم ونفورهم من الفرنسيين كسلطة وكمجتمع على السواء، وهو إلى جانب ذلك صعب التحقق في الميدان.

ومهما يكن من أمر، فإن المسلمين الجزائريين ظلوا يشعرون بأنهم مجتمع يختلف عن المجتمع الفرنسي، وأنهم ليسوا إفراد داخل دولتهم، ولا يشعرون بأنهم مواطنين ولا حتى أنصاف مواطنين، بل غرباء على الدولة التي تحكمهم أو بالأصح أن الدولة هي الغريبة عنهم وهي الدخيلة، إن هذا الشعور هو الذي ساعد على ظهور المقاومة الثقافية والاجتماعية مع بداية القرن العشرين بظهور المصلحين، وظهور النشاط السياسي من جديد وتدرجه من المطالبة بالحقوق والمساواة بين الأهالي والكولون إلى المطالبة بالاستقلال وخروج

الاستعمار الفرنسي من الجزائر، بأفكاره وقوانينه وثقافته ودينه وهيمنة العنصر الأوروبي.

2- دور الطرق الصوفية في إذكاء المقاومة الوطنية :

أولا: المقاومة العسكرية :

بعد أن عرفنا مبادئ عقيدة الإسلام، وأحكامه الفقهية الرافضة للخضوع للغازي المستعمر، وهي المبادئ والأحكام التي كانت توجه المسلمين في الجزائر، بقيت الإجابة على السؤال الذي يطرح بإلحاح وهو: من يوضح هذه الأحكام والمبادئ ويبين كيف ترفض الاستعمار ؟ ومن يجسد ذلك في أرض الميدان ويسعى لاعطاء القدوة والمثال ؟لاشك أنهم ممثلو الإسلام من شيخ الطرق وعلماء ،بعد أن سقطت حكومة الداي حسين حيث بقوا هم فقط ممثلي الإسلام والمسلمين في الجزائر، وهم الذين يعبرون عن رأيه ويوجهون المسلمين ويؤثرون فيه (43) . وإذا كان لبعض العلماء في الحواضر الجزائرية وخاصة بمدينة الجزائر دور في المقاومة السياسية والثقافية وحتى العسكرية للاحتلال الفرنسي ' (44) ، فان الدور الأكبر في المقاومة إنما اضطلع به شيوخ بعض الزوايا والطرق الصوفية ولم يكن أصحاب النفوذ من أبناء الأسر الكبيرة قادرين على التأثير في أتباعهم إلا بالاستنجاد بأصحاب الطرق الصوفية. وإذا كانت حكومة الداي قد اعترفت بالسيادة الفرنسية على الجزائر اثر انهزامها أمام الجيوش الفرنسية في معركة سطا والي، وقد اعترف بذلك أيضا بعض علماء مدينة الجزائر ،فضلا عن كثير من الأعيان الذين عملوا على إقناع الداي بالتنازل عن الحكم والاعتراف بالسيادة الفرنسية (45). وإذا كان المجتمع الحضري والطبقة السياسية قد تخلوا عن فكرة جهاد الفرنسيين، أو بالأحرى لم يسعوا في هذا الإطار باستثناء أحمد باي بقسنطينة والباي مصطفى بومزراق بالمدية، فإن الريف الجزائري الذي كان تحت نفوذ شيوخ الطرق الصوفية هو الذي تولى وظيفة الدفاع ورفع راية الجهاد في وجه الاستعمار الفرنسي. وسوف نجد من خلال عرضنا للمقاومات العسكرية أن قادة هذه المقاومات وعناصرها الأساسية هم من شيوخ وأتباع الطرق الصوفية، وقبل الشروع في تفصيل هذا الأمر نرى من الضروري توضيح نقطتين

أساسيتين : تتمثل الأولى في هذا السؤال هل كل الطرق رفعت شعار الجهاد وشعار الثورة ضد الاستعمار، أم إن هناك طرق صوفية ساعدت المحتل أو على الأقل سكتت على مشاريعه والتزمت الحياد ؟ فالطريقة التيجانية تحالفت منذ البداية مع الاستعمار الفرنسي، ودعت أتباعها وباقي المسلمين إلى عدم محاربة فرنسا، لأنها قضاء وقدر من الله (46) ، وبواسطة هذه الطريقة توغلت القوات الفرنسية في الصحراء الجزائرية بدون صعوبات كبيرة (47) وهناك شيخ طرق وزوايا وقفوا ضد شيوخ طرق أخرى لم أعلنوا ثوراتهم لتحقيق مصالح ظرفية أو لحزازات شخصية بينهم، أو حتى لإرضاء المستعمر ليغدق عليهم الموال والأوسمة (48): وهناك طرق صوفية اشتهرت بالجهاد ضد الاستعمار، كالقدرية طريقة الأمير عبد القادر والدرقاوية ذات الأصول الطيبية المغربية والطريقة الرحمانية والسنوسية أما الفكرة الثانية فهي ضرورة إزالة لبس حول دور الطرق الصوفية الثورية وغيرها فهذا الدور لم يقتصر عند الطرق الثائرة على تلك الثورات التي لم يكتب لها النجاح وإن تركت بعض الآثار الإيجابية كما لم يقتصر دور الفريق الآخر على تلك الخدمات التي قدمت للفرنسيين بل كانت تلك الطرق على اختلافها تقوم بدور آخر، بوعي أو بدونه يندرج في إطار المقاومة الثقافية والاجتماعية والمقاطعة لفرنسا والفرنسيين والمحافظة على أسس ومقومات الشخصية الوطنية للجزائريين (49) ، وسنوضح هذا الدور بعد الحديث عن دور بعض الطرق الصوفية وأتباعها في ثورات القرن التاسع عشر ضد الحكومة الفرنسية وسنحاول احترام السياق التاريخي قدر الإمكان .

دور الحاج سيدي السعدي :

لما سقطت مدينة الجزائر في يد الفرنسيين خرج من خرج منها حتى لاتجري عليه أحكام الكفار فيها، ولا يتحكموا فيه، وقد تولى سكان منطقة متيجة وما حولها مهمة محاصرة الجيش الفرنسي حتى لا يطمع في احتلال مناطقهم ويرغم على الخروج من المدينة وغم أن عموم سكان المنطقة وزعماء الأسر المعروفة كانوا رافضين للاستعمار ومتأهبين لإعلان الحرب عليه، إلا أن أهم شخصية كان لها دور كبير

في الدعوة للمقاومة والعمل على إنجاحها في سهل المتيجة هو الشيخ الحاج السعدي الذي كان قيما على زاوية لعائلته في مدينة الجزائر، وكانت علاقات عديدة بشيخ الزوايا ورؤساء القبائل بسهل المتيجة وحتى في منطقة زواوة (50) . لقد كان هذا الشيخ خارج مدينة الجزائر عندما سقطت في يد الاستعمار الفرنسي، وقد تأسف لذلك كثيرا ورغم وجود زاويته بالمدينة إلا أنه رفض الرجوع إلى المدينة والاستقرار بها وذلك حتى لا تجري عليه أحكام الكافر ولا يسود عليه غير المسلم (51) ،ولم يفكر هذا الشيخ في الهجرة الداخلية أو الخارجية وكانت وضعيته وعلاقاته توفر له ضمانات للنجاح في أي محاولة، بل على العكس من ذلك تماما أصر على الدعوة إلى الجهاد من إن يخلص مدينة الجزائر وسكانها المسلمين ويخلص زاويته وباقي مؤسسات الإسلام من الحكم الفرنسي. وقد استغل علاقاته السابقة، ومكانته كرجل علم ودين، وكفاءته في التأثير في الأعيان وعموم الناس واستغل حتى الرؤى الصوفية التي يدعيها أهل التصوف إذ كان يقول لأتباعه بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعطاه في منامه راية الجهاد وأخبره بقرب انهزام الفرنسيين وخروجه من الجزائر (52). ومهما يكن من أمر فإن

الحاج السعدي قد اتصل بسكان المنطقة الشرقية للمتيجة و اتصل بزعمائها الدينيين مثل الشيخ علي بن موسى شيخ زاوية المعاتقة الذي استقر بعض الوقت عنده ،كما اتصل بزعيم قبيلة فليسة الشهيرة الحاج محمد بن زعموم وقد أثمر هذا الاتصال حيث اتفق الطرفان الحاج السعدي والحاج بن زعموم على إعلان الثورة (الجهاد) وتنسيق الجهود واستطاع المجاهدون تحطيم عدة منشآت فلاحية وأقامها المعمرون الفرنسيون في الحراش وبوفاريك ،وتهديد الفرنسيين في مدينة الجزائر نفسها وذلك خلال شهر جويلية سنة 1831. وقد كان الحاج السعدي هو المحرك في هذه الهجومات، وعندما وقعت مذبحة العوفية في أفريل من عام 1832 عادت الهجومات من جديد ضد الجيش الفرنسي بقيادة الحاج السعدي روحيا وبقيادة الحاج بن زعموم بواسطة ابنه لكبره ومرضه عسكريا (53). وقد لعب الحاج السعدي دورا كبيرا في إقناع صديقه القديم الحاج محي الدين شيخ زاوية القليعة بالانضمام إلى صف المجاهدين والتخلي عن منصب آغا العرب الذي أعطته له السلطة الفرنسية لتتحكم بواسطته في سهل المتيجة وسكانه وقد رمى هذا الشيخ

أوسمة الفرنسيين وانضم إلى المقاومة (54)، ولكن الإدارة الفرنسية التي خبر جيشها الميدان أكثر استطاعت أن تعين بعض الموالين لها على أعراش من سهل متيجة وضمنت بذلك التعامل التجاري مع هذه الأعراش وكسرت بذلك الحصار الذي فرض عليها واستطاع جيشها أن يتأقلم مع الوضع وابتكر أسلوب الهجمات الخاطفة بفرق صغيرة ضد قوات المقاومة ليضعفها، وبقيت الحال على هذا النحو طيلة سنتي 1833 و1834. ويظهر أنه في هذه الثناء وصلت إلى أسماع قادة المقاومة في المتيجة أخبار مقاومة الأمير وانتصاراته وامتداد نفوذه، ولما أدرك الحاج السعدي والحاج ابن المبارك أن مقاومة فرنسا أكبر من طاقتهما، وأنه لابد من توحيد الجهود ضد العدو المشترك، فإنهما اتصلا بالأمير عبد القادر وعملا معه. وقد عرف لهما الأمير عبد القادر قدرهما، فقربهما إليه ليستفيد من شعبيتهما ومكانتهما الدينية والعلمية :فعين الشيخ الحاج السعدي خليفة له على منطقة المتيجة ومنطقة زواوة (55) . وقد قام هذا الشيخ بهذه المسؤولية،وبقي يجاهد ويهيئ الظروف لربط المنطقة كلية إلى دولة الأمير عبد القادر وقد تحقق ذلك بزيارة الأمير إلى منطقة القبائل سنة 1837، وظل الحاج السعدي كزعيم ديني وكخليفة للأمير عبد القادر يدعوا للجهاد ويربط الاتصالات مع القادة العسكريين وكان بن زعموم وبلقاسم أوقاسي وجنودهما هي القوة العسكرية التي يضرب بها عدوه. وهذه القوات هي التي جعلت الجيش الفرنسي لا يقوى على تخطي مدينة بود واو باتجاه الشرق، بل إن هذه القوات عادت من جديد لتهدد الفرنسيين في الحراش وبوفاريك وتضرب على أيدي الذين قبلوا بمناصب لدى العدو (56) .

الأمير عبد القـــادر:

إذا بحثنا عن المبدأ الذي جند به الأمير عبد القادر ونم قبله أبوه محي الدين جيشه لمواجهة الفرنسيين فإننا سنجده ينحصر في الجهاد الذي يتضمن الدفاع عن دار الإسلام من العدو الغاصب(57). ولكن هل كب داع إلى الجهاد يجاب، يقبل منه أن يدعوا إلى الجهاد ؟ إنه لابد أن تكون له سلطة ومكانة، فأي مكانة كانت لدى الأمير وأبيه قبل أن يبايع أميرا للمؤمنين؟ فهو وأبوه لم يكونا من رجال السلطة التركية فنقول أنهما يستمدان سلطتهما منها، ولم يكونا زعيمي قبيلة كبيرة اكتسبا

السلطة منها وإنما كان الشيخ محي الدين شيخ طريقة صوفية هي الطريقة القادرية وكان يحظى بمكانة كبيرة وسلطة روحية ونفوذ في قلوب الناس بهذه الصفة. فلما أحس أهالي الإقليم الغربي من الجزائر أن السلطة التركية (العثمانية) في الجزائر ووهران قد زالت وتخلت عن الدفاع نعن البلاد فإنهم اتجهوا إلى الحاج محي الدين ليكون قائدا لهم في جهادهم وأميرا عليهم ولما كان الحاج محي الدين يشاطرهم نفس الرأي أي ضرورة قتال ومجاهدة الفرنسيين فإنه قبل تولي قيادتهم، ولكن لكبر سنه فإنه رشح ابنه عبد القادر ليخلفه في منصبه وقد قبل هذا الاقتراح (58)،ويظهر أن كلمته كشيخ طريقة كانت قوية عليهم ونافذة وقبلوا أن يخلفه ابنه، ومهما يكن من أمر فإن الأمير عبد القادر صار أميرا للمؤمنين بعد مبايعته سنة 1832، وقائدا للمقاومة والجهاد، وجمع بذلك بين القيادة الروحية العلمية و القيادة العسكرية والإدارية والسياسية (59).

ونظرا لأهمية العلماء وشيوخ الزوايا واتساع نفوذهم وشعبيتهم وتأثيرهم في عموم الناس زيادة إلى تقدير الأمير لهم، فإنه قربهم واستعان بهم وجعلهم عمدة دولته (60). وحتى يسهل الأمور أكثر فإنه ترفع عن أن يكون مجرد شيخ طريقة صوفية بل كان يتصرف كرجل دولة وأمير لكل المؤمنين من مريدي الطرق الصوفية وغيرهم الذين عليهم أن يعملوا معه ضد العدو المشترك (61)، وقد حارب بعض الطرق وأرغمهم على الخضوع لدولته وليس لطريقته وعاقبهم على تعاونهم مع العدو ضده وليس على انتمائهم لطريقة ما ورفضهم الانخراط في طريقته، كما حصل مع التيجانية مثلا.

وقد شجعت هذه السياسة زعماء طرق وزوايا ليسوا من القادرية على الانضمام إلى دولته ومشاركته في المقاومة كالحاج السعدي والشيخ محي الدين بن المبارك، وشيخ وإخوان الطريقة الرحمانية في منطقة الأوراس والقبائل والحضنة وبسكرة،وغيرهم نم العلماء والشيوخ (62). وهكذا نجد الأمير يوظف الطرقية لصالح المقاومة والجهاد ويستفيد كمنها قدر المستطاع .ولما كان الأمير رجل دولة وأميرا للمؤمنين فإن صفته هذه طغت على صفته الأولى كأحد شيوخ القادرية التي أوصلته إلى هذا المنصب.

دور الطريقة الرحمانية :

لعل الطريقة الرحمانية هي أحسن من يبرز ويوضح الدور الذي لعبته الطرق الصوفية في المقاومة العسكرية للاستعمار،ليس فقط لكون أغلب شيوخ هذه الطريقة ومقدميها قد رفعوا لواء الجهاد ضد فرنسا ، سواء في ثورات محلية أو تحت لواء الأمير عبد القادر أو المقراني وغيرهم فحسب (63) بل لأن من زعمائها من قاد ثورات وزكى أخرى كالشيخ بوزيان زعيم ثورة الزعاطشة، والشيخ الحداد الذي أعلن الجهاد مع المقراني فهذه الطريقة ظلت رافعة لواء الجهاد منذ السنوات الأولى للاحتلال إلى غاية فشل ثورة 1871. كما سنوضح ذلك في هذه الفقرة.

مع الأمير عبد القادر :

عندما زار الأمير عبد القادر منطقة زواوة وضمها إلى دولته فإنه حظي بحفاوة الاستقبال من قبل الطريقة الرحمانية التي كان لها نفوذ كبير هناك وقد اتصل في رحلته هذه بالشيخ الحاج البشير (المغربي) الذي أصبح على رأس الطريقة خلفا لمحمد بن عيسى الذي كان قد خلف مؤسس الطريقة الشيخ محمد بن عبد الرحمان (بوقبرين)، وعندما حدث نزاع بين الشيخ البشير وبعض أتباع الطريقة فإن هذا الشيخ تخلى عن رئاسة الطريقة والتحق بالأمير في المناطق الغربية مما جعل للا خديجة أرملة الحاج محمد بن عيسى تستنجد بالأمير ليرد الشيخ البشير لقيادة الطريقة من جديد، وقد حقق لها هذا الطلب مما يدل على أن العلاقة بين الأمير و الطريقة الرحمانية في ببلاد زواوة كانت على أحسن ما يرام (64)، مما جعل المنطقة من اخلص المناطق للأمير وللمقاومة. وعندما بدأ يضعف نفوذ الأمير واستسلام خليفته على برج حمزة وما تلاه من استسلام الأمير نفسه معلنا نهاية مقاومته، فإن منطقة زواوة بقيت تقاوم بشخصيات محلية أو شخصيات وافدة تدعي أنها مهدي الزمان الذي يخلص المنطقة والجزائر كلها ويحميها من أطماع الاستعمار (65).

وهذه المقاومة هي التي وقفت ضد الجيش الفرنسي وضد قوات بوجو على وجه الخصوص وخاصة في سنة 1844، وحاصرت الجيش الفرنسي في مدينة بجاية ولم تسمح له بالخروج منها باتجاه المناطق الداخلية .

ثورة بو بغلة ولالة فاطمة نسومر :

لقد سبقت هذه الثورة انتفاضة تزعمها الشريف محمد الهاشمي الذي لقب نفسه بمحمد بن عبد الله وكانت له معرفة بالمنطقة إذ سبق له أن زارها كممثل للأمير عبد القادر ويظهر أنه كانت له علاقات بزعماء المنطقة الدينيين كللا خديجة زعيمة الطريقة الرحمانية (66)والحاج البشير و سيدي الجودي ، وحتى مع لالة فاطمة نسومر زعيمة زاوية ورجة الرحمانية. فبعد دراسة لواقع المنطقة والاتصال بزعمائها قرر إعلان الجهاد ضد الفرنسيين. وقد استفاد من القوة العسكرية والسياسية والمادية التي كانت لدى سيدي الجودي والقوة الروحية والدعاية للزاوية الرحمانية عن طريق لالة فاطمة نسو مر وأتباعها وقد كبدت هذه الانتفاضة خسائر كبيرة مادية ومعنوية للجيش والإدارة الفرنسية، ولكنها توقفت بمجرد سقوط قائدها محمد الهاشمي شهيدا في معركة قرب سور الغزلان سنة 1849.

أما بو بغلة، فهو أيضا كانت له معرفة بالمنطقة حيث كان لعدة مرات مبعوثا للأمير إلى هذه المنطقة وبغض النظر عن منطقته الأصلية والحديث الدائر حولها، فإنه تلقب كغيره من قادة أغلب الانتفاضات بمحمد بن عبد الله الأمجد، وقد شكل خطرا حقيقيا على السلطة الفرنسية في المنطقة. فهو كشخصية سياسية وعلمية وعسكرية تدربت في مدرسة الأمير عبد القادر، كان على قدر كبير من التأثير في الناس بخطبه وقد كان على وعي تام بما يحيط به وقد وظف ذلك لصالح حركته وقد ظهر ذلك بالخصوص في الاجتماع الذي وقع في بني يجر حيث أسرع شيوخ الزوايا و ممثلوها بالانضمام إلى حركته وتزكيتها، ومنهم لالة فاطمة نسو مر زعيمة زاوية ورجة الرحمانية (67). و بعد ذلك أسرع في ضرب القوات الفرنسية في جهات عديدة، وركز جهوده في ضرب المتعاونين مع الاستعمار الفرنسي لأنهم هم الطلائع الأولى للجيش الفرنسي إلى داخل منطقة القبائل، وقد حاول

مرارا تحرير بجاية من الفرنسيين لكنه عجز ذلك و خاصة سنة 1851م (68).

وقد ركز بوبغلة في دعايته لتجنيد الناس في ثورته على الجانب الديني وعلى نفوذ الزاوية الرحمانية، ولعله لهذا الغرض حاول ربط صلة دائمة بينه وبين فاطمة نسو مر زعيمة زاوية ورجة عن طريق الزواج ولكنه لم يفلح بسبب رفض زوجها الأول تطليقها مع أنها لم تكن تعيش معه منذ وقت ليس بالقصير(69). و مهما يكن من أمر فإن بوبغلة ظل يقاوم حتى استشهد في 26 ديسمبر 1854، وعندها رفعت فاطمة نسو مر علم الجهاد من جديد ضد السلطات الفرنسية التي عزم حاكمها الجديد راندون إخضاع منطقة الزواوة بكل وسيلة، وقد استطاعت قواته الاستقرار في بعض المدن كبجاية وتيزي وزو ودلس ومنطقة واد سيباو ولكن لم تستطع السيطرة على بقية المناطق بفعل المقاومة التي بقيت مستمرة تحت قيادة لالة فاطمة، وقد ازدادت شعبية هذه المقاومة لما أعلن شيخ الطريقة الرحمانية (الأم) الجهاد ضد الفرنسيين وعاد سي الجودي من جديد للثورة على الفرنسيين بعد أن تخلى عنها على عهد بوبغلة ليعمل تحت السلطة الفرنسية (70).

وفي سنة 1857 وصل الجنرال راندون بنفسه على رأس جيش كبير لإخضاع المنطقة، وواجه صعوبة كبيرة في التقدم وخاصة في معركة "إيشريضن" في جوان 1857. ولكن التفوق الفرنسي كان ظاهرا ولم يكن من هم لدى راندون أكبر من إلقاء القبض على رمز المقاومة فاطمة نسو مر حية أم ميتة، وقد ظفر بها حية فأسرها وأبعدها إلى سجن بتابلاط بإحدى الزوايا الرحمانية هناك إلى أن ماتت سنة 1863 في عز شبابها. أما الشيخ عمر فإنه هاجر إلى المشرق تاركا وراءه الطريقة والمنطقة في رعاية الله والأهالي(71) ،ورغم هذه الضربة القوية الموجعة التي أصابت الطريقة الرحمانية فإن شيوخ وأتباع هذه الطريقة لم يتنكروا لمبدأ الجهاد، بل أعلنوه من جديد مع المقراني في ثورة 1871 كما سنوضح ذلك لاحقا.

ثورة المقراني والشيخ الحداد:

لا نريد هنا أن نؤرخ لهذه الثورة وإنما نريد فقط توضيح الدور الذي لعبه الشيخ الحداد كشيخ للطريقة الرحمانية في هذه الثورة، فعندما بدأ المقراني وهو ما زال قايدا لدى الفرنسيين يفكر في التمرد عليهم ،فإنه اتصل بعدة أطراف من الشخصيات السياسية في المنطقة وخاصة بعض رؤساء الأسر الكبيرة، ولكنه لم يجد من يساعده ويقبل بفكرته (72)، فاتصل بالشيخ الحداد شيخ الطريقة الرحمانية مستغلا خدماته السابقة التي قدمها للشيخ عندما سعى للتوفيق بين زاوية الشيح الحداد الرحمانية وزاوية ابن علي الشريف القادرية في شلاطة التي كانت موالية لفرنسا. وقد حرص المقراني على إنجاح اتصاله بالشيخ الحداد وضمان استمالته إلى جانبه لمكانة ونفوذ هذا الشيخ وطريقته ولعله أيضا لتراث هذه الطريقة في معاداة الفرنسيين ومحاربتهم (73) ولئن بدا في البداية أن الشيخ لا يميل إلى الحرب فلأن ولديه وكذلك أتباعه ومقاديمه كانوا جد متحمسين للثورة فعندما وصلت رسالة المقراني إلى الشيخ الحداد في أفريل 1871 والتي طلب منه فيها الانضمام إلى الثورة فلأنه جمع مريديه، وقد أجمع ذلك الجمع على إعلان الجهاد (74).

وقد تولى الشيخ بنفسه إعلان ذلك، حتى أنه ادعى رؤية الرسول (ص) في المنام وسمع منه البشرى بالنصر القريب وبأنه سلمه راية الجهاد. وبذلك الانضمام إلى ثورة المقراني خرجت تلك الثورة من طابعها الأرستقراطي العائلي المصلحي إلى طابعها الوطني الشعبي التحرري (75) . إن خاصية الشعبية في الثورة تكمن في شمولها لمناطق واسعة في عمالتي الجزائر وقسنطينة، حيث كان مجال نفوذ الإخوان الرحمانيون. إذ أصبح تنظيم الطريقة كأنه تنظيم الثورة نفسه فامتد مجالها إلى الصحراء الشرقية (منطقة بسكرة) وإلى منطقة الأوراس. ويشير بعض المؤرخين الفرنسيين إلى أن نفوذ الشيخ الحداد كان أقوى أربع مرات من نفوذ أولئك الذين استنجد بهم المقراني قبل الاتصال بشيخ الرحمانية (76).

ومادمنا نتحدث عن دور الطريقة الرحمانية في مقاومة الاستعمار الفرنسي فإنه من المناسب التذكير بأن الشيخ بوزيان قائد المقاومة في واحة الزعاطشة كان أحد مقدمي الطريقة الرحمانية. وقد آزره في مقاومته عدد من ممثلي وشيوخ الطريقة في المنطقة كالشيخ الصادق بن

الحاج في الأوراس والحاج عبد الحفيظ الخنقي وغيرهما من أتباع الطريقة (77) .و عندما قضى الجيش الفرنسي على مقاومة الزعاطشة بعد جهد كبير وأعمال وحشية فإنه واجه مقاومات أخرى في الأوراس بقيادة الشيخ الصادق بن الحاج الذي سبق له معاونة الشيخ بوزيان في ثورته (78).

دور الطريقتين الدرقاوية والطيبية في المقاومة :

على الرغم من أن الطريقة الطيبية هي الطريقة الأم إلا أننا سنبدأ بالدرقاوية التي نبعت منها لأنها كانت السباقة إلى رفع لواء الجهاد والمقاومة ضد الفرنسيين ليس باسم شيخها العربي بن عطية الذي بقي مترددا رغم تراث أسلافه الثوري ضد الحكم العثماني (79) . وإنما باسم وجهود الشيخ موسى الدرقاوي الذي بقي يجاهد في الغرب والوسط واستقر به المقام في واحة الزعاطشة حيث شارك مع الشيخ بوزيان في ثورته إلى أن قتل معه عام 1849م (80).

أما بالنسبة للطريقة الطيبية ذات الأصول المغربية أو المراكشية والتي كانت منتشرة في الغرب الجزائري فيظهر أنها تأخرت في رفع لواء الجهاد، ولعل أول من رفعه من أتباعها هو الشريف محمد بن عبد الله الملقب ببومعزة، الذي ظهر بنواحي الشلف وقاد ثورة سنة 1848، و أغلب الظن أنه كان من أتباع الطيبية (81). و مهما يكن من أمر فإن دور هذه الطريقة سيظهر أكثر في ثورة الشيخ بوعمامة بالجنوب الوهراني (82) و ليس هنا مجال للتفصيل في وقائع تلك الثورة وإنما نكتفي بالقول بأن تولي الشيخ بوعمامة وهو أحد شيوخ الطيبية قيادة المقاومة قد أصبغ عليها صفة الثورة العامة وسمح باستمرارها لسنوات عديدة، ولئن كان الشيخ الحداد الرحماني مجرد قائد روحي في ثورة 1871 فإن الشيخ بوعمامة كان أشبه ما يكون بالأمير عبد القادر غير أنه كان صاحب طريقة أكثر منه رجل دولة كما كان الامير.

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن الكتاب الفرنسيين يركزون كثيرا على انتماء مصالي الحاج إلى الطريقة الدرقاوية بما يوحي بأنه ورث عنها مبدأ الثورة وفكرة التحرر من قيود الاحتلال (83) .

دور الطريقة السنوسية في المقاومة:

مع أن هذه الطريقة كانت متمركزة في ليبيا والصحراء الإفريقية، ولم يكن لها أتباع كثيرون داخل الشمال الإفريقي الخاضع لفرنسا (84) إلا أن السلطة الفرنسية وخاصة حكام الجزائر كانوا يتخوفون منها كثيرا (85) وذلك لعدة اعتبارات فهذه الطريقة ليست كباقي الطرق الصوفية بل تختلف عنها في أمور كثيرة فهي تتميز ب طابعها الإصلاحي الذي يدعو إلى التجديد والجهاد والاهتمام بشؤون المسلمين وكل قضايا البلدان الإسلامية فهي حركة عمل وليست طريقة جمود ولعل الذي يهم كثيرا في هذا الشأن هو طابعها الجهادي ضد الدول الاستعمارية وخاصة فرنسا وبريطانيا وأخيرا إيطاليا. وكان لنشاطها الدعوي لنشر الإسلام في إفريقيا الوسطى الوثنية دور كبير في عرقلة التوسع الاستعماري هناك وإلى جانب ذلك فإن هذه الطريقة عرفت أكثر بتنظيمها المحكم (86) وكان لها جيش منظم ونظام إداري معين وهي لذلك كانت أشبه ما تكون بالدولة وكثيرا ما واجهت الفرنسيين في تشاد وألحقت بهم خسائر فادحة. ومادام أن شيخ الطريقة جزائري الأصل والنشأة وأنه رفض الدخول إلى الجزائر لما علم بسقوطها في يد الاستعمار الفرنسي حتى لا تجري عليه أحكام الكفار وعزم منذ ذلك الوقت على العمل على تحريرها من الاستعمار ليعود إليها وهي محررة (87) فمادام هذه أمور معروفة عن شيخ الطريقة السنوسية لدى الساسة الفرنسيين فغن تصور إمكانية قيام السنوسية بعمل ضد الفرنسيين لإخراجهم من الجزائر أمر كان ماثلا في أذهان الحكام الفرنسيين(88) وقد عبر أحدهم على ذلك لما قال أن أي عمل تقوم به الحركة السنوسية فهو ضد فرنسا بداهة وقد ازدادت قناعتهم هذه رسوخا عندما عرفوا ضلوع السنوسية في ثورة الأهقار (ثورة التوارق)عام 1916 م (89) وقبلها في ثورة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة سنة 1851 م (90) ، ومع ذلك فيظهر أن مواجهة السنوسيين لفرنسا كانت في وسط إفريقيا أكثر قوة منها في الجزائر وزاوية بن طكوك السنوسية لم تكن.

تشكل خطرا ظاهرا لفرنسا وإن كان أحد شيوخها الشيخ بن طكوك لم يكن من السائرين في فلك السلطة الفرنسية ولا من المساندين لها ولم تكن له عداوة مستحكمة لرجال الإصلاح ومهما يكن من أمر فإن بطولات السنوسية في ليبيا وخاصة بطولة الشيخ عمر المختار

جعلت من هذه الطريقة رمزا للمقاومة والأمل. وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن السنوسية لم تكتف في حربها للاستعمار بالمقاومة المسلحة بل مارست حربا دعائية أكثر ضراوة ضد الاستعمار وعملت على أضعافها اقتصاديا بدعوة المسلمين إلى مقاطعة بضائع الدول الاستعمارية وخاصة التبغ والمشروبات الكحولية (91).

ثانيا: المقاومة الاجتماعية والثقافية :

إذا كانت هناك دراسات فرنسية وجزائرية على السواء قد اهتمت كثيرا بالدور الذي لعبته الطرق الصوفية في المقاومات العسكرية والانتفاضات ضد السلطة الفرنسية الاستعمارية فغن القليل فقط من الجانبين من أشار بدقة ووضوح وللدور الخفي والصامت الذي لعبته هذه الطرق في الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري وشخصيته الإسلامية. طبعا هناك من يشير لكون الطرق الصوفية وبقية العلماء حافظوا على تدريس القرآن الكريم واللغة العربية وعلوم الدين،وعلى العادات والتقاليد ولكن لا يلتفتون للإجابة على سؤال جوهري وهو كيف حافظوا على ذلك في ظل سياسة استعمارية قائمة على محو أي أثر للعناصر المشكلة للشخصية الجزائرية. فإذا كانت هناك طرق صوفية تعاونت مع الإدارة الاستعمارية(92) فإن ذلك كان بمقابل بطبيعة الحال وبغض النظر عن المنافع الشخصية لزعماء الطرق الصوفية التي حصلوا عليها جراء ذلك فإن هناك منافع عامة فمجرد الحفاظ على نفذ الشيخ وتنظيم الإخوان التابعين له وبغض النظر عن مسؤولية الطرقية في تخلف المسلمين وإطالة عمر الاستعمار فهو خدمة للمجتمع الجزائري لأنه يحافظ على تمايز الأهالي المسلمين عن غيرهم ويجعل عملية الإدماج بين العنصرين الأوروبي والإسلامي الأهلي عملية مستحيلة(93).

موقف الطرق الصوفية من السياسة التعليمية الفرنسية:

إذا كان معظم الباحثين والساسة الفرنسيين كانوا يعتبرون التعليم هو أحسن وسيلة لضمان الوجود الفرنسي في الجزائر وتذويب المجتمع الأهلي والقضاء على روح المقومة والرفض للآخر لديه وجهزوا لتحقيق هذه الأمنية الغالية عليهم كل الوسائل والطاقات البشرية والمادية(94)، فإن العقبة الكئود التي وقفت أمامهم وواجهت سياستهم وعرقلت جهودهم هي عقبة رفض الجزائريين لأخذ العلم من الفرنسيين في مدارسهم وكان هذا الرفض نابعا من فتاوى وآراء علماء وشيوخ الطرق الذين كانوا يتحكمون في الرأي العام الجزائري(95).

لقد وقف شيخ الطرق الصوفية ضد التعليم العلماني الذي شرعت فيه فرنسا عقب دخولها إلى الجزائر مباشرة ولكنها لم تلق نجاحا كبيرا، وعندما ظهرت من جديد فكرة الإدماج بقوة عقب فشل ثورة 1871 فإن الإدارة الفرنسية رأت أن أحسن طريق لتحقيق هذا المشروع هو العليم الفرنسي لإدخال الحضارة الفرنسية إلى أذهان الجزائريين وإبعادهم عن نفوذ الإسلام وشيوخه وقد تحمس لهذا المشروع وزير التربية الفرنسي جول فيري. ورغم أن السلطة الفرنسية اتخذت الاحتياطات اللازمة وخففت قليلا من حيث المظهر من الروح العلمانية حتى لا تزيد من نفور الجزائريين من هذه المدارس الحكومية فإن ذلك لم يفدها كثيرا فأغلب الجزائريين وخاصة العلماء ورجالصة العلماء ورجالون أن هذه المدارس بروحها العلمانية ولسانها الفرنسي وثقافتها الغربية المسيحية تشكل خطرا ظاهرا على دين أولاد المسلمين الذين يدرسون فيها(96).

فهذه المدرسة هي من جهة إلحادية غير دينية ولا تهتم بالأخلاق والعقائد ومن جهة أخرى فإنها تدعو إلى التحرر من سلطة الآباء والشيوخ. فكان من الطبيعي أن يقفوا في وجهها، وقد عمل أغلب الجزائريين برأيهم، بينما حرصت بعض الأسر المرتبطة بالإدارة الفرنسية على إدخال أولادهم إلى المدارس الفرنسية ليتمكنوا من الحصول على مناصب معينة أو ضمان المنصب التي يتولونها لصالح السلطة الفرنسية، وكل ذلك بدافع المصالح المادية. والملح المادية نفسها هي التي أوحت لبعض رجال الطرق بإرسال أولادهم إلى المدرسة

الفرنسية في حين بقوا يفتون للناس بعدم جواز الدراسة في تلك المدارس بدعوى أن ذلك خطر على دين أولادهم وهي دعوى حق(97) ولكن يظهر أن شيوخ الطرق كانوا مدركين لخطر انتشار التعليم الفرنسي على نفوذهم ولذلك بقوا يلحون على تحريمه في حين أنهم يسمحون به لأولادهم. وقد واجه شيخ الطرق والزوايا ببلاد زواوة السياسة التعليمية المركزة بالمنطقة فحتى شيخ زاوية شلاطة القادرية ابن علي الشريف الموالي لفرنسا فإنه احتج بقوة على ذلك ولكن الإدارة الفرنسية كانت جد صارمة في هذا الموضوع ولم تلق بالا لهذه الاحتجاجات بل على العكس من ذلك قامت بعدة إجراءات لتقوية وإنجاح السياسة التعليمية الفرنسية بالمنطقة حيث أرغمت سكان زواوة على إرسال أولادهم إلى المدرسة الفرنسية وعاقبت من منعهم من ذلك ومنعت التعليم القرآني في وقت التدريس بالمدرسة الحكومية بل أرغمت شيوخ الزوايا القرآنية على اصطحاب تلامذتهم إلى المدرسة الحكومية وإلا فستسحب منه رخصة تعليم القرآن الكريم(98).

وهذا يدل على قوة المعارضة للتعليم الفرنسي على كل حال ولكن معارضة الجزائريين لتعليم بناتهم في المدارس الفرنسية كانت أقوى من تعليم الذكور فزيادة إلى من يرفض تعليم المرأة أصلا فهناك من يرفض رفضا مطلقا أن تدرس عند الأجانب والكفار الذين لا يرعون حرمة ولا شرفا(99). ولكن رغبة السلطة الفرنسية كانت هي الأخرى جد قوية في إدخال البنت المسلمة الجزائرية إلى المدرسة الحكومية الفرنسية لتدخل عن طريقها أفكارها إلى الجيل الصاعد الذي تعول عليه الحكومة الفرنسية لتحقيق الاندماج(100). وكما وقف شيوخ الطرق الصوفية ضد التعليم العلماني المخصص للأهالي فإنهم وقفوا ضد التعليم الإسلامي الذي أوجدته الحكومة الفرنسية لحاجتها الإدارية وهو التعليم الذي كان مخصصا لتخريج رجال الوظيف الديني ورجال القضاء الخاص بالمسلمين في الأحوال الشخصية، ورغم أن التدريس في هذه المدارس كان يتم باللغتين الفرنسية والعربية وهو تعليم يهتم بعلوم الدين واللغة العربية ويبدو أنه بعيد عن الطابع العلماني الإلحادي أو الطابع المسيحي الصليبي إلا أن رجال الطرق الصوفية كانوا ينظرون إليه كنظرتهم إلى التعليم الآخر ورغم أنه كان يفتح آفاقا أمام الجزائريين للحصول على الوظيف في وقت شح فيه بفعل سياسة

مقصودة من قبل السلطة الحاكمة إلا أن الجزائريين لم يتحمسوا للدخول إلى هذه المدارس وخاصة رجال الطرق فقد أدركوا أن مناهج هذه المدارس وطرق التدريس فيها لا تخدمهم وكذلك الغاية من وجودها لا تخدمهم في شيء(101) وهي إلى جانب ذلك مظهر من مظاهر التدخل الحكومي في شؤون الدين الإسلامي وتعدي على نفوذ شيوخ الطرق ومزاحمتهم في المجال الذي يرون أنه خاص بهم. وقد وجدت الحكومة الفرنسية صعوبة في إقناع الجزائريين بالصلاة خلف هؤلاء الأئمة المتخرجين من هذه المدارس مع أن تكوينهم العلمي واللغوي كان أحسن على العموم من المتخرجين من الزوايا التقليدية(102).

3 ــ البعد الإسلامي في الإصلاح السياسي والاجتماعي:

عرفت الجزائر منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر حركة فكرية وسياسية أخذت على عاتقها مهمة تحقيق الإصلاح الاجتماعي والسياسي لواقع الجزائريين، وقد اتسع نطاقها مع بداية القرن العشرين لعوامل عديدة، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى. ولسنا هنا في معرض التأريخ لهذه الظاهرة وإنما نريد فقط إظهار البعد الديني الإسلامي في هذه المحاولات، وذلك من خلال تتبع هذه الأعمال الإصلاحية.

الإصلاح السياسي:

رغم الإغراءات الفرنسية لجذب الجزائريين إلى المواطنة الفرنسية والتجنس إلا أنها لم تنجح كثيرا في مسعاها هذا، حيث كان الأهالي يفضلون وضعية الأهلي المحافظ على دينه رغم جور الاستعمار وفظاعة قانون الأنديجينا المسلط عليهم، على وضعية المتجنسين الذين حكموا عليهم بأنهم مرتدون وخارجون على الإسلام(103) من جهة ومتنكرون لقوميتهم وأهلهم من جهة أخرى، دون أن يكتسبوا من وراء ذلك مكاسب كبيرة، حيث كان الفرنسيون والأوروبيون في الجزائر وحتى الإدارة تنظر إليهم نظرة ازدراء وتضعهم في مرتبة أدنى من المتجنسين الآخرين من الأوروبيين واليهود فضلا عن الفرنسيين(104).

وعلى هذا الأساس فضل كثير من الأعيان الذين كانوا على علاقة بالإدارة الفرنسية مطالبتها بتحسين ظروف معيشة الأهالي السياسية والاجتماعية والدينية، بدل الدخول في المواطنة الفرنسية،وكان البعد الديني هو المحرك لهم. وليس من الغريب أن تكون أول عريضة مطالب يقدمها الجزائريون هي عريضة أعيان قسنطينة المتعلقة بتحسين أداء القضاء الإسلامي والمحافظة عليه(105).

ولقد لعب علماء تلك الفترة الدور الأساسي في تدوين تلك العريضة والدفاع عنها وتوصيلها إلى السلطات الرسمية.فالبعد الإسلامي مجسد فيها من خلال طبيعة المطالب الدينية في الأساس من جهة، ومن خلال الشخصيات الموقعة على هذه المطالب.

وعندما ظهرت فكرة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي، فإن الجزائريين افترقوا بشأنه إلى فريقين، فأما المتأثرون بالفكر الفرنسي من خريجي مدارس ومؤسسات فرنسا وخاصة من خريجي الجيش الفرنسي، ممن لم يكن لهم حس ديني كبير فإنهم كانوا قابلين به بل منهم من كان متحمسا له بشرط أن تصاحبه حقوق سياسية للجزائريين وهي خاصة بالنخبة والانتخابات في المجالس الفرنسية(106). وما يهمنا هو بالضبط موقف الرافضين للتجنيد الجزائريين، فقد استندوا إلى الدين والشعور الوطني لرفض ذلك، فالدين لا يجيز لهم القتال تحت راية دولة غير مسلمة، وبعضهم رأى أن إرسال أولادهم إلى أماكن أخرى وهم مازالوا صغارا يشكل خطرا على دينهم وأخلاقهم والتزاماتهم الدينية(107). فالدين والشعور الوطني والأخوة الإسلامية لا تجيز لهم مقاتلة إخوانهم المسلمين في المغرب الأقصى أو محاربة الخلافة الإسلامية ممثلة في الدولة العثمانية. ولكن مع ذلك فقد كانوا يطالبون الحكومة الفرنسية بتحسين ظروفهم، باسم العدالة والحرية التي رفعتها الثورة الفرنسية شعارا لها.

لقد استند الأمير خالد في مطالبه للحكومة الفرنسية على البعد الديني، فرفضه ومعارضته لبعض القوانين والإجراءات التي كانت تصدرها فرنسا كان استنادا للدين الإسلامي(108)، وعندما نشط دعاة الإدماج من النخبة ودعاة التجنيس الذي تشترطه فرنسا للحصول على حقوق المواطنة إذ كانت فرنسا تشترط أساسا التخلي عن الاحتكام للشرع الإسلامي فيما تبقى من أمور الناس وهو الأحوال الشخصية، فإن الأمير خالد ومن كان معه من النواب وكذلك الصحافة الإصلاحية

قبل وبعد الحرب العالمية الأولى كصحافة عمر راسم وبن قدور وبعض الشخصيات الدينية كانت تطالب بحقوق الجزائريين السياسية دون حملهم على التخلي عن خصوصياتهم الثقافية والدينية والحضارية(109)، أو بعبارة موجزة دون التخلي عن دينهم وكانوا يستندون إلى مبدأ حرية العقيدة وكذلك العهد الذي التزمته فرنسا غداة احتلالها للجزائر، على لسان قائد قواتها ديبورمون.

ولكون هذه الأفكار كانت تلقى قبولا كبيرا من الجزائريين حتى من أولئك الذين تخرجوا من المدارس الفرنسية وبقية مؤسساتها، ولم تستطع أفكار دعاة التجنيس الصمود في وجهها ولكونها كانت تشكل خطرا على مستقبل فرنسا بالجزائر، فقد ساعدت الإدارة بشكل واضح دعاة التجنيس فأصبحوا يتجرءون على منافسة الأمير خالد، وأحدث ذلك شرخا في حركته كما أن الإدارة كانت تزور الانتخابات المحلية وتتدخل بشكل سافر ليفوز دعاة الفرنسة والتجنيس والإدماج الكلي، وأخيرا وجد الأمير خالد نفسه وحيدا ثم نفي بعد ذلك من الجزائر ليبقى منافسوهم لوحدهم(110). ولكن عمق أفكاره والتفاف الناس حولها وارتباطها بالدين ومصالح كل الجزائريين، جعلها تستمر في الحياة بأشكال متعددة في الجزائر وخارجها أي في فرنسا حيث انبثقت من حركته حركة جديدة أو بالأحرى تكونت حركة جديدة استغلت سمعته الكبيرة لتأسيس نفسها وتوسيع نفوذها، وأعني نجم شمال إفريقيا(111).

وأما في الجزائر فإن شابا كفرحات عباس الذي بدأ يهتم بأمور السياسة وهو بعد طالب قد نشر مقالا ذو صبغة مميزة فرغم حرارة مطالبته بالإدماج فإنه لم ينس الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية للجزائريين مستندا في ذلك للدين الإسلامي في بعض آرائه(112) وبغض النظر عن مدى توفيقه في ذلك، فإن مجرد رجوعه إلى الإسلام ومصادره في إصدار حكم ما أو تبريره فهو يعني أنه مازال يعتبره مرجعيته التي لا يريد تخطيها، لقد قال أنه لم يجد في القرآن ما يمنع من أن نكون فرنسيين إذا حافظنا على قانوننا الإسلامي في الأحوال الشخصية، وإنما يقول أن الذي يمنع ذلك هو الاستعمار وجشع الكولون(113). قد يقول قائل إنه هنا يمحي كلية فكرة الوطن الجزائري ويدافع بحرارة على الوطن الفرنسي، وهذا أمر ظاهر ولكن الأيام ستعلمه أن مزج

الجزائريين بفرنسا أمر مستحيل، وسبب ذلك يعود إلى شعور العداء المتبادل بين المتساكنين في الجزائر، وهذا العداء ليس مرده فقط إلى السياسة الفرنسية وإلى جشع الكولون ورفضهم إعطاء الجزائريين حقوقهم كمواطنين فرنسيين لهم دينهم الإسلامي الخاص بهم، بل هو بالأساس راجع لاختلاف الدينين والحضارتين(114).

لقد كان فرحات عباس وبعض النواب يريدون المساواة مع باقي المواطنين الفرنسيين دون التجنس بالجنسية الفرنسية لأن ذلك يعارض أحكام الدين الإسلامي(115)، في حين أن الفرنسيين الداعين إلى إدماج المسلمين الجزائريين في المواطنة الفرنسية كانوا يشترطون التخلي عن القانون الإسلامي في الأحوال الشخصية أي التخلي العملي عن الإسلام دون الاسم وعلى هذا الأساس رفضت مطالب المؤتمر الإسلامي سنة 1936م(116). إن هذه المرجعية الدينية لدى فرحات عباس هي التي مكنته من اكتشاف الوطن الجزائري بعد أن أنكر وجوده من قبل(1017)، وقد ازداد اقتناعا باستحالة الاندماج، فلا الجزائريون يقبلون ذلك ولا الفرنسيون سيقبلون ذلك أيضا، فما هو الحل إذن ؟لم يكن فرحات عباس وجناحه يرون أن فكرة الاستقلال ممكنة التحقيق من جهة، ومن جهة أخرى فإنهم كانوا معجبين بالحضارة الأوروبية وبالفكر الفرنسي والأعمال الحضارية التي قامت بها، فلم يكونوا يرون أية فائدة في الانفصال عن فرنسا وبالتالي إلى الرجوع إلى الفوضى والتخلف. فلا انفصال ولا اندماج وإنما وضع خاص للجزائريين، أي استقلال ذاتي تحت حكم فدرالي فرنسي يكون المسلمون الأغلبية الحاكمة ويحكمون بدستور لا يفرق بين الأجناس والأديان(118)، ونلاحظ في نقطة أخرى المتعلقة بالتعليم أن النواب كانوا يطالبون فرنسا بضرورة توفير مقاعد دراسية للجزائريين مثلهم مثل الفرنسيين، كما كانوا يطالبون الشعب الجزائري بضرورة إرسال أولادهم وحتى بناتهم للمدرسة الفرنسية أو المدارس الحرة التي أنشأها الجزائريون، واستندوا في ذلك على غرار العلماء المصلحين إلى النصوص الدينية الإسلامية وتاريخ المسلمين(119) مما سنفصله عند الحديث على الإصلاح الاجتماعي، وتبقى الإشارة في الأخير إلى أن حزب البيان كان من المدافعين الدائمين في المجلس الجزائري على مطلب تحقيق فصل الدين الإسلامي عن الإدارة الفرنسية(120) .

البعد الإسلامي في الإصلاح الاجتماعي:

من المعروف أن الأوائل الذين نادوا بضرورة الإصلاح الاجتماعي للجزائريين كانوا من الشخصيات الدينية من أمثال عبد القادر المجاوي وصالح بن مهنا وسعيد بن زكري ومحمد بن الخوجة وعبد الحليم بن سماية وغيرهم(121) ، ولئن كان بعضهم قد تخرج من المدارس الحكومية الفرنسية المتخصصة في تكوين موظفي السلك الديني والقضائي، وتأثروا بالفكر الفرنسي والغربي بحكم الاحتكاك، فإن مرجعيتهم في ضرورة الإصلاح الاجتماعي وتطوير المجتمع الجزائري لم تكن الحضارة والأفكار الغربية بل رجعوا إلى مبدأ الإصلاح الدوري الذي يتجدد على رأس كل قرن في الأمة الإسلامية(122) . وقد تأثر هؤلاء المصلحون بتجربة خير الدين التونسي في تونس، وكان كثير منهم على صلة من نهاية القرن التاسع عشر بأفكار محمد عبده(123)، ثم ازدادت صلتهم به أكثر من خلال الصحافة الشرقية وخصوصا مجلة المنار لرشيد رضا، وقد كتب المتأثرون بأفكارها إلى رشيد رضا يلتمسون منه عدم التعرض للسياسة الفرنسية في الجزائر حتى يضمنوا دخول مجلة المنار التي اعتبروها مدد الحياة، وغني عن البيان أن مرجعية محمد عبده وتلميذه رشيد رضا هي المرجعية الإسلامية والعودة إلى سيرة السلف الصالح . فعندما كان المجاوي وبن الخوجة يدعون إلى تطوير التعليم ونشره وتعليم المرأة على وجه الخصوص وتحسين وضعيتها وإعطائها حقوقها فإنهم كانوا يستندون للنصوص الدينية وتحقيقا لواجب ديني يمليه عله دينهم وليس تحت تأثير وإغراءات الحضارة الأوروبية. وهم لهذا كانوا يحرصون للدعوة للتطور ولكن في نطاق الحفاظ على الشخصية وعدم التفريط في الدين والانتماء الحضاري(124).

الهوامش :

(1) - يذهب إلى هذا الطرح كل من اجيرون و نوشي و جوليان و غيرهم.

(2)- يشير أبو القاسم سعد الله في الجزء الثاني من الحركة الوطنية الجزائرية إلى أن كتابه ليس تاريخا للاستعمار الفرنسي، وإنما دراسة تاريخية لحركة رد الفعل الجزائري على السياسة الاستعمارية طيلة عهد الاحتلال.

أنظر الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، (م,و,ن,ت)، الجزائر،1983 ص11.

(3)- غالبا ما تشير الكتابات الفرنسية إلى الثورة الجزائرية بمصطلح التمرد، وإلى سياسة القمع الفرنسي بمصطلح التهدئة، وإلى العمليات العسكرية الكبرى للجيش الفرنسي بمصطلح التطهير و التنظيف. هذا الأمر يفرض على الباحثين الجزائريين القيام بعملية تنظيف مضادة لتلك المصطلحات التي تضفي بطريقة غير مباشرة سلبية مطلقة على ردود الفعل الجزائرية.

(4) - جمل قنان، دراسات في المقاومة و الاستعمار، المتحف الوطني للمجاهد، (الجزائر،1998)، ص125-126

(5) - هذه العبارة في الأصل عنوان لمقالة قيمة للأستاذ سعد الله تساعد كثيرا في فهم منطلقات مدرسة التاريخ.

(6) - سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص97-98.

(7) - نفسه، ص98.

(8)- جمال قنان، المرجع السابق، ص126.

(9)- المقصود هنا إشارة بصورة ضمنية لنظرية موريس توريز الشهيرة بالجزائر أمة في طور التكوين التي اخترعها في عام 1939.
جمل قنان, نفسه , ص129.

(11)- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص69-70، و يمكن الإشارة هنا إلى أن ما ذهب إليه سعد الله يتوافق مع فكرة الصدمة الخارجية التي عبر عنها مالك بن نبي في كتابه الشهير وجهة العالم الإسلامي.

(12)- وقد كان الفرنسيون مدركين لذلك أنظر :

DUVAUX (capitaine) « la mentalité indigene en Algerie » BULLETIN DE LA SOCIETE DE GEOGRAPHIE DE PROVINCE D'ORAN ' 1903 p. 174

أنظر كذلك :

Betbeder (lieutenant colonel) « le réformisme Algérien et l'association des ouemas d'Algérie », l'Afrique l'Asie n°1 année 1948, p41.

(13)- نقرأ في القرآن الكريم الآيات التالية : " إن الدين عند الله الإسلام "، آل عمران. 19

"إن نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "، الحجر.9

أنظر أيضا : – Correras « l' assimilation des arabes est elle possible », **B S G** ,1904 p.150 إذ يقول : "إن العربي المسلم يعتبر المسيحي الفرنسي بلا عقيدة ولا دين"

(14)- وكذلك : Correras l'assimilation ; op. cit, p 150

Duvaux mentalite ; op cit p. 206-220

(15)- لم يجاوز عدد المتجنسين بالجنسية الفرنسية من الأهالي 131 أهليا طيلة الفترة الممتدة بين سنتي 1865م-1899م

أنظر : Ali merad le reformisme musulman en algerie ed el hikma Alger 1999 p. 345 et 360

وأغلب المتجنسين كانوا من الجنود الذين انفصلوا بعض الشيء عن مجتمعهم الأصلي وذلك بغية الاستفادة من الترقيات

أنظر : DUVEAUX Mentalité op.cit p 180, Correras: l'assimilation. P.150. .

(16):ـ

Le conte Henry de Castrée l'Islam impression et 212 études. 7 ed, 1928 paris. P

وحتى الجزاء في الدين الإسلامي أحسن من الجزاء الذي يعطيه الدين المسيحي لمعتنقيه.

أنظر ما يقوله في هذا الموضوع الضابط الفرنسي ديفو : Mentalité op. cit, p 184

(17)- Duvaux op. cit, pp 184 – 210

أنظر أيضا : Henry de Castrée op. cit, pp 212-217

(18) – Duvaux op.Cit p 184

(19)- Corrieras l'assimilation. Op.cit, p 150

(20)- Corrieras op.Cit p 153, Duvaux op.cit, p 180

(21)- نلمس هذا حتى عند بلقاسم بن سديرة مع أنه من المتأثرين بالفكر الفرنسي والمعجبين به.

أنظر: Corrieras op.Cit p 153

(22)- عند اطلاعنا على بعض الكتب الفقهية التي كانت متداولة في تلك الفترة وجدنا أنها تتحدث فقط عن أحكام الجهاد الخاص بنشر الإسلام، وليس عن أحكام الجهاد المتعلقة بالدفاع عن بلد إسلامي مهدد من قبل الأعداء ومع هذا فإنه من المؤكد أن الموضوع كان مطروحا خاصة أن سقوط الأندلس وتعرض بلدان شمال أفريقيا للخطر المسيحي كان أمرا واقعا.

(23)- حاول الضابط ديفو حصر الآيات القرآنية التي تدعو إلى الجهاد وذكر أنها موجهة بالخصوص ضد المسيحيين أنظر Duvaux op.citpp186-196

(24) - الظاهرة التي شاعت في تلك الفترة هي ظهور مولى الساعة أو المهدي الذي يشير إلى اسمه عادة بمحمد بن عبد الله الذي يعمل لإخراج المحتل الكافر وتطهير البلاد منه وكان يجمع الناس حوله باسم الجهاد.

أنظر: Duvaux op.cit p 184 et p 173

(25)- يمكن أن نضع عائلتي المقراني وأولاد سيدي الشيخ ضمن هذا الإطار.

أنظر : يحيى بوعزيز المرجع السابق ص 235.

(26)- ذكر أحد الكتاب الفرنسيين واتبلد (Watbeld)، أن الشيخ الحداد كان أقوى نفوذا أربع مرات من زعماء الأسر التي استنجد بها المقراني من قبل ويعود هذا النفوذ الى مكانة الشيخ الحداد الدينية وثقة الناس فيه.

أنظر : يحيى بوعزيز المرجع السابق ص 237.

(27)- أنظر كتاب يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، جزءان المتحف الوطني للمجاهد الجزائر 1996.

أنظرمقالة:

Duvaux op.Cit p 176

(28)- Duvaux op.Cit pp 169, 176,200 et Ali Merad op.cit p. 62

(29)- لقد أفلحت السياسة الفرنسية في إضعافهم ماليا واجتماعيا وأبعدت أو دجنت القيادات العلمية والدينية والقبلية أو على الأقل قللت من نفوذهم ورفعت الموالين لها كالتيجانية وابن علي الشريف وهكذا لم يبق من يمكنه تجنيد الناس للجهاد وهذا ما قصدنا من قولنا أنهم أصبحوا كالعاجزين عنه.

(30)- أنظر : Duvaux op.Cit

ففي هذا المقال يوضح أنه حتى أولئك الذين خدموا الإدارة الفرنسية فانه لا أحد منه م تجرأ على تخفيف أحكام الإسلام لصالح فرنسا وذكر الآيات القرآنية التي تفضل المسيحية على الوثنية واليهودية.

وأنظر أيضا : Philppe Millet "les gens algeriens" **revus de paris,** 1913, pp. 175-176

(31)- André (P.J) le réveil des nationalismes ed Berger leverault paris 1958 p 321

(32)- أنظر فتوى محمد ابن الشاهد حول الهجرة من البلاد التي غلب عليها الكفار في كتاب حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981، ص: 32.

(33)- وهذا في ما نرى يقول به ابن الشاهد نفسه فقد نفى وجود الرضى من جانب المقيمين تحت حكم الفرنسيين بالحكم الفرنسي كما أنه علل ذلك بالدفاع عن الدين ومؤسساته من الأطماع الفرنسية.

أنظر : محمد بن عبد الكرم، المرجع السابق، ص: 32

وقد يكون ابن العنابي على هذا الرأي

أنظر : سعد الله الحركة الوطنية، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي 1992، ص: 108-109.

(34)- يظهر أن ابن العنابي كان يقوم بهذا الدور زيادة على العمل من أجل إعادة مدينة الجزائر إلى الحكم الإسلامي ولكنه نفي بعد أن أحس الفرنسيون بخطره وقد لمح ابن الشاهد إلى أهمية عدم هجرة الأعيان والعلماء للحفاظ على دين العامة.
أنظر : محمد بن عبد الكرم المرجع السابق ص: 32 وما بعدها.
(35)- أنظر مثلا عن الحاج السعدي ورفضه الدخول إلى مدينة الجزائر بسبب خضوعها للحكم الفرنسي، سعد الله الحركة الوطنية الجزء الأول، ص: 124.
(36)- المرجع نفسه، ص:7.
وأنظر أيضا، ص: 43-66.
(37)- نفسه، ص: 32-35.
(38)- يمكننا أن نتصور الضرر الكبير الذي كان سيصيب الجزائر لو خرج جميع العلماء والأعيان من كل بلدة تخضع لسلطة فرنسا، فمصير الجزائر سيكون شبيها بمصير الأندلس الذي لم يكن غائبا عن أذهان الجزائريين.
(39)-
Duvaus op.cit pp. 173-175, Carrieras op.cit p. 160
(40)-
Duvaus op.cit pp. 208-235, Carrieras op.cit p. 169
(41)-
Conte Henry op.cit pp. 227-230
(42)- أنظر : أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ،ج1،دار الغرب الإسلامي، 116،1992، و
Le conte HENRY DE CASTRIES.Lislam, impression et études, 7ed, 1928, p 222. والكتاب طبع أول مرة سنة 1893.
(43) ــ سعد الله، الحركة الوطنية، ج 1، ص114.
(44) ــ نفس المرجع، ص 102.
(45)- أنظر:. Duvaux,capitaine adjudant major. La mentalité indigène en Algérie. bulletin de la société de géographie de la provence d'Oran BSGPO,1903,pp205,206

(46)- نفس المرجع والصفحات.

(47)- مثل موقف التيجانية من الأمير عبد القادر،أنظر :سعد الله ،المرجع السابق،ص204 و ما بعدها ، وموقف ابن علي الشريف رئيس زاوية شلاطة القادرية الذي تعاون مع الاستعمار ووقف ضد ثورات الرحمانية ضد الفرنسيين في منطقة القبائل ،أنظر :سعد الله ،المرجع السابق ،ص348وص350وص387.

(48)- أنظر مقال دوفو المذكور أعلاه ،ص182،وأنظر أيضا: M.CARRIERAS : l'assimilation des arabes est-elles possible, BSGPO1904pp140-170.

(49)- سعد الله ،المرجع السابق،صص123-124.

(50)- نفسه ص124.

(51)- نفسه، ص125، وعن دور سي السعدي أنظر أيضا : جمال قنان ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،1994،ص106.

(52)- سعد الله، نفس المرجع،ص126.

(53)- نفسه

(54)- نفسه، ص128.

(56)- جمال قنان،دراسات في المقاومة والاستعمار، منشورات متحف المجاهد،ص82. وأنظر أيضا ما كتبه عنه الكاتب الفرنسي برونو ايتيان: BRUNO ETIENE. ABDELKADER.Hachatte ;Paris ;pp122-123.

(57)- قنان،نفس المرجع،ص82 و سعد الله ص171، و ETIENE ;op.cit ;p99.

(58)- قنان ،نفس المرجع ،ص173. وأنظر أيضا: ETIENE ;op.cit ;pp123-126

(59)- سعد الله ،الحركة الوطنية،ج1 ص176 وص298،و قنان ، المرجع السابق،ص82.

(60)- سعد الله ،ص130 وما بعدها ،وص 176.

(61)- نفس المرجع،ص176 و ص298.

(62)- نفس المرجع ص282.

(63)- تصف الكتابات الفرنسية الطريقة الرحمانية بالطريقة الثائرة على السلطة والطريقة القبائلية الاستقلالية وتشير دائما إلى تمردات هذه الطريقة على السلطة التركية لتوهم بذلك أنها طريقة مشاغبة لكل سلطة وليس للفرنسيين وحدهم أنظر :

Les confréries et les zaouias en Algérie ;in revue ; Algérie, bulletin de liaison et de documentation du gouvernement générale de l'Algérie ;3 trim ;1956 ;p16.

وأنظر أيضا : سعد الله، الحركة الوطنية ج1ص ، ويحي بوعزيز ، ثورة 1871 ودور عائلتي المقراني والشيخ الحداد، الشركة الوطنية للنشر والإشهار ،ص242 و ما بعدها

(64)- سعد الله،ص298،ص330 وما بعدها عن ثورة الزعاطشة وص 341 و ما بعدها عن ثورة بلاد زواوة.

(65)- سعد الله،ص116.

(66)- سعد الله، المرجع السابق، ص343.

(67)- نفسه، ص348 وص 351.

(68)- نفسه، ص347.

(69)- نفسه،ص351 و ما بعدها.

(70)- بوعزيز ،ثورة 1871،ص231.

(71)- لا شك أن المقراني كان يدرك وهو بعد قائد لدى الفرنسيين دور الرحمانيين في ثورة بوبغلة سنة 1851 ويعرف مدى بغضهم وعداءهم لفرنسا وأعوانها أنظر : يحي بوعزيز ،/ثورة 1871،ص 116وص231.

(72)- بوعزيز،ثورة 1871،ص231وص 235.

(73)- نفسه،ص236.

(74)- هو واتبلد في كتابه Sevenir de l'armée de l'Afrique,p204 وأنظر كذلك في : يحي بوعزيز ،ثورة 1871، .

(75)- سعد الله ، الحركة الوطنية ،ج1،ص282 وما بعدها .

(76)- نفسه ،ص331 وما بعدها.

(77)- نفسه ،ص299.

(78)- نفسه، ص336.

(79)ـ نفسه،ص263.

(80)- أنظر : يحي بوعزيز، أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864-1881)، مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، عدد1995،09،ص ص226-227.

(81)- Les confréries et les zaouias en Algérie ;in revue ; Algérie, bulletin de liaison et de documentation du gouvernement générale de l'Algérie ;fev.mars ;1956 ;p16.

(82)- نفس المصدر،ص17.

(83)- أنظر مثلا ما ورد عنها في تقرير الولاية العامة بالجزائر في نشرية الجزائرية المشار إليها سابقا ،ص18.

(84)- Duvaux ;op,cit ;p235 et P.J, Réveil du nationalisme musulman, ed, BERGER-LEVERRANLT.Paris,1958p332.

(85)- كانت للسنوسية سلطة قائمة شبيهة بالدولة ولها جيش ولها تنظيم اقتصادي واجتماعي وثقافي ولها عدد كبير من الزوايا والمراكز التي هي تعول عليها في أي نشاط من نشاطاتها وكان لها في الجزائر وخاصة في أقصى الجنوب وفي الغرب بغض الزوايا.

(86)- يذكر ذلك الذين أر خوا لسيرته.

(87)- وذلك في سنة 1956 بعد أن ذهبت ريح السنوسية في العالم الإسلامي وبعد أن ركنت إلى الهدوء في الجزائر ، أنظر تقرير الولاية العامة في نشرية (الجزائر) المذكورة سابقا، ص18.

(88)- بوعزيز ، ثورات الجزائر،ج2،ص28.

(89)- إبراهيم مياسي ، ثورة أولاد سيدي الشيخ، مجلة الذاكرة، عع03، 1995،ص200.

(90)- Gouvernement générale, bulletin" l'Algérie » ;op.cit,p18

(91)- كالسنوسية بفكرتها المتمثلة في مقاطعة السلع الفرنسية وتحريم استهلاكها وخاصة التبغ ،أنظر: P.JAndreé, Réveil du natioalismes,op.cit, p332.

(92)- مثل التيجانية والعيساوة و الحنصالية ،أنظر : سعد الله، الحركة الوطنية ،ج1،ص348 ومابعدها وص204 وما بعدها، وعن التيجانية أنظر أيضا: Duvaux ;op,cit ;p205

(93)- CARRIRAS,op.cit, pp159-170

(94)- CARRIRAS,op.cit, pp169-170et Duvaux ;op,cit ;p217

(95)-Duvaux ;op,cit ;p217

(96)- CHARLES GENIAUX,nos écoles indigènes en Algérie et la paix française, revue du Paris n°6,nov dec 1916,p858

(97)- Le conte HENRY DE CASTRIES.L'islam, impression et études, 1928, pp 235-236.

(98)- ليس ذلك خاصا ببلاد زواوة وإنما كان التعليم الفرنسي مركزا هناك فجعناه مثالا، وقد أصبحت السلطة الفرنسية تعاقب وتعزم من يرفض إرسال أولاده إلى المدرسة الفرنسية انظر: GENIAUX, op.Cit, p864

(99)- CARRIRAS, op.cit, pp151-152 ولكن هذا الرفض سيزول تدريجيا وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى وظهور جماعة النخبة أنظر : GENIAUX, op.cit, p858

(100)- هناك إشارات كثيرة لدى الكتاب الفرنسيين وساستهم إلى أهمية التعليم في عملية إدماج الأهالي في الجتمع الفرنسي ونحيل إلى نشرية رسمية صادرة من الولاية العامة سنة 1892 انظر: Revue bleue, n°26, 25juin 1892, p810.

(101)ـ وقد كان تخوف الطرقيين على نفوذهم في محله فمنت هذه المدارس ستنطلق أول حملة ضد الجمود وضد الخرافات الطرقية من قبل الشيخ عبد القادر المجاوي خريج هذه المدارس

(102)ـ بغض النظر عن المواقف السياسية لهؤلاء فإن تكوينهم العلمي مقبول على العموم مقارنة بتكوين زعماء الطرق الصوفية أنفسهم.

(103) ـ جمال قنان، قضايا ودراسات، ص: 171.

(104) وقد عبرت عن ذلك البصائر في عددها22 ليوم5 جوان 1936، ص: 3.

(105)- قنان، المرجع السابق، ص: 171.
(106)- نفسه ،ص: 182.
(107)- نفسه، ص: 173.
(108)- Ageron les musulmans Algériens et la France t 2 p 1225
(109)- أنظر :ابن العابد الجلالي، التقويم الجزائري المطبعة الجزائرية الإسلامية قسنطينة، 1927، ص: 48، وص: 66 وما بعدها.
(110)- أنظر سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، ترجمة محمد فاضل الجمالي، منشورات وزارة المجاهدين، ص: 26، 27، 123.
(111)- بنجامين سطورا، مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898ـ1974، ترجمة الصادق عماري ومصطفى ماضي، منشورات وزارة المجاهدين، ص: 55.
(112)- أنظر محمد الميلي، فرحات عباس بين باريس والقاهرة، مجلة الحدث الدولي، عدد 24 نوفمبر 2002، ص: 46.
(113)- Ferhat Abbas, Le jeune Algérien, p 152 ,153
(114)- idem, p31
(115)- idem, p111
(116)- سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص: 153.
(117)- في مقاله المشهور "فرنسا هي أنا".
(118)- Abbas, op cit, p185
(119)- idem, p186
(120)- idem, p 31
(121)- Ali Merad, Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, ed, elhikma ,p 33- 37
(123)- idem, pp 33- 37 (124)- كان مبارك الميلي من أحرص الناس على ذلك، أنظر، أحمد بوقجاني، دور جمعية العلماء في الحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر 1999، ص: 27.

ب ــ المنطلق الثّقافي للحركة الوطنية الجزائرية

1- تدمير الثقافة العربية الإسلامية لإنهائها كمقوّم أساسي للوطنية الجزائرية :

أ ــ مصادرة السلطات الإستعمارية الفرنسية للأوقاف الإسلامية

ب ــ محاولة نشر اللغة الفرنسية كأداة للفرنسة والإدماج

ج ــ إعادة هيكلة المؤسسات الدينية الجزائرية وتنشيط الحركة التنصيرية في أوساط الجزائريين

2- المقاومة الثقافية الجزائرية (ثقافة الأجنبي) :

أ ــ دور الزوايا

ب ــ دور الكتاتيب القرآنية

ج ــ دور المساجد

1 تدمير الثقافة العربية الإسلامية لإنهائها كمقوّم أساسي للوطنية الجزائرية :

باتت كلمة الثقافة من الكلمات التي يستعصى تعريفها عن الحصر الدقيق ، فهي لم تبق في عربيتنا مفردة جامدة أسيرة تعريف من الإشتقاق اللغوي لدينا من نوع (ثقف الرّمح) ، فتجاوزته لما هو أرحب فكريا وعقديا وحضاريا فتغدو وعاء للسياسة والإقتصاد والتاريخ والدين والعادات والتقاليد والإجتماع ، لأنها " طريق مميّز لحياة الجماعة ، ونمط متكامل لحياة أفرادها " ، فهي مركب من عناصر عديدة مختلفة ، تمتص القوانين والأعراف الإجتماعية ، وأشكال التفكير والسلوك والعادات ،لأنها حياة الأمّة في كلّ وجوهها ، وهي معبّر أصيل عن الخصوصية التاريخية لأمّة من الأمم ، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت ، والإنسان ومهامه ، وقدراته وحدوده... ففي الثقافة وبالثقافة يدخل الفرد البشري حقا في البعد الإنساني للحياة ...فهي التّي تعطيه الجذور ، وهي التّي تموضعه في الزّمان والمكان ، وتجعله حاملا للتراث ، وهي التّي تفتح أمامه إمكانيات وآفاق خاصة يستطيع بها التّعرف إلى العالم والإحتفاء به . (1)

إنطلاقا من ذلك لعبت الثقافة العربية الإسلامية قديما وحديثا دورا بالغ الأهمية في التماسك الإجتماعي والوطني للمجتمع الجزائري ، حيث كانت تربط الجزائريين بماضيهم العربي الإسلامي من ناحية ، كما كانت في الوقت نفسه تيارا قويا يدفع بهم إلى الأمام لتطوير حياتهم والإرتقاء بها في جميع المجالات في إطار من الأصالة والتفتح من ناحية أخرى . و لذلك كانت ولاتزال تعدّ من أهم مقوّمات الشخصية الجزائرية وقد عانت هذه الثقافة طوال فترة الإحتلال المظلمة من محاولات القضاء عليها ما لم تعاني مثله ثقافة أخرى في بلد آخر في العالم .(2)

فالمشروع الإستعماري الفرنسي في الجزائر يتلخص في تكريس تبعية الجزائر لفرنسا وجعل إستعماره
واقعا لا يمكن محو آثاره . فكانت الممارسة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر تقوم على تحطيم بنية المجتمع والقضاء على الأسس المادية والروحية التي يقوم عليها وتحييد القيم الحضارية التي يستند إليها وذلك

بمحاصرة الشعور الدّيني ومحاربة اللغة العربية وإحياء النعرات والنزاعات الإقليمية والميول الجهوية وتوطين العناصر الأروبية لتحل محل الجزائريين .(3) ولقد تمثلت الممارسة الإستعمارية الفرنسية في تعاملها مع الشعب الجزائري في تطبيق أساليب وطرق مختلفة الهدف ، منها إنجاح عملية الإستعمار وترسيخه بحيث يصبح واقعا لا يمكن مقاومته والتخلص من آثاره في مختلف جوانب حياة الشعب الجزائري مما يحول مستقبلا دون إسترجاع الجزائر لكيانها السياسي وبنائها الإجتماعي وخصوصيتها الثقافية والحضارية .(4)

ومن مزاعم الإحتلال الفرنسي التي سعى لإخفاء نياته بها ، أنّه جاء لدفع ظلم الأتراك عن الجزائريين ورفع الأمّية عنهم ، ورغم مساوىء الحكم العثماني التركي فهو حكم إسلامي ، قائم على الشرعية التامة بمعيار ذلك الزمان ، وهو إن لم يشجع رسميا الحركة التعليمية فإنه لم يعرقل جهود المواطنين في تشييد المؤسسات على عكس ما فعل الإستعمار الفرنسي بعده ، حيث كانت تلك المؤسسات معاقل للمعرفة : مدارس وكتاتيب وزوايا، ومساجد وغيرها تقترب من ألفي مؤسسة تعليمية عشية الإحتلال، يتعلم فيها ويدرس نحو خمس وعشريين ألف تلميذ وطالب في مختلف المراحل والمستويات ، وجدت نفسها في مواجهة سياسة الإحتلال الخاصة بالفرنسة ، والتنصير ، وهي الخطة المصاحبة لسياسة الحرق لقرى بكاملها ، وإبادة عشائر برمتها ، لفرض الأمر الواقع بالقتل
والتشريد .(5)

ولقد تجلت الخطّة الإستعمارية الفرنسية لتدمير الثقافة الجزائرية لإنهائها كمقوم أساسي للوطنية الجزائرية في الأعمال التالية :

أ ــ مصادرة السلطات الإستعمارية الفرنسية للأوقاف الإسلامية الجزائرية :

كانت الأوقاف المحبسة على المؤسسات الخيرية وخاصة أماكن العبادة والتعليم تؤدي خدمات اجتماعية وثقافية واقتصادية أساسية في المجتمع الجزائري ، ولا سيما في المدن الكبرى ، مثل الجزائر وتلمسان وقسنطينة والبليدة والمدية وملیانة ومعسكر ووهران ... فمردود هذه

الأوقاف كان يسدّ النفقات الضرورية للمشتغلين بالتعليم أو القائمين على الأمور المتعلقة بأماكن العبادة والتعليم ، من قضاة وأئمة ومدرسين وطلبة وشواش ونظار ، بالإضافة إلى توفير دخل قار يغطي تكاليف رعاية وإصلاح هذه المؤسسات ، ويسد حاجة المصالح العامة كالعيون والسواقي والأفران والحمامات والثكنات والحصون وغيرها . (6) كان القرآن أساسا للتعليم في الجزائر سواء كان تعليما ابتدائيا أو ثانويا أو عاليا . وكانت المدارس على مختلف مستوياتها تموّل وتغذّى بالأوقاف التي يحبسها أهل الصلاح والخير من الرجال والنساء ، وفي بعض الأحيان كان يحبسها موظفون سامون في الدولة كعمل من أعمال الخير . فكان هنالك أملاك خاصة وعقارات وأراض يذهب ريعها لبناء المدارس وتوظيف المعلمين وتوفير المساكن للطلبة والمعلمين (7).

وهكذا بادرت السلطات الفرنسية بمدينة الجزائر إلى إصدار قرارات وسنّ مراسيم متدرجة وفي فترات متلاحقة أسقطت عن الوقف مناعته inaliénabilité وأخضعته لقوانين المعاملات العقارية الفرنسية ، وبذلك تمكن النازحون الأروبيون حديثا إلى الجزائر من الإستحواذ على بعض الأملاك والأراضي الموقوفة وتحويلها إلى ملكيات خاصة بهم ، رغم استنكار أعيان الجزائر مثل حمدان خوجة وبوضربة واحتجاج العلماء وفي مقدمتهم المفتيان ابن العنابي وابن الكبابطي (8) . فلقد ذكر خوجة قائلا في هذا الصدد :" لقد أمر الجنرال كلوزيل بتهديم محلات تدعى القيصرية كانت تبيع الكتب التي هي أدوات الحضارة ، والتي تنير طريق الإنسان المثقف . وفيها كان يوجد الناسخون ،لأن المطابع معدومة في افريقيا ، وبما أن الفرنسيين كانوا ينوون إدخال الحضارة الى افريقيا، فلماذا وقع تهديم هذا المصدر الذي كان يعطي العلم والمعرفة في جميع الميادين ؟ ،إنّ هذا السلوك يدلّ على أنّ هذا الجنرال ، بدلا من أن يعمل على تزويدنا بنورالعلم والحضارة ، كان ينوي إغراقنا في الظلمات و الجهل (9).

لقد عمدت السلطات الفرنسية في مدينة الجزائر سنة 1835م إلى التصرف في ألفي وقف كان تابعا لمائتي شخص ومؤسسة ، والإستلاء على 27 مسجدا و 11 زاوية ومصلى ، ولم تعد الأملاك الموقوفة

المسجلة في دفاتر نظّار الأوقاف تزيد عن 293 وقفا سنة 1843م وكانت قبل ذلك لا تقلّ عن 500 وقف . ومن هذه القرارات والمراسيم نذكر قرار 8 سبتمبر 1830م الذي سمح بوضع اليد على بعض الأوقاف ، ومرسوم 7 ديسمبر 1830م الذي حوّل الأوقاف إلى مراقبة المصلحة العقارية (الدومين) ، ومخطط جيرردان GERARDIN في 25 أكتوبر 1832م الذي تحوّل إلى تقرير مفصل يحدّد وضعية الأوقاف سنة 1838م وساعد على اصدار أمر في أول أكتوبر 1844م أخضعت الأوقاف بموجبه للمعاملات المتعلقة بالأملاك العقارية ومهدّ أيضا لقرار 30 أكتوبر 1858م الذّي وسّع إجراءات المعاملات العقارية وجعلها مطابقة للقانون الفرنسي حتىّ يتمكن الأروبيون واليهود من امتلاك الأملاك الموقوفة . وبذلك سهل على الإدارة الفرنسية تصفية الأوقاف بصفة نهائية لصالح الإستيطان الأروبي في الجزائر بمقتضى قانون 1873م . وبذلك فقد الجزائريون ، بتصفية الأوقاف ، أحد الأسس التي تقوم عليها حياتهم الثقافية والدّينية والاجتماعية، فتناقص عدد أماكن العبادة والتعليم بمدينة الجزائر من 186 (13 مسجدا جامعا و 108 مسجدا صغيرا و 32 مصلى و 12 زاوية) إلى اثني عشر مسجدا منها ثمانية مساجد كبيرة بعد سنة 1862م .ونفس الأوضاع عرفتها باقي المدن الجزائرية الأخرى ، فقسنطينة مثلا إنخفض عدد المدارس وأماكن العبادة بها من 86 إلى 30 وتراجع مجموع الطلبة بمدارسها من 600 إلى 60 في أقل من عشر سنوات (1837م- 1846م) . وقد رافقت اجراءات محاصرة الأوقاف وتصفيتها سنّ قوانين أخرى أدّت إلى الإستيلاء على أملاك الإدارة الجزائرية (البايلك) قبل الإحتلال والإستحواذ على ملكيات الموظفين وخاصة العناصر التركية منهم ، الذين رحّل أكثرهم إلىالأناضول ، ممّا زاد في تخوّف السكان واضطر الكثير من سكان المدن وخاصة مدينة الجزائر إلى الهجرة نحو الأقاليم الداخلية أو الأقطار المجاورة، الأمر الذي ساعد الإدارة الفرنسية على تحويلها إلى مدينة أروبية تحيط بحي القصبة الجبلي الذي تحوّل إلى ملجأ للجزائريين الذين لم يجدوا بدا من العيش تحت سيطرة الإدارة الفرنسية . (10)

ب ــ **محاولة نشر اللغة الفرنسية كأداة للفرنسة والادماج :**

هدف الإستعمار الفرنسي في الجزائر ــ زيادة على الإستغلال الإقتصادي والإستحواذ السياسي ــ إلى جعل الجزائر قطعة لا تتجزأ من التراب الفرنسي أرضا ولغة وثقافة ودينا ، وقد انتهج لذلك سياسة الفرنسة : وهي إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع مجالات الحياة حتى يصبح المجتمع الجزائري فرنسي اللسان والثقافة وينقطع بذلك عن تاريخه ويفقد مقومات شخصيته الوطنية تدريجيا ، ويذوب في بوتقة الأمّة الفرنسية . فقد جاء في إحدى التعليمات الصادرة إلى الحاكم العام بالجزائر غداة الاحتلال : " إنّ أيالة الجزائر لن تصبح حقيقة (مملكة فرنسية) إلاّ عندما تصبح لغتنا هناك قومية والعمل الذّي يترتب علينا انجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن ". وهكذا شرعت الأدارة الفرنسية في تطبيق سياسة الفرنسة في جميع المجالات الحياة الاجتماعية مبتدئة بمجال التعليم (11)

ومن ثمّ استهدف النظام الاستعماري القضاء على التعليم العربي في البلاد ومؤسساته. وقد سبق وأن رأينا ، موقف كلوزيل منه ، بعد ستة أشهر من احتلال مدينة الجزائر وما ترتب من خسائر كبيرة ، لا بالنسبة للتعليم العربي ، ولكن أيضا بالنسبة للثقافة الجزائرية بصفة عامة . فمنذ احتلالهم للجزائر سنة 1830م ، لم يخف الفرنسيون مشاريعهم الإدماجية وعنصريتهم وتحيزهم المفرط لثقافتهم ولغتهم ودينهم . بحيث اعتبروا هذه العوامل مكمّلة لبعضها البعض ، وأنها روافد تصب في نهر واحد ، نهر الاستعمار والحفاظ على المصالح المادية لفرنسا في الجزائر ــ حسب منظري الإستعمار الفرنسي ــ يقتضي توفير بعض الشروط الضرورية للحفاظ عليها ، على المدى البعيد ، من ذلك أنهم اعتبروا المدرسة هامة ، بل الوحيدة للسيطرة على عقول الجزائريين ، ذلك بعد أن تمت لهم السيطرة على أبدانهم واخضاعهم بالقوة لسلطان الاستعمار . (12)

وأمام هذا الوضع ماكان على سلطات الاحتلال إلاّ أن تعمل على تقليص تعليم العربية من خلال هدم المؤسسات القديمة القائمة ، حيث تذكر

ايفون تورينYVONNE TURIN . أن الكارثة تبدو أكبرربكثير، فقبل وصول الفرنسيين كانت توجد 39 مؤسسة للتعليم العمومي ، زاويتان اثنتان و 37 مسجد . ولم يبق في هذه المدينة إلاّ ثلاثة مدارس فقط من 39 مدرسة (13) أمّا في قسنطينة فقد تقلّص من 90 مدرسة إلى 30 فقط . (14)

وعلاوة على هدم وسائل التكوين راحت السلطات الإستعمارية تطارد رجال التعليم بلا هوادة للقضاء على المؤسسات التّعليمية الموجودة والتي كانت في نظرها تنشر اديولوجية وطنية مناهضة لمصالح الاستعمار (15) ، وهو مايؤكده المؤرخ موريس فاهل (Maurice Wahl) وهو أحد غلاة الاستعمار المتحمسين للإشعاع الثقافي الفرنسي في الجزائر حيث يقول : " لقد شرعنا بادىء ذي بدأ في هدم كلّ المساجد تقريبا (وهي المدارس الابتدائية) والزوايا والمدارس (الثانوية) وبعض المدارس الإسلامية الأخرى الموجودة قبل 1830م وبعدها انهمكنا في إجراء تجارب إرتجالية لم تنجر عنها سوى نتائج هزيلة وأحيانا سلبية (16) . ويذهب آجرون (AGERON) إلى أبعد من ذلك إذ يقول : " لم تفلح سياسة الادماج إلا في القضاء على التعليم الاسلامي والحدّ من انتشار التعليم الفرنسي " . (17)

يضاف إلى ذلك كله عمل السلطات الاستعمارية على نهب التراث الثقافي العربي الاسلامي الذّي عثر عليه في المكتبات الجزائرية مثل المخطوطات والوثائق والكتب . فلقد كان الناهبون يرسلون محتوياتها إ لى ذويهم في فرنسا أو يبيعونها لتجار الكتب الأروبيين الذين يأخذونها على أروبا ، هذا فضلا عن المكتبات والكتب التي أحرقوها أو بعثروها كما فعلوا بمكتبة الأمير عبد القادر ، قائد المقاومة الجزائرية في سنوات الاحتلال الأولى (1832-1847) بعد أسره في 1847م ، ويذكر المؤرخون أنّ الأمير أصابته نوبة من الحزن الشديد وهو يتتبع آثار الطابور الفرنسي مسترشدا بالأوراق المبعثرة في الصحراء التي انتزعها الجنود الفرنسيون من الكتب التي عانى الكثير في جمعها... وهذا هو تفسيرظاهرة انتشار المخطوطات العربية في مكتبات البلديات الفرنسية في معظم مدن فرنسا (18) .

وبالمقابل عملت السلطات الفرنسية على إنشاء المدرسة الاستعمارية دون أن تخرج من نطاقها التجهيلي ، ففي سنة 1833م فتحت مدرستان سميت مدارس التعليم المتبادل (L' enseignement mutuel) ، أي إعطاء التعليم الفرنسي للجزائرين والتعليم العربي للفرنسيين . فتحت الأولى بوهران والثانية في عنابة .

أما أوّل مدرسة أنشأت لتعليم الجزائرين باللغة الفرنسية فهي المدرسة الابتدائية التي سميت بالمدرسة العربية ـالفرنسية (école arabe –française) ، وكانت في سنة 1836م بمدينة الجزائر وخاصة بالذكور، وكان الغرض من هذه المدرسة تقريب الجزائريين من الأروبيين وكسب ولائهم قصد تحضيرهم للادماج ، وأسّست أوّل مدرسة للبنات في الجزائر العاصمة في 1845م وهي مبادرة خاصة . وعلى غرار المدارس الخاصة بالأطفال فتحت أوّل مدرسة للكبار في 1837م لعليم اللغة الفرنسية للذين يشغلون في الخدمات والادات الفرنسية . بلغ عدد التلاميذ الجزائريين في 1844م حوالي سبعة تلاميذ مقابل مائة تلميذ أروبي . كما أنّ تعليم الجزائريين كان يخضع مباشرة لاشراف الحاكم العام ، وحتىّ سنة 1848م ، كان التعليم العربي تابعا لوزارة الحربية الفرنسية ، بينما كانت ادارة التعليم في المدارس الأروبية يتبع مباشرة وزارة التربية والتعليم في فرنسا (19) . وفي سنة 1848م تأسست أكاديمية الجزائر (مديرية التربة والتعليم) لتشرف على التعليم وتتصل مباشرة بوزارة التربية والتعليم في باريس ، ويرأسها مفتش عام (أو مدير عام) يساعده نائبان. ثم تأسست بعد ذلك ثلاثة مناصب (في مقاطعات الجزائر الثلاث) لمفتشين خاصين بالتعليم الابتدائي ، ويظهر ذلك من خلال التنظيم الجديد والأولي تحيّز الادارة الفرنسية للفرنسيين وتمييزها بين التعليمين : الأول منظم وخاص بالأروبيين، أمّا الثاني فلا أساس له وخاص بالجزائريين . (20)

وفي سياق الحديث عن الفعل النافذ للاحتلال الفرنسي لفرنسة اللّسان والفكر والشعور على الجبهة التعليمية والاجتماعية ينبغي ألا نسهو على جسر آخر دشنه على هذه الجبهة لا لمجرد التعليم فحسب بل للتوغل

عبر وسائط في حياة الجزائريين وهو ما يمثله مشروع المدارس الاسلامية الثلاث ذات الطابع التخصصي ، التي أنشأت بمرسوم صادر في 30/9/ 1850م ، تنحصر مهمتها في إعداد موظفين في الشؤون الدينية والقضائية والادارية ، يصير المتخرجون منها همزة الوصل بين المحتلين والمواطنين ، ينوبون عن المحتل بإدارة شؤون المواطنين في المنازعات القضائية والدينية (21) . وقد وزّعت المدارس على ثلاث جهات من الوطن ، الأولى في غربه مقرها مدينة تلمسان ، والثانية في وسطه بمدينة المدّية ، ثم نقل مقرّها إلى العاصمة سنة 1858م ، أمّا الثالثة ففي شرق الوطن بمدينة قسنطينة (22) .

ولكن الذّي سيعطي دفعا ونفسا جديدا للتعليم العمومي في الجزائر هو جول فيري (JULES FERRY) الذي اهتم بالقضية منذ 1879م ، قبل أن يعرف الجزائر ، ومن فرنسا كتب إلى الحاكم العام الفرنسي قريفي (GREVY) يقول له : " تراودني رغبة كبيرة في أن أضع تحت الدراسة كل القضايا التي لها علاقة بالتعليم العمومي في الجزائر، وعلى رأسها قضايا التعليم الابتدائي " (23)

ولقد توّجت الجبهة التعليمية الفرنسية في الجزائر بصرح هام هو جامعة الجزائر سنة 1908م لكنها القاعة الحصينة التي لايصلها الجزائري إلا بعد مروره في غرابيل عديدة في كلّ المراحل السابقة حيث لاتتاح الفرصة فيها إلا لمن بات مضمونا في حجر الاستعمار يجري في دمائه حب فرنسا (24) .

وتجدر الاشارة ، في هذا السياق ، إلى أنّ السلطة الفرنسية عملت على مسخ وتشويه تاريخ الجزائر بتجاهله أحيانا وحرمان الجزائريين من دراسته الدراسة الصحيحة في المؤسسات التربوية التي أنشأتها لهذا الغرض والتدخل لإلغائه في المدارس التعليمية الحرّة أحيانا أخرى . فمادة التاريخ التي تعتبر بمثابة " شعور الأمة وذاكرتها ووعيها بكيانها ". وإذا كان التاريخ كذلك هو شعلة الماضي لإنارة الحاضر والمستقبل فقد كان له هدف مغاير في المدرسة الفرنسية التي أسستها الادارة الاستعمارية ، لأنها كانت تهدف من وراء دراسته إلى إنكار الذاتية

الجزائرية والمساهمة في تحبيب فرنسا إلى الجزائريين من خلال إبرازها للحضارة الغربية . فالبرامج التعليمية للجزائريين كانت مشابهة ومطابقة للبرامج التعليمية الفرنسية خاصة في عهد الجمهورية الثالثة ، وذلك لتسهيل عملية الإدماج و بالتالي القضاء على الشخصية الجزائرية بتجريدها من مقوماتها .

ولقد نشر أحد طلاب مدرسة المعلمين ببوزريعة مقالا بنشرة تعليم الأهالي عام 1895م بيّن فيه كيفية تزويرها تاريخ الجزائر عندما أشار إلى أنّ العرب والقبائل لم يكونوا عبر التاريخ قومية واضحة ومتميزة ، وأنّ هذا الشعب توّحد فقط خلال فترات تاريخية معينة والجزائر ليست إلا مفهوما جغرافيا (25) . وتمثل هذه الفكرة الاستعمارية حجر الزاوية في البرامج التعليمية الفرنسية وشيئا فشيئا أعيد تشكيل ماضي الجزائر بما يتلاءم مع هذا الهدف ، حتى أصبحت فرنسة الجزائر هي الأصل واعتبر عهدها الاستعماري " اقتطاعا تعسفيا لهذا الجزء من الغرب الذي ألحق بالمشرق العربي مع الفتح العربي (حسب تعبير مارسي) ، بل وهناك من المؤرخين والجغرافيين الفرنسيين من لم يتردد في إنكار أن يكون لهذه المنطقة تاريخ . فهذا غوتيي (GAUTIER) يقول : " هذه بلاد ليس لها اسم معروف عالميا ممّا اضطر إلى اعطائها إسما ما ، ذلك أنه ا ليس لها وجود سياسي متميّز ، وبناء على ذلك لم يكتب تاريخها " . (26)

والواقع أنّ سياسة الفرنسة الشاملة التي صار عليها الاحتلال في التعليم بالنسبة للجزائريين لم تقتصر على ميدان التعليم في مختلف مراحله ، من مناهج ونظم وكتب ولغة وتدريس وادارة تعليمية وتوجيه عام فحسب ، ولكنها شملت كل مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والادارية في البلاد . وكان الهدف منها هو محاولة صبغ البلاد بصبغة فرنسية خالصة في كل صغيرة وكبيرة حتى تنقطع جميع الروابط التي تربط الجزائر ماضيا وحاضرا ومستقبلا بثقافتها ولغتها القومية وتاريخها الإسلامي وانتمائها الحضاري إلى الأمة العربية الاسلامية حتى تنشأ الأجيال الجزائرية الصاعدة في ظل السياسة المرسومة نشأة ممسوخة في كلّ شيىء ، ومقطوعة عن جذورها الأصلية لأنه لا يوجد شيىء في الحياة العامة بالجزائر يذكرها بماضي الأسلاف والوطن وبذلك تصبح

أسهل انقيادا لسياسة فرنسا وأكثر قابلية لنتائجها وعواقبا الوخيمة على الشخصية الوطنية الجزائرية . (27)

أمّا على **صعيد الادماج** فانه كان هدفا أساسيا منذ السنوات الأولى للاحتلال عن طريق ربطها سياسيا واداريا بفرنسا وإذابة كيانها الثقافي والحضاري في الشخصية الفرنسية . ومن هنا طبقت فرنسا الا طبقت فرنسا الاعلى الأرض و فرنست البلاد في معظم حياتها ، ولكنها لم تطبق الادماج بمعنى المساواة بين الجزائريين في الحقوق والواجبات وإنما طبقت الادماج فقط على الأروبيين .أمّا الجزائريين فقد أخضعتهم لقوانين استثنائية صارمة (28)

أمّا مفهوم الادماج من الناحية السياسية فهو يعني جعل الجزائريين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا فرنسيين يتمتعون بالحقوق السياسية الفرنسية التي يتمتع بها الفرنسيون داخل بلادهم وخارجها ويتلقون التعليم الذي يتلقونه ويرقون إلى الوظائف العامة بالطرق ذاتها التي تخولها القوانين الفرنسية للفرنسيين كما أنّ لهم نفس الميزات الاجتماعية .أمّا من الناحية الادارية فيعني أن تكون الجزائر اقليما فرنسيا يتشكل من مقاطعات ويتجزأ إلى مديريات كما تتشكل اداريا كلّ الأقاليم الفرنسية في فرنسا (29) . فالسياسة الاستعمارية من هذا المنطلق كانت تريد دمج الأرض الجزائرية لا التسوية بين الجزائريين والأروبيين في الحقوق والواجبات . فكان ادماجا للمستعمرين واخضاعا للسكان الأصليين . (30)

إنّه وجب التذكير أنّ الادماج كان الطابع الأساسي للسياسة التعليمية الفرنسية وأكثرذلك فالعملية الادماجية هدفت إلى جعل الجزائريين يقبلون بالحضارة الأروبية في وقت قريب أو بعيد ومعنى هذا تحويلهم إلى مواطنين ، بل رعايا يعرفون اللغة الفرنسية ولهم نفس عادات الفرنسيين ونفس الحب للوطن الفرنسي ، ولم يكن دمج الجنسين العربي والأروبي هو الغاية في السياسة التعليمية الفرنسية ، وإنما هو الوسيلة للسيطرة الفرنسية ووضع حدّ لمقاومة الجزائريين ورفضهم للاحتلال بجعلهم يقتنعون بضرورة وحتمية الاحتلال الفرنسي لبلادهم ، بل أكثر من ذلك إنّ الهدف الأخير لهذا الادماج هو " ضرب الوطنية

المحلية والدّينية للجزائريين والقضاء على عامل يساهم في إبراز الوطنية الجزائرية ".
ولقد عرفت فكرة الادماج مفاهيما مختلفة خلال القرن 19م ، لكنها تلتقي في غرضها البعيد الهادف إلى القضاء على الوجود العربي بعد دمجه في الكيان الأروبي . (31)

والواقع أنّ المدرسة التي أرادها الجهوريون أمثال رامبو ،فيري ، بورجوا ، بوردو ، كومب ، وغيرهم والتي أولت اهتماما بتعليم الجزائريين ، هي مدرسة مطابقة ومشابهة للنموذج الفرنسي . فباريس هي التي فرضت تعليمها على الجزائر وحاولت تطبيقه بشتى الوسائل ، ولم يكن هذا التعليم نابعا من الجزائر نفسها ، ولهذا لا نستغرب من عدم مسايرة مدرسة الجمهوريين لواقع الجزائر الذي يختلف اختلافا كليا مع الواقع الأروبي . (32)

ج ـ إعادة هيكلة المؤسسات الدينية الجزائرية وتنشيط الحركة التنصيرية في أوساط الجزائريين :

بات جليا أنّ مشروع الاحتلال الفرنسي للجزائر كان يحمل في طياته مخططا تنصيريا إنطلق من قناعات فرنسية بكون هذه الأرض كانت مسيحية في الأساس على عهد أجدادهم الرّومان وبالتالي وجب ارجاعها إلى أصالتها الحضارية المسيحية ، مما كرّس عندهم الشرعية الدينية للاحتلال خاصة وأنّ سكانها ارتدوا عن ديانتهم الأصلية وأدخلوا في الاسلام عنوة (بحدّ السيف) وفرض عليهم التعايش مع العنصر العربي الوافد من شبه الجزيرة العربية ومع العنصر التركيي الوافد من أواسط آسيا . فأصبحوا بمرور الزمن عبدة لنظام القرصنة والاستيلاب البحري لا يسايرون الركب الحضاري الفرنسي خاصة وأنّ تعصبهم للاسلام جعل منهم أناسا متقوقعين علىأنفسهم لا يودون مهادنة الأروبي بأيّ شكل من الأشكال. .

تبعا لذلك فإنه لا غروة أن نجد الكنيسة تسير في مقدمة الزحف الاستعماري الفرنسي على الجزائر مستعملة تبريرها للسياسة

الاستعمارية ذلك الأساس النظري الذي استند إليه مفكروها في إثبات حق الاستعمار وربطه بحق التبشير ويتلخص في أنّ العالم قد خلق لجميع الناس ولايتطيع شخص أن يضع العراقيل أمام بلوغ الإنسان ثروات العالم . (33)

إننا إذا استعرضنا أعمال الجيش الفرنسي بمعية رجال الدين المنصّرين على أرض الجزائر لوجدناها تتناقض تناقضا صارخا مع تصريحاتهم عن ماهية مشروع الاحتلال الفرنسي للجزائر . فمنذ دخول فرنسا الجزائر لم تكف عن الاعتداء على حرمة الموتى فما بالك بالأحياء . يقول حمدان خوجة في هذا الشأن ،علما أنه كان شاهد عيان : " فنبشت قبور أجدادنا وحفرت مدافن أسلافنا من أجل أخذ آجرها وأحجارها لتستعملها في بناياتها ،أما عظام الموتى فقد اتخذتها بضائع تجارة ، فراحت تسوق عدّة حمولات منها إلى طرقات مرسيليا ، وهكذا استمرت أعمال النبش الفضيعة في الأماكن المخصّصة لدفن موتانا المرة تلوى الأخرى " . (34) ويضيف قائلا : " لقد حوّلت السلطة جزء من هذه المقابر إلى ساحة عمومية وما تبقى منها إلى طرقات معبدة وحدائق قد باعتها وانتفعت بثمن بيعها . أي شخص له شعور واحساس يستطيع أن يملك أعصابه أمام مثل هذه الأعمال المخزية ؟ ما أعظمها جرأة على زعزعة جثث لم يمض زمان طويل على مفارقة أرواحها لاصحابها " . (35)

من جانب آخر ، تعرضت المؤسسات الدينية (معاقل الثقافة الجزائرية) لمحاربة شديدة طيلة الفترة الاستعمارية بمختلف الوسائل والأساليب والأشكال لأنها تمثل عائقا فعليا أمام عملية القضاء على أسس الثقافة الوطنية الجزائرية . فكثيرة هي المؤسسات الدينية والتعليمية التي دمّرها الفرنسيون أو حوّلوها إلى كنائس أو أعطوها لجيش الاحتلال أو بيعت كأملاك للأروبيين يتصرفون فيها ، فمنها التي بقيت ، بحول من الله تعالى ، وتعدادها خمسة مساجد بعد أن كان عددها وقت الاحتلال 176 مسجد وهي : الجامع الكبير ، الجامع الجديد ، جامع سيدي رمضان ، جامع سفير وجامع عبدي باشا (36)

أمّا المساجد التيّ تحولت إلى كنائس فنذكر منها :

-جامع القصبة _____ أصبح كنيسة الصليب المقدس وقد تغير شكله

-جامع علي بتشين _____ تحول إلى كنيسة سيدة النصر وقد تغير شكله الأصلي كثيرا

- مسجد القائد علي _____ أعطي إلى جمعية أخوات القديس جوزيف

- مسجد كتشاوة _____ أصبح كاتدرائية الجزائر

إضافة إلى ذلك هناك مساجد هدّمت من أوّل وهلة أو أعطيت للمصالح العسكرية ثمّ هدّمت ، منها جامع السيّدة الذي كان من أجمل مساجد العاصمة ، ولقد أخذت السلطات الفرنسية أبوابه الخارجية وأعمدته المرمرية الجميلة وألواحه الزجاجية وأبوابه الداخلية الدقيقة ، وقد هدّمت في نفس الوقت ثلاثة أو أربع مساجد صغيرة كانت تحيط بذلك الجامع . (37)

وتطول القائمة لو ذكرنا المساجد التي سلّمت إلى مصالح عسكرية ومدنية ثم هدمت ، وفي هذا الصدد نذكر على سبيل المثال لا الحصر: (38)

مسجد عبدي باشا _____ حوّل إلى ثكنة عسكرية سنة 1830م

مسجد صباط الحوت _____ حول إلى مخزن للحبوب سنة 1830م

مسجد سيدي الرجي _____ حول إلى صيدلية عسكرية منذ 1837م

مسجد العين الحمراء _____ حول إلى ثكنة عسكرية منذ 1837م

مسجد الجنائز ـــــــــــــــــــــــــ حول إلى مخزن للمستشفيات العسكرية منذ 1838م

مسجد علي باشا ـــــــــــــــــــــــــ حول إلى اكليركية سنة 1870م من طرف لافيجري

أما في وهران فقد تم تحويل جامع خنق النطاح إلى مستشفى عسكري سنة 1831م ، وفي عنابة حوّل جامع أبو مروان إلى أغراض عسكرية ، وقد كانت تلمسان شبه مخربة عندما تمّ احتلالها ، وكان في قسنطينة سبعون بيتا للصلاة ولكن الفرنسيين تصرفوا في ذلك تصرف المالك المستهتر في ملكه (39) . ولعل أبرز مثال يجسّد المنحى الاستدماري الفرنسي في تشويه البنية الهيكلية المؤسسات الدينية الثقافية الجزائرية ما فعلته بمسجد كتشاوة الذي حوّلته إلى كاتدرائية الجزائر . (40)

أمّا الزوايا فانها واجهت نفس المصير، حيث حورب الأئمة وشيوخ الزّوايا ، ووضع حدّ لنشاطهم الديني والثقافي وفرضت عليهم وعلى أتباعهم مراقبة شديدة ودائمة ، ونفي الكثير منهم وشرّدوا إلى مناطق نائية داخل البلاد وخارجه (ابن العنابي) ، وأرغم البعض على الاشتغال بالجوسسة لصالح الشرطة الفرنسية ، ومن ثم اغلاق الكثير من الكتاتيب القرآنية والمعمرات(41) بدعوى عدم وجود رخصة لها من ادارات الشرطة واستهدفت رجالها للملاحقات القضائية والمتابعات القمعية من طرف الشرطة والضباط العسكريين ومصالح المخابرات السرية وشردوا وأبعدوا (42) ، يقول برك (BERQUE) ، أحد كبار مو ظفي الولاية العامة الجزائرية : " لقد وصل بنا امتهان واحتقار الدين الاسلامي إلى درجة أننا أصبحنا لا نأذن بتسمية المفتي أو الامام إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أي رقي إلا إذا ما أظهر للإدارة الفرنسية اخلاصا منقطع النظير . (43) ويذكر فورنال (FOURNEL) قائلا : " لقد كان من الواجب لازالة الخطر على تواجدنا بالجزائر أن نحطّم الزوايا والمؤسسات الدينية وأن نحرّم ظهورها من جديد . (44)

من أبرز الزوايا المتأثرة بالهدم أوالبيع أو الحيازة نذكر :

- زاوية القشاش : كان مصيرها مصير الجامع والمدرسة الذين يحملان نفس التسمية

- زاوية سيدي الجودي : بيعت لأحد الأروبيين

- زاوية الشرفة وزاوية شختون : حولتا إلى مستشفى عسكري

إضافة إلى تهديم زاوية الصباغين والمقايسة وزاوية كتشاوة ، وقد جرى للقباب والأضرحة التي كان معظمها جهة باب الواد وباب عزون مثل مما حدث للمؤسسات الأخرى .(45)

إن التصرفات التي قام بها الجيش الفرنسي ببركة رجال الدين قد ناقضت الاتفاق المبرم مع الداي حسين في 1830/07/5م وأثارت ردود فعل بعض المسؤولين الفرنسيين أنفسهم الذين تأثروا بما شاهدوه من تلك التصرفات ومن هؤلاء الوكيل المدني بيشون (PICHON) وخليفته جانتي دي بيسي (GENTY DE BUSSY)

فقد كتب بيشون قائلا : " لقد وعدنا سكان الأيالة (الدّولة الجزائرية) باحترام معاهدة الاستسلام ، وضمان ممتلكاتهم واحترام عبادتهم ، فمن واجبنا أن نفي بوعدنا " . أمّا دوبيسي وان اختلف أسلوبه عن سابقه فهو يتفق معه في الرأي ويرى أنّ الدين(المحمدي) لسكان الجزائر هو في نفس الوقت عاداتهم وقوانينهم وتشريعهم ، ويرى أيضا أنه ليس هناك دين بدون عبادة ، ويتضح لنا مقصده حينما قال : " وعدنا السكان باحترام الديانة وانتزعنا منها ما يتركها ذات سيادة ...ثم نأتي لنقول : " اننا سنحترم ديانتكم ". (46)

أما على صعيد الحركة التبشيرية فإنه رغم كون فرنسا دولة لائكية وفق ما ينص عليه دستورها إلا أنها احتضنت في الجزائر سياسة تبشيرية واسعة النطاق لتنصير الجزائريين بداية من تأسيس أسقفية الجزائر سنة 1838م والتي رسم بموجبها النشاط التنصيري بالجزائر والسؤال الذي

يتبادر إلى الذهن هو : ماهي الطريقة المثلى الي اتبعها المنصرون (المبشرون) لجلب المسلمين الجزائريين إلى الديانة والحضارة المسيحية الأروبية ؟ هل يتم ذلك بدعوتهم إلى اعتناق الدين المسيحي وتزيينه لهم واقامتهم إياه مع ثلب الدين الاسلامي وأنه وراء تخلفهم وانحطاطهم ، أم وجب التفكير في وسائل أخرى أكثر نجاعة وفاعلية وأقل تعرضا للسلطة السياسية من جهة وللهيجان العاطفي من جهة أخرى ؟
ومن ثم انتبه أقطاب التنصير في الجزائر دوبوش (DUPUCH) (47) ، بافي (PAVY) (48) وبخاصة الكاردينال لافيجري ( ) LAVIGERIE(49) إلى أنّ القيام بالعملية في أوساط الجزائريين بشكل علني يعد محفوفا بالمخاطر ولا يرجى منه تحقيق نتائج ملموسة لذلك اعتمدت استراتيجية تنتصيرية قامت أساسا على مايلي :

- اعتماد وسيلة الأعمال الخيرية
- اعتماد وسيلة الطب
- اعتماد وسياة التعليم

فلقد أدرك لافيجري الدّور الخطير الذي يلعبه التعليم في ميدان التنصير ، فهو في مدارس الارساليات المسيحية واسطة لغاية ، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى السيد المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين وشعوبا مسيحية . فلقد اتخذت الحركة التنصيرية وسيلة التعليم وتكوين مؤسسات ثقافية وسط البلاد الاسلامية بشكل خاص لأنها تتجه إلى الأطفال الصغار والشباب وهم الذين يسهل التطرق إلى قلوبهم والنفوذ إلى عقولهم ، أما الكبار فإنّ لهم حصانة أقوى . والواقع أنّ لافيجري ركز نشاطه التنصيري على منطقة القبائل لخصوصياتها (50) فأوفد إليها الآباء البيض والأخوات البيض الذين نشطوا في تأسيس المدارس الدينية الحرة لتعويض ما فقدوه أثناء العهد الامبراطوري الذي اهتم بتأسيس المدارس العلمانية . وفي سنة 1901م كان عدد مدارس الآباء البيض بمنطقة القبائل قد بلغ 21 مدرسة تضم 1039 تلميذا ، وفي سنة 1914م وصل عدد المنصّرين إلى قبيلة واضية بمنطقة القبائل وحدها إلى ستة آباء وثماني أخوات بيض .

والجدول التالي (51) يبين المناطق التي تأسّست فيها المدارس الدينية ، وتقع كلها في منطقة القبائل :

ذراع الميزان (مختلطة) 35 تلميذ	بونوح ــ	ذكور
ذراع الميزان (مختلطة) 6 تلميذ	بني اسماعيل ــ	بنات
فور ناسيونال (مختلطة) 25 تلميذ	واضية ــ	بنات
فورناسيونال (مختلطة) 40 تلميذ	آث لاربعاء ــ	ذكور
فورناسيونال (مختلطة) 105 تلميذ	واضية ــ	ذكور
فور ناسيونال (مختلطة) 125 تلميذ	تاقمونت عزوز ــ	ذكور
جرجرة (مختلطة) 84 تلميذ	آورير ــ	ذكور
جرجرة (مختلطة) 82 تلميذ	أوزقن ــ	ذكور

إنّ عمل المنصّرين وعلى رأسهم الكردينال لافيجري في مواجهة العربية والاسلام يتكامل مع جهود الجنرات العتاه في جيش الاحتلال ، فخلد الاستعمار ذكرهم بعد وفاتهم باطلاق أسمائهم جميعا على مدن وقرى وأحياء وشوارع اعترافا بفضلهم في التمكين للفرنسة ودورهم التنصيري ، ولا يزال اسم لافيجري يتردد كعلم في الحراش حيث حمل أحد الأحياء اسمه ، ولم يمحه تماما على الألسنة الاسم الجديد بعد الاستقلال (المحمدية) خصوصا من على شفاه في أصحابها قابلية للاستعمار (52)

2 ــ المقاومة الثقافية الجزائرية (ثقافة الأجنبي) :

قاوم الشغب الجزائري السياسة الفرنسية طيلة عهد الاحتلال وكان سبيله إلى ذلك هو الرفض الكامل لكلّ ما يأتيه من الادارة الفرنسية حتى ولو كان يخدم بعض مصالحه ، تقول ايفون تورين في هذا الشأن : " بدأ الصراع يوم بدا المحتل يفرض لسانه وتفكيره وأسلوبه في الحياة مستعملا المدرسة والمستشفى ، المعلم والطبيب... وردّ المسلمون الهدية المسمومة لصاحبها الذي قضى حوالي عشرين سنة (1830-1850) يحدث المدارس فلا يجد لها تلميذ وينشىء المستشفيات فلا يتردد عليها المرضى ، وتعددت الصعوبات في وجه المحتل وكثرت وأصبح الدين الاسلامي كالاسمنت المسلح يحمي من التفكك والاندماج (53) . والملاحظ أنّ الفارق الديني والثقافي كان الفاصل الجوهري بين المجتمعين الجزائري والفرنسي والجدار الحديدي الذي حال دون أية فرنسة أو اندماج أو ذوبان في هوية الكيان الدخيل (54) .وهكذا برزت بعد المقاومة المسلحة الشعبية ضد تعزيز النظم الاستعماري لأسسه مقاومة لاتقل شدة عبر الزمان والمكان ألا وهي المقاومة الثقافية ، كان من وراء تفعيلها الزوايا والكتاتيب القرآنية والمساجد وبعض من العلماء والمشايخ .

أ ــ دور الزوايا :

لعبت الزوايا(55) دورايجابيا في مرحلة رد الفعل التي نتحدث عليها ، وكانت هذه المؤسسات خلال القرن التاسع عشر هي ما بقي للجزائريين من نظم قديمة قائمة . فقد انحلت عرى الدولة والجيش وتفككت أوصال الفئات الاجتماعية بالحروب والهجرة ، وحاولت شلّ وظائف المسجد والكتاتيب وصودرت الأوقاف ، ولكن الزوايا ظلت قائمة ، خصوصا في الأرياف ، تؤدي دورها الديني والتعليمي والعسكري أيضا ، ويكفي أن نذكر في هذا المجال أهم فروع الزاوية الرحمانية والقادرية (56) . وفي غياب المؤسسات الثقافية الوطنية ،أصبحت ردود الفعل الوطنية متعلقة بأشياء تكاد تكون تجريدية . فالأرض قد احتلها الأجنبي ولكنها لم تضع في ذهن المقاومين ، والشعب قد انهزم على الساحة ولكنه لم يستسلم في نظرهم ، والاسلام قد علا عليه الصليب واحتكرت شؤونه

ادارة كافرة ولكن وقوده الروحي كان حيا في قلوبهم واللغة العربية قد عادت عليها الفرنسية بغلق مدارسها ومجالات الحياة أمامها ولكنها ظلت ممثلة في القرآن الكريم وفي التعبير الشفوي الرابط بين كل الفئات . أمّا التاريخ الذي عفا عليه الجهل وشوهته كتابات الأعداء فقد أصبح عند الجزائريين ذكريات حبيبة تشدهم على الماضي بأمجاده. وهكذا عوّض الجزائريون غياب المؤسسات الثقافية بالتعلق بالمقومات الأساسية لسخصيتهم في شكل يكاد يكون تجريديا . (57)

لقد أرجع بعض الكتاب (منهم تورين) مسألة فشل الفرنسيين في تدمير الثقافة الاسلامية وتشجيع سياسة الفرنسة في أوساط الجزائريين إلى الزوايا التي بقيت منتشرة في البلاد رغم قضاء الاستعمار على العديد منها وكانت بمثابة مراكز دينية وثقافية ومدارس للكبار والصغار ودور للمعالجة واسعاف الفقراء ، وملتقى ذوي الرأي لحث المواطنين على الجهاد وعدم الولاء للكافر ... ولم يعرف الفرنسيون لهذه الزوايا مثيلا في أروبا ولذلك لم ينتبهوا لخطورتها إلا بعد زمن طويل . (58) والملاحظ أنّ هذا التحليل صحيح إلى حد بعيد ، حيث أنّ العديد من الثورات التي قامت ضد الفرنسيين كان يتزعمها مشايخ الزوايا حتى أواخر القرن التاسع عشر .

إنّ دورالزوايا البارز في الحفاظ على الشخصية العربية الاسلامية الجزائرية من التفسخ والذوبان في بوتقة الحضارة الغربية المسيحية (59) ، أمر لا تشوبه شائبة الريب ونقص البيان ،إذ أنها عملت على تعليم القرآن الكريم وتحفيظه ونشره بين الأجيال الجزائرية وتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية ولو بصورة ثانوية في بعض الأحيان ، واحتضنت الفقهاء وآوت المساكين وقدمت لهم العون والمساعدات المجانية الممكنة ماديا وثقافيا وساعدتهم على شق طريق الحياة في المستقبل ، فتخرج منها أجيال من المقفين وارتبط البعض منهم بحركة النهضة الفكرية والاصلاحية في القرن التاسع عشر والعشرين (60) ، ويضيف توفيق المدني في هذا الصدد : لبعض الطرق الصوفية بقطرنا هذا الجزائر مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر ، تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الاسلام لهذه البلاد ، وعمل رجالها على ارجاع الضالين إلى سواء السبيل وتعليم الناشئين وبث العلم في صدور

الرجال ولولا تلك الجهود العظيمة التي بذ لوها والتي نقف أمامها موقف المعترف المعجب لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثرا للغة ولا لعلوم الدين " . (61)

استجماعا للبيان ، يمكن استجلاء الدّور الرّيادي الدّ يني والثّقافي للزوايا من خلال مايلي :

1) ــ اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم ونشره بصورة مكثفة بين الأجيال الجزائرية الجزائرية المتعاقبة وعمّمته بين مختلف الطبقات الاجتماعية وساعد ذلك على حمايته من النسيان والضياع والاندثار .

2) ــ احتضنت اللغة والثقافة العربية الاسلامية ونشرتها بشكل واسع ومكثف وفتحت أبوابها لطلاب العلم والمعرفة وأنفقت عليهم بسخاء وكان ذلك شكلا من أشكال مقاومة الجهل والأمية ونشر العلم والمعرفة وعملا ضد سياسة التجهيل المنتهجة في حق الجزائريين .

3) ــ عملت على نشر الاسلام في المواطن والأصقاع التي لم يصل إليها ، خاصة الأقاليم الصحراوية ، كما فعلت التيجانية والسنوسية ، وهذا ما يشكل في حد ذاته دعاية مضادة للحركة التنصيرية التي مدّت نفوذها إلى الصحراء. (62)

صفاوة القول يمكن البوح بأنّ الزوايا كانت أقرب ماتكون الى المراكز والمؤسسات الثقافية النشيطة منها الى شيىء آخر ، فقد كانت تهيىء الطلاب على أن يتابعوا دراساتهم في احدى الجامعات الاسلامية ، ولاسيما الزيتونة بتونس والقرويين بفاس . فقد هدّم الاستعمار المدارس والمساجد التي كانت قائمة في المدن الضخمة ولكنه عجز عجزا مبينا على أن تمتد يداه الى ماكان في البوادي النائية والقرى المنعزلة ، من مؤسسات ثقافية على ما قد توصف به من تواضع محدود ، فإنها كانت مخلصة في الرسالة مؤمنة بالمبدأ ، فكان الطلاب يحفظون القرآن والحديث والمتون الفقهية والنحوية ثم يتدارسونها في أعماق البوادي وقمم الجبال وضلال الغابات ولدى ساقات النخيل ، وعلى ضفاف الأنهار . أرأيت أنّ الناس في البوادي كانوا يعرفون معظم مايجب أ ن يعرف على الاسلام وتاريخه ورجاله من حيث لم يكونوا

يعرفون شيئا قليلا أو كثيرا من هذا الاستعمار وحضارته وتاريخه لأنّ الجزائريين بحكم أنهم يختلفون عنه في العقيدة واللغة والجنس والتاريخ ، فكانوا ينظرون إليه نظرة مليئة بالحذر والتحفظ والخوف جميعا وكان هذا الحذر يغريهم بأن يزيدوا تعلقا بما لهم من ثقافة وحرصا على ما عرفوا من علم (63). تبعا لذلك كله اعترف مكماهون " أنّ مراقبة الزوايا عملية صعبة رغم المجهودات الكبيرة التي بذلت في سبيل ذلك لأنه يجب قضاء حياة كاملة لمن أراد أن يعرف بالضبط مايصنع وما يقال فيها " . (64)

وفي تقرير لجنة مجلس الشوخ الفرنسي التي زارت الجزائر في عام 1891م كتبت معترفة بتجهيل حكومتها للشعب الجزائري وتثقيف الزوايا له : " إنّ التعليم المقدم حاليا في الجزائر متروك في أيدي الأهالي والزاوية التي يدرس فيها القرآن وتفسيره هي المؤسسة العليمية والتربوية الوحيدة في البلاد . (65)

ب ــ **دور الكتاتيب القرآنية :**

امّا الكتاتيب القرآنية فقد ارتبطت وظيفتها بتحفيظ القرآن الكريم وترتيله وقد دعت الحاجة لتأسيسها من أجل تجنيب المساجد أوساخ الأطفال وضوضاءهم والاحتفاظ بطهارتها ، ولقد تكثفت في العهد الاستعماري الفرنسي رغم محاربته لها ،كأسلوب ووسيلة لمواجهة سياسة الفرنسة والتنصير وحماية الشخصية الاسلامية للجزائر ولمقاومة سياسة التجهيل التي كانت تتبعها الادارة الفرنسية في الجزائر ، فلقد تواجدت هذه الكتاتيب في كل الحواضر والقرى بصورة مكثفة ، ويطلق عليها في الجزائر الوسطى اسم " المسيد " ويتولى تحفيظ القرآن فيها حفظة القرآن الكريم الذين يطلق عليهم اسم الطلبة (بضم الطاء المشددة وسكون اللام) في بعض الجهات والفقهاء في الجهات الأخرى ، والمشايخ في غيرها (66) . ومعظم هذه الكتاتيب القرآنية في الجزائر بسيطة المظهر والمبنى ، قليل ة الامكانيات المادية وأصحابها " الطلبة أو المشايخ " من الطبقة الفقيرة جدا والكادحة يتصدون لتعليم القرآن في هذه الكتاتيب للحصول على لقمة العيش أساسا .

ومن ضمن هذه الكتاتيب والمسيدات في حي القصبة وحده بالعاصمة في القرن التاسع عشر نذكر :

مسيد بريقصة
مسيد سيدي بوقدور وضريحه
مسيد الحمامات
مسيد جامع الزاوية (زاوية سيدي محمد الشريف الزهار)
مسيد جامع السفير .

ورغم المظهر المزري أحيانا لهذه الكتاتيب القرآنية وفقر أصحابها ، ورغم الأساليب العتيقة المختلفة التي كانت تطبق وتتبع داخلها ، فإنّ دورها هام جدا في المحافظة على القرآن الكريم وعلى الطابع الاسلامي للجزائر شكلا ومحتوى وفي افشال الهجمة الفرنسية على الثقافة الوطنية ، وهذا ما يفسر لنا انتشار حفظة القرآن الكريم (منطلق الحركة التعليمية والتثقيفية الاسلامية الجزائرية) بين الجزائريين في مرحلةالدراسة. .

ج – <u>دور المساجد :</u>

أما المساجد ، فإنه لا يختلف جزائريان في كونها أبرز المؤسسات الدينية التعليمية والتثقيفية ، والتي عملت على الحفاظ على الشخصية الوطنية الجزائرية ، فلا تكاد تخلو منه قرية من القرى الجزائرية . فقد كان مركزا للعبادة ، يجتمع فيه الناس لأداء فريضة الصلاة جماعة والاستماع الى ارشاد ووعظ الأئمة ، يضاف الى ذلك دورها الطلائعي في غرس المبادىء الأساسية في نفوس الأطفال ، حيث يتلق أطفال القرى من المساجد المبادىء الأولية في القراءة ةالكتابة قبل ان ينطلقوا في تحفيظ القرآن الكريم استعدادا لذهابهم أو بعض منهم للالتحاق بالزاوية التي يواصلون فيها عملية التعلم والتثقيف ، فقد كانت إذن ملتقا للعباد ومجمعا للأعيان ، ومنشطة الحياة العلمية والاجتماعية ، وهي قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة . لقد حرص الجزائريون عامة على اقامتها وترميمها وتوسيعها كلما دعت الحاجة إلى ذلك وكانت تعتبر بمثابة النادي (بالتعبير الحديث) يجتمع فيها سكان القرى يوميا عند عودة الأهالي من أعمالهم اليومية أو من

أسفارهم ، وفيها تعرض المشاكل وتطرح المسائل للنقاش تحت رئاسة امام المسجد وعقلاء القرية . والواقع أنّ وظيفة المساجد في ميدان التعليم قد اختلطت بوظيفة الزوايا والمدرسة احيانا ، فقد كانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أنواعه وكانت بعض الزوايا عبارة على مدارس ، كما كانت مساكن للطلبة الذين يدرسون في المدارس أو المساجد وكانت بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى ملحقة بالمساجد لأنه كثيراما كان ينص على تأسيس زاوية وجامع ومدرسة في نفس الوقت لذلك فإنه من الصعب تمييز الوظائف التي تؤديها هذه المؤسسات مجتمعة في مجتمع يقوم فيه التعليم قبل كل شيىء على الدين و تلعب فيه المساجد والزوايا (وليس المدارس) الدور الرئيسي . (67)

إنّ مجموع هذه المؤسسات الدينية الثقافية ، قاومت وصمدت وواصلت رسالتها الحضارية بجد وعناد بفضل تأييد الشعب الجزائري لها وانفاقه بسخاء على نشاطات رجالها وطلبتها وتلاميذها .فكثر بناء المساجد والمدارس والكتاتيب ، وكثر ظهور الزوايا الجديدة وبالغ الشعب في اكرام رجالها والانفاق على مشاريعهم الدينية والثقافية والاجتماعية كأسلوب من أساليب مقاومة السيطرة الاستعمارية والحركة التنصيرية وإبراز مقومات الحصانة الدينية للمجتمع الجزائري . و لعلنا إننا لا نجافي الحقيقة إذا قلنا انّ الجزائريين أمكنهم تعويض ما فقدوه ثقافيا ، فبعد العهود الأولى من المقاومة المسلحة ، وتمزيق الحياة الاقتصادية ةالاجتماعية للانسان الجزائري ، عاد الجزائريون إلى وسائلهم القديمة في التعليم باللجوء إلى الكتاتيب والزوايا التي وإن لم تعطهم قدرا كبيرا من العلم فإنها أشبعت نهمهم الروحي وظلت تربطهم بماضيهم كما أعطتهم سلاحا قويا في استمرارية عملية المقاومة والوقوف ضد ذوبان الشخصية الوطنية في شخصية المستعمر .

إنّ بعض الدارسين قد يحكمون على نوع التعليم القرآني في الكتاتيب التقليدية والزوايا بالتاخر عن مسايرة العصر ولكنّه في نظرنا كان نوعا من التعليم المقاوم ،أي أنّه كان يمثل أساس ايديولوجية وطنية تقوم على رفض الوجود الاستعماري المتعالي (68

3 ـ الإنبعاث الثّقافي الجزائري في بداية القرن العشرين

1ـ مفهوم الإنبعاث الثّقافي الجزائري

2 ـ من عوامل الإنبعاث الثّقافي بالجزائر في بداية القرن العشرين :

أ - تأثير نداء الجامعة الإسلامية بالجزائر وعودة الاتصال الثقافي بالمشرق

ب- عواقب السياسة الإستعمارية الفرنسية بالجزائر :

- إفرازات حركة التعليم بشقيها العربي الإسلامي والأروبي الغربي المسيحي

- حصول المستوطنين على الإ ستقلال المالي في الجزائربداية من سنة 1900م

- مبالغة الإستعمار في تطبيق سياسة الزّجر والإرهاب والتفقير والتجهيل والحيف السياسي

ج - سياسة جونار الثقافية مع بداية القرن العشرين

د - التفاعل الثقافي المغاربي وقيام حركة هجرة واسعة من الجزائر إلى المشرق العربي وأوروبا

ه - إنتشار البدع والإعتقاد بالخرافات وطغيان الطّرقية

3 ــ العنـــاصر الفاعـــلة في الإ نبعـــاث الثقـــــــافي في الجـــــزائر:

أ - فئة المحـــــافـــظـــين

ب - فئة النّـــــخـــــبـــــة

4 - أشكـــــــالـــــــه ومظـــــــاهـــــــره:

أ - حركية الصّحافة الوطنية

ب - نشاط الجمعيات والنّوادي الثقافية الجزائرية

ج ــ إ حياء وبعث التراث الفكري والحضاري للشعب الجزائري

د ــ تجديد وإ حياء العمران المغربي الاسلامي وتنشيط التعليم بالمساجد

3 ــ الإنبعاث الثقافي الجزائري في بداية القرن العشرين :

أ ــ مفهوم الإنبعاث الثقافي الجزائري :

يقصد بهذا المصطلح أو مادرج على تسميته ، بعض المؤرخين الجزائريين ، بالنّهضة الثقافية الجزائرية ، تلك الحركية التيّ عرفتها الجزائر المستعمرة مع بداية القرن العشرين من جراء فعالية نشاط الصحافة الجزائرية ، بشقيها العربي والفرنسي ، ومن خلال عكوف بعض من الأعلام الجزائريين على إحياء التراث الثقافي الجزائري بفعل تنشيط عملية التأليف والترجمة وإعادة طبع التراث المكتوب ، وتأسيس النوادي والجمعيات الثقافية، والسّعي نحو محاولة توطيد الإتصال الثقافي والفكري بين المغرب العربي ومشرقه من جهة ، و الأخذ بأسباب التقدم الحضاري من جراء الإحتكاك المتواصل بالثقافة والنظم الحضارية الأروبية من جهة أخرى ، خاصة بعد إدراك الجزائريين الحصيف لحجم التأخروالهوّة الحضارية التيّ أوجدها التواجد الإستعماري الفرنسي في الجزائر. هذا الإنبعاث جسدته فئتين من المثقفين الجزائريين والذين ، حتى وإن إختلف تكوينهم ،فإنهم عملوا على خدمة القضية الوطنية . يمثل الفئة الأولى جملة من العلماء والفقهاء المصلحين والمثقفين ذوي التكوين العربي الإسلامي ، منهم من زاول تعليمه في المدرسة التقليدية الجزائرية ومنهم من أكمل دراسته في الزيتونة ، القرويين ، الأزهر، الشّام ، الحجاز، وغيرها من حواضر العالم الإسلامي و تعرف هذه الجماعة بفئة **المحافظين**. ويمثل الفئة الثانية جملة من المثقفين الجزائريين ثقافة فرنسية بحكم تكوّنهم في المدارس وحتىّ المعاهد الفرنسية ، فكانوا أقرب إلى إغتراف العلم ونهل المعرفة من المنظومة التعليمية الفرنسية ، واقتباس أسس التقدم الحضاري ، وتعرف هذه الجماعة بفئة **النخبة** .

لقد أكدّ الواقع التاريخي أنّ هذه المرحلة من تاريخ الجزائر تعد حقبة هامة ، لأنّها الجسر التاريخي الذي يربط بين أصول الحركة الوطنية الجزائرية وبين إنطلاقتها في وجه رسمي، له معالمه السياسية على وجه الخصوص . فرغم إدعاء بعض المؤرخين أنّها كانت هادئة وراضية خلال هذه الفترة، فإنه أصبح واضحا جليا أنها كانت تعيش

ثقافيا نهضة نشيطة نسبيا ، وسياسيا تعيش في زخم كبيرمن جراء إعتماد هذه النهضة في تعبيرها على الضّغط السياسي والإبداع الثقافي بدل الثورات الشعبية العسكرية والمقاومة السلبية ،خاصة وأن المثقفين الجزائريين أيقنوا أن فرنسا كانت قوة لايمكن أن تنهزم بالوسائل التقليدية ، ذلك أن جزائر بداية القرن العشرين قد خضعت لإضطهادات جديدة خوفا من ظهور الوطنية أوخوفا من التعصب ،كما كان الفرنسيون يعبرون عنه عندئذ. فالنهضة إذن كانت فكرة جماعية للتعبير عن تطورات ثقافية وسياسية وإجتماعية لم تكن معروفة في الجزائر،أرادت أن تتخلص من الحكم الفرنسي بطرق جديدة (69).

ففرنسا القرن التاسع عشر رغم أنها لم تكن قادرة على تهدئة الجزائر ،كانت بحكم قوتها العسكرية وتعاون المستوطنين ، وطرقها في القضاء على الثورات (الإبادة الجماعية ،الأرض المحروقة ، التغريم الجماعي ومصادرة الأراضي ...) وإستثماراتها الإقتصادية، وبإصرارها على التسلل إلى إفريقيا عن طريق الجزائر كانت قوية إلى درجة أنها تستطيع تحطيم أية حركة وطنية تستعمل نفس الطريقة القديمة (70) .

إدراكا لهذه المعطيات الجديدة إستطاعت الطبقة المثقفة الجزائرية أن تجد من الأسباب القوية ما يدفعها إلى تطوير أساليب النضال بما يكفل لها الإفادة من تجارب الماضي وما حاط بها من تطورات معاصرة هامة. وتتلخص تلك الأسباب فيما يلي :

أولا : فشل الثورات السابقة الذي أظهر ضعف الحركة الوطنية

ثانيا : الإجراءات التعسفية التي إستعملتها فرنسا لوقف الثورات الشعبية الوطنية

ثالثا : ظهور النخبة المثقفة التي أعطت محتوى جديدا للحركة الوطنية وحتمت تغييرا في المناورات

رابعا : ظهور إيديولوجيات جديدة على المسرح العالمي مثل الجامعة الإسلامية في الشرق الأدنى والإشتراكية في أوروبا ، وتنافس الدول الكبرى (الإمبريالية) على المسرح العالمي (71) .

ب ــ من عوامل بروز الإ نبعاث الثقافي الجزائري في بداية القرن العشرين :

يمكن جمع العوامل والأسباب الكامنة وراء إنبلاج الإنبعاث الثقافي الجزائري مع بداية القرن العشرين في النقاط التالية :

1) ــ تأثير نداء الجامعة الإسلامية بالجزائر وعودة الإتصال الثقافي مع المشرق الإسلامي:

من الممكن تعريف الجامعة الإسلامية بأنّها حركة تدعو إلى التضامن بين المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الإستعماري الأروبي ، أما وسائلها فتقوم على الإصلاح الدّيني و الإجتماعي وذلك بتمجيد العقل والعودة إلى مذهب السلف ،أي العصر الذهبي للإسلام ،على عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين. ومن الشائع أنّ هذه الحركة بدأت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر،وأصحاب هذه الحركة جمال الدين الأفغاني (1838-1897) وتابعه محمد عبده (1849-1905) ورشيد رضا (1865-1935) وآخرون (72) . أمّا على المستوى الرّسمي فإنّ عبد الحميد الثاني (1876-1909) سلطان الدولة العثمانية ، هوالذّي تبنى حركة الجامعة الإسلامية وإستغلها. ومن المعروف أن الهدف الرئيسي للجامعة الإسلامية هو وحدة المسلمين تحت خلافة قوية ، ولهذا السبب رأى عبد الحميد الثاني أنه هو الرمز الروحي والسياسي لهذه الحركة (73) . لقد كان عبد الحميد الثاني محبوبا في الجزائر ومنتظرا من الجماهير كرجل الساعة ، ولاشك أنّ عواطف الجامعة الإسلامية التّي وجدت منذ الإحتلال(74) وسياسة الفرنسيين التعسفية والدعاية من الشرق الأدنى كلّ ذلك زاد من سمعة عبد الحميد الثاني في الجزائر كمنقذ منتظر. يضاف إلى ذلك تمتع بعض زعماء الجامعة الإسلامية في الشرق الأدنى بسمعة طيبة في الجزائر، وقع ذلك بخصوص الأفغاني ومحمد عبده ،بل إنّ الأخير زار الجزائر سنة 1903 م (75) ، حوالي سنتين قبل وفاته . وتكلّم محمد عبده أمام بعض الجزائريين في إصلاح الإسلام والنهضة في الشرق الأدنى وتضامن المسلمين ، وقد تركزت إتصالاته

مع بعض الجزائريين ، لاسيما العناصر المحافظة (76) إنطباعا حسنا إستمر وقتا طويلا (77) ، فكان لزيارته تأثير على الحياة الثقافية في بداية القرن العشرين ،ولعلّ الزّيارة في حدّ ذاتها ليست بذات أهمية لكن أبعادها كانت مهمة . ذلك أنّ جونار (jonnart (78) الحاكم العام في الجزائر ، قد سمح لمجلة المنار (79) ، لسان حال الحركة العبدوية ، بالدخول إلى الجزائر ، فكانت هذه المجلة عبارة عن مدرسة إصلاحية متنقلة . كما سمحت السلطات الفرنسية ،على عهد جونار أيضا ، بإعلان بعض المثقفين الجزائريين الذّين يديرون الصحافة (80) أنّهم من أتباع محمد عبده وأنهم يعبرون عن وجهة نظره الإصلاحية (81) .

ورغم الرقابة الرّسمية فإن الصحافة والكتب العربية الشرقية كانت تجد طريقها إلى الجزائر عبر تونس التي إعتبرت من أهم القناطر التي عبرت عليها دعاية الجامعة الإسلامية إلى الجزائر ،ونظرا لحالة الحماية فيها ولأبوابها المفتوحة على الشرق الأدنى ولسخطها السياسي الدائم ضد فرنسا ، فإنّ تونس لم تكن فردوسا للمثقفين الجزائريين فحسب ، بل كانت أيضا مبعث الدعاية المضادة لفرنسا التي تسربت إلى الجزائر في شكل جرائد وكتب ومنشورات (82) . وكان الهجوم على فرنسا في ذلك كله مركزا على معاملتها للإسلام وللعروبة في الجزائر ، كما كانت الصحافة ، على وجه الخصوص ، تدعو الجزائريين إلى رفض التغريب والإحتفاظ بأحوالهم الشخصية كمسلمين في وجه إمكانية التجنيس (83)

هذه الأمور في مجملها تشكل قرائن للدّلالة على أنّ النهضة العربية بالمشرق ساهمت في عودة الإتصال الفكري بينه وبين المغرب العربي ككل .

تضاف إلى هذه النشاطات الإسلامية ، أحداث بارزة كان لها الأثر البالغ على حياة الجزائريين عامة والمثقفين خاصة ،تمثلت في إحتلال فرنسا لتونس سنة 1881م ، وإحتلال بريطانيا لمصر سنة 1882م، والحركة المهدوية في السودان وإحتلال المغرب الأقصى سنة 1912م والحرب الليبية- الإيطالية بين سنتي 1911م-1912م ، ووقوع الإنقلاب العثماني سنة 1908م . فالعالم الإسلامي كان يعيش أحداثا جساما، وكانت الجزائر التي سبقت غيرها في المعاناة من هذا

اللإحتلال والتدخل الأجنبي تتابع بوعي تلك الأحداث وتعيشها، وقد ظهر ذلك في شكل نهضة ثقافية ذات طابع إسلامي ، برزت معالمه في الصحافة الوطنية ،وفي نشاطات النّوادي والجمعيات الثقافية وفي حركة التأليف والترجمة ونشر التراث القديم (84) .

2) ــ عواقب وآثار السّياسة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر :

تمخّض عن السياسة الإستعمارية الفرنسية المنتهجة في الجزائر عواقب وآثار شكلت دفعا قويا كان له وزنه في سلوك المثقفين الجزائريين لنهج الإحياء والإنبعاث الثقافي ، والذّي يعتبر قاعدة أساسية ومنطلق لا يمكن أن ينكر دوره وفعاليته أيّ دارس لمسار الحركة الوطنية الجزائرية ، ومن ثمّ أمكننا إستجلاء ذلك من خلال النقاط التالية :

ــ إفرازات حركة التعليم بشقيها العربي الإسلامي والأروبي الغربي :

بحيث كوّنت جيلا من المثقفين الواعين أصبح يحس بمعاناة الشعب الجزائري في الميادين السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية والدينية ، وبالقهر المسلّط عليه طوال أكثر من سبعين عاما.

فالزوايا (85) والمساجد والمدارس والكتاتيب القرآنية والمعمرات ،رغم مقاومة الإدارة الإستعمارية لها ومحاربتها لرسالتها الحضارية ، فإنها إحتظنت الثقافة العربية الإسلامية وذويها ومريديها ،وآوت الساعين لها والباحثين عنها ونشرت الفكر والثقافة والتعليم في كل أنحاء الجزائر وأنفقت بسخاء من أجلها وفي سبيلها الأموال الطائلة والجهود المتواصلة التيّ لايمكن لأحد أن ينكرها أو يجحد آثارها الحسنة (86) . وكان من ضمن نتائج ذلك ظهور جيل من الرّواد المثقفين في مطلع القرن العشرين حملوا على عاتقهم لواء حفظ وحماية الوجه العربي الإسلامي لهذه البلاد وأهلها وقاوموا سياسة الفرنسة والتعليم التي حاولت الإدارة الإستعمارية أن تطبقها لتمسخ البلاد وأهلها وتاريخها وحضارتها العريقة ، وخير مثال لهذا الجيل من الرّواد: **عبد الحميد بن سماية، والشيخ المولود بن الموهوب ، والشيخ حمدان لونيسي ، وعبد القادر المجاوي ، والمولود الحافظي ، والشيخ**

العقبي ، والإبراهيمي، والشّيوخ حميدة ،المكي ،وعبد الحميد بن باديس وغيرهم كثير (87) .

وأما المدارس الفرنسية ــ العربية التي أنشأت في الجزائر وقسنطينة وتلمسان(88)لتكوين مترجمين محلفين يساعدون الإدارة الإستعمارية على إحكام سيطرتها السياسية والإدارية على البلاد (89) ، خرّجت هي الأخرى جيلا من ذوي الثقافة المزدوجة ،شارك الكثير منهم في رفع الوعي الفكري والثقافي والإجتماعي، بل وحتّى السياسي للسكان الجزائريين ،علىالأقل المتصلين بهم على الدّوام . ومن نماذج هؤلاء نذكر على سبيل المثال لاالحصر : **محمد بن أبي شنب ،محمد بن رحّال ،السعيد بن زكري ،وأبو يعلى الزواوي وغيرهم** (90). كما خرّجت الثانويات والكليات والمعاهد الفرنسية بالجزائر وفرنسا، هي الأخرى ، جيلامن المثقفين ،لايمكن أبدا أن ينكر دورهم في بعث وميلاد الحركة الوطنية الجزائرية في مطلع القرن العشرين ،وذلك رغم إختلاف تخصصاتهم وميولهم وأفكارهم وإتجاهاتهم ومستوياتهم العلمية والفكرية فمنهم الأطباء ،الصيادلة ،المحامون ،الأساتذة ،المعلمون ،الصحفيون ،وكبار التجار وقدماء المحاربين ،ومن أمثلتهم :**عمر راسم ، الصادق دندان ، بلقاسم بن التهامي ،ابن جلول ،فرحات عباس ، الأمير خالد وغيرهم** (91). ويمكن الإدلاء بالقول في هذا المقام بأنّه من أساتذة هذه المدارس من كان يجنح في دروسه إلى وطنه لا إلى الإحتلال ، بمناخ المادة التدريسية الدينية والقضائية واللّغوية فيها، فكاد في مثل هذه المدارس أن ينقلب السّحر على السّاحر وهي تخرج من حين لآخر وطنيا لاعميلا للإستعمار ، فبينما كان هذا الأخير يحسب أنّه يكوّن رجالا يخدمونه ، أدرك أنّه نفخ روح العداء بسياسته في بعضهم .(92)

ــ <u>حصول المستوطنين على الإستقلال المالي في الجزائر :</u>

تمكّن المستوطنون ، وفقا لقانون 19 ديسمبر 1900م من الحصول على الإستقلال المالي بعد أن أصبحت للجزائر المستعمرة شخصيتها المدنية ،حيث تقوم فرنسا بصرف الأموال علىالجيش الذي ينحصر دوره في توفير الأمن (93). وبعبارة أخرى فإنّه بصدور هذا

القانون ،إنتقلت السلطة الفعلية إلى يدّ النواب الأروبيين في المجلس المالي الذي أقاموه في العاصمة وبدأوا يشرّعون فيه لأنفسهم ، ويتخذون جميع القرارات المالية التّي تخدم مصالحهم دون تدخل من باريس ، فلهم إستقلالهم المالي وعلى الحاكم العام تنفيذ قراراتهم التّي يتخذونها في البرلمان الصغير الذي تم إنشاؤه أساسا لخدمة مصالح 1 /10 السكان الذين ينحدرون من أصل أروبي ويهودي ، وحرمان 10/9 من السّكان من الحقوق الطبيعية التي يحصل عليها عادة أي إنسان يقيم في أرض آبائه وأجداده . (94)

ومن زاوية أخرى وجب التذكير أنه بفضل هذا القانون أعطيت يدا حرة إلى المستوطنين لكي يديروا كل الشؤون المالية و الإجتماعية والإقتصادية الخاصة بالجزائر ، إذ أن القانون أعطاهم قوة مراقبة الميزانية الجزائرية وشبكة السّكة الحديدية والمواصلات والغاز والكهرباء...، وهكذا فإنّهم قد حصلوا على القوّة التي شنوا من أجلها أكثر حملات الضغط السياسي حرارة منذ التسعينات من القرن التاسع عشر . والحقيقة أن واقع الجزائر تحت وابل هذه الوضعية أضحى أسوأ مما كان عليه سلفا، ذلك أن قانون 1900م كان إنتصارا للجزائر الفرنسية (95) ، ونظرا للتمثيل النيابي الذي كان لهم في المجلس الوطني بباريس فقد كان في إستطاعتهم أيضا أن يضغطوا بشدّة لكي يمنعوا أويحصلوا على القوانين الخاصة بالجزائر، والإستقلال المالي جعل منهم سادة البلاد الحقيقيين لأنهم كانوا يؤثرون على الحاكم العام وعلى رؤساء العمالات والبلديات ،بالإضافة إلى التحكم في الجزائريين الذين يمثّلون المصدر الرئيسي لدفع الضرائب الثقيلة ،الأمر الذي جعلهم يشكون من إستغلال المستوطنين لهم ، فبحكم اشرافهم على الميزانية، فإنهم أهملوا حاجات الأهالي الإقتصادية والإجتماعية ووجّهوا المصاريف إلى مشروعات لا تفيد إلاّ أنفسهم. من ذلك شكوى الجزائريين من أنّه لاوجود للتدريب التقني ، وليس هناك إلاّ مدارس مهنية قليلة ، ولاتعليم للعربية ولاقروض فلاحية ولا عناية صحية ولا مستشفيات(96).

هذه الوضعية المتدهورة أقلقت بال المثقفين الجزائريين فجعلتهم يجنحون إلى المطالبة بتحسين الأوضاع بوسائل حضارية للتخفيف من حدّة المعاناة الجزائرية لدى السلطات الإستعمارية الفرنسية .

ـ مبالغة الإستعمار الفرنسي في تطبيق سياسة الزجر والإرهاب والتفقير والتجهيل والحيف السياسي:
تمثلت مظاهرها إجمالا فيما يلي :

1- منح الوالي العام سلطات مطلقة بمقتضى قرار 23 أوت 1898م ليحكم الجزائريين كما يشاء، ويفعل بهم ما يريد دون أن يحاسب أو يعاقب .

2- منع الجزائريين من إنتخاب ممثلين عنهم في المجالس العامّة البلدية والعمالية (97) والمالية وغيرها، وقصر ذلك على بعض العائلات الموالية للإدارة الإستعمارية ، و حتّى عندما سمحت بذلك إشترطت ألاّ يزيد عدد الأعضاء الجزائريين على الرّبع مهما كان عدد أعضاء المجلس وذلك حتى لا تكون لديهم أيّة فعالية .

3- إرهاق الجزائريين بالضرائب الباهضة التي لاتتناسب مع إمكانياتهم المادية ،و فرض عليهم ضريبة خاصة تعرف بالضريبة العربية زيادة على الضريبة العامة ، و إشتداد ظاهرة مصادرة الأراضي العقارية و المنقولة بمختلف الوسائل (98) .

4- طبقت عليهم قوانين الأنديجينا الزّجرية code de l' indigenat) 4 ـ ، التي وضعت خصيصا لهم بعد عام 1871م وبقي العمل بها حتّى عام 1930م ، ثم ألغيت نظريا وبقيت تطبّق حتّى 1962م وهي قوانين زجرية لا صلة لها إطلاقا بالقانون المدني العام (99).

5ـ منع الجزائريين من أداء فريضة الحج عام 1908م ،وسبب المنع ،بناء على القرار، هو وجود داء الطاعون و الكوليرا في الشرق الأدنى

في ذلك الوقت ،وفي حقيقة الأمر فإن ذلك مرده الخوف من إنتقال العدوى الثورية إلى الجزائر بعد حدوث الإنقلاب العثماني سنة 1908م (100) من جهة ، ومن جهة أخرى منع التأثر بالحركات الإصلاحية بالمشرق و بفكرة الجامعة الإسلامية (101) .

6 ــ إخضاع الجزائريين للمحاكم الزّجرية الرّادعة التي أنشأت خصيصا لهم عام 1903م لمحاكمتهم بالقوانين الزجرية التّي لاصلة لها بالقانون المدني العام ، وذلك إثر إنتفاضة عين التركي بمليانة عام 1901م . (102)

7ــ صدور قانون التجنيد الإجباري للشبان الجزائريين في الجيش الفرنسي خلال شهر فيفري 1912م وتجند الجزائريين قاطبة لمقاومة ذلك القرار ومنع تطبيقه . (103)

3) ــ سياسة جونار الثقافية مع بداية القرن العشرين :

درج الحاكم العام جونار(104) على تطبيق سياسة ثقافية أهلية واضحة ، كان يهدف من ورائها إلى جلب طبقة من المثقفين إلى فرنسا من جهة ، وجعلهم أداة إيجابية لبث رسالة فرنسا الحضارية التي لم تنل الجزائر إلا جوانبها السلبية وسط الجزائريين من جهة أخرى ،كما أمر جونار كذلك بنشر أعمال جزائرية إسلامية وقرّرها على المدارس التابعة لفرنسا ،وأمر من جانب آخر حكام الأقاليم ونوابهم على حمل الجزائريين على حضور دروس المساجد التّي نظّمها وأعطاها شيئا من الحيوية بحركة تعيينات في الوظائف الدينية (105) و إلى جانب ذلك قام بتشجيع إحياء فن العمارة الإسلامي وبعث التراث المكتوب ، و التقرب من طبقة المثقفين التقليديين (المحافظين) وتشجيعهم على القيام بمهمتهم التقليدية كإقامة الدروس في المساجد ونحوها كما عمل على تجديد برامج التعليم العربية الفرنسية . (106)

ولم يكن تبنّي جونار لهذه المشاريع الثقافية والإصلاحية بقصد الرّفع من مستوى الجزائريين بقدر ماهو محاولة لتثبيت السّيطرة

الفرنسية على الجزائر . فهو الذي قال صراحة أنّ : المدرسة الإبتدائية التي تعتبر في فرنسا أساس الجمهورية ،هي أساس سيطرتنا في الجزائر. ولقد كان لسياسة جونار الثقافية في الجزائر أبعد الأثر على الحياة الثقافية الجزائرية متمثلة في دفع مسيرة الحياة الثقافية إلى الوجهة الفرنسية بتكوين ما إصطلح على تسميته بجماعة النخبة . (107)

4) ـ التفاعل الثقافي المغاربي وقيام حركة هجرة واسعة من الجزائر إلى المشرق العربي وأوروبا

شهدت الجزائر طلائع من الهجرات التعليمية إلى خارج الجزائر ، تمثلت في هجرات فردية إلى المشرق العربي الإسلامي أو جماعية منظمة إلى كلّ من الزّيتونة في تونس والقرويين بالمغرب الأقصى ، وفي حقيقة الأمر فإنّ اتجاه الهجرات العلمية إلى خارج الجزائر يدلّ على الطّموح العلمي الذّي ذاق ذرعا بالحالة الخانقة في الجزائر ولم يعد يشبع نهمه ما تقدّمه من حلقات العلم المحدودة الأفق والنطاق، في جهات متفرقة نائية، حاصرها المستعمر فعاشت بمعزل عن الرّوافد المطعمة بجدية (108) ، فكانت تونس ،على سبيل المثال لا الحصر، ،مفتحة الأبواب للمشرق العربي ،لايمنع عنها صحيفة وكتيبة ،كما يفعل في الجزائر ،فامتلأت مكتباتها بالكتب العربية القيمة التي تحبب العلم إلى الإنسان ، وتبني ملكات كلّ ذي رغبة في العرفان ،كما كانت الكتب المصرية الدّسمة والجرائد المصرية الوطنية ،وكلّ مجلاتها الرّاقية تصلها كل أسبوع فيتخطفها النّاس فيقرؤونها .يضاف إلى ذلك كلّه تعدّد النوادي الأدبية والسياسية كما كانت مكتبات سوق العطّارين والسرايرية مجمعا للعلماء (109) .

ولايمكن أن نغفل ، من جانب آخر، عن تلك البعثات المتّجهة صوب باريس لاستكمال دراستها في فرنسا وقليل هم أفرادها ولكن هذه البعثات استطاعت هي الأخرى أن تخلق جوّا ثقافيا وفكريا ،له منهجه التقدمي ومقاييسه السّياسية تلك التّي لاتبتعد في قليل أو كثير، عن جاذبية المستعمر، وهي التّي تكوّنت منها النخبة الجزائرية التّي جسّمت سياسة الذوبان في الوطن الأم . (110)

إنّنا لانجاور الحقيقة إذا أدلينا بالقول ، أنّ هذه الهجرات العلمية كان لها دورها الهام في توسيع آفاق النشاط الثقافي والسياسي بالجزائر في مطلع القرن العشرين ،لأنّ المهاجرين بالمشرق الإسلامي والغرب الأروبي، تعرفوا على ما يجري في العالم من حركات سياسية وكفاح للإستعمار وإحتكوا بالهيئات والأحزاب السياسية وتعرفوا على النّظم والقوانين وأساليب الحكم ، وأدركوا الفرق الكبير بين ما يجري في العالم وما يطّبق في بلادهم ،وعندما عادوا إليها شرعوا في ممارسة النشاط الثقافي و السياسي على غرار ماتعوّدوا عليه في الخارج . (111)

5) ـ إنتشار البدع والإعتقاد بالخرافات وطغيان الطرقية :

أدّى إنتشار البدع والخرافات نتيجة إستفحال نشاط الطرقية الضّال ، و الذّي لقي تشجيعا معتبرا من قبل السلطات الإستعمارية الفرنسية ، إلى إرتكاس ـــ ردّ فعل ـــ من طرف جماعة من الفقهاء المسلمين والعلماء السّنيين السّلفيين الذّين آلمتهم الحال الراهنة وأقلق ضميرهم سوء الحياة الإجتماعية وكثرة الضلال والإنحراف إلى الجاهلية ، وهؤلاء كانوا هم الرّواد الأوائل لحركة الإصلاح الدّيني والأخلاقي والإجتماعي، وهذا الدّاعي نبع من صميم المجتمع الجزائري عاملا مناقضا للحياة العقلية والإجتماعية المجمّدة . (112)
وأمّا الطرقية في حقيقتها الدينية ووجهتها العقائدية ، فهي كما صوّرها أحمد توفيق المدني : " وآل الأمر من هذه الزّوايا والطّرق إلى إحداث وثنية في الإسلام ما أنزل الله بها من سلطان ، وأصبح شيخ الطريقة أو المرابط في كثير من النّواحي يتّصف بأوصاف الرّبوبية . فهو الذي يعطي وهو الذي يمنع ، وهو الذي يقبض وهو الذي يبسط ، وهو منبع كلّ خير ومصدر كلّ شر .وتفشّت إثر ذلك بدع وأباطيل ، لا تشوّه وجه الإسلام السّمح وحده ، بل تسوّد وجه البشرية برمّتها ، يزعمون أنّهم يقومون بها زلفى وتقربا إلى الله ، كضرب الدّفوف والرّقص واختلاط الرّجال بالنّساء ، وأكل الحشرات السّامة والتّمرغ على الأشواك والتّشبّه بالحيوان الأعجم في مشيته وأصواته . سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون " . (113)

مع بداية القرن كانت الجزائر قد وصلت إلى هذا المنعرج الخطير في حياتها الدينية والفكرية ، بين عقيدة شوّهتها الأباطيل ،وتسلط عليها المستعمر ، فجردها من براء تها الأصلية ، وسالف دورها الحفاظي الذي قامت من أجله ،وسخّرها لأغراضه ، وبسط عليها حمايته ورعايته . وعقيدة جديدة تلبس مسموح التمدن والحضارة ، وأوسمة التزكية والتقدير ،وتحتل عواصم البلاد تبارك محتلها وغاصبها وتدعو له باسمه في خطب الجمعة ،وتمكّنه من رقاب الشعب باسم الدين ، ومن حريته باسم الأمن والإستقرار ، و تسخّر أقلامها للدّعاية له ، والتنويه به ،وألسنتها بالدّعوة لطاعته ،والخضـــــوع لأوامره . (114)

ج ــ العناصر الفاعلة في الإنبعاث الثقافي بالجزائر مع بداية القرن العشرين :

1) - **فئة المحافظين** : نعني بكلمة المحافظية ، بقاء الحالة الرّاهنة لمعارضة الأفكار الغربية والتجنيس و التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي ،وكلّ الخطط التّي تدخل تغيرات متطرفة إلى المجتمع الجزائري . أمّا على المستوى الثقافي فإنّ المحافظية الجزائرية كانت تعني الإبقاء على النّظم الإسلامية والتعليم العربي والقيم القديمة . وإذا ما أردنا أن نبرز تعريفا لهذه الزّمرة من الجزائريين فإنّه لا أبلغ من تعريف أبو القاسم سعد الله لهم ،حين كتب يقول : << نعني بالمحافظين كتلة من الجزائريين تتكون أساسا من المثقفين التقليديين أو العلماء ، من المحاربين القدماء ومن زعماء الدين، و بعض الإقطاعيين والمرابطين . وقد كان بعض هؤلاء معلّمين وممثلين نيابيين معينين تعيينا ، ومصلحين يؤمنون بالجامعة الإسلامية و صحفيين . كما كان بعضهم ينادون بالتقدم والتسامح والتعليم، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان منهم من ترك المقاومة وإنغمس في الغموض الديني والسّلبية المجرّدة >> . (115)

والملاحظ وجود كثير من الملامح المشتركة بين جميع أعضاء هذه الكتلة . فقد كانوا جميعا مؤيدين متحمسين للوطنية في شكلها القديم والجامعة الإسلامية ، كانوا أعداء غير مساومين لفكرة التّجنيس والخدمة

العسكرية تحت العلم الفرنسي وللتجديد على الطّريقة الغربية ، ثم أنّهم طوّروا ،ككتلة برنامجا جدير بالدّراسة ولم يكن معقدا كثيرا ، فقد كان يشمل على القاط التالية :

- المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والمستوطنين
- المساواة في الضرائب والفوائد من الميزانية
- الدّعوة إلى الجامعة الإسلامية
- معارضة التجنيس والتجنيد الإجباري
- إلغاء قانون الأهالي وكل الإجاءات التعسفية الأخرى
- إسترجاع العمل بنظام القضاء الإسلامي
- إحترام العادات والتقاليد الجزائرية
- نشر وإصلاح وسائل تعليم العربية
- عدم العنف
- حرية الهجرة ، ولاسيما نحو الشرق الأدنى

ونظرا إلى أنّ المحافظين لم يكونوا ينتمون إلى منظّمة منضبطة محدّدة ، فإن برنامجهم لم يكن محددا بوضوح ، كما كان غير مفهوم بالضبط من كلّ أعضاء الكتلة .
معظم هؤلاء الأعضاء كانوا على إتفاق بأن الجزائر لاتستطيع أن تهزم فرنسا وحدها. لذلك فإن الإبقاء على الشخصية الجزائرية ، ومقاومة كلّ خطط الفرنسيين لإذابة الجزائر والتضامن بين جميع المسلمين كانت في نظرهم هي ضمانات الإنتصار . (116)

أمّا عن مفهومهم للإصلاح السياسي والإجتماعي والثقافي فإنه يمكن القول أنّه لم يكن كلّ زعماء هذه الفئة أعداء للإصلاح ،والذين عارضوا التغيير فعلوا ذلك خوفا من أنه قد يؤدي إلى دمج الجزائر في فرنسا ،إنّ المنادين بالإصلاح كانوا منقسمين إلى جماعتين : **فالقسم الأول** أراد التغيير ولكن داخل الإطار العربي الإسلامي للجزائر. و بينما رفض أصحاب هذا القسم التجنيس والتعليم الإجباري الفرنسي ، طلبوا من فرنسا تنظيم المدارس العربية وإسترجاع العمل بالقضاء الإسلامي بالنسبة للجزائريين ، والمساواة في الحقوق السياسية ،وعدم التدخل في العادات والتقاليد الجزائرية . إن شعار هذا القسم من المحافظين كان

الإصلاح ولكن من خلال المحافظة على الشخصية الجزائرية وتقاليدها . وقد كان معظم أعضاء المحافظين ينتمون إلى هذا الجناح .
أمّا **القسم الثاني** فقد ذهب إلى حدّ تشجيع التعليم بالفرنسية للجزائريين وحمد رسالة فرنسا الحضارية في الجزائر . ولكن من الغلط أن نسمي هذا الجناح من الكتلة متطرفا . والحق أنّ هذا القسم قد عارض أيضا التجنيس، و الخدمة العسكرية الإجبارية ، والإندماج عموما. لقد قبل أعضاؤه بعض الإصلاحات

المتطرفة، ولكن دون تناقض مع الواقع الجزائري . فكان شعار هذا الجناح : الإصلاح بكل الوسائل ،لأنّ المجتمع الجزائري كان في أحطّ الدّرجات من التدهور، وكان المتحدثون باسم هذا الجناح هم : إبن الموهوب، المجاوي ، ابن رحال ، ابن سماية (117) .

2 فئةالنّخبة: تردد مصطلح النّخبة في هذه الفترة المعيّنة من تاريخ الجزائر كغيره من المصطلحات الإستعمارية التي إحتلت المقام الأول في نشرات الصحف والإجتماعات والمناقشات اليومية مثل الإدماج وما شابه ذلك . ومن هنا فالمصطلح الجديد (كونه يختلف عن المصطلح القديم ،الذي يمثل النخبة التقليدية أو المحافظة ذات التكوين العربي الإسلامي) ، كان وليد المدرسة الفرنسية التّي أرادها الإستعمار أن تكون دعامته الأساسية في فرض سيطرتها الكاملة على الجزائر. ويقصد بجماعة النّخبة (l'elite) أوالمثقفين (les intellectuels) أو المتطورين (les évolués) ، وهي أسماء رافقت كلمة النخبة ، ومن تعلموا في المدارس الفرنسية وتأثروا بالثقافة الأروبية وانبهروا بمظاهرها وتقاليدها واقتنعوا بعظمة فرنسا وبقوتها واعتبارها صاحبة الحق الشرعي في الجزائر، وهذا خلافا للنخبة التقليدية التي حافظت على إنتمائها الحضاري واستمرت في اتصالها مع المدارس العربية الإسلامية . وبذلك أصبح الفرنسيون هم المدافعون عن فرنسا في الجزائر والمتحمسين الأوائل لفكرة الإدماج مع دعاته الأصليين من الجمهوريين ، إلى جانب ذلك إرتموا في أحضان الحضارة الفرنسية وأنكروا أو تجاهلوا حضارتهم العربية الإسلامية بمطالبتهم بالتجنس بالجنسية الفرنسية حتّى يصبحوا في مصاف الفرنسيين والأروبيين أنفسهم من حيث وضعهم الإجتماعي والسياسي ، بل إنّ بعضهم قد بلغ

به التطرف إلى حد إنكار وجود شخصية جزائرية (118) . من جانب آخر يذكر أبو القاسم سعد الله قائلا :<< لقد كان لأعضاءهذه الكتلة برنامجهم ونظرياتهم الخاصة في السياسة الجزائرية . كانوا طموحين ومتفتحي العقل. لذلك فهم جديرون بإهتمام خاص نظرا لدورهم في دفع القضية الوطنية خلال عهد النهضة >>(119).

عرف أحد أعضاء جماعة النخبة (وهوابن حبيلس) جماعته فقال :<< إنّها ثريات الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادريين بأعمالهم ،أن يصعدوا فوق الجماهير وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين >> . أمّا المستعرب الفرنسي جورج مارسي ،الذي كان مديرا للمدرسة الجزائرية الإسلامية في تلمسان ،فلم يتفق مع هذا التعريف للنخبة الجزائرية . فهو لايعتبر النخبة تلك الأقلية من الموظفين والمحامين والصحافيين والمعلمين ، ولكن أولئك الجزائريين الذين جمعوا بين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية والذين يعرفون في نفس الوقت عن مؤلفي العصر الإسلامي الذهبي وعن كتاب التراث الفرنسي (120) . وقد عبّر علي مراد عن رأي شبيه بهذا في تعريفه للنخبة الجزائرية إذ قال بأنها جماعة يحسنون اللّغتين ، وينتمون إلى الطبقة المثقفة ، أي تلك الجماعة التي درست كلا من الحضارة العربية والفرنسية . (121)

ولم يكن تكوين جماعة النخبة محل إتفاق بين الكتاب أيضا . فأعضاء هذه الطبقة كانوا يعتبرون أنفسهم أقلية ممتازة منفصلة عن أغلبية ناقصة تتكون من فلاحين جهلة ، ومرابطين خرافين وعلماء رجعيين وأعيان مستسلمين .إن بعض الكتاب قد حاولوا توسيع عدد النخبة لكي يشمل المترجمين والمحامين والأطباء والمعلمين والقضاة والصحفيين وبعض التجار و العمال الزراعيين والطلبة .ويفضل آخرون أن لايطلقوا اسم النخبة الا على الفئات الستّ الأولى(122) ، ويبدو أن الفرق قد جاء من سوء فهم عبارة النخبة فالذين أضافوا إلى القائمة بعض التجار والعمال الزراعيين وأصحاب المهن الأخرى كانوا يتحدثون عن الطبقة الوسطى الجزائرية عموما ،بينما أولئك الذين ينعتون النخبة بأنها بعض الأطباء والمحامين والصحفيين كانوا يتحدثون عن الجماعة الجزائرية ذات الثقافة الفرنسية . (123)

أمّا سرفيي ، الصحفي والكاتب الفرنسي الذي كان يعيش في الجزائر فقد قارن النخبة الجزائرية بجماعة تركيا الفتاة وجماعة مصر الفتاة في الطموح والأمال في تولي الزعامة السياسية . (124)

وإذا كان مصطلح النخبة قد انتشر في القرن العشرين خاصة ليغطي نشرات الصحف وغيرها ، فمن المؤيد والمدعم لهذه الفكرة يا ترى؟. إن الصحافة الفرنسية بجميع أشكالها وألوانها والدوائر السياسية الفرنسية هي التي أطلقت إسم النخبة على جماعة من الناس تمييزا لهم عن بقية أفراد المجتمع ،وذلك تشجيعا لهم لمواصلة السير في طريق الإدماج والمطالبة بالجنسية الفرنسية لأنهم الوحيدين القادرون على التأثير على زملائهم وإخوانهم كونهم يملكون قوة فكرية وثقافية تجعلهم في الصف الأول من المجتمع ، بل وفي طليعته وبهذا يصبحون بحق الوسطاء النشيطين والفعليين بين المجموعتين المتباعدتين ثقافيا ودينيا . وقد لاحظ الكاتب الفرنسي مورال أنه لاتوجد نخبة واحدة في الجزائر ، وإنما عدة نخب ، قسمها إلىنخبة غير مفرنسة ونخبة مفرنسة . فالنخبة غير المفرنسة تشمل الإقطاعيين (الأسر الدينية والطرقية والزوايا الدينية وغيرها) ، العمال المناضلين (وهم روّاد الحركة الوطنية الجزائرية) ، والمثقفين بالثقافة العربية (العلماء المصلحون).أما النخبة المفرنسة فهي التي تلقت تعليما فرنسيا في المدارس الفرنسية في الجزائر ، و يلاحظ مورال الخلاف التالي :

- **نخبة نصف متعلمة أو متوسطة التعليم** ، وهي التي تملك المستوى الدّراسي الإبتدائي .
- **نخبة النخبة** ، وهي التي إستطاعت أن تدخل الجامعة أطباء ، صيادلة ، محامون ،أساتذة ، مهندسون ...وغيرهم . ويسميهم مورال بالعنصر الدّي يمثل البورجوازية الجديدة أو المثقفين المفرنسين الذين لم يصبحوا فرنسيين بمعنى الكلمة .

والحقيقة أنّ النخبة الأولى التي ينتمي إليها العمال المناضلون هي التي قادت التيار الإستقلالي والإنفصالي عن فرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية ، أو بمعنى آخر، أي التي نادت باستقلال الجزائر عن فرنسا منذ تأسيسها لأوّل حزب سياسي ، نظرا لظروفها السياسية والإجتماعية السيئة في المجتمع الإستعماري ، في حين نادت النخبة الثانية، أو نخبة النخبة كما يسميها مورال بالإدماج والتجنيس والمساواة والتسامح والمساواة والمواطنة الفرنسية لأن تكوينها كان فرنسيا خالصا وعاشت

في قلب المجتمع الفرنسي بإحتكاكها الحتمي مع الوسط الأروبي وعلاقاتها الوطيدة معه . فهي بعيدة عن واقعها العربي الإسلامي ، بل منقطعة الصلة والرحم معه في أسلوب حياتها وعيشها ،وهي التي سماها المؤرخ الفرنسي لوري بوليو بجماعة النخبة <<الجزائريين المتأوربين >>. (125)

غير أن جماعة النخبة (126) لم يكونوا مجرد عامل سلبي في عهد النهضة الجزائرية ، بل كانوا شغوفين في أن يلعبوا دوراوطنيا قد يجعل المجتمع الجزائري التقليدي والمتخلف مجتمعا حديثا ومتقدما . وقد كانت طريقة جماعة النخبة في تطبيق برنامجهم بسيطة . إنّهم بدأوا بالتفريق بين فرنسا الديمقراطية وفرنسا الإستبدادية ، ثم استغاثوا بالأولى ضدّ الثانية ، كما نادوا الفرنسيين الليبراليين والجمهوريين ضد المستوطنين المستغلين ،ولم يشترط هؤلاء على فرنسا إلا شرطا واحدا وهو أن لاتطلب منهم التخلي عن أحوالهم الشخصية كمسلمين. وبعبارة أخرى ،فإنهم طالبوا بإلغاء قانون الجنسية المعروف بالسيناتوس كونسلت الصادر سنة 1865م (على عهد بابليون الثالث) والذّي نص على أنّ الجزائري لايمكن أن يتمتع بامتيازات الجنسية الفرنسية إلاّ عندما يتخلى عن حالته الشخصية كمسلم ، وهذا المطلب الموجّه لفرنسا من جماعة النخبة ، رغم أنه يبدو بسيطا جدا ، يمثّل رمز تمسكهم بالوطنية (127) . وقد ذكّر جماعة النخبة الفرنسيين بأن الحضارة الإسلامية ، التي ينتمي إليها الجزائريون تكن احتراما بالغا للتقدم الأخلاقي والإنساني ، لذلك تقدموا بالإقتراحات التالية :

– وضع برنامج خاص لتعليم الجماهير الجزائرية موضع التنفيذ – إصلاح المدارس الجزائرية ــ الفرنسية ،التي أصبحت مثل أديرة التعليم الأروبية خلال العصورالوسطى أو الزوايا الجزائرية . – نشر التعليم الفرنسي والثقافة الأروبية لتطويرالمجتمع الجزائري ومن جهة أخرى وجّه جماعة النخبة عنايتهم إلى مشكلة الشباب الجزائري ،غير أنهم ميزوا بين شباب الأرياف ،حيث الخبز أكثرأهمية من الكتب ،وشباب المدن ،حيث المال والحالة العائلية تساعد عادة على الحصول على بعض التعليم الضروري . وفيما يخص الأحوال الإجتماعية للجزائريين فإنها نادت بمضاعفة الجمعيات الخيرية والمساعدات الطبّية والعناية بالكبار ،وإلغاء نظام الخمّاسة ،وتسهيل حتّى عملية الهجرة إلى

فرنسا لكونها سترفع من حالتهم المادية والمعنوية من خلال اتصالهم بالآخرين والتعرف على مجتمعات مختلفة . (128) وقد وجّه جماعة النخبة هجوماتهم أيضا ضدّ العراقيل الجزائرية في طريق التقدم : كتلة المحافظين . فقد إستنكروا مواقف هذه الطبقة واتهموهم بعداوة الوطنية ، ومعارضة التقدم والإسلام الحقيقي وقد إعتادت أن تسمي المحافظين **أصحاب العمائم القديمة والبرجوازية المتكبرة والإقطاعيين الكبار .ذلك أن المحافظين، في عين جماعة النخبة ،كانوا حواجز في طريق التقدم والإندماج لتعصبهم وإجحافهم وتمسكهم بالتقاليد(129).**

وإذا كان لابد من انتقاد ومؤاخذة هذه النخبة ، كونها أنكرت وجودها وأصالتها العربية الإسلامية ، فلا بد من دراسة المسألة بتمعن مع مراعاة ظروف هذه النخبة ، بل مراعاة الظرف التاريخي الذي كانت تعيشه ، لقد تربت تربية فرنسية خالصة، في محيط وبيئة فرنسية بعيدة عن واقعها، ولم تنل من ثقافتها العربية الإسلامية إلاّ الشيىء القليل ، إن لم يكن المنعدم ،مما جعلها لا تميز بين ثقافتها وثقافة المستعمر، بل كانت تعتقد إعتقادا أعمى على أنّ الثقافة نفسها تنحصر في الثقافة الفرنسية وحدها ، وأن تاريخ الجزائر يبدأ من سنة 1830م.فليس من المستغرب بعد هذا أن نجد هؤلاء الجزائريين يقدسون أعلام الفكر الأجنبي ، ولايعرفون بأنّ ديكارت سبقه الغزالي وأن فيكو سبقه ابن خلدون ، وأن كلود برنار سبقه ابن سينا وأن دانتي سبقه المقري ، وأن لامارتين سبقه عمر بن أبي ربيعة . فالإستعمار كان بارعا في تشويه الحقائق و التاريخ، وكيف لا؟ وهو الذي قضى على ثلاثة عشر قرنا من تاريخ الجزائر العربي الإسلامي . (130)

ولعلّ الضعف الرئيسي لهذه الطبقة يتمثل في عدم وجود منظمة فعالة وقيادة قديرة . فبرنامج النخبة ،بالرغم من أنه كان معتدلا ومتناقضا في بعض الأحيان ، كان جيدا إلى حدّ أنّه كان يصلح أن يكون قاعدة لحركة وطنية جزائرية جديدة ، لو أنهم دعموه بزعما تنظيم اومخلصين ومنظمة تحسن إستغلال المواقف المناسبة . (131)

د ــ أشكـــالـــه ومظـــاهـــــره :

1 ــ حركية الصحافة الوطنية :

بينما لجأت جزائر القرن التاسع عشر إلى الثورة لمعارضة الحكم الفرنسي ، لجأت جزائر بداية القرن العشرين إلى النشاطات الثقافية والإجتماعية لنفس الهدف ، وبوحي من روح النهضة ، خلق الجزائريون لأول مرة صحافة وطنية كتعبير بارز عن انسياق المثقفين الجزائريين نحو إنتهاج أسلوب النضال الثقافي والذي من شأنه أن يكشف عن ملابسات القضية الوطنية الجزائرية في كلّ أبعادها .
لقد كان لنشاط الصحافة الأروبية ، لسان حال المستعمرين في الجزائر، أثر وشيك في توجيه الجزائريين في الميدان الصحفي ، إذ كانت تلك الصحف الإستعمارية تتدفق تدفقا عجيبا وتنتشر إنتشارا واسعا، ذلك أن المستوطنين قد إحتكروا النشاط الصّحافة إلى سنة 1900م .

فعلى المستوى الرّسمي كان هناك صحيفتان حكوميتان فقط أنشئتا ووجهتا من الإدارة الفرنسية في الجزائر. فالأولى هي الأخبار وهي صحيفة أسبوعية بالفرنسية أسست سنة 1839 . وفي سنة 1909 أصبحت تصدر باللسانين (ست صفحات بالفرنسية وصفحتان بالعربية) . وقد إستمرت في الصدور إلى سنة 1934م . أما الصحيفة الثانية فهي المبشر التي أسست سنة 1847م ، وكانت تصدربالعربية والفرنسية ،وقد استغل عدد من النخبة الجزائرية في إدارة تحريرها في أواخر القرن العشرين (132) . وكان هدف هاتين الصحيفتين الرّسميتين هو إطلاع الجزائريين على الأخبار الرسمية واعطاءهم توجيها لصالح فرنسا . ولهذا السبب كانت الصحيفتان أبعد ما تكونان عن التثقيف . وبين 1913و 1914 خلقت فرنسا صحيفة جديدة اسمها " فرنسا الإسلامية " (la France islamique) التي أنشأت لأغراض دعائية والتي كانت تهدف إلى إعداد الرأي العام الجزائري للحرب العالمية الأولى . ومن سنة 1914 إلى سنة 1918 خلقت فرنسا أيضا

صحيفة "أخبار الحرب" التي كانت ، كما هو متوقع للدعاية أيضا (133) .

ولكن الإحتكار الفرنسي للصحافة إنتهى عندما خلق بعض الرّواد الجزائريين صحافة وطنية في فاتح القرن العشرين . وقد كان هؤلاء الرّواد من مختلف الإتجاهات ، فكان بعضهم ليبراليين ينتمون إلى النخبة وبضعهم تقليديين مرتبطين بالطّبقة القديمة ، ولكن جميعهم كانوا يريدون استعمال الصحافة كوسيلة للتعبير عن مطالبهم الوطنية .إذا فقد لفت أنظار المسلمين الجزائريين ما رأوه من الحركة الصحفية الفرنسية الواسعة التي غطت القطر الجزائري كله شرقه وغربه ، وأثار تعجبهم اللهجة الحارة التي تستعملها بعض صحف المستوطنين في مخاطبة السلطة الحاكمة مطالبة أو مدافعة ، فعلّمهم ذلك أن يستفيدوا من هذه التجربة ودفع بهم إلى إستعمال هذه الوسيلة الجديدة في المطلبة هم الآخرون بحقوقهم . والواقع، لئن كان ذلك بالنسبة للنخبة المثقفة بالفرنسية التي بدأت هذه الحركة الصحفية منذ بداية القرن العشرين ، فإن المثقفين باللغة العربية ما لبثوا هم الآخرون ،وإن دخلوا هذا الميدان الواسع ،مستفيدين من الصحافة العربية التي كانت تفد إليهم من المشرق العربي . ومما لاشك فيه وأنّ هذه الصحافة ، ولاسيما المصرية منها قد قدمت بين أيديهم نموذجا حيا راحوا ينسجون على منواله (134).

وتعود صلة المثقفين الجزائريين ، ذوي الإتجاة العربي الإسلامي بالصحف الشرقية إلى بداية القرن العشرين ، بل إلى قبل ذلك بقليل . فنحن نعرف من أخبار الشيخ محمد عبده أنه زار الجزائر سنة 1903م ، ولكن أعين الجزائريين كانت قد تفتحت على الحركات الإصلاحية التي انبعث نورها من الأفق الشرقي . وكانت صلة رواد الحركة الإصلاحية بالجزائر أمثال محمد بن مصطفى بن الخوجة وعبد الحليم بن سـمـايـة وعبد القادر المجاوي ، بمجلة المنار جد وثيقة ، وقد عبّروا للشيخ عبده نفسه عن هذا الإحساس العميق الذي يكنونه لهذه المجلة ، ورجوه أن يوصي صاحب المنار رشيد رضا بأن لا يذكر دولة فرنسا بما يسوءها لئلا تمنع المنار عن الجزائر وقالول له : << إننا نعدّه مدد الحياة لنا ، فإذا انقطع انقطعت الحياة عنا >>. وقد وجد

الشيخ محمد عبده له في تونس والجزائر حزبا دينيا ينتمي إليه من حيث لم يكن يعلم وإنما الصلة بينهم وبينه مجلة المنار(135) .

وما يعزز هذا الطرح كون صحف عربية مصرية وطنية فتحت صفحاتها دائما لصرخات تونس والجزائر ومراكش ، **كاللواء والمؤيد والبلاغ وكوكب الشرق والجهاد والسياسة اليومية** ،و تخصصت صحف لقضايا المغرب **كالفتح** (محب الدين الخطيب) **والهدي الإسلامي** (محمد الخضر حسين) و **المنهاج** (ابراهيم أطفيش) ، فلقد كشفت تلك الجرائد والمجلات للشبيبة الجزائرية عن الحالة السياسية والإجتماعية والدينية في سائر البلاد العربية ولاسيما في مصر،وأثبتت لمواطنينا أن مشاكل إخوانهم الشرقية لا تختلف عن مشاكلهم ،وحق للجزائريين أن يعتبروها وريد الحياة الذي وصلهم بالشخصية العربية الإسلامية وحبل النجاة الذي أنقذهم من ويلات المدنية الغربية ، ولم يعد عجبا أن يتشبثوا بها تشبثا قويا (136) .

لقد كانت هذه الصحف والمجلات تصل إلى الجزائر عن طريق تونس حيث كانت المراقبة الفرنسية أخف وطأة ، أوعن طريق المغرب الذي كان لايزال يتمتع باستقلاله أو بين حقائب الحجاج ، كان كلّ عدد من النشرات يزيدهم شجاعة وايمانا بستقبلهم العربي الإسلامي (137) ، ولقد عبّرأحد الكتاب الفرنسيين على هذه الطرق السرية بقوله :<< لقد كان هناك مجرى سري، ولكنه غزير ومتواصل من الصحف والمجلات الشرقية التي أعانت المغاربة في مجهوداتهم الإصلاحية وجعلتهم مرتبطين أبدا بالرأي العام العربي >>(138). كلّ هذه العوامل مجتمعة ساعدت ولاشك مساعدة فعالة على نشأة الصحافة العربية في الجزائر، ولكنها لم تجد الطريق ذلولا ، ولا الميسرة سهلة ، بل أنّ جهاد الصحافة الوطنية الجزائرية في هذا المضمار طبع تاريخ حياتها ، ورسم واقعها بطابع المقاومة المستمرة ، لأنّها اصطدمت منذ البداية بعدو استعماري لدود ، غير أنها استطاعت أن تقاوم في دأب وصبر مما جعل تاريخها حافلا بالصراع والمقاومة ، زاخرا بآيات التصميم والتحدي .(139)

فلقد أصدرت الحكومة الفرنسية قرارا وزاريا في 30 جويلية 1900م يقضي بمنع تداول جريدة المؤيّد وكانت قد أصدرت قانونا قبل هذا يمنع

دخول هذه الجرائد والمجلات منعا باتا . كما منعت جريدة اللواء في أوت 1902م .ولكن رقابة الحكومة رغم صرامتها وتشدّدها لم تفلح في منع تسرب واحدة من 117 جريدة عربية كانت تصدر بمصر آنذاك. ومع إقتراب الحرب العالمية الكبرى أصبحت السلطات الإستعمارية أكثريقظة ، وأشد رقابة ، فاتخذت ذلك القرار أيضا ضد خمس جرائد عربية هي على التوالي: القبس من دمشق الشعب من القاهرة الرأي العام من بيروت الحق يعلو من الأستانة المشكاة من دمشق أيضا ، وكان موقفها من الجرائد العربية بعد الحرب العالمية الأولى هو موقفها منها قبلها(140) .

لقد أثبت الواقع التاريخي أنّ المثقفين الجزائريين ،على إختلاف طبيعة تكوينهم ، تمكّنوا، خلال العقد الأوّل من القرن العشرين ، من خلق صحافة مؤثرة بلغتهم الخاصة . وقد كانت قسنطينة والجزائر ووهران مراكز النشاط الصحفي خلال هذا العهد ولاشك أن شكل و تخطيط الصحافة الجزائرية الأولى كانا يفتقران إلى شيىء ،ولكن روحها و اتجاهاتها والقضايا المدروسة ، كانت هامة كثيرا في بلورة القضية الوطنية للرأي العام الجزائري،اعتقادا منهم أنّ الصحافة رسالة حضارية(141) .
وهكذا صدرت في الجزائر ، مع بداية القرن العديد من الجرائد يمكن تقسيمها إلى قسمين:

ـ **القسم الأول** : يتضمن الجرائد الراغبة في نشر الأخبار والمعارف العربية والغربية ،وهذا القسم من الجرائد قد مدّت الحكومة الفرنسية عمرها مدّة من الزمان وأعانتها أحيانا على تكليف الطبع .

ـ **القسم الثاني** : يشمل الجرائد الراغبة في ايقاظ الشعورالوطني وبعث أفكار سياسية فلم تجد هذه الجرائد من الحكومة الفرنسية إلا المراقبة الشديدة والمنع والعقاب عندما تتيح الفرصة للسلطات الإستعمارية الحاكمة (142).

إنّ الاحتكار الفرنسي للصحافة انتهى عندما خلق بعض الرواد الجزائريين صحافة وطنية في فاتح القرن العشرين .وقد كان أحد

هؤلاء الرواد العربي فخار الذي أنشا جريدة المصباح ذات اللسانين والتي كانت تتخذ شعار جريدة افريقية الصغرى .وكان هدف هذه الجريدة الاسهام في التفاهم بين المجموعة الجزائرية والمجموعة الفرنسية . وهناك رائد آخر هو الصادق دندان الذي كان يحرر صحيفة الاسلام المؤثرة سنة 1912م ذات السانين أيضا . والرائد الثالث هو عمر راسم الذي كان يحرر جريدة الجزائر الشهرية ذات اللسان العربي فقط ، وكان هدفها هو توعية وتثقيف وتعليم الجزائريين الوضع العالمي . (143)

ومن الجرائد التّي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين النصيح ، فبعد توقف جريدة الحق العنابية عن الصدور عام 1893م من جراء القوانين الزجرية الخانقة لكل الحريات ن توقفت كل المحاولات لانشاء صحافة عربية جزائرية حتى سنة 1898م ، فستأنفت المحاولات من جديد في هذا الميدان ، فأسفرت عن انشاء جريدة بعنوان النصيح يوم 4 جماديالثانية سنة 1317ه الموافق ل 10 أكتوبر 1899م على يد أحد الفرنسيين المتعمرين يدعى ادوار غاسلان EDOUER GASSELIN ويظهر أنه يهودي جزائري اسمه الحقيقي غزلان ، وكان شعار هذه الجريدة : احترام الدين اتحاد الجنسين وتخدم فرنسا أولا وأخيرا لكن بأسلوبها الخاص ولم تكن ذات اتجاه سياسي ولكنها كانت ذات مقصد تجاري ، توقفت بعد سنة 1900م وذلك بوفاة صاحبها ، فعوضت بفريضة الحج ثم المنتخب في مصالح العرب . غير أن السلطات الفرنسية سرعان ما أسرعت الى تشجيع مخلصيها لانشاء بعض الصحف تحت اشرافها ومراقبتها لسد الفراغ وزاحمة الصحف الجزائرية وسد الباب في وجه الصحف التركية والمصرية والتونسية التي كانت تدخل الى الجزائر بوسائل خاصة فاقدم دانيال لوسيان .D LUCIEN الموظف السامي في الولاية العامة على تشجيع انشاء جريدة عربية بالجزائر العاصمة بعنوان الجزائر سنة 1900م لكن هذه المحاولات فشلت ولم يصدر منها سوى أعداد قليلة .(144)

ومن بين الجرائد التي أثرت على الراي العم الجزائري معى بداية القرن العشرين صحيفة المغرب ، وهي أسبوعية ذات لسان عربي مع اتجاه اصلاحي اسلامي تأسست في أفريل 1903م ، كان صاحبها هو

الفرنسي بيار فونتانا P . FONTANA (145) ولقد قال في شأنه الشيخ محمد عبده أثناء زيارته للجزائر : " وهي على قبح ورقها وسوء طبعها نافعة للجزائريين المحرومين من الصحف الوطنية العربية التي تعرفهم ببعض أحوال العالم وشؤون الاجتماع ، فنتمنى لها دوام القصد والرواج في تلك البلاد ".(146) ومن الذين كتبوا فيها الشيوخ عبد القادر المجاوي ،المولود بن الموهوب محمد بن أبي شنب ومحمود كحول والسعيد بن أحمد بن زكري علي العمالي محمد بن مصطفى بن الخوجة وغيرهم . (147)

ولئلا يفطن القراء إلى سلطة الولاية العامة على الجريدة سمحت الحكومة لمحرري المغرب بشيىء من الحرية فنجد مثلا ذكر وحشية بعض المقالات الصادرة في مجلة المؤيد المصرية تتعلق بالأمور الدينية والأخلاقية ،ويلاحظ أيظا أن جريدة المغرب كانت تقدم لقرائها أخبارا منوعة وافرة بالنسبة إلى ماكانوا يجدونه في الأخبار كما يشاهد بعض الارتقاء في أسلوب انشاء مقالاتها ولكن لم يلبث أصحاب جريدة المغرب طويلا فاضطروا الى قطع صدورها لقلة رواجها ولعدول القراء عنها . (148) وفي سنة 1905م صدرت بالجزائر جريدة كوكب افريقيا ،وهي مثل المغرب جريدة سياسية أدبية علمية فلاحية تجارية صناعية تصدر كل يوم جمعة .جاءت في حجم الجرائد المعتاد بينما كان حجم الجرائد السابقة صغيرا ونال لدى الخاصة ــ ولا قراء الا الخاصة ــ رواجا لابأس به لمقدرة مدير تحريره محمود كحول فوجد فيه القراء مقالات عن سياسة فرنسا والدولة العثمانية وكانت الحكومة الفرنسية في >لك الزمن تعلن العلائق الودية التي تربطها بالباب العالي حتى يظن الجزائريون أنها حبيبة الاسلام وكانت الأخبار السياسية العامة تحتوي في غالب الأحوال على صفحة كاملة أوأكثر و أخبار المغرب والحوادث المحلية تأخذ الصفحة الثانية وتجمع الصفحة الثالثة المقالات الأخرى من فلاحية وعلمية وأدبية ،أما الصفحة الرابعة فهي معدة لاعلانات تجارية وقضائية ويرجع للشيخ كحول الفضل في نشر التقويم الجزائري ،صدر منه عدد لسنة 1911م وآخر لسنة 1912م وثالث لسنة 1913م ، نشرت في الأعداد الثلاثة نبذ قيمة من الأدب الجزائري المعاصر شعرا و نثرا (149) .

تلت هذه الصحف مجموعة أخرى من الجرائد نذكر منها :

ـ **الجزائر:** مجلة وطنية اصلاحية لصاحبها عمر راسم صدرت بالجزائر في أكتوبر 1908م صدر منها عددان فقط

ـ **المسلم** : جريدة صدرت سنة 1909م بقسنطينة للفرنسي داليس DALLIS نزعتها حكومية لم تعمر طويلا

ـ **الحق الوهراني** : جريدة اسبوعية ،صدرت بمدينة وهران محررة في أول الأمر بالفرنسية وبداية من أفريل 1912م أضيفت لها صفحتان بالعربية مديرها فرنسي يدعى تابيي TAPIE اعتنق الاسلام وأخلص له ، وبسبب اتجاهها الوطني الصريح وصدق لهجتها صودرت من طرف المستعمر سنة 1912م بعد ان صدر منها 46 عدد.

ـ **الاسلام :** جريدة اسبوعية لصاحبها الصادق دندان صدرت في أكتوبر 1910م بعنابة ثم تحولت الى العاصمة في جانفي 1912م وكانت لسان حال الشباب الجزائريين ، حررت أول الأمر بالفرنسية ، ثم بداية من جويلية 1912م أصدرت نسخة بالعربية ت وقفت النشرة في 1912م بينما النشرة الفرنسية توقفت في 1914م

ـ **الفاروق :** جريدة عربية اسلامية وطنية أسبوعية ، أصدرها عمر بن قدور الجزائري في فيفري 1912م بالجزائر ، وبعد عامين الا شهر صادرها المستعمر . (150)

ـ **البريد الجزائري** : جريدة صدرت في أوت 1913م بالجزائر لصاحبها محمد عز الدين القلال خطتها مقاومة الانحطاط الأخلاقي قبل كل شيء لم يصدر منها سوى أربعة أعداد

ـ **ذو الفقار :** تعتبر أول جريدة عربية جزائرية يقوم بأعباء تحريرها وكتابتها ورسم صورها واخراجها وطبعها شخص واحد وهو عمر راسم الذي توارى تحت اسم مستعار هو ابن منصور الصنهاجي ،صدرت سنة 1913م كانت جريدة اجتماعية دينية (151) .وتمتاز هذه الجريدة بمميزات عديدة وغريبة معا اسمها شعار يشير به الصنهاجي

الى الدور الخطير الذي يجب أن تقوم به الصحافة وهو أن تحارب في سبيل اصلاح الدين عل مذهب الشيخ محمد عبده ومما يثبت ذلك ما جاء تعليقا على صورة الأستاذ التي نشرتها الجريدة على الغلاف الأخير من عددها الثالث وكان ذلك التعليق أن الشيخ عبده " مدير الجرية الديني " (152) . واسم رئيس تحريرها كذلك شعار يرمي الى يقين حامله بنصره على أعداء الاسلام بينما انتسابه الى صنهاجة يعرف بشرف أصله الراسخ في تاريخ الجزائر القديم . والجريدة مصورة ولصورها اليدوية معان رمزية فعلى الخلاف الأول للعدد الثالث مثلا ترى فارسا عربيا على باب مدينة الجزائر وشمسا مشرقة مكتوب في عينها لفظ الاصلاح فغاية الجريدة اذا واضحة مبينة كالشمس لذي عينين وهي تقويم الدين واحياء الروح الوطنية وتوطيد دعائم العروبة كل هذا يتجلى من مضمون الجريدة وفي العدد الثالث منها كانت صورة الغلاف الأول رمزا الى رجوع العروبة والدين الصحيح الى الوطن الجزائري والصفحة الثانية من هذا العدد تحتوي على قصيدة لعنترة بن شداد كلها حماس وعلى مقال تحت عنوان الاسلام والمسلمون ينسب خمول المسلمين وجمودهم الى نسيانهم الشريعة المحمدية وفي الصفحة الثالثة نقل ذو الفقار عن المنار فصلا في فساد المتفرنجين في أمر الاجتماع والدين أردفه في الصفحة الرابعة بصورة رجل متفرنج يدعو زوجته الى ترك ثوبها القديم لعلها تتعلم رقص التانقو فتعد من المتمدنات فكان جواب المراة أن لباسها العربي وعفتها الاسلامية لا يمنعانها من أن تكون متمدنة والصفحة الخامسة تحتوي على يقظة المسلمسن في جزيرة جاوة ومعلومات عن المسلمسن في منشوريا (153)

وهكذا ، فخلال عقد ، خلق الجزائريون صحاغة مؤثرة بلغتهم الخاصة . وقد كانت قسنطينة والجزائر ووهران مراكز تانشاط الصحفي خلال هذا العهد ولا شك أن شكل وتكتيك الصحافة الجزائري الأولى كانا يفتقران الى شيىء ولكن روحها واتجاهها والقضايا المدروسة كانت هامة كثيرا في بلورة القضية الوطنية للرأي العام الجزائري. (154)

ب ــ <u>نشاط الجمعيات والنوادي الثقافية الجزائرية :</u>

<u>عرفت الجزائر</u> في الفترة مابين 1890م – 1914م عددا من النوادي والجمعيات الثقافية التي كانت تؤدي وظيفة المدرسة وخلوة الأحاديث

وملتقى اجتماعي للرياضة والاسعاف والكشافة ومقرا للنشاط السياسي وأكثر أسماء هذه المراكز والجمعيات تدل على روحها وعلى برنامجها مثل التوفيقية ، ودادية العلوم الجديدة ن نادي التقدم نادي الشباب الجزائري ، جمعيو الهلال ن نادي الاتحاد والرشيدية وغيرها (155).

ولعله من بين هذه النوادي والجمعيات الثقافية التي لعبت دورا بارزا في ابلاغ الأفكار الاصلاحية الى المواطنين وشكلت احدى مظاهر النهضة الثقافية في الربع الأول من القرن العشرين نذكر :

ـ **الجمعية الرشيدية** : أسسها شبا نجزائريون من خريجي المدارس الفرنسية الجزائرية سنة 1894م وبنأييد من بعض العاطفين على الجزائر وكانت تاجمعية تصدر نشرة بالعربية والفرنسية . وبناء على دورها التثقيفي استطاعت أن تكسب الكثير من الأنصار وتستقطب بنشاطاتهعا اعدادا هائاة من المنخرطين الذين وجدوا ولمسوا فيها الخير حيث كانت في كل سنة تعين الفقراء من تلامذة المكاتب والكسوة والكتب المدرسية ن وكانت تدعو المثقفين والأساتذة الى تهذيب الشعب وارشاده بمحاضراتها الدينية ةالأدبية والعلمية يتعلق موضوعها بتقدم العصر في جميع ميادين العلوم وكانت تلقي محاضراتها كل شهر(156) .

كما كانت لها فروع في كل أنحاء الجزائر وكان فرع الجزائر وحده يضم 251 عضو سنة 1910م وكانت الجمعية تضم من بين أعضائها الدكتور بن التهامي والدكتور بن بريهمات . وذكر عناوين سلسلة محاضرات سنة 1353ه / 1908م أحسن معرف بحركتها

- حسن التعليم وفوائده قام بها ابراهيم فاتح بالعربية
- السل الرئوي قام بها الحكيم أبو القاسم بن التهامي بالفرنسية
- آلات الحرب الحديثة وقوة فرنسا العسكرية ألقاها الظابط لو جلاي بالفرنسية

- الأدب العربي ألقاها الشيخ عبد الحليم بن سماية بالعربية
- النظام الشرعي في الجزائر أوضحه القاضي عبد الرزاق الأشرف بالعربية
- الاسلام يسمح بدراسة اللغات والعلوم بل يوصي با ألقاها الشيخ محمد بن سعيد بن زكري بالعربية
- حضارة العرب قبل الاسلام وبعده قام بها الشيخ عبد القادر المجاوي بالعربية
- الفن العربي ألقاها شارل دي جالان بالفرنسية
- النظام السياسي الفرنسي ألقاها المحامي ابن الحاج بالعربية
- اختصاصات النور وتطبيقها ألقاها قام بها المعلم عمر فندوز بالعربية (157)

ـ **الجمعية التوفيقية** : أنشأت سنة 1908م ، ثم أعادت النخبة تنظيمها سنة 1911م ، وكان رئيسها الدكتور لبن التامي ونائبه محمد صوالح. ولقد نظمت الجمعية التوفيقية سلسلة من المحاضرات العلمية سنة 1911م قد تساعنا على فهم ذلك العهد :

المحاضر	موضوع المحاضرة
بيلتي	فوائد التعارف
بيلتي	القانون اسلامي العام
قاسمي	الحضارة العربية
صوالح	ملامح العالم الانساني المعاصر

براتسكي	الأدب المعادي للاسلام
أيت قاسي	عقربة الموت
معاشو	نابليون في مصر

ولاشك أن هذه الجهود توضح موضوعين هامين : أحدهما دور الجمعية التوفيقية كمنظمة ثقافية ، والثاني الروح التي كانت سائدة في الجزائر في عهد النهضة (158) .

أضافت التوفيقية الى مسألة البر بالتلاميذ الفقراء والقيام بالمحاضرات ــ واحدة كل أسبوع ــ دروسا اعدادية في اللغة العربية في كل عشية من يوم الأربعاء والجمعة ودروسا في الحساب والجبر في عشية يوم الجمعة فقط (159) . فكان الاقبال على تلك الدروس مسرا واتفاد منها كثيرا جم غفير من الشبان في ذلك الوقت أصبحوا يحسنون العربية ولم تتأخر وقتئذ مدن الجزائر الأخرى عن العاصمة في ذلك الميدان فكونت بدورها جمعيات خيرية وتهذيبية وفتحت الأندية مثل نادي صالح باي بقسنطينة (160).

ــ نادي صالح باي :

تأسس سنة1907م باسم جمعية الدراسات الأدبية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية من قبل جماعة من المثقفين ، كان يراسه موظف فرنسي يدعى عريب ARRIP وعضوية ابن الموهوب ومصطفى باشطارزي ومحمد بن باديس وغيرهم ، كان يضم 1700 عضو ، كان له فروع في العديد من المدن الجزائرية كعين مليلة ،عين عبيد ، وادي زناتي ،قالمة سوق هراس وغيرها .أما أهداف النادي فقد كانت نشر التعليم والمساعدة على تحرير الجماهير الجزائرية والتوفيق بين المجموعتين الفرنسية والجزئرية ، وبناء على قول ابن حبيلس ،الكي كان عضوافي النخبة عندئذ ،فان أهم أهداف النادي كانت تنظيم دروس التعليم العام والمهني وعقد محاضرات علمية وأدبية وخلق جمعيات خيرية والدعوة الى العمل والأخوة والتعاون ولكن أهداف النادي لم تكن لتتناقض مع مبادىء الاسلام بل كانت لازالة البغض

ومعالجة الأمراض الأخلاقية ومحاربة الأنانية والظلم ومساعدة الجزائريين على اظهار مواهبهم الأدبية (161) . ويمكن أن نعتبر السيخ ابن الموهوب أبرز من كان يظطلع بمهمات هذا النادي حيث كان يحاظر فيه على الناس متناولا بالمعالجة القضايا الأدبية ةالاجتماعية وكانت هذه المحاضرات تنشر في الجرائد العربية والفرنسية اعجابا بها ، ولعل جريدة كوكب افريقيا نالت حصة الأسد في نقل محاضراته وايصالها للجمهور الذي يتعذر عليه التردد على النادي (162) . ولعلنا لانجافي الحقيقة إذا أدلينا بالقول أن كل من نادي صالح باي والجمعية الرشيدية والجمعية التوفيقية ساهم مساهمة فعالة في يقظة الجزائر خلال هذه الفترة . ذلك أن زعماءها بالتركيز على التعليم والتقدم والتحرر قد حاولوا أن يطوروا المجتمع الجزائري وأن يجعلوا منه مجتمعا حديثا ومتنورا بدل مجتمع قديم وتقليدي . كما أن الأفكار الروبية قد ساهمت من خلال النادي والجمعيتين في النهضة الجزائرية (163).

ج – <u>إحياء وبعث التراث الفكري والحضاري للشعب الجزائري :</u>

من المظاهر الهامة لهذا العهد طبع واحياء الأعمال التاريخية الجزائرية ، فالعصر الذهبي قد فتح أمام الجيل الجديد الذي كان قد نسي في أغلب الأحيان مساهمات أجداده في الحضارو الانسانية وفي هذا الاحياء للتاريخ الوطني تحقيق للربط بين الأجيال . وبين سنوات 1900م – 1910م نسرت أعمال ابن عمار وابن مريم والورتيلاني والغبريني. وكل هذه الأعمال كانت قد كتبت في أو عن العهد الجزائري الذي يوافق العصور الوسطى وعصور النهضة والتقدم في أوروبا .ففي ذلك الوقت كانت الجزائر تتمتع بحياة ثقافية وصحية واقتصاد زاهر وقيادة سياسية قوية تحت أسر ملكية مختلفة . ولاشك أن ناشري الأعمال التاريخية كانوا يعنون ذلك العهد حين فتحوا أمام مواطنيهم الجهلة والمظطهدين الأبواب على بعض أنوار ماضيهم (164). لقد ساهم الشيخ محمد بن أبي شنب في نشر بعض المخطوطات وترجمة بعضها الى الفرنسية ، فقدم على التوالي :

– **الرحلة الى الحجاز** : وهو مخطوط الشيخ الحسين الورتيلاني عنوانه "نزهة الأنظار في فضل علو التاريخ والأخبار " المعروف بالرحلة الورتيلانية ، طبع في الجزائر بمطبعة المستشرق بيار فونتانا PIERRE FONTANA سنة 1908م أخرج في 230 صفحة

– أربع معاجم لسير العلماء والأولياء وهي :

1– **كتاب ابن مريم البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان** ، الجزائر ،مطبعة مراد التركي ، 1908، 380 صفحة.

2 – أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني ، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية** ، الجزائر ، مطبعة مراد بن تركي ، 1910 ، 254 صفحة

3 – طبقات علماء افريقيا لأبي العرب ، وطبقات علماء افريقيا لأبي عبد الله بن الحارث الخشني ، وطبقات علماء تونس لأبي العرب محمد التميمي : وهو جزءان وكلاهما مشبع بالفهارس والنتائج المفيدة ، طبع بباريس سنة 1915 – 1920 . وقد نشرها محمد بن ابي شنب قبل ذلك في الجريدة الأسيوية JOURNAL ASIATIQUE سنة 1906م ، مع الترجمة الى الفرنسية وهو يخص الآداب والحقوق والمجتمع الاسلامي في المغرب زمن الأغالبة خلال القرن التاسع الميلادي .

4 – الجزء الأول من" **تكملة الصلة** " لابن الأبار بالتعاون مع " ألفريد بيل " ، الجزائر ، فونتانا 1920م

ونشر ابن شنب أيضا " **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية** " لمؤلف مجهول ،طبع بالجزائر سنة 1920م .

أما في موضوع الشعر الملحون فنشير إلى النص العربي والترجمة الفرنسية لشعر الشيخ محمد ببن اسماعيل من سكان مدينة الجزائر ، المتوفى حوالي سنة 1870م تحت عنوان "**حرب القرم** " (165)

ودخل ابن شنب محفل العلماء المهتمين بالدراسات العربية في عام 1905م عندما شارك مشاركة فعالة في اجتماعات مؤتمر المستشرقين الرابع الذي عقد في الجزائر سنة 1905م وقد ترجم فيه بايجاز ل 360 عالم مغربي ذكرهم الشيخ عبد القادر الفاسي في اجازته من دون أن يسهو عن ذكر مراجع بيبلوغرافية عن كل منهم سواء كان عالما في الحديث أو مفسرا للقرآن الكريم أو نحويا أو أدبيا أو عالما من علماء التوحيد أو فقيها من الفقهاء أو صوفيا (166). وفي سنة 1907م ألف أبو القاسم الحفناوي موسوعة تراجم شخصية في مجلدين تناول فيهما مشاهير الجزائريين الذين ساهموا في التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي لبلادهم ويذكر أن الحفناوي كان معلما وصحفيا ومؤرخا وعنوان هذه الموسوعة يدل على محتواها فقد سماها " **تعريف الخلف برجال السلف** " (167) .

ولعه يليق بنا في هذا المقام أن نشير الى عالم كبير كان بينهم امتاز بسعة معارفه وتفننه في علوم شتى الا وهو الشيخ المجاوي الذي كان ريان من العربية فقيها متضلعا مشاركا في كثير من العلوم منها علم الكلام وعلم الاقتصاد السياسي والعام التربوي وعلم الهيئة ، عكف على التدريس فتخرج عليه من التلامذة من اصبح بدوره أستاذا ، فكان سريع الكناية كثير التأليف . فقد اختلفت مؤلفاته نوعا وكيفا ، لكنها جاءت من وحي ما علم للطلاب ، وما تدارس مع تلامذته وزملائه . تجاوزن هذه المؤلفات خمسة عشر عملا : في النحو والبلاغة والدين وكذا علم الفلك ، ولن يكون في مقدورنا عرضها هنا كاملة بالاضافة الى أن بعضها مفقود لكننا نستعرضها بايجاز شديد :

ارشاد المتعلمين : وهم كتاب في اللغة والنحو والبلاغة ن طبع بمصر

نصيحة المريدين : وهي رسالة توجيهية ، نشرت بتونس

شرح شواهد ابن هشام : وهو كتاب في النحو واللغة والأدب ،طبع بقسنطينة

شرح اللامية المجرادية في المسائل النحوية ،نشرها بعناية سنة 1894م ، أما المنظومة نفسها فهي لابي عبد الله محمدبن محمد بن مجراد

الدرر البهية على اللامية المجرادية في الجمل ، وقد طبعت طباعة حجرية في 64 صفحة ، وهي شرخ مختصر عن سابقه ، يقول في نهايته : هذا ما يسر لنا جمعه مع الضيق وعسر الحال

نزهة الطرف في المعاني والصرف ، وعنوانها يصرح بمضمونها مع غلبة الطابع النحوي والصرفي ، احتلت 37 صفحة ، وقد وردت في مجلد واحد مع " الدرر النحوية " ،المطبوع سنة 1907 بمطبعة فونتانا

الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية ، في اللغة والنحو ،انجزت بمطبعة فونتانتا سنة 1901م ، وقد وردت في مجلد واحد مع الشرح " المسمى " نزهة الطرف فيما يتعلق بمعاني الصرف " للمجاوي نفسه .استغرقت " الدرر النحوية " 57 صفحة وغطت " نزهة الطرف 37 ضفحة بالاضافة الى صفحات الخطأ والصواب .

شرح الجمل النحوية : وهي الجمل المعروفة بالصغرى والكبرى ،طبع بمطبعة فونتانا

شرح منظومة ابن غازي في التوقيت ، وقد تم نشره بقسنطينة

الافادة لمن يطلب الاستفادة ، يضم مسائل فقهية وبلغية في 64 صفحة مع غلبة العنصر الأول

شرح منظومة البدع وهي منظومة اخلاقية اصلاحية من تأليف تلميه وصديقه ابن الموهوب شرحها الأستا تشجيعا لتلميذه وتقديرا له واعجابا به .

الفريدة السنية في الأعمال الحبيبة انجز طبعها بفونتانا سنة 1904م في 85 صفحة

الاقتصاد السياسي رقد طبع بمطبعة فونتانا وهو من كتابانه التي يبدو انه حاول التفاعل فيها مع الدراسات الحديثة

تحفة الأخيار فيما يتعلق بالكسب والاختيار مطبعة فونتانا 1905م

القواعد الكلامية مطبعة فونتانا 1911م ، هذا الكتاب من أكثر كتبه غزارة وأهمية استغرق 157 صفحة

أخيرا هناك منظومته في الفلك وهي مخطوطة لعلها آخر ما كتب المجاوي أو من آخره على الأقل تقع في 86 بيتا (168)

ومن خلال هذه النظرة تاعامة في مؤلفات المجاوي ، نستشف محاور اهتمامه في التأليف خاصة ، وهي محاور فكرية طبعت بالطابع المدرسي من أجل تلام>ه تسهيلا للمسائل وتقريبا لها من افهامهم واختصارا لها وضبط المعلومات التي كان الحفظ يلعب دورا رئيسيا في استقطابها وتذكرها والاستفادة منها ، ويبدو أثر المجاوي في الناس على مختلف المستويات يرجع الى نشاطه الفكري ةالاجتماعي بينهم بالدرجة الأولى : مدرسا ومناقشا ومحاضرا وخطيبا قبل أن يرجع لما ألف من كتب ، وهي حقيقة تصدق على الكثير من غيره من بينهم عبد الحميد بن باديس الذي شغله ــ كما قال صادقا ــ تأليف الرجال عن تأليف الكتب (169).

من زاوية أخرى وجب التذكير أنه من بين المشليخ الأوائل الذين تكونت على أيديهم النخب المثقفة العلمية الشيخ محمد بن سعيد بن زكري الذي كان حافظا للقرآن الكريم وللحديث اماما في علمي التوحيد والفقه على م>هب مالك بن أنس مشاركا مع ذلك في علم المنطق على رأي الأقدمين ، عكف طول عمره على التعليم والارشاد وقام بالافتاء والخطابة أحسن قيام . ولقد ألف رسالة وافية قيمة سماها " **أوضح الدلائل على وجوب اصلاح الزوايا ببلاد القبائل** " احصى فيها عيوب التدريس في زوايا تلك النواحي وكشف عن مفاسدها مبينا الحسنات

الضرورية والاصطلاحات الواجبة التي يستحسن ادخالها على التعليم ليصبح موافقا لحاجيات الزمان ومطابقا لأساليب التعليم العصري ، ولعل الشيخ ابن زكري زيادة على مااعتمد عليه في تلك الرسالة من ملاحضات اثبتها بنفسه وتجارب نالها أثناء أعماله الدراسية قد تأثر بعض التأثير بالصلاحات التي أدخلتها الحكومة المصرية في نظام الجامع الأزهر بمقتضى مشروع محرم 1314ه الموافق لشهر جويلية 1896م . (170) .

ومن أفذاذ الانبعاث الثقافي والفكري الجزائري أيظا نذكر الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة الذي نشر كتايه " **الاكترلث في حقوق الاناث** " سنة 1898م ، ومما لاشك فيه أن بن الخوجة اقتدى بكتاب باكورة الكلام على حقوق النساء في الاسلام للشيخ حمزة فتح الاله الصادر ببولاق سنة 1891م وتأثر محمد بن مصطفى بالفكر الشرقي ومن مميزاته أمه كان لا يفوته كتاب من مطبوعات الشرق الجديدة ولا سيما التآليف الاصلاحية ولذلك الاتجاه يرجع كتاب **الباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب** قاوم به البدع والخرافات والمعتقدات الباطلة السائرة في الشعب مغتنما فيه الفرصة للرجوع الى القضية النسائية مرة أخرى محاربا الجهل والتجاهل بحقوق المرأة أن ابن الخوجة جعل نصب عينيه هذه القضية الهامة الحيوية لاصلاح المجتمع الجزائري وكل أعماله وتآليفه موجهة الى اصلاح الدين **وتقوية الشعور الوطني** حتى يكون الجزائريند غيره ذا جسد سليم وعقل سديد ذلك غرضه من انشاء " **رسالة تنوير الأذهان**" حيث انتقد نفور العوام من الأطباء فحثهم على أن يستدعوا عند الحاجة الحكيم المتخرج من كليات الطب الحديثة مسامل كان أو غير مسلم (171).

ومهما كان فضل محمد بن الخوجة من هذه التآليف كلها لما فيها من عبارات الشغف بالعلم والاعتناء بواجب العلم نحو وطنه وأمته كانت له زيادة فضل في نشر تفسير الشيخ عبد الرحمان الثعالبي للقرآن الكريم وهو عمل جليل لا يكاد يجاريه فيخ الا القليل من معاصريه .(172)

ومن جانب آخر أمر الوالي العام جونار بنشر أعمال جزائرية واسلامية قديمة وقررها على المدارس التابعة لفرنسا فقام الجنرال فوربيقي بترجمة عقيقة المنداسي ، والحلل السندسية لابي راس

الناصري ، وفانيان بترجمة مختصر الشيخ خليل ، ولوسياني بترجمة صغرى للشيخ السنوسي ومويتلانسكي بترجمة أرجوزة متن منازل القمر لمحمد المقري وسيكار بترجمة منظومة الشيخ حسن العطار، كما قام الضابط المستشرق رين والترجمان العسكري الجزائري أحمد بن بريهمات بوضع كتاب بعنوان اللسان يكمل الانسان وهو يدعو الى تعلم اللغة الفرنسية والعربية (173). وبالمقابل نشر الكاتب الفرنسي جورج ايفر سنة 1913م حيا تمذكرات حمدان خوجة ، وهكذا فانه في مطلع سنة 1914م كانت الحياة الثقافية الجزائرية قد بعثت من جديد (174) .

د ــ **تجديد واحياء العمران المغربي الاسلامي واحياء التدريس في المساجد** : حيث لايخفى علينا دور وأهمية المسجد كمركز علمي وثقافي . فلقد لعب المسجد دورا بالغ الأهمية من ناحية التربية والتعليم والاصلاح الديني وبعث النهضة العلمية والثقافية واشاعة المعرفة بين الناس بالاضافة الى المحافظة على القرآن الكريم وعلى التراث الاسلامي في شتى مجالاته ، وقد اتخذه الرواد الجزائريون مركزا لنشر دعوتهم وبث تعاليمهم الاصلاحية والتبشير بأفكارهم الاصلاحية والدينية والتربوية (175). أما من جانب العمران فنشيد هنا بمبادرة الوالي جونار في تشييد المباني الفخمة وفق الطراز العربي الاسلامي مثل مبنى البريد المركزي بالعاصمة بقبابها ونقوشها الرائعة التي صممها الفنان عمر قاقة الذي استقدمه جونار من وادي سوف .(176). كما ساهم الشعر والأدب الشبي والرسم والموسيقى والمسرح أيضا في النهضة الثقافية ومن بين **شعراء هذه** الفترة نجد ابن الموهوب والشيخ كحول والمجاوي ونظرا للاضطهاد السياسي فان الأدب الشعبي قد احتل مكانا بارزا خلال هذه الفترة.وقد ساهمت عائلة راسم في حقل الرسم مع التركيز على الحوادث التاريخية والحياة الاجتماعية .كما أن جماعة من الجزائريين قد خلقت مسرحا وطنيا مستفيدة من التجربة الفرنسية (177).

وهناك زيارات فنية وثقافية أنعشت حركة النهضة ، حيث جاءت الى الجزائر عدة فرق مسرحية وفنية مع عدة فنانين عرب ومسامين ، ومنها فرقة مصرية للفنون والغناء والرقص ... فرقة للتمثيل قدمت

مسرحية ناجحة تحت عنوان " صلاح الدين الأيوبي " هذه المسرحية التي أفزعت الفرنسيين في الجزائر ، عندما تصدرت جرائدهم هذا العنوان من الغد صباحا بالبند العريض " صلاح الد ين في الجزائر " وهي تريد غلق هذا الباب لسد رياح الشرق حتى لاتتأثر بها الجماهير (178).

إننا لا نجاور الحقيقة اذا أدلينا بالقول أن الجزائريين أحدثوا نهضة لايمكن لأحد إنكار فاعليتها في مسار الحركة الوطنية ، ولعله من أبرز خصائصها أنها كانت موجهة إلى اتصال الجزائريين بأسلافهم من جهة ومد الروابط بينهم وبين اخوانهم المشارقة من جهة أخرى فوقف رجال على ساق الجد لحل العقد التي أرادت فرنسا خنق الشعب الجزائري بها كما سعوا باستمرار في الخروج من المعقل الروحي الذي جعلتهم فيه فرنسا بمعزل عن أمم العالم وبالأخص الأمم العربية وكاشفوا معاصرهيم بماضي الجزائر ولقنوا الجزائريين ما كان لهم من آصرة وقومية في العصور الغابرة على حين أن الفرنسيين كانوا يمنعونهم من الاطلاع على ماضيهم حتى كان أحد أساتذة كلية الأدب بالعاصمة اختص بتاريخ المغرب والآثار الاسلامية يطرد من درسه الطالب الجزائري طردا ويخرجه على الفور من قاعة الدرس قائلا له أنه يلقي دروسه للطلبة الفرنسيين لا لغيرهم ولكن العلماء المسلمين لذلك العهد حاولوا مقاومة ذلك الموقف من طرف المستعمرين بوسائل وقتهم وباشروا تعليم اللغة العربية ةالأدب والتاريخ بجميع قواهم مغتنمين أية فرصة عرضت لهم لنشر العلم وبث حبه فينفوس أبناء وطنهم فوقفوا على طبع الكتب القديمة واحياء الشعور العربي الاسلامي بالدروس في المساجد والزوايا والمدارس كما قاموا بتهذيب الخلاق ومكافحة البدع المنتشرة في الشعب بسبب هله الكتاب والسنة معتقدين أن نجاة الجزائر لا تكون الا بسايرتها الأمم المتقدمة . وعلى الرغم من ضآلة النتائج على الفور فقد كان عملهم عملا شريفا صالحا لأنهم مهدوا السبيل لأخلافهم فلولا جهودهم وسعيهم لما وجد الأمير خالد بعد الحرب العالمية الأولى من الشعب الجزائري عضادة ولا نصرا ولما وجد الشيخ عبد الحميد بن باديس في نفس ذلك الزمان عقولا مهياة لفم دعوته البعيدة المرامي وادراك جهاده في سبيل تحرير هذا البلد العربي الاسلامي .(179)

4 تطور الثقافة الجزائرية (1920م ـ 1954م)

يعتبر العديد من المؤرخين أن عقد العشرينات من أكثر العقود حسما في تاريخ الجزائر فرغم أن الحرب لم تحضر أيّ حلّ للمشاكل الجزائرية فإن أحداث ونتائج الحرب العالمية الأولى قد أثرت على كل مظهر من مظاهر الحياة تقريبا في الجزائر .وهكذا فإن وقع الحرب على هذه البلاد كان بلا حدود.(180) فلقد شارك في الحرب عدد كبير من الجزائرين سواء كانوا جنودا على الجبهة الأروبية أو عمالا في المصانع الفرنسية أو أقرباء في الوطن فإن الجزائريين كانوا مندمجين في الحرب ومتأثريين بها بعمق . ونتيجة لذلك شاعت بينهم أفكار جديدة وتعلموا لغات مختلفة ومارسوا عادات لم تكن معروفة لديهم واستفادوا من تجارب أخرى . بل أن فكرة الحياة نفسها كانت تمر بمرحلة تغيير أساسي عندهم . وإذا كانت هذه الدروس تعرف قيمتها خلال الحرب فإنها ستكون ذات قيمة كبيرة في العشرينات من هذا القرن.(181) ولقد ساعد ظهور الهيئات والأحزاب الوطنية عقب الحرب على تطور الوضع السابق ونموه وأدى التنافس عل كسب الجمهور إلى الكتابة باللغتين وهكذا كان لكل حزب أو هيئة صحافته بالعربية والفرنسية (182).

وهكذا عرفت الجزائر على امتداد هذة الفترة أصنافا مختلفة من المتعلمين يصعب تحديدها بدقة في مقام كهذا . لكن يمكن أن نشير إليها بنوع من التّبسيط وفق المنوال التالي :

1 ـ صنف المتعلمين الذين استفادوا من فرص التعليم الفرنسي وان بدرجات متفاوتة لكنهم متشبثين بمظاهر الشخصية الوطنية حرصا على عدم الانفصال عن قاعدتهم الاجتماعية ويتخذ هذا التمسك بالشخصية الوطنية مظاهر مختلفة قد تتمثل في الحرص على ارتداء اللبلس العربي بدل الافرنجي حتى داخل المدرسة الفرنسية رغم مايتعرضون له من ضغوط وقد يتخذ هذا التمسك طابعا فكريا وموقفا سياسيا أحيانا مثل تاييد الحركة الاصلاحية الدينية والتعاطف معها أي تأيد حزب ساسي وطني .

2 ــ صنف الذين خدموا الادارة الفرنسية بروح العمالة ووقعوا في فخاخ الإغراء الاستعماري بمختلف أشكاله وان كان بعضهم يتظاهر بالحرص على التقاليد من خلال ممارسات شكلية تهدف الى ذر الرماد في العيون .

3 ــ صنف الذين راهنوا على الفرنسة واقتنعوا بضرورتها وامكانياتتها ومن هذا الصنف من كان ينتقد الوضعية القائمة من زاوية عدم تعميم الفرنسية على أوسع نطاق ممكن وعدم تطبيق القانون الفرنسي على الذين رضوا بالفرنسية ويدخل في هذا الصنف العناصر التي تجنست بالجنسية الفرنسية وتخلت عن الأحوال الشخصية ــ حسب الفقة الاسلامي ــ التي كانت تشدهم الى مجتمعهم (لأن الأخذ بالجنسية الفرنسية كان يستلزم التخلي عن الأحوال الشخصية). ولسنا في حاجة إلى النص على أن هذا التصنيف إنما هو تبسيط يساعد على متابعة التطورات الثقافية والفكرية وبالتالي السياسية التي كيفت المسار الثقافي للجزائر وصاغت العديد من تناقضاته. (183)
إن من يدرس النهضة الأدبية والثقافية المعاصرة في الجزائر بوجه عام لن يجد محيصا من أن يقرّر بأن الصحافة العربية كانت ذات أثر على إذكاء ها واغنائها.

فلقد صدرت بعد الحرب للأمير خالد جريدة **الإقـــدام** (184) : فرنسية اللسان في أول عهدها ثم أضاف إليها من العدد 36 وجها عربيا وكانت هي الأخرى لسان الحركة (الخالدية) التي تعتبر أول تجربة سياسية في الجزائر في القرن العشرين وكانت جريدة الإقدام متنفسا لأقلام مختلفة ومنطلقا لمشاعر مكتوبة وأفقا لتباشير أدبية وشعرية ونثرية (185) .

نذكر في هذا الصدد على سبيا المثال لا الحصر النماذج التالية (186) :

ــ ابن باديس (موقع باسم ابن الاسلام) "متى العمل يا مسلمون " الإقدام عدد 12 بتاريخ 3 /1920/12

– سعد الدين بلقاسم خمار ، "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون "،الإقدام عدد 27 بتاريخ 15 /1920/4

وحاول عمر بن قدور بعد الافراج عنه أن يعيد الكرّة **بالفـــاروق** فأصدره في شبه مجلة واستمر في الصدور حتى سنة 1924م حيث ألقى قلمه بعد ضغط وارهاق من المستعمر(187) .

وفي العشرينات بدأت صحافة الحركة الاصلاحية في الظهور ليبدأ معها عهد جديد من الانتاج الفكري والصراع العقائدي بين الحركة وخصومها (188)

وكانت المنتقد طليعة هذه الصحافة وقد استوحت اسمها من الشعار الطرقي السائد في تلك الفترة (إعتقد ولاتنتقد) وصدرت المنتقد سنة 1925م ولم يظهر من هذه الجريدة سوى ثمانية عشر عددا قبل أن تمنعها السلطات الاستعمارية من الصدور ومن بين المساهمين فيها المؤرخ مبارك الميلي الذي نشر مقالا بعنوان : " **العقل الجزائري في خطر** " وهناك مساهم آخر هو الطيب العقبي الذي نظم شعرا بعنوان " **إلى الدين الخالص** " (189)
وبعد منع **المنتقد** من الصدور أنشأ ابن باديس سنة 1925م أيضا الشهاب التي كانت من أكبر المجلات الجزائرية تأثيرا خلال عقدين . وقد بدأت **الشهاب** تنشر للكتاب والشعراء الجزائريين بالاضافة الى النشر للمفكريين في العالم العربي . ولم تكن الشهاب الجريدة الرسمية للعلماء حتى بعد خلق جمعيتهم ولكنها كانت ميدانا لكل المؤيدين المهتمين بالاصلاح في الجزائر (190)

نذكر في هذا المجال (191) :

الميلي ، "التعليم الديني في الجزائر وحظ الزوايا منه " ، الشهاب عدد13 بتاريخ 1926/6/24

محمد الابراهيمي ،"بيان ما عليه المعاهد العلمية "، الشهاب عدد13 بتاريخ 1926/6/24

الطرابلسي ، "الجرائد ومنافعها "،الشهاب عدد 8 بتاريخ 1925/12/31

فأصبحت بعدئذ لسان الحركة الاصلاحية في الجزائر .ثم قررت الجمعية تدعيم نشاطها الصحفي فأنشأت صحيفة باسم **السنّة** فلما أوقفتها الادارة الاستعمارية كونت أخرى باسم **الشريعة** فلما صدر قرار بتوقيفها عوضتها بثالثة تحمل عنوان **الصراط** فلما أدركها المنع خلفتها **البصـــائر** وكانت الجمعية تحتج دائما على هذا الحيف(192)

جريدة السنة النبوية : وهي جديدة أسبوعية صدرت باسم الجمعية تحت اشراف رئيسها الاستاذ عبد الحميد بن باديس وكان يرأس تحريرها الأستاذان الطيب العقبي والسعيد الزاهري وقد صدر العدد الأول منها في 8 ذي الحجة عام 1351 / 1932م وتوقف صدورها في شهر ربيع الأول عام 1352ه / 1933 م .

جريدة الشريعة المحمدية : أسبوعية لسان حال جمعية العلماء ، صدر العدد الاول منها يوم الإثنين 24 ربيع الاول 1352ه الموافق ليوم /1933/7/7م بعد أن أوقفت جريدة السنة وكانت تصدر أيضا تحت اشراف ابن باديس ويرأس تحريرها الأستاذان الطيب العقبي والسعيد الزاهري ثم صودرت في 1933/8/28م .

جريدة الصرط السّوي : أسبوعية لسلن حال الجمعية صدرت بتاريخ بداية جانفي 1934م يديرها عبد الحميد بن باديس وصاحب امتيازها أحمد بوشمال وهكذا في مدى سنة واحدة فقط أنشأت الجمعية ثلاث جرائد أوقفتها لها الحكومة تباعا .

جريدة البصائر : جريدة أسبوعية كان مديرها ورئيس تحريرها الشيخ الطيب العقبي والسعيد الزاهري وصاحب الامتياز فيها الشيخ محمد خير

الدين وقد صدر العدد الأول منها في شوال عام 1354ه الموافق ل 27 ديسمبر 1935م واستمر صدورها حتى قيام الحرب العالمية الثانية حيث أوقفت الجمعية صحفها وكذلك اجتماعاتها في الاجتماع الذي قررت فيه السكوت وقت الحرب كما قررت أيضا رفض طلب فرنسا من الجمعية أن تعلن باسمها وتكتب في صحافتها تصريحات ومقالات ضد دول المحور : ألمانيا وإيطاليا

وهكذا عاشت البصائر الأولى (بصائر ماقبل الحرب) نحو خمس سنوات نصفها الأول بإدارة الشيخ الطيب العقبي ونصفها الثاني بادارة الشيخ مبارك الميلي (193)

صحف إصلاحية أخرى :

وكان لبعض أعضاء جمعية العلماء نشاطهم الصحفي فأصدروا صحفا طال زمن صدورها أو قصر، من ذلك : جرائد أبي اليقضان كلّما عطلت جريدة عوضتها بأخرى وهي : **ميزاب** ، **وادي ميزاب** ، **النور** ، **النبراس** ، **الأمة** ،**المغرب** ، **البستان** **وجريدة المغرب العربي للزاهري** **والاصلاح للعقبي والليالي لعلي بن سعد** **والدفاع للأمين العمودي بالفرنسية** **والمرصاد والثبات لمحمد عباسة** **زيادة عن الشهاب لابن باديس** .

ونظرا لأن تأسيس الجمعية جاء في الوقت الذي كانت فيه الشهاب تصدر فانها واكبت حركة التأسيس وعبرت عن أخبار الجمعية وأهدافها وبياناتها وبلاغاتها وأنشطتها قبل أن تتخذ الجمعية جريدة لها وبهذا تكون **الشهاب** الصحيفة الأولى التي اهتمت بالتعبير عن جمعية العلماء المسلمين والتعريف والتنويه بها وبناشاطاتها

بدأت تصدر جريدة أسبوعية ثم نصف أسبوعية ثم مجلة شهرية وقد دام صدورها من يوم بدأت جريدة إلى أن توقفت مجلة مدّة خمسة عشر سنة من عام 1925م إلى قيام الحرب العالميةالثانية سنة 1939م (194) .

البصائر الثانية : وبعد انتهاء الحرب العالمية عادت المنظمات الوطنية للظهور من جديد ومنها جمعية العلماء برئاسة العلامة الشيخ البشير الابراهيمي فأحييت جريدتها السابقة (البصائر في سلسلة ثانية) وكانت باشراف وادارة رئيس الجمعية الشيخ محمد البشير الابراهيمي واستمر صدورها قرابة سنين متوالية 1947مـ 1956م وتوقفت أثناء ثورة التحرير عندما طلبت جبهة التحرير من كل المنظمات والأحزاب والحركات الوطنية أن تتوقف وتنضم إليها فكان ذلك .(195)

غير أنه كان لبعض الجزائريين مواقف متخاذلة من انتاجهم ويتجلى ذلك في صحف وكتابات الجماعة التي سمت نفسها **بالمتواضعين** الذين كانوا يكتبون بالفرنسية وفي صحف وكتابات بعض الطرقيين الذين كانوا يكتبون بالعربية (196) . ويجدر الملاحظة أيضا أن بعض الوطنيين قد لجأوا الى الصحف الأجنبية للتعبير عن أنفسهم وهكذا كانت **تري دينيون** TRAIT D'UNION**ولومانتيه** **L' HUMANITE** ملجأ للكتابة بالفرنسية **والحاضرة والفتح** ملجا للكتابة بالعربية (197)

يضاف إليها الصحافة التي تمثل اتجاه النخبة المثقفة ثقافة فرنسية والتي لم تتورع أن تقف موقف المناهضة للصحافة الوطنية وكانت جريدة **التقدم** عنوان هذا الاتجاه (198)

إنه من الانصاف القول أن كل صحيفة من الصحف التي أتينا على ذكرها كان لها فضل عظيم على قيام النهضة وتطور الفكر والثقافة الجزائرية في زمن الاستعمار ولكن هذا لا يمنعنا من أن نذهب مع ذلك إلى أن الشهاب والبصائر يجب أن تكونا أساسا لهذه التطور.

يذكر عبد المالك مرتاض في شأن الشهاب قائلا :

" لا تعود أهمية الشهاب إلى كون صاحبها ابن باديس أو إلى أنها توقفت عن الصدور فنحن نحن اليها حنينا عاطفيا عارما اذن فما أكثر ما توقفت الصحف والمجلات فلم نكد نأسف عليها أو نأبه لها بل ربما تلقينا ذلك بما نتلقى به الحوادث العادية من برودة وفتور فماذا إذن ؟

إن مجموعة هذه المجلة عبارة عن دائرة معارف جزائرية بالمفهوم الواسع ، إذ يظفر فيها القارىء بكل ما يتصل بالسياسة الجزائرية والثقافة الجزائرية والنهضة الجزائرية والمجتمع الجزائري بوجه عام أثناء حقبة معينة من التاريخ " . (199)

ولم أجد أبلغ من تثبيت قصيدة قيلت في التنويه بهذه المجلة وهي حية تنشر وقد كتب هذه القصيدة أحد الشعراء المغمورين وهو محمد بن بسكر :

حيّ الشهاب وحيّ الشيخ باديسا واسأل له الله توفيقا وتأنيـــــسا

وقل رعاك الذي أعطاك موهبة حزما وعزما وتاليفا وتدريـــسا

لله درك يا عبد الحميد لقـــــد محوت عن ديننا المحبوب تدنسيا
. (200)

أمّا عن البصائر فإن الابراهيمي لم يكن متساهلا مع كتابها (بوكوشة ، العربي التبسي ، أحمد بن ذئاب ، الميلي ، المدني ...) فقد كان يغريهم بالتجويد في الأسلوب ويزجي بهم أن يرتفعوا الى المستوى العالي من فن القول ويستطيع الباحث في الصحافة العربية المعاصرة في الجزائر أن يعتبر البصائر أرقى صحيفة عربية ظهرت في وطننا من حيث الأناقة اللفظية والروعة الأدبية .(201)
وهذه البصائر نفسها تتحدث لنا عن أسلوبها ذاكرة : " للبصائر طرفان : **أعلى** وهو معرض العربية الراقية في الألفاظ والمعاني والأساليب وهو السوق الذي تجلب إليه كرائم اللغة من مأنوس صيّره الاستعمال فصيحا وغريب يصيره الاستعمال مأنوسا . وهو مجلى الفصاحة والبلاغة في نمطها العالي وهو أيضا النموذج الذي لو احتذاه الناشئون من أبنائنا الكتاب لفلحت أساليبهم واستحكمت ملكاتهم مع اتقان القواعد ووفرة المحفوظ ولهذا الطرف رجاله المعدودون وهو نمط إعجاب أدباء الشرق بهذه الجريدة

وطرف **أدنى** وهو ما ينحط عن تلك المنزلة ولا يصل إلى درجة إسفاف وبين الطرفين أوساط ورتب تعلو وتنزل وهي مضطرب واسع ينقلب فيه كتابنا من سابق الى الغاية مستشرف لبلوغها ومقصر عن ذلك (202)

ويقول فرحات الدّراجي في مقال تحت عنوان : " البيان العربي شعار البصائر " ... أمّا أسلوب البصائر في حدّ ذاته فهو من أقوى وأشرف الأساليب التي ظهرت في الجزائر منذ عرفت الصحافة في الجزائر " . (203)

وانطلاقا من الأربعينات ، أي قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ستعزز الصحافة العربية لا لأنه كثر عدد الجرائد فحسب بل أنها وجدت صدى جد مساعد ضمن الصحافة الحرة ذات التعبير الفرنسي . وهكذا وابتداء من 1943م ركز فرحات عباس كل قوته لمحاربة النظام الاستعماري وذلك بمطالبته المساواة في الحقوق وحرية الصحافة وأصبح يناضل هو وأصحابه من أجل دستور وبدأت المطالب تتضح أكثر مع صدور جريد ة **المساواة** ابتداء من 1944م وظهرت جرائد أخرى فيما بعد ولقيت اهتماما كبيرا لدى الشبان وذلك بفضل تضافر الجهود المبذولة من طرف الأحزاب الوطنية فظهرت بجانب صحافة الاتحاد الديمقراطي للشبان الجزائريين صحافة حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي عرفت انتشارا كبيرا ولسان حاله كان **المغرب العربي** الذي أنشأ سنة 1947م بالعربية ثم جريدة بنفس العنوان ولكنها بالفرنسية ثم عوضت هذه الأخيرة **بالجزائر الحرة** وكانت عليها مراقبة شديدة ومنعت مرات كثيرة ولقد منعت سنة 1952م كلها ويجدر بنا ذكر دور صحافة الحزب الشيوعي الجزائري **ليبارتي** LIBERTE وقد استطاعت أن تفوق كلّ الجرائد بمبيعاتها القياسية وذلك بسحبها 132000نسخة سنة 1950م **والجزائر الجمهورية** L'ALGERIE REPUBLICAINE كانت تظهر منذ سنة 1938م وانقطعت عن الظهور أثناء الحرب العالمية الثانية ثم عادت من جديد سنة 1943م (204) .

لأنه لولا هذه الصحف جميعها لما كانت نهضتنا نهضة ولمّا كان تاريخنا تاريخا ولما كانت ثورتنا ثورة والفضل كل الفضل يعود الى ابن باديس الذي يجب أن يعد عميدا للصحفيين الجزائريين بلا جدال أو مكابرة فهذه الصحف مرآتنا المجلوّة التي كانت تنعكس عليها آمال شعبنا وآلامه فهي بضعة من أنفسنا وجزء من تفكيرنا وقبضة زمنية من تاريخنا الطويل(205)

من المظاهر الرئيسية لتطور الثقافة الجزائرية إنشاء الجزائريين – وعلى رأسهم علماء الجمعية – **<u>للنوادي والمراكز الثقافية</u>** أبرزها ما يلي :

<u>نادي الترقي</u> : انشأ بالعاصمة سنة 1926م (206) كان هذا النادي ماقطا عظيما يطفح بالنشاط الأدبي ويفيض بالخصب الفكري ويكتظ بالعلم والعلماء ويحفل بالخطب والخطباء والذي ضاعف من أهمية هذا النادي أنه أمسى مجمعا لابن باديس واصحابه من أعضاء الجمعية الأسبقين يبممونه كل حين فيسمعون فيه إلى الحاضرين الذين لم يكونوا إلا منهم ويتحاورون في قضايا الأدب والسياسة والمجتمع والدين وقد كان النادي ضخما فخما بحيث يسع خمسة آلاف شخص وكان يشتمل على قاعات وأبهاء (207)

لقد أصبحت اللغة العربية بفضل هذا النادي ذات مركز بالعاصمة وأصبحت المحاضرات تلقى بها على العموم بصفة مستمرة ويقع عليها إقبال شديد ولا شيىء يسر الخاطر ويشرح النفس أكثر من رؤية قاعة النادي الفسيحة مكتظة بجمع حاشد ليستمع للمحاضرات المختلفة التي تلقى هناك ولا يوجد أي نادي بافريقيا الشمالية قام بمثل ما قام به نادي الترقي من المحاضرات المختفلة فهو لم يكد يتم السنة الثانية من سنين حياته حتى كانت المحاضرات والمحادثات التي ألقيت به تتجاوز الأربعين (208) ولو حاولنا التحدث بالتفصيل والإسهاب عما اضطرب من نشاط فكري في نادي الترقي خلال ثلاثة أيام وحدها وهي الأيام التي استغرقها اجتماع ابن باديس وصحبه في أوت من سنة 1934م لكتبنا حول هذا النادي النابض طوال أطوار حياته كلّها . أرأيت أن أكثر

من عشرين خطيب وشاعردوت أصواتهم في جنبات الترقي خلال الأيام الثلاث

وهذا ثبت لأسماء بعض الخطباء والشعراء الذين تناولوا كلمات في ندوة عام أربعة وثلاثين بهذا النادي :

- خطبة لابن باديس
- خطبة للابراهيمي
- خطبة للعربي التبسي
- محاضرة لابن باديس
- محاضرة للطيب العقبي
- محاضرة للابراهيمي حول موضوع : الأدب العربي في الحركة الوطنية الجزائرية الحاضرة
- قصيدة للسعيد الزاهري خطبة لبلقاسم الميموني
- خطبة أخرى لابن باديس بمناسبة تجديد انتخابه رئيسا للجمعية
- خطبة وقصيدة للهادي السنوسي الزاهري
- خطبة للسعيد الزاهري قصيدة الشاعر أبي اليقضان
- قصيدة الشاعر محمد العيد آل خليفة

ثمّ خطب أخرى وقصائد مختلفة ل :

- مصطفى بن حلوش
- بلقاسم الزغداني
- عمر البسكري
- أبي يعلى الزواوي
- يحيى حمودي
- مولاي الحسن التلمساني بلقاسم بن العيد السوفي (209)

لقد أ ضحى النادي من أكبر منابع المعرقة والثقافة العربية الاسلامية للخاصة والعامة في الجزائر وأكبر مشرق للهداية في الجزائر العاصمة التي يعتكر فيها أكثر ظلام الجهل والالحاد والفساد والجمود التي ينشرها فيها الاستعمار .كما قصده أغلب العلماء الكبار المصلحين في الجزائر وعلماء عديدون من تونس والمغرب الأقصى ليلقوا فيه دروسهم ومحاصراتهم وأقيمت فيه الحفلات الدينية الأدبية في المواسم

الاسلامية وكان شعراء الجزائر الفحول وخطباؤها البلغاء يقومون بتلك الحفلات التي تهز العاصمة وتسري آثارها الى كل أنحاء القطر(210) .

إن المنصفين من الناس لاريب يسارعون الى الاقتناع بان هذا النادي لعب دورا خطيرا أشبه ما يكون بالادوار التي تلعبها الجامعات الحية النشيطة من بعض الوجوه .فإلقاء هذا العدد الضخم من الخطب والمحاضرات والقصائد في ظروف سياسية وثقافية عصيبة مما يعجب بل يدهش .
إنّ المؤكد أنّ كل أحد من هؤلاء المذكورين في هذه القائمة كان مخلصا في كلامه كما انّه من المؤكد أنّ كلّ أحد من هؤلاء كان يحاول أن يجود في خطبه وأن يحاول التداني من الملال فكانت هذه الاجتماعات السنوية في هذه النادي معرضا للتباري الخطابي فكان كلّ واحد من أولئك يجاهد نفسه ويشق عليها ويعني بها أثناء سنة كاملة فيطالع ويحفظ ليجدد شبابه العلمي وينمي معارفه العامة من العربية وسواها .
ولانملك إلا أن نختم حديثنا هذا عن نادي الترقي بأبيات من قصيدة كان ألقاها بهذا النادي الشاعر أبو اليقضان يتناول فيها هذا النادي ويعدّد مزاياه (211)

حيّ في نادي الترقي أنفسا ذات مزيّة

صاح هل تعرف ماهي مزاياها السنية ؟

في حمى النادي تصافت أنفس الشعب الزكية

والملاحظ أننا خلال هذه الفترة لم نجد سوى النوادي ذات الطابع العربي الاسلامي حتى تلك التي كان يشرف عليها ويسيرها جزائريون مثقفون أو متعلمون بغير اللغة الوطنية وبالتاي فقضية اللغة المستعملة آنذاك لم تشكل حاجزا أمام توحيد الرؤية الثقافية ومن ثم توحيد الجهود لمحاربة الاستعمار الفرنسي . إن هذه الفئة لم ترى تناقضا بين عروبتها واسلامها واللغة التي تستعملها في حياتها اليومية . فكل ذلك بالنسبة اليها يذوب في بوتقة واحدة هي جزائريتها على الأقل فيما يتعلق بالجانب الثقافي البحت . أمّا فيما يخص جوانب أخرى فذلك شان آخر

وقد التقى هؤلاء فيما يخص هذا الصدد في كثير من الأحيان بالعلماء المصلحين الجزائريين والمثال على ذلك هو التقاء الدكتور سعدان بالشيخ محمد خير الدين في بسكرة حيث جمعت بينهما كثير من القضايا ذات الاهتمام العام وبخاصة القضية الثقافية التي لم تكن محل خلاف بينهما في أي وقت من الأوقات وفي الوقت ذاته قرب الشيخ عبد الحميد بن باديس من الأمين العمودي ولم ير مانعا أنه كان متضلعا في اللغة الفرنسية بل حبذ ذلك واستغله في عدة مناسبات خاصة في اتصالاته المباشرة مع الادارة الفرنسية على مختلف مستوياتها ذلك ما نفسره بوضع القضية الوطنية فوق كل اعتبار (212)

وفي نفس السياق أسس قدماء تلاميذ المدارس الميلية سنة 1937م جمعية في الميلية ولم تخف تعاطفها مع جمعية العلماء ومبادئها الحضارية وانتمائها العربي الاسلامي على الرغم من أن هؤلاء(التلاميذ) لم يتلقوا تعليما آخر سوى التلعيم الفرنسي غير أن متكأهم كان صلبا لا يلين ولا يتاثر إلا بغير الثقافة التي تغذوا بها وهم في المهد .

والحق أن الشعب الجزائري برمته قد عبر عن إرادته هذه خلال الفترة الاستعمارية أكثر من مرة متمسكا بشخصيته العربية الاسلامية وما يثبت ذلك بدون جدال تاسيسه لمؤسسات روحية وثقافية تستجيب لاشباع رغباته والتعبير عن هويته وكيانه (213)

ولله در الأستاذ عمار هلال ــ رحمه الله تعالى ــ فقد تمكن من جمع ورصد أغلب النوادي الجزائرية والجمعيات التي كانت تنشط قبيل اندلاع الحرب العامية الثانية ولعله من الإنصاف ذكرها تباعا في هذا المقام وفق مايلي :

النوادي الثقافية وأهم الجمعيات التي كانت تنشط في وسط البلاد قبيل إندلاع الحرب العالمية الثانية :

اسم النادي أو الجمعية	تاريخ التأسيس	المقر
ملاحظات		
1.1 الجزائر العاصمة :		
نادي الترقي من أهم النوادي المعروفة في الجزائر، إتخذته جمعية العلماء التي تأسست فيه ، مقرّا لنشاطها	1927	الجزائر
نادي الإصلاح كان مقره في شارع إدمون روسطان ببلكور حاضر فيه العقبي وهلل بتأسيسه الشاعر محمد العيد	1934	الجزائر
2.1 دلس :		
نادي السعادة أسسه حمزة بوكوشة ، نادي ثقافي اصلاحي		دلس
1.3 تيزي وزو :		
نادي السلام حاضر فيه ابن باديس سنة 1934 والعقبي سنة 1937 ،نادي ثقافي إصلاحي	1933	تيزي وزو

1.4 بوسعادة :

نادي الإخاء نادي ثقافي إصلاحي	1935	بوسعادة

1. 5 المدية :

نادي المولودية : حلته الإدارة الإستعمارية سنة 1934 م	1932	المدية
نادي الشبيبة الاسلامية 1934 حلّ محلّ النادي السابق		المدية

1. 6 البليدة :

نادي النهضة إصلاحي ،ثم فلت من أيدي الإصلاحيين لسيطر علية الشيوعيون المنتخبون بعد بضع سنوات من تأسيسه	1932	البليدة
نادي التقدم نادي ثقافي إصلاحي ،جاء تعويضا للنادي السابق الذكر	1935	البليدة
جمعية الشبيبة الاسلامية البليدة جمعية ثقافية من مهامها المحافظة على التربية الاسلامية للشبيبة الجزائرية	1937	البليدة

ذ1.7 بوفاريك :

نادي بوفاريك نادي ثقافي إصلاحي	1933	بوفاريك

1. 8 مليانة :

نادي الاتحاد نادي ثقافي إصلاحي	1936	مليانة

1. 9 الشلف :

نادي الاصلاح نادي ثقافي إصلاحي	1935	الشلف

1. 10 شرشال :

نادي الأخوة نادي ثقافي إصلاحي	1936	شرشال

1. 11 تنس :

نادي السلامة مقر إجتماعات شعبية لجمعية العلماء والكشافة	1936	تنس

النوادي الثقافية وأهم الجمعيات التي كانت تنشط في شرق البلاد قبيل إندلاع الحرب العالمية الثانية :

اسم النادي أو الجمعية ملاحظات	تاريخ التأسيس	المقر
1.1 باتنة :		
نادي الإصلاح حاضر فيه الشيخ ابن باديس نفسه عدة مرات	1933	باتنة
الجمعية الاسلامية أصلا جمعية للتربية والتعليم مقرّها في المسجد الجامع	1937	باتنة
1. 2 بسكرة :		
جمعية إعانة الفقراء كان يسيرها كل من الدكتور سعدان والشيخ محمد خير الدين	1936	بسكرة
نادي الشباب مقر إجتماع فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين	1936	بسكرة
فرع الكشافة الجزائرية كان يشرف عليه العلماء وسعدان معا	1936	بسكرة

فرع الشبيبة الإسلامية تشرف عليه شعبة العلماء المسلمين الجزائريين	1936	بسكرة
الجمعية الإسلامية هي أصلا جمعية للتربية والتعليم	1934	بسكرة

بجاية ومناطقها :

2. 1 قرقور :

نادي الشباب مواليا لحزب الشعب الجزائري علنا	1937	قنزات

2. 2 جيجل :

الشبيبة الرياضية الجيجلية متعاطفة مع الجمعية سرا وعلانية	1936	جيجل
جمعية المسلمين	1936	جيجل

2. 3 بجاية :

جمعية الإصلاح متعاطفة مع ف م ج م	1930	بجاية

جمعية الإصلاح جمعية أنشأها تلاميذ المدارس العربية الحرة	1937	بجاية
الشباب الفني جمعية موسيقية متعاطفة مع العلماء علنا	1937	بجاية

2. 4 سيدي عيش :

جمعية الإتحاد جمعية للتربية والتهذيب	1937	فناي
ودادية بني وغليس	1937	بني وغليس

2. 5 سكيكدة :

نادي الأمل إهتم النادي كذلك بالتعليم له مدرسة عربية	1936	سكيكدة

قسنطينة ومناطقها :

3. 1 تبسة :

الأوتار الجزائرية جمعية موسيقية متعاطفة مع العلماء علنا	1937	تبسة
نادي الشبان المسلمين أشرف عليه الشيخ العربي التبسي	1930	تبسة

3. 2 أم البواقي :

نادي التهذيب محلّ إجتماعات وتنسيق شعبة العلماء	1937	أم البواقي

3. 3 وادي الزناتي :

نادي الثقافة الإسلامية	1936	وادي الزناتي

3. 4 ميلية :

جمعية قدماء تلاميذالمدارس الأهلية متعاطفة سرا ةعلانية مع جمعية العلماء	1937	ميلية

3. 5 عين مليلة :

نادي الأخوة	1933	عين مليلة
الجمعية الإسلامية تهتم بالتربية ةالتعليم أساسا	1934	عين مليلة
الجمعية الإسلامية نشاطها ديني إصلاحي	1937	عين مليلة

3. 6 قسنطينة :

فرع كشافة الرجاء علاقة وطيدة مع العلماء	1936	قسنطينة

الشباب الفني جمعية موسيقية متعاطفة مع العلماء نادي صالح باي قسنطينة	1937	قسنطينة

3. 7 ميلة :

النادي الإسلامي أشرف عليه وسيره الشيخ مبارك الميلي	1935	ميلة
يحيى الشباب	1934	ميلة
الجمعية الإسلامية تهتم بالتربية والتعليم أساسا	1936	ميلة

3. 8 واد سيقين :

الجمعية الدّينية	1936	واد سقين

قالمة ومناطقها :

4. 1 سوق هراس :

نادي الشباب الاسلامي	1934	سوق هراس

4. 2 قالمة :

جمعية العندليب جمعية موسيقية متعاطفة مع العلماء	1931	قالمة

نادي الترقي يخصص دروسا بالعربية للمنخرطين فيه وغيرهم	1936	قالمة
نادب الشبيبة الإسلامية	1936	قالمة

سطيف ومناطقها :

5. 1 سطيف :

نادي الإرشاد يرأسه فرحات عباس دروس وعظ وإرشاد كل مساء	1935	سطيف

5. 2 العلمة :

نادي الثقافة الإسلامية	1932	العلمة

5. 3 العروسية :

نادي الإتحاد العروسية توجد به مكتبة على جانب كبير همية	1936	

5. 4 عين عبيسة :

نادي الإصلاح	1937	برج بوعريريج

عنابة ومناطقها :

جمعية مزهر البوني جمعية ثقافية إهتمت أيضا بالتعليم والتربية	1931	عنابة
الجمعية الإسلامية(الإعتدال) جمعية ذو ميول سياسية تلتقي مع فدرالية المنخبين المسلمين الجزائريين	1935	عنابة

النوادي والجمعيات الثقافية الجزائرية التي كانت تنشط في غرب البلاد قبيل إندلاع الحرب العالمية الثانية :

اسم النادي أو الجمعية ملاحظات	تاريخ التأسيس	المقر
1.1 **تلمسان :**		
نادي الشبيبة الإسلامية أقدم نادي في تلمسان لا نعرف تاريخ تأسيسه		تلمسان
نادي السعادة منذ إستقراره في تلمسان كان الابراهيمي من أهم منشطيه		تلمسان
نادي الرجاء ذو ميول وطنية (ح ش ج) واضحة حديث العهد		تلمسان

الجمعية الإسلامية ج ت ت كان يرأسها السيد طالب عبد السلام	1937	تلمسان

1. 2 وهران :

نادي الفلاح مقر إجتماعات الإصلاحيين والوطنيين على السواء	1938	وهران

1. 3 معسكر :

نادي الشبية الإسلامية عندما خل الشيخ زموشي محمد بمعسكر إتخذ النادي كمقر لنشاطه الإصلاحي	قبل 1930	وهران

1. 4 مستغانم :

الإتحاد الأدبي الإسلامي نادي ثقافي ثم إصلاحي جمع بين الثقافةوالإصلاح والسياسة تحت تأثير ح ش ج	قبل 1930	مستغانم

1. 5 بني صاف :

نادي التحدي نفس الميول للنادي السابق الذكر	1937	بني صاف

النوادي وأهم الجمعيات الثقافية التي كانت تنشط في الجنوب قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية :

اسم النادي أو الجمعية ملاحظات	تاريخ التأسيس	المقر
1 الأغواط :		
نادي الأدب أول رئيس له هو الشيخ الحاج عيسى بوبكر	1937	الأغواط
2 غرداية :		
نادي الإصلاح كان يشرف عليه الشيخ بوبكر صالح قاسم		غرداية
جمعية الإصلاح تابعة لنادي الإصلاح		غرداية
2. 2 القرارة :		
نادي الحياة مؤسسه هو الشيخ بيوض	1935	القرارة
جمعية الحياة تابعة لنادي الحياة	1935	القرارة

ومن المظاهر الرئيسية لتطور الثقافة الجزائرية بعد الحرب العالمية الأولى تأسيس المدارس ونشر التعليم فيها وتأسيس المساجد الحرة (غير الخاضعة لسلطة الادارة الاستعمارية الفرنسية) وبث دروس الوعظ والارشاد على منابرها وفي حلقاتها (215) ، فبهذه الطريقة كثرت المدارس والمساجد الحرة التي أصبحت معاقل الفكر الاصلاحي وكان التعليم يقوم على زرع الروح الوطنية في النشىء الجديد وتعليمه اللغة العربية . وكان الوعظ يقوم على توعية الجماهير وفصلها على مراكز الطرقية التي عشعشت في الجزائر طيلة العهد العثماني وركدت وتعفنت في العهد الفرنسي ولو عددنا المدارس والمساجد التي بنيت من أموال الشعب والتي كانت ادارتها تحت لجان محلية من أفراد الشعب لطالت القائمة (216) وحسبنا أن نذكر مدرسة التربية والتعليم في قسنطينة والتي أسسها ابن باديس ومدرسة دار الحديث في تلمسان التي أشرف على إنشائها البشير الابراهيمي ومدرسة الشبيبة الاسلامية في العاصمة التي يعود الفضل في رعايتها واحتضانها الى العقبي ولابد من ذكر معهد ابن باديس والمعهد الكتاني وكلاهما في قسنطينة وكلاهما للتعليم المتوسط بالعربية .يضاف اليها جملة أخرى من المدارس أحصاها الأستاذ رابح تركي أنشتها الجمعية ــ بصفتها الراعية الأولى للثقافة العربية الاسلامية بالجزائر ــ بين 1931 حتى سنة 1940

ففي مقاطعة قسنطينة ذكر مدرسة التربة والتعليم (فرع أولاد ابراهيم نفرع بارادو ، فرع طريق ميلة) ،مدرسة برج بوعريريج ، مدرسة بريكة نسوق هراس .... وفي وهران : ذكر مدرسة الحمري ، مدرسة قامبيطا ، مدرسة غليزان ، مدرسة تيارت ، مدرسة الغزوات ، مدرسة معسكر ....وفي مقاطعة الجزائر : مدرسة الأبيار ، الحراش ، شرشال ، البليدة مدرسة النور بالرويبة . (217)

جهود الزوايا التعليمية : كان للزوايا جانبان : جانب إيجابي وآخر سلبي

أمّا السلبي : فهو تلك الأعمال المنكرة التي تجري في معظمها من الرقص والشطح وما يتبعه من التصفيق وضرب الدفوف ولبس السفوف والبدع التي أحدثتها وتحدثها في الدين والخرافات التي

تروجها بين العامة من كرامات وخوارق للعادة مزعزمة تنسبها الى مشايخها كي تحدم سيطرتها عليها .
امّا الجانب الآخر وهو الجانب الايجابي الذي يتمثل في نشاطها التعليمي مثل الاعتناء بتحفيظ القرآن وتعليم ما يستلزمه من العلوم اللغوية والشرعية والتاريخية والفلسفية .

والزوايا من هذه الناحية تعتبر مدارس إبتدائية وثانوية ومعاهد علمية عالية أسست لقراءة القرآن وما إليه من العلوم الموصلة الى إستخراج كنوز أسراره ومعانيه ولذلك فقد كانت الى عهد قريب من المراكز الهامة التي حفظت اللغة العربية والثقافة الاسلامية من الاندثار في الجزائر خلال فترة الاحتلال الطويلة 1830مـ 1962م (218)

من أشهر الزوايا التي خدمت الثقافة العربية الاسلامية ونشرت التعليم العربي الحر في مرحلة الدراسة في بلاد الزواوة (جرجرة) نذكر الزوايا التالية كمثال ونموذج للزوايا الصالحة التي خدمت اللغة والثقافة العربية في الجزائر :

زاوية يدي عبد الرحمان اليلولي (219) : وهي التي تخرج منها أغلب علماء هذه المنطقة المنتشرون في غيرها من الزوايا الأخرى يعلمون القرآن واللغة العربية وعلوم الشريعة الاسلامية للتلاميذ الوافدين عليها من جهات القطر الجزائري

زاوية شلاطة بالقرب من مدينة آقبو : وقد كانت خلال القرن الثالث عشر وحتى أوائل القرن الرابع عشر الهجريين ذات شهرة عظيمة في بلاد الزواوة ويضرب المثل بالمتخرجين منها في تحصيل العلم وسعة الاطلاع وغزارة المعلومات وإجادة الفهم والاستنتاج (220)

ـ زاوية ابن أبي داوود في بلاد الزواوة : وكانت هي الأخرى ذات شهرة عالية في الاوساط الجزائرية وتخرج منها عدد كبير من المتعلمين

ـ **زاوية سيدي منصور في بني خيار** " جرجرة " : وكانت مقصدا لطلبة العلم والأدب وحفظ القرآن الكريم وعلوم الشرع الاسلامي من مختلف جهات القطر

تضاف اليها عدد هائل من الزوايا الأخرى منها ك زاوية سيدي منصور بأزفون ، زاوية سيدي أحمد والسعيد ،زاوية آيت الحاج بالأربعاء ناث ايراثن نزاوية سيدي بالوة ، زاوية بوعاصم بتيزي وزو ، زاوية سيدي بعلول بعزازقة ،زاوية سيدي سحنون بمقلع ،زاوية سيدي علي بن يحيى بذراع الميزان ... وغيرها كثير من منارات العلم والثقافة بالجزائر (221)

أما عن زوايا الجنوب الجزائري فإنها كوّنت طبقة فاضلة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم في الجزائر منهم على وجه الخصوص:

مرحلة العشرينات من القرن العشرين : وهي الفترة التي ظهر فيها علماء ومصلحون كثيرون ،أصلا من الجنوب الجزائري وهم حسب أهمية الدور الذي أدوه : الطيب العقبي ،الأمين العنودي ، الزاهري محمد السعيد ، محمد خير الدين ، السنوسي محمد الهادي ن محمد العيد آل خليفة ،محمد العابد الجيلالي ، رمضان حمود ،محمد بن بكير ، المولود الزريبي أبو اليقضان أحمد بن عبد الرحمان مجمد العزوي حوحو العقبي ، الطرابلسي محمد بن الحاج ,اخيرا سعد الدسن ين بلقاسم الخمار

مرحلة الثلاثينات : وهي الفترة التي أحصينا فيها من مناطق الجنوب العاماء التالية أسماؤهم ك فرحات دراجي نأحمد رضا حوحو وان كان هذا الأخير قد برز نشاطه بعد سنة 1946م نعبد العزيز محمد بلهاشمي ،الحفناوي هالي ،محمد اللقاني بن السائح ،نعيم النعيمي ،عمر بيوض ،أبو بكر مصطفى بن رحمون ،علي بن سعد ن عبد القادر الياجوري ،حمزة بوطوشة ،أحمد سحنون وأخيرا محمد الصالح رمضان . (222)

ـ العلامة الشيخ الحاج صالح بن عمر

ـ الشيخ ابراهيم بن بكير

الشيخ ابراهيم بن عيسى الأبريكي

تالشيخ محمد الطرابلسي وغيرهم كثير

أما عن الزوايا الفاعلة والتي مثلت دعامة أساسية في الحفاظ وتطوير الثقافة الجزائرية فهي كثيرة نقتصر على ذكر عدد منها فقط كمثال لغيرها من الزوايا التي على غرارها :

ـ زاوية الهامل بالقرب من مدينة بوسعادة : وهي مكن اهم زوايا هذه المنطقة وتتمتع بسمعة علمية كبيرة في الجزائر . ومازالت هذه الزاوية التي تحولت الى معهدعلمي كبير بعد الاستقلال تؤدي رسالتها في نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية حتى اليوم

ـ زاوية سيدي علي بن عمر بالقرب من مدينة طولقة : التي توجد بها مكتبة كبرى من المخطوطات النفيسة تدل على ماضيها العريق في خدمة العلم والثقافة العربية الاسلامية

ـ زاوية سيدي خالد
ـ زاوية اولاد جلال

وقد كانت هذه الزّوايا منبعا للنور والهداية في الزيبان بشرق الجزائر الجنوبي واستطاعت أن تحمل مشعل الثقافة العربية في مرحلة الدراسة ونبع فيها عدد من العلماء الصالحين كانوا حماة اللغة والدين وعملوا على نشر التعليم العربي في بلادهم بعد انتهاء دراستهم فيها .
ومن واجب التنبيه الى ذكر أن تمسم أهل الجنوب باللغة العربية وحرصهم على تعليم أبنائهم القرآن الكريم والعلوم الاسلامية ،ليس في داخل البلاد فحسب ولكن أيضا في خارجها ،بحيث كانت المراكز التعليمية الاسلامية في المغرب والمشرق العربيين ،قبلة لكل الطلاب

الذين يطمحون للتزود بتلعيم عربي اسلامي راق ،فمن جامعة الزيتونة وحدها تخرج منها في بداية الثلاثينات 35 بالمائة أو أكثر من جملة الطلاب الذين عادوا الى وطنهم وانضموا الى حركة الاصلاح التي تزعمتها جمعية العلماء. ويمكن أن نضيف في هذا الصدد أ ن عامل انتشار الندارس الاستعمارية في مناطق الجنوب الجزائري بكيفية جعلتها لم تمس جميع مناطقه وارتكازها خصيصا في المراكز الأساسية لهذه المناطق ذات الكثافة المتوسطة على الأقل . بينما بقيت مناطق شاسعة من هذا الوطن بعيدة كل البعد على هذا النوع من التعليم ، وهو الشيىء الذي جعل أبناءها يبتعدون على الأقل عن آفة الازدواجية وما ينتج عنها من سلبيات وينصرفون كلية الى تعلم واتقان لغة آبائهم وأجدادهم بكيفية جعلت الكثير منهم ينبغون فيها ككتاب وصحفيين وشعراء وضعوا أنفسهم تحت خدمة أمتهم ووطنهم . (223)

النـــثـــــر :

تقدم فن النثر في فترة الدراسة وأصبح لدينا على الاقل مدرستان لهذا النثر (مدرسة الشهاب) التي سيطر فيها قلم ابن باديس وهو يمتاز بالبساطة وغلبة العبارات الدينية ومدرسة (البصائر) التي سيطر فيها قلم الابراهيمي وتمتاز بالعناية بالبيان وتجيد العبارات واختيار الألفاظ . وإذا شئنا الاختصار قلنا امتاز نثر المدرسة الأولى بالأسلوب الصحفي الديني وامتاز نثر المدرسة الثانية بالأسلوب الأدبي الأجتماعي . وقد ظهر في كلتا المدرستين كتاب تركوا بصماتهم في مجالات متعددة ونذكر من المدرسة الأولى العقبي والميلي والزاهري والزواوي وأبو اليقضان ومن المدرسة الثانية المدني وحوحو وبوكوشة وعاشور (224)

وقد ظهر النثر بنوعية في عدة أعمال تشهد بنا قام به المصلحون في ميدان التأليف من جهود في وقت كان فيه قراء العربية يمثلون قلة من الناس . ففي ميدان القصة والرواية ظهرت بوادر طيبة بين الحربين ازدادت نموا ونضجا بعد الحرب العالمية الثانية فكأن القصة إنما قامت لتسجيل تاريخ اناس مجهولين ولكنهم حقيقيون تاريخيون باسم الخيال على غرار التاريخ الذي نصب نفسه مسجلا لأعمال أناس معروفين

باسم الحقيقة التاريخية (225) ويطول بنا الحديث لو مثلنا لهذة الأنواع وحسبنا هنا أن نحيل على المراجع المتخصصة (226)

ولم يتح لأدبنا المعاصر في الجزائر أن يحضى بكاتب قصصي ينفض عنه الغبار المتعفن الذي كان قذ اصابه من فعل أصحاب الأسجاع والمقلدين حتى جاء حوحو فنفض عنه الغبار ووثب به الى مستوى أدب الانسان في عاطفته وشعوره وفي انفعاله وغضبه حين انبرى يكتب الاقاصيص ويعالجها ولعل أهم الكتب القصصية التي نشر حوحو كتابان اثنان : أولهما " **مع حمار الحكيم** " وثانيهما " **صاحبة الوحي** وقصص اخرى **كفتاة أحلامي** (227)

يقول عبد المالك مرتاض في شأنه : " أحمد رضا حوحو كاتب قصصي ما في ذلك من امتراء وهو إلى أن يكون كذلك أولى له أن يكون أي شيىء آخر : كأن يكون ناقدا مصلحا مثلا . فان طبيعة المرحلة ونفسه الثائرة كانتا خليقتين بان تجعلا منه كاتبا قصصيا غنيا من الطبقة الأولى . كان في أسلوبه خفة لاتعدم ضعفا ووهنا وفي لغته عذوبة لا تعدم فقرا وارتيابا بين حين وحين . وعلى أن اللغة لم تسلم الا لقلة قليلة من الناس وأكاد اجزم بان حوحو لو لم يسفح دمه الطاهر الفرنسيون لأضحى كاتب القصة القصيرة الأول في الجزائر " .

وخلال مرحلة الدراسة ، يذكرأن الجزائر شهدت تطور بعد أن نبغ على مستوى المقالة كل من : أحمد بن بريهات والمجوب بن قلفاط ،والطيب مرسلي ومحمد بن رحال وابن علي فخار وأبو بكر عبد السلام واسماعيل حامد . وأدى التطور السياسي الى ظهور الأحزاب والجمعيات وظهور الصحف الناطقة باسم هذا الاتجاة أو ذاك . ولكن أغلب الاسناء التي شاركت في الكتابة بالفرنسية خلال هذه المرحلة ترجع الى أسماء العائلات التي كانت في الوظيف القيادي من قبل أو في التعليم وكانت الصحافة هي المجال الذي شارك فيه الكطتاب . ومن هئلاء فرحات عباس والزناتي والفاسي بين الحربين ثم مالك بن نبي وعبد الرحمان بن الحفاف وعمار أوزقان بعد الحرب . وفي هذه المرحلة ظهرت المحاولات الأدبية أيضا لأول مرة ربما بدأها أبناء العسكريين أو بعض العسكريين أنفسهم ،ثم أخذت تنتشر فوجدنا روايات

وأشعار قد ظهرت بين الحربين ، ثم انطلقت بالفرنسية على يد جيل من الكتاب منذ مطلع الخمسينات . والأدباء الذين ظهروا بين الحربين هم : محمد ولد الشيخ ،ابن الشرف ،حسن خوجة شكري ، الحاج حمو المعروف بعبد القادر فكري

أما الجيل الذي انطلق بالرواية منذ مطلع الخمسينات فلا يعنينا هنا . وقد درست آثاره وما تزال ،وحظي باهتمام خلال الثورة التحريرية في الشرق والغرب وكان على رأسه ك مجمد دبب وكاتب ياسين ومالك حداد ومولود معمري ومن الممكن أن نظيف اليهم في غير مجال الرواية مالك بن نبي ومصطفى الأشرف . (228)

ويتصل بالنثر أيضا تقدم **الخطابة** ولقد كان أخطب الجميع بلا منازع هو العقبي كما إشتهر الابراهيمي بذلك أيضا وممن عرفوا من خطباء الجيل الثاني الفضيل الورتيلاني وعبد القادر الياجوري وقد تركوا لنا ثروة كبيرة في هذا الصدد . وحسبنا في ذلك نزر يسير من خطبة الورتيلاني (229):

" فما بقي علينا الآن ونحن في ساحة العمل الا أن نعرض النتيجة على المهرة من الممتحنين فتقدموا وغامروا في هذا الخضم ثم لا ترضوا أبدا أن تؤوبوا خابين . إنني أيها الاخوان وان قضت علي بالطول شجون الحديث ، والحديث شجون وأدوار لاأنسى أمّنا الرضيعة وجمعيتنا المحروسة أن أكشف لها القناع عما في الخلد قد دار .ان حياتنا كلها لها ومادام فينا رمق ستجير ولا تجار " (230)

أما خطابة الابراهيمي فتميزت بالطابع الأدبي والبلاغي ولستحضار المحفوظات والشواهد وكان مؤثرا في الخاصة أكثر من العامة وهو يجيد النكتة السريعة والامحة الدالة . وقد ألقى الابراهيمي الخطب الكثيرة في الجزائر ،عند افتتاح مدرسة الحديث واجتماعات جمعية العلماء وفي حفلات الزوار والأعيان وافتتاح المدارس الحرة . ومن أشهر خطبه تلك التي ألقاها في باريس فاتح سنة 1952م وهو في طريفه الى المشرق بحضور الوفود العربية . وفي المشرق اشتهر الابراهيمي بالخطب المرتجلة في جمعية الشباب المسلمين وأثناء

زياراته للأزهر ودار العلوم بمصر وزياراته للأقطار العربية . وقد غطت البصائر كثيرا من هذا النشاط قبل أن تتوقف عن الصدور سنة 1956. (231)

أمّا في **الشعر** فقد برز أمير شعراء المغرب العربي محمد العيد آل خليفة وقد عاصره عدد كبير من الشعراء منهم من تخصص في نظم الشعر ولم ينثرالا نادرا كالهادي السنوسي ومفدي زكريا وجلواح وحمود ومنهم من جمع بين الشعر والنثر كأحمد سحنون وسعيد الزاهري (232)

واذا ما أردنا أن نستجلي واقع الشعر في المرحلة المدروسة فاننا لا نجد محيصا من ذكر ما أدلى به أبو القاسم سعد الله في موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي ،في جزئها الثامن :

" تعد فترة 1920 ــ 1954 أخصب الفترات انتاجا ،وخلالها برز عدد من الشعراء الذين كانوا غالبا مستقلين ،ورغم اختلاف المستوى بين شاعروآخر فإن الحركة على العموم كانت تتقدم وتتسع الى أن وصلت الى قمتها على يد محمد العيد ومفدي زكريا . لقد تنافست هذه المجموعة في نشر القصائد مما سمح للشعراء أن ينشروا انتاجهم فكانت الاقدام والشهاب وجرائد الشيخ أبي اليقضان العديدة والنجاح والبلاغ والبصائر والاصلاح والمنار ميادين لهؤلاء الشعراء . نشرت أول محموعة شعرية عشية مرور مائة سنة على الاحتلال جمعها محمد الهادي السنوسي من خلال مؤلفه شعراء الجزائر في العصر الحاضر في جزئين (الأول سنة 1926 والثاني سنة 1927 وكلاهما طبعا في تونس) وقد تلا ذلك نشر ديوان الشيخ أبو اليقضان . "

ويضيف قائلا :

"أما أنماط الشعر خلال هذه الفترة فقد تنوعت فأنت تجد الشعر الذاتي عند عدد من الشعراء منهم رمضان حمود ومبارك جلواح والطاهر البوشوشي وعبد الكريم العقون وتجد الشعر السياسي الصريح أو المغلف عند البعض مثل ابن باديس ومفدي زكريا والربيع بوشامة (233) ومحمد العيد كتابه والشعر الاجتماعي عند أحمد سحنون

وأبي اليقضان والصادق خبشاش والهادي السنوسي ومن شعراء الدين والتصوف أحمد المصطفى بن عليوة وكات بعض الشعراء يجمعون بين عدة أغراض أمثال محمد العيد .يصاف الى ذلك شعر التمثيل ذلك أن الحركة الأدبية قد نمت وارتبطت بالتراث العربي وبالثقافة السلامية ، وأصبحت تستمد أمثلتها من الشعراء القدماء والمحدثين وتقلد ما ظهر في المغرب وتامشرق مما يسمى بالشعر التمثيلي . فكان الشعراء يكتبون لتلاميذتهم روايات شعرية قصيرة يمثلونها في المناسبات الدينية والاجتماعية كالمولد النبوي والأعياد ومن ذلك مسحية بلال لمحمد العيد آل خليفة .ومن الممكن أن نلحق بذلك الأناشيد الاسلامية التي كان ينظمها الشعراء بروح دينية اصلاحية وطنية لينشدها التلاميذ في المدارس تربيةلهم وتنشيطا لهممهم ومن الذيم برعوا في ذلك ابن باديس ومحمد العيد ومحمد بن العابد الجيلالي ." **(234)**

<u>الإهتمام البالغ بالتاريخ الوطني :</u>

إن ظهور الميلي في هذا الصدد كأول مؤرخ جزائري حديث لم يكن محل استغراب . والميلي الذي كان هو نفسه تلميذ ابن باديس قد حاول ان يعيد كتابة التاريخ الجزائري على أساس وطني وقد ظهر الجزء الأول من كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث سنة 1928م (235) وباعتبار الميلي عضوا من العلماء ركز على فكرتي الاصلاح والوطنية في تاريخه وقد أهدى كتابه إلى شعوب الجزائر خاصة والمغرب العربي عامة بالاضافة إلى الشباب المفكر ورجال العمل في المنطقة .

يعرف الميلي التاريخ بانه : " مرآة الماضي ومصعد الحاضر وشهادة حياة أمة وسجل أعمالها الشريفة وتذكار عبقريتها ورباط وحدتها وميزان تقدمها " . وقد تاسف على أن الجزائريين في وقته كانوا يجهلون كلّ شيىء عن تاريخهم بينما كانوا يعرفون الكثير عن تاريخ البلاد الأجنبية وتاسف ايضا على أن بعض الجزائريين كانوا ينظرون إلى تاريخ بلادهم على أنه قائمة أسماء ما قبل التاريخ واعتبروا أجدادهم وحوشا ولكنهم مع ذلك يناقشون مستقبل الجزائر .

كان الميلي يرى أن تاريخ الجزائر يعني الجنسية الوطنية فقد كتب قائلا : " عندما يدرس أبناء هذه أمة تاريخهم سيعرفون واقعهم واذن سيعرفون أن القومية الموجودة (أي القومية الفرنسية) سوف لا تبلغ قوميتهم " . وبناء على رأيه فان هذا الواقع التاريخي هو " فهم مجد ماضيهم ونبالة أجدادهم (236)

صدر الجزء الأول من **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** سنة 1347ه /1929 م وتم طبعه بالمطبعة الاسلامية الجزائرية بقسنطينة العاصمة الثقافية عندئذ وحيث بدأت حركة الاحتجاج والعرائض منذ القرن الماضي ونشر الثاني في نفس المكان والمطبعة سنة 1350ه /1932م .

ولكن تاريخ الميلي ليس عملا اختصاصيا فموضوعه الرئيسي هو تمجيد الماضي الجزائري وكان هدفه أن يظهر أن للجزائريين رغم الحكم الاجنبي ، فتاريخيا يجب أن يكونوا فخوريين به .وبناء على رأي كاتب فرنسي فان الميلي قد عامل الماضي كذكريات من الشهامة الوطنية التي قد تساعد ــ إذا بعث ــ على أن تجعل الجزاريين ينهضون من حالتهم التي يرثى لها . وإذن فإن هدف هذا التاريخ كان سياسيا ووطنيا ولكن الجزائريين استقبلوا عمل الميلي باعجاب فقد اعتبر بعضهم الميلي المؤرخ الذي بعث الأمة الجزائرية وقد كتبت جريدة النجاح عدد (2 اكتوبر 1932م) أن مؤرخي الجزائر الجديدة نفضوا الغبار عن تاريخ أجدادنا ... وبعثوا الحياة في بقايا أجدادنا لكي يجعلوهم يخبروننا بأنفسهم عن ماضيهم العظيم والمجيد (237)

وبالمقابل يقول أبو القاسم سعد الله في شان المؤلفين : " لأن الجدة في كتابة الميلي للتاريخ تظهر في عدة أمور منها المنهج الحديث والتوجيه السياسي واستعمال المصادر العربية ونقدها واستعمال المصادر الفرنسية عن طريق الترجمة واستخدام التقنيات مثل الخرائط والرسوم والرد على نظريات المؤرخين الفرنسيين ومناقشة آرائهم دون إظهار التحيز لذاته . ونبه الى ضرورة الابتعاد عن كتب الخرافات وتصديق ما جاء في الكتب القديمة ودافع عن كون الاسلام نظاما

حضاريا متكاملا وركز على دور الشعب في التاريخ ولم يهتم كثيرا بالملوك والأعيان. ومن مراجعة الفرنسية (وعددها إثنا عشر مرجعا) من أمثال بارجيس وغزال وقوتييه وميرسييه ومرمول وفيرو . كما أنه رجع إلى الكتب العربية الكلاسيكية (وجملتها 56 مرجعا) منها قرطاجة في أربعة عصور للمدني والأزهار الرياضية للباروني وموجز التاريخ العام لعثمان الكعاك ... ومع ذلك فالنقول كثيرة واستخدام أسلوب الرواية متوفر بكثرة والاستشهاد بالشعر . وإذا كان في الجزء الأول قد استخدم الهوامش فإنه إستغنى عنها تماما في الجزء الثاني. غير أنه في هذا الجزء استعمل فهارس الرجال والنساء وأسماء المدن . واشتمل الكتاب على الأحداث السياسية والتطورات الاجتماعية والاقتصادية ولكنه اشتمل أيضا على التراث الحضاري للشعب من نظم وأدب ولغة وعقائد (238) .

إن مثل هذا العمل ليس سهلا ولا يسيرا فقد يستطيع المؤرخ أن يتناول عصرا معينا أو عهدا تاريخيا محددا أما ان يلتهم كل العهود والعصور في تاريخ أمة نشيطة حافل ما ضيها بالاضطراب والأعمال الكاملة كالأمة الجزائرية فإن ذلك مجهود ضخم يستدعي صبرا جميلا وجلدا طويلا مع ما نعلم من قلة المصادر في الجزائر ومع ما نعلم من عدم إتقان الميلي لعدة لغات أجنية قد يستعين بها مباشرة على إنجاز بعض جوانب عمله التاريخي الشاق ومع ما كان يضطلع به من اعمال ثقافية أخرى ومع ما أصيب به من مرض السكر وحتى السرطان في آخر حياته وهما المرضان اللذان أوديا به وهو لا يزال في ريعان الكهولة إذ لم تكن سنه قد اربت على السابعة والأربعين (239)

والحديث عن الميلي يؤدي بنا إلى الحديث عن أحمد توفيق المدني وكتابه المعروف **كتاب الجزائر** فقد كانت بينهما علاقات ثقافية ولعلهما التقيا في تونس قبل أن يتعارفا في الجزائر . والمدني قد ساعد الميلي في اعد الميلي في النصوص الفرنسية . وقد نوه المدني بصدور الجزء الأول من تاريخ الميلي ودعاه الى الاحتفاء بصاحبه . كما أن الميلي قد شكر المدني على مساعدته وسماه " صديقي " ولعلّ عدم إقبال الميلي على معالجة الحاضر هو الذي جعل المدني

يتولى ذلك ويركز على العهد الفرنسي أكثر من العهود السابقة له وأن يجعل كتاب الجزائر نوعا من كتاب الجيب لتاريخ الجزائر في العهد الفرنسي الى سنة 1930م وكلا الرّجلين كان مهتما بالتاريخ ولا سيما تاريخ المغرب العربي القديم فهما يلتقيان في عدة أصعدة . (240)

كما صدر لتوفيق المدني في هذه المرحلة كتاب هام هو : كتاب وكتاب **محمد عثمان باشا** وقد أهداه الى ابن باديس الذي لم يعدم له تقريضا في مجلة الشهاب . كما لم يعدم المدني البحث في كثير من المواصيع التاريخية المتفرقة وليس معنى ذلك ان المدني حاول أن يجوب بفكره مجاهل التاريخ الانساني العام وإنّما معناه أن المدني كان ولعه بالدراسة التاريخية التي تتصل بالجزائر وحدها . وقد كان من العسير على أولئك المؤرخين الجزائريين أن يصرفوا وجهتهم الى التاريخ الانساني العام من حيث أن تاريخهم نفسه لا يبرح بحاجة الى البعث والاحياء والى الفهم والتهذيب . لأن ما يفعل ذلك مؤرخون كثر فيهم الباحثون في هذا العلم .أما من كانوا لايزال تاريخهم عند أممهم مجهولا وماضيهم مغمورا أمثال المدني والميلي والجيلالي فقد كانوا جديرين بالاشتغال بالتاريخ الوطني البحت. (241)

وإليك الآن قائمة الكتب التي ألفها المدني وفق مقتضيات الإطار الزّمني للدراسة :

– **الجزآن : الرابع والخامس من تقويم المنصور** 1926م، 1929م (طبع منه في تونس 1922، 1923 ، 1924 وهو تقويم شمل أبوابا في الأدب والتاريخ والسياسة والجغرافية والفنون بالاضافة إلى الاحصائيات والاحداث

– **تاريخ شمال إفريقيا أو قرطاجنة في اربعة عصور** ، تونس 1927م وقد استعمل فيه الخرائط والصور ووضع رسومه الفنان عمر راسم وتاثر به الشيخ الميلي حسب رواية سعد بن أبي شنب وهو على كل حال من بين مراجعه

ـ **كتاب الجزائر** ، الجزائر ، 1932م وهو من وحي الاحتفال بالاحتلال سنة 1930م (الاحتفال المئوي) ونبش الجروح من قبل المستعمرين

ـ **محمد عثمان باشا وخلاصة تاريخ الأتراك بالجزائر** ، الجزائر 1938م وهو عن حياة أطول الدايات عهدا وحكما وربما أصلحهم وقد أعيد طبعه بعد الاستقلال

ـ **جغرافية القطر الجزائري** ، الجزائر 1948م وهو الول من نوعه بالعربية وكان موجها الى طلبة المدارس التي تشرف عليها جمعية العلماء . وقد سد فراغا كبيرا وربط بينه وبين التاريخ و الجغرافية وملأه بالمشاعر السياسية الوطنية وطبع أيضا سنة 1952

ـ **المسلمون في شبه جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا** ، الجزائر 1946م ... (242)

ظهر لعبد الرحمان الجيلالي **تاريخ الجزائر العام** أوائل الخمسينات 1953م وهو في جزئين وقد تناول التاريخ من أقدم العصور الى العهد العثماني وكان دافعه أيضا وطنيا . فقد أهداه الى عقبة بن نافع ووجهه الى الشباب وكان ذلك رمزا لربط الحاضر بالماضي فعقبة رمز للفتح الاسلامي والشباب رمز اليقظة الوطنية وكان هدف المؤلف ان يقتدي الجيل الجديد باجدادهم ولا ينغمسوا في الحضارة الاجنبية وينسوا ما ضيهم وتدل ثقافة الجيلالي على هذا التوجه . (243)

صدر من تاريخ الجزائر جزءان وقد ركز في الأول على تعريف التاريخ وعلاقته بالقومية وخصص جزءا ضئيلا منه لتاريخ الجزائر قبل الفتح الاسلامي ثم توسع في التاريخ منذ الفتح ورجع الى عدة مراجع منها العربي وهو الغالب (61مرجعا) واعتمد على بعض المخطوطات (244) وبناء على رأي سعد الدين ابن شنب فإن الجيلالي لا يعرف الفرنسية الا قليلا ولذلك إعتمد على التراجمة فيما أخذه منها (245)

وهو في هذا يلتقي مع الميلي كما يلتقي معه ومع المدني في الرؤية الوطنية للتاريخ وتوظيفه لخدمة الشباب والجيل الجديد عموما وضرورة بعث التاريخ لخدمة الحاضر . ويمتاز تاريخ الجيلالي بالتبويب المحكم وترتيب الأدوار التاريخية وذكر جداول الدول وتراجم بعض المشاهير . وقد دعا أيضا إلى المحافظة على الهوية الوطنية واحترام الأجداد والارتباط بالدين والوطن وشمل تاريخه ذكر الأسباب في ظهور الدول وإختفائها ودوام النظم وانقراضها بالاضافة الى التعرض للوضع الاقتصادي والحضاري (246)

ولقد أجرى عبد المالك مرتاض دراسة في المؤلف فاستجلى محاسنه ومساوئه فذكر قائلا :

أول ما تبدّى لنا من محاسن هذا الكتاب أنه يعد موسوعة ضخمة للمعارف التاريخية فهو خليق بأن يفيد القارىء إفادة عميقة فهو تاريخ غزيرة مادته غنية معارفه وواسعة مسالكه

ثانيا : ان الجيلالي لم يفته أن يثبت جداول تاريخية تقيد الحوادث التا ريخية الهامة التي وقعت على عهد الدولة التي يؤرخ لها في كل فصل من فصول كتابه الرئيسية

وثالثا : ما خصصه من فصول لدراسة النواحي الثقافية والحضارية والمذهبية خلال الفترة الزمنية التي أرخ لها .فهو بعد أن يعالج المسائل التاريخية البحتة يخلص الى الأنحاء الفكرية والمذهبية فيتناولها في ايجاز ولكنه نافع مفيد .

رابع محاسن هذا الكتاب خلوه من الانفعالات العاطفية لأن المؤرخ ينبغي له أن يتحلى بصفة الهدوء والتروي في معالجة الوقائع التاريخية وتحليلها تحليلا موضوعيا ها دئا رزينا .فان رأيت مؤرخا مندفعا اندفاعا عاطفيا كثير النعوت للأشياء فاعلمن أنه شاعر بعيد عن علم التاريخ .

وخامس محاسن الكتاب استشهاده بالنصوص الكثيرة الطويلة المختلفة التي تؤيد مذهبه أو تدعم حجته في تقرير رأي أو إصدار حكم ولم تكن هذه النصوص تاريخية كلها بل أن المؤرخ عول على النصوص الأدبية كثيرا وقد عول على النصوص الشعرية بوجه خاص .

أمّا مواطن الضعف في هذا الكتاب أنّ صاحبه لم يعن فيه عناية فائقة بالخرائط الجغرافية التي تضطرب فيها الحوادث إضطرابا فلا تزال الجغرافية مضطربا للوقائع التاريخية اذ كانت تشكل في الدراسات التاريخية العنصر المكاني في حين أن الحوادث تمثل العنصر الزماني

ـ وقع الجيلالي في بعض ما وقع فيه الميلي أيضا من إهمال ذكر المصادر التيّ إستقى منها أو إهمال لصفحاتها في حال ذكرها .

ـ أما المخطوطات التي كان الجيلالي يستقي من بعضها فلم يكن يومىء الى مواطن وجودها بتاتا مع أنها اهم وأثمن من المطبوعات ومن حق القارىء الباحث أن يعرف مكانها فقد يفيد منها أعظم الفائدة وأكبرها .

ـ ومن عناصر الضعف في هذا الكتاب خلوه من التحليل العلمي أو المنطقي لسير الحوادث التاريخية التي كان الجيلالي يمر بها أو يعالجها مع أنّه كان قد وعدنا في مقدمته بانه سيحلل الحوادث ويعللها تعليلا فقد كان المؤرخ كثيرا ما يجتزىء بعرض الحوادث التاريخية دون تعليق دقيق ولا تعليل عميق ولولا التعليق على الوقائع التاريخية وتعليلها لكان التاريخ قصة خيالية لا مجال فيها للعقل ولا للعلم . ويختمك حديثه قائلا : " إنّ هذه الجولة الممتعة التي قمنا بها في ثنايا كتاب تاريخ الجزائر العام للجيلالي جعلتنا نذهب الى أن هذا التاريخ ذو شأن في النهضة الثقافية الجزائري المعاصرة . فقد أنفق الجيلالي من الوقت وعانى من الجهد في تاليف هذا الكتاب ما تشهد به مادته الخصبة ومعارفه الواسعة فهو كتاب هام لا غنى عنه لاحد يريد أن يلم بتاريخ الجزائر خلال أطوار التاريخ المتباعدة التي

عالجها . ونحسب مخلصين أنّ الجيلالي قد أدى بهذا الكتاب لنهضتنا الثقافية المعاصرة في الجزائر صنيعا عظيما . (247)

دور المسرح :

إن مؤرخي المسرح الحديث في الجزائر يرجعون ظهوره إلى أوائل العشرينات من القرن العشرين (248) وكلهم يلحّون أنه ظاهرة جديدة وكان ذلك بعد زيارة فرقة مصرية سنة 1921م على رأسها جورج أبيض بمعية القرداحي وفاطمة رشدي (249) وقد مثلت هذه الفرقة المسرحية مسرحيتين الأولى **ثارات العرب** والثانية **صلاح الدين الأيوبي** . (250)

ويذهب النقاد الى أن الفرقة فشلت في الوصول الى الجمهور وهم يرجعون سبب ذلك الى استعمالها اللغة الفصحى التي لم يفهمها جمهور العاصمة عندئذ . في حين يذكر أبو القاسم سعد الله في موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي في جزئه الثامن : " لنا أن نتساءل عن الموضوعات والمؤلف وإذا كان اسم صلاح الدين معروفا في الذاكرة الشعبية وكذلك العرب فإن العناوين لا توحي بجاذبية خاصة للجمهور ولا اسم جورج يجعل المسرحيات " عربية " في الفطرة الجزائرية . وقد ورد اسم جورج كمؤلف وممثل ورئيس الفرقة وهذا الاسم في الفطرة الجزائرية مرتبط بالأسماء الفرنسية وليس بالعربية والناس عندئذ لا يفرقون بين المسلم والعربي . ولسنا ندري من دعا الفرقة للحضور أصلا . ونحن نتساءل عن ذلك لنعرف الجهة التي كانت مسؤولة عن الاعلان والتعريف بالفرقة .فهل هي الحكومة أو الخواص ؟ ولا نظن أن الفرقة المصرية قد جاءت من تلقاء نفسها بدون إعداد وترخيص وإجراءات دقيقة من مصلحة الشؤون الأهلية التي كانت بإدارة ميرانت . MIRANTE ثم لماذا أختيرت العاصمة التي يغلب عليها عندئذ الطابع الأروبي ، لتمثيل مسرحيات تاريخية باللغة العربية الفصحى ؟ " (251) . ويضيف في هذا الصدد قائلا : " ولنسلم الأن أن فرقة جورج أبيض قد فشلت في تمثيل مسرحيات جورج حداد (مؤلف المسرحية) لأنها باللغة الفصحى فهل كانت زيارة الفرقة ضرورية لاحياء روح المسرح في الجزائريين ؟ وهل أن

الجزائريون سيظلون بدون مسرح لو لم تزرهم وتفشل معهم الفرقة المصرية ؟ لا نعتقد ذلك ، لأن الجزائر قد دخلت مرحلة عبر عنها الكتاب والملاحظون بمرحلة (النهضة) في ميادين مختلفة . فالمسرح كان سيظهر لا محالة كما ظهر النادي والصحيفة والمسجد الحر والمدرسة الحرة والأحزاب والجمعيات والتاليف وغير ذلك من مظاهر النهضة ." (252)

يذكر جروة علاوة وهبي (253)أن المسرح الجزائري مرّ بخمس مراحل متباينة على امتداد الفترة الزمنية 1926م ، التاريخ الفعلي لبداية المرسح الجزائر الحديث الى غاية 1962م ، تاريخ استرجاع الجزائر استقلالها

المرحلة الأولى : يبدا سنة 1926م وهي السنة التي تعتبر بداية رسمية لمسرح العربي في الجزائر .هذه المرحلة تمتد حتى سنة 1934م أي على مدى ثماني سنوات . ولقد امتازت العروض المسرحية في هذه المرحلة القصيرة جدا بشيىء من الواقعية والاهتمام بقضايا ومشاكل الشعب اليومية بحيث اقتصرت عروضها على انواع معينة من المسرحيات ذات الطابع الهزلي أو ما يعرف في الجزائر ب " **سكاتش** " وكذلك المسرحية الارتجالية أو " **الكوميديا دي لارتي** " وهي المسرحية التي تعتمد دائما على شخصيات معينة وثابتة كالأب والإبن والعاشق.

إلا أنّ رواد المسرح الأوائل في الجزائر قد حرّروا أو غيّروا في الشخصيات المتعارف عليها في هذا النوع من المسرح الارتجالي وجعلوا المحور الرئيسي فيها هو رجل الدين المتزمت أو إبن القرية الذي يكتشف المدينة لأول مرة وما يحدث له من الغرائب والمواقف المضحكة . هذا الى جانب شخصية المحتال وهي الشخصية الماهرة التي تعرف كل شيىء ولا تعرف شيئا . ويمكن ان نقابل هذه الشخصية ونقارنها بشخصية أرلكان في الكوميدية دي لارتي . ومن أشهر رجال المسرح في هذه المرحلة " **عـــــلالـــــو** " الذي كرّس جهوده لاقامة الركائز الأولى للمسرح الجزائري (254) . فبين

1926 و 1931 ألف علالو حوالي سبع مسرحيات وتجول في القطر الجزائري ضمن فرقة مسرحية هاوية شاركه فيها **ابراهيم دحمون وجلول باشجراح وعزيز الاكحل ومحي الدين باش تارزي** ويبدو أنهم جميعا كانوا يمثلون تيارا تاثر بأحداث النهضة العربية الاسلامية وكان معتزا بالتراث ولذلك كانت المسرحيات المتمدة أيضا من هذا التراث رغم أنها كانت كتبت بالعامية ومنها ما هو مستمد من التراث الأندلسي مثل **حلاق قرطبة** وماهو مستمد من التراث العربي في المشرق مثل **عنتر الحشائشي والخليفة والصياد** ومنها ما كان يعالج الواقع الاجتماعي مثل **زواج بو عقلين**. (255) وأول مسرحيات علالو كانت **جـــــــــــحا** وهي مسرحية تراثية ولكن فيها اسقاطات على الوقائع أيضا. (256)

كان علالو اذن من الأوائل الذين هووا المسرح العربي في الجزائر وقدم له مسرحيات وغنى فيه ووظّف الشعر والثقافة التراثية وأنشا فرقة تسمى **الزاهية** وتجول بها في انحاء البلاد واستعمل الرجال والنساء للأداء الجماعي الجيد واخضع اللغة للعامية ومع ذلك كان حظّه الفشل المادي على الأقل و الأزمة النفسية وكان على غيره أن يبدأ من حيث انتهى وأن يعترف له بفضل السبق (257).

كما أن هناك شخصية أخرى كان لها الفضل في إحداث التأثير الكبير على الحياة المسرحية وقتها في الجزائر وربما قلت المفاهيم السائدة والمعمول بها يوم ذاك رأسا على عقب وأقصد بذلك شخصية المغامر الذي جاب اطراف الدنيا على ظهر السفن لأنه كان يعمل بحارا في أول الأمر وقبل أن يصبح فنان الشّعب الأوّل وهو **رشيد القسنطيني** (258) الذي تعلق به المسرح العربي في الجزائر تعلقا كبيرا . وما استطاع نسيانه حتى يومنا هذا . فهو مؤسس المسرح الشعبي حتى أن البعض يطلق على هذه المرحلة اسم مرحلة المسرح الشعبي والحقيقة أنّ رشيد القسنطيني هو أبو المسرح العربي في الجزائر بلا منازع (259).

المرحلة الثانية : تبدأ من سنة 1934م حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية وإذا كانت الأولى عبارة عن تمهيد الأرضية لميلاد مسرح عربي جزائري وإذا كان رشيد القسنطيني فيها قد اكتفى بالتمثيل فقط فإنه في المرحلة الثانية راح يساهم بالتاليف وبكتابة المسرحيات فزود الفرقة التي كان يعمل بها بعدة مسرحيات ساخرة طعّمها بما عرف به من خفة الدّم وسرعة البديهة فلقيت مسرحياته اقبالا كبيرا وتجاوبا أكبر مع الجمهور الذي كان يأتي الى قاعة المسرح يتفرج على الشخصيات البارزة المتناولة من قبله بالنقد والسخرية .

لقد كان لمسرحياته صدى كبير وخاصة مسرحيات **فاقوا** و **بني وي وي** لكن هذه المحاولات باءت بالفشل لأن أعضاء الفرقة لجأوا بدورهم الى استخدام الحيلة مع لجنة الرّقابة فكانوا يعرضون عليها نصا وفي ليلة العرض يقدمون نصا آخر غير الذي تمت م راقبته . بعد كل هذا طلبت الادارة الاستعمارية من أعضاء الفرقة العمل تحت إشرافها على أن تقوم هي بإختيار المسرحيات التي يجب عرضها وعلى أن تكون مختارة من التراث المسرحي الفرنسي ولكن إقتراح الادارة الفرنسية قوبل بالرفض من عناصر الفرقة كما رفض من طرف العاملين بالفرق المسرحية الأخرى وقد أدى ذلك الى توقف النشاط المسرحي للمرة الثالثة ولفترة قصيرة جدا هذه المرة عادت بعده الفرق الى العمل بعناصر جديدة وبتنظيم جديد وكان ذلك مع اندلاع الحرب الكونية الثانية (260)

وجدير بالذكر أنه بين 1937 و 1937 مثلت على الأقل خمس عشر مسرحية بين مدرسية وغيرها وكانت تعالج في معظمها موضوعات دينية وتاريخية واجتماعية بعضها معروفة المؤلف وبعضها مجهولة المؤلف من ذلك **مسرحية بلال** لمحمد العيد لآل خليفة **والدجالون** لمحمد النجار **وعباقرة العرب والبعثة التعليمية** لمحمد بن العابد الجيلالي **وسحار بالرغم منه** لمحي الدين باش تارزي . وهناك جمعيات تمثيلية من الهواة والمحترفين مثل جمعية الشباب الفني لقسنطينة وجمعية محيي الفن لنفس المدينة وجمعية كشافة الرجاء ببانتة وبعض المسرحيات مثلها تلاميذ قيل أنهم تتلمذوا على الممثل المصري الشهير يوسف وهبي مثل المجموعة التي مثلت مسرحية

عاقبة الجهل وهي من وضع بعض المعلمين سنة 1937م والمسرحيات التي مثلت في قسنطينة مثلت على المسرح البلدي تارة ومسرح كلية الشعب تارة أخرى . وفي الأخيرة مثلت مسرحية البعثة العلمية لمحمد بن العابد الجابري سنة 1937 وعلى إثر ذلك ألقى ابن باديس خطبة ثم أنشد نشيده الحماسي اشهدي يا سماء (261)

المرحلة الثالثة : تشمل سنوات الحرب أي من سنة 1939 الى سنة 1945 وتعتبر أقل أهمية من نظيراتها وتعود الأسباب الى عدم التفاهم بين الادارة الاستعمارية و بين العاملين في الفرق المسرحية التي كانت قائمةآنذاك وانعكس عدم التفاهم هذا على نشاط الفرق المسرحية. فلم تساهم ولو بالجزء اليسير في توعية الشعب من النحية السياسية بعكس مسرحيات المرحلة الأولى . وإذا كانت المرحلة الأولى قذ شهدت مسرحيات ذات مضمون سياسي مثل فاقوا وبمني وي و ي فإن المرحلة الثالثة لم تشهد إلا مسرحيات بعيدة كل البعد عن الصراع السياسي الذي كان قائما في الجزائر يوم ذاك بين الادارة الاستعمارية وبين مختلف المنظمات والأحزاب السياسية الوطنية . بل أغلب مسرحيات تلك النرحلة كانت مسرحيات مهزوزة المضمون ومن تلك المسحيات نذكر العودة للأرص والسعادة والعائلة وغيرها .كما نلاحظ ظهور حركة جديدة لم يعرفها المسرح العربي في الجزائر من قبل وهي حركة الترجمة والاقتباس من التراث الفرنسي وتقديم الى الجمهور الجزائري فكانت مسرحيات لا صلة لها بمشاكل الشعب (262)

كما ظهر خلالها جيل جديد من كتاب المسرح مثل محمد التوري من البليدة (263)الذي ألف مع مجموعة من أصدقائه فرقة مسرحية منهم عبد الرحمان عزيز وهي الفرقة الثانية (بعد المطربية) **ليش تارزي** . وظهرت أعمال التوري المسرحية ابتداء من المدمن على الخمر الذي سماه الكيلو وكان يستوحي موضوعاته من التاريخ العربي والواقع الاجتماعي وبعض القصص الأروبية ومن أعماله ايضا مسرحية البارح واليوم ووصية المرحوم والمجنونة وكان التوري مثل رشيد وباشتارزي قد استعمل الأسلوب الساخر والأغنية الشعبية لتوعية الشعب وتصوير حالته ولكنه كان يحتفظ

بطابعه الخاص (264) .يضاف الى التوري مجموعة بارزة من كتاب المسرح وهم مصطفى بديع ومصطفى كزدرلي ومصطفى كاتب كذلك نلاحظ ان الصراع الذي بدأ في المرحلة السالفة بين ادارة المسارح الفرنسية وبين الفرق المسرحية العربية فقد زادت حدته وبلغ الأمر بالادارة الفرنسية ا نطلبت من الفرق المسرحية ألا تقدم الا المسحيات التي تخدم مصالحها و الحلفاء أي جعلها أبواقا وجهاز دعاية للحلفاء . الأمر الذي ثار حفيظة رجال المسح الجزائري فتوقفوا عن النشاط فكان ذلك نوعا من المقاومة الوطنية علما أن الادارة الفرنسية أقدمت على إنشاء فرق موالية لسياساتها منها فرقة بلدية العاصمة . لكن الوضعية تغيرت مع نهاية الحرب ومجازر الثامن ماي من سنة 1945م (265)

المرحلة الرابعة : تبدأ مع سنة 1945م وهي السنة التي 'نتصر فيه الحلفاء وعهزمت النازية لذلك كان لهذه المرحلة رد فعل كبير على جميع المستويات الا أنها لم تكن مرحلة طويلة فقد توقفت سنة 1954م أي مع إندلاع الثقرة التحريرية الجزائرية لتعود للظهور من جديد في حوالي سنة 1956م

لقد كان لهذه المرحلة تاثير قوي على الحركة المسرحية فقد لعبت الفرق المسرحية دورا كبيرا في ميدان التوعية السياسية في أوساط الجماهير ذلك ان سنة 1945 هي السنة التي بدا فيها الوعي السياسي عند الطبقات الشعبية في الجزائر يظهر بشكل واضح بعد حدوث المجازر الفرنسية في حق الجزائريين لذلك كانت أغلب المسرحيات في هذه المرحلة ذات مضمون ثوري سواء اكانت مقصودة أو عن غير قصد ففي مدينة قسنطينة وحدها بلغ عدد الفرق المسرحية
حوالي 12 فرقة مسرحية هاوية بالاضافة الى الفرق التابعة للمدارس هذا عدا الفرق الأخرى في كل من العاصمة وهران والتي يبقى تاريخها مجهولا عندنا نظرا لقلة المصادر التي تتحدث عن الحركة المسرحية في الجزائر حتى في المكتبة الوطنية ما عدا كتاب واحد هو مذكرات محي الدين باشطرزي (265)

ولكن مجموع الباحثين أكدوا أن هذه المرحلة من اخصب المراحل وأخطرها ونذكر فيما يلي عناوين بعض المسرحيات التي قدمت خلال هذه المرحلة وما نذكره ليس من باب الحصر ولكن اعتمادا على ما ذكره الذين عايشوا المرحلة ومن جملة هذه المسرحيات :

بلال : وهي مسرحية شعرية لمحمد العيد لآل خليفة

حنبعل للأستاذ محمد توفيق المدني
بطل الشعب مقتبسة من النص إغريقي وقد إقتبسا للمسرح الجزائري الشريف شعيب

كما ظهر جيل آخر من كتاب المسرح بالاضافة الى الكتاب السالفين . من هنا يمكننا القول أن ما بعد سنة 1945م مان هوالبداية الفعلية لحركة المسرح العربي في الجزائر ذلك لأن المراحل السابقة لم تكن الا عبارة عن تمهيد وتعبيد الأرضية لقيام المسرح اما بعد تلك السنة فقد جاءت مرحلة التوعية السياسية استعدادا لخوض المعركة التحريرية (266) .

إنه من الملاحظ أن الموضوعات التاريخية واللغة الفصحى قد رجعت خلال الثلاثينات واستقطبت جمهورا كبيرا ولاندري إن كان ذلك راجعا الى انتشار فكرة النهضة بين الناس وشيوع التعليم العربي على يد الحخركة الاصلاحية ومن ثم شيوع الثقافة التاريخية نفسها أو كان راجعا الى الموضوعات زطريقة علاجها . وعموما فإن الموضوعات التي عالجتها المسرحيات كانت متنوعة ولكن نعظمها اجتماعي وقد جاءت شخصيات دينية في المسرحيات مثل القاضي والمفتي والامام ولكنها لاتتعرض للوظيفة الدينية التي يتولاها وكان استخدام السخرية يجعل رجل الدين يظهر ساذجا وقصير النظر . ومن الموضوعات أيضا غمز رجال الطرق اللصوفية سيما في المسرحيات التي أنتجها أصحاب الاتجاه الاصلاحي وبعض المسرحيات تعرضت ايضا تعرضت أيضا لتاريخ الاسلام والحج وعدالة الخلفاء الراشدين واحتلت الخمر ومضارها والجهل وتاثر المرأة بالحياة الأروبية والمخدرات مكانة بارزة في عدد من المسرحيات كما ان

الاصلاح والتعليم العربي والوطنية قد ظهرت في بعضها الأخر (267)

أما الجمهور فانه كان يختلف باختلاف الموضوعات والممثلين فالمسرحيات العامة كان يحضرها جمهور المتعلمين المتنورين (وهم عادة ممن لهم علاقة بالمدرسة الفرنسية والثقافة الغربية) وفئة العمال والخدم والطلبة في المدارس الفرنسية . ويقول ابن شنب : " لإن العلماء وأصحاب العمائم (أي طبقة رجال الدين والعلم التقليدي) كانوا معالرضين للمسرح لأنه يتعارض مع الأخلاق الفاضلة ويثير الانفعالات الشريرة مهما كان مضمونها ويهدم بسبب لا اخلاقيته أسس المجتمع الاسلامي بأن يزرع فيها جرثوما معديا فتاكا ولم يكتف ه}لاء عن إمطار الممثلين بوابل من اللعنات وبالاحرلى الممثلات اللواتي لم يكتفين بالظهور على المسرح دون حجاب وقراءة الشعر الجاهلي بل لم يتورعن عن الجهر بأصواتهن وتعرية سيقانهن ." (268)

لكن الامر تغير بعد ذلك فقد كان أصحاب العمائم من رجال الاصرح يحصرو نالتمثيليات وسط الجمهور بل كان بعضهم هم الذين ألفوا المسرحيات للطلبة لكي يمثلوها واصبح التمثيل وسيلة للنهضة ونشر الافكار والتربية . ولكن بشرط الا ينحط الممثل الى درجة سفلى فيقلد

لمجرد التقليد ويبالغ في التقعر من أجل إحداث الضحك وانتزاع الاثارة . والمسرح على العموم مشرو ع إجتماعي له تقنياته ولغته وإشاراته وديكوره وملابسه وهواته ومهما كان الأمر فإنه مع الثورة التحريرية سنة 1954 كان المسرح الجزائري قد بنى لنفسه تقاليد واصبح له أمجاد وتراث وعرف طريقه الى قلب الشعب . (269) .

الهوامش :

(1) بن قينة (عمر) ، المشكلة الثقافية في الجزائر : التفاعلات والنتائج، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، الطبعة الأولى ،2000 ص 20

(2) تركي (رابح) ، التعليم القومي والشخصية الجزائرية ، الطبعة الثانية ، م و ن ش ن الجزا ئر ، 1981 ص 59

(3) سعيدوني (ناصر الدين) ، الجزائر منطلقات وآفاق ، دار الغرب الاسلامي ،لبنان ،2000 ، ص20

(4) نفسه

(5) بن قينة ، المرجع السابق ،ص 24

ـ للمزيد من الاطلاع عن موضوع المؤسسات الثقافية الجزائرية في العهد العثماني أنظر :

ـ مزيان (عبد المجيد) ،"الأنظمة الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار" ، **الثقافة** ،عدد90 ،نوفمبر

ـ ديسمبر 1985 ص ص 35-46

سعد الله (ابو القاسم) تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الأول

(6) ـ سعيدوني ، المرجع السابق ، ص ص 20-21

(7) عن موضوع الأوقاف الجزائرية قبل الاحتلال راجع :

سعد الله (أبو القاسم) ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث 0 بداية الاحتلال) ، ش و ن ت ، الجزائر 1982 ، ص ص 160-161

(8) سعيدوني ، المرجع السابق ، ص ص 21-22

(9) خوجة (حمدان بن عثمان) المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري ، ش و ن ت ، الجزائر ، 1982 ص 277

عن الأوقاف والتغيرات التي تعرضت لها تلك المؤسسات والمحاكم التي تنظر في شؤونها أثناء ولاية كلوزيل أنظر خوجة

ص ص 269-293

(10) سعيدوني ، المرجع السابق ، ص ص 22-23

(11) بن نعمان (أحمد) ن حزب اليعث الفرنسي ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1996 ص 39

(12) هلال (عمار) ،أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830ـ 1962) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1995 ، ص ص 108-109

(13) TURIN (yvonne) , les affrontements culturels dans l'algérie coloniale p 76

(14) Ibid ,pp 40-41

(15) بن نعمان ، المرجع السابق ، ص 42

(16) نفسه ، ص 43

(17) AGERON (charles robert) , les algeriens musulmans et la France (1871-1919), P U F ?PARIS 1968 ?T 1 P 929

(18) تركي ، المرجع السابق ص ص 96-97

(19) حلوش (عبد القادر) ن سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،1999 ، ص 39

(20) نفسه ،ص 40

(21) بن قينة ، المرجع السابق ن ص ص 25- 26

(22) نفسه ص 26

(23) هلال ن المرجع السابق ، ص 114

أنظر تفاصيل موسعة عن السياست التعليمية الفرنسية في العهد المجدني عند : حلوش ، المرجع السابق ، ص 127 وما بعدها

(24) بن قينة ،ص 29

(25) أنظر : تركي رابح ن المرجع السابق ،ص ص 16-19

حلوش (عبد القادر) " أهمية التاريخ والجغرافيا في البرامج التعليمية الفرنسية في الجزائر ، مجلة الرؤية ن العدد الثاني ، ماي ــ جوان 1996 ،ص18

(26) الميلي (محمد) ن الجزائر والمسألة الثقافية : مدخل تاريخي ، المستقبل العربي ، عدد 41 ، جويلية 1982 ، صص 55-56

(27) تركي ، المرجع السابق ،ص 107

(28) سميت هذه القوانين بقامون الأنديجينا (قانون الأهالي) . ولقد أصدره الفرنسيون بعد ثورة 1871م ووسعوه بعد ثورة بوعمامة في 1881م وفقا لقانون 6/28/ 1881م ثم أعقبته المحاكم الرادعة التي خلقها مرسوم 1902/3/29م .

(28) حلوش ، المرجع السابق ،ص 75

(29) تركي ،ص ص 112-113

(30) نفسه ،ص 114

(31) حلوش ،ص 79

(32) نفسه ،ص 80

(33) الجبحاني (الحبيب) حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر ،الأصالة ،عدد 16 ،سنة 1973 ،ص 26

(34) خوجة (حمدان)، المرآة ،منشورات مكتبة الحياة ،لبمان ،طبعة 1972 ،تعريب وتقديم مح بن عبد الكريم ،ص ص 287-288

(35) نفسه ،ص 288

(36)انظر : DEVOULX 5CHARLES° k les edifices religieux dans l'ancien alger K p .36

سعد الله نالحركة الوطنية الجزائرية ، الجزء الأول ،القسم الأول ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1992 ،ص 74

(37) خوجة ن المرآة ، تعريب الزبيري ،ص ص 272-273

(38) سعد الله ، الحركة الوطنية ... المرجع السابق ،ص 75

(39) نفسه نص ص 79-80

(40) راجع مسألة تمسحه عند :

بوشوش (الطاهر) صفحات من تاريخ جامع كتشاوة نالأصالة عدد 14-15،سنة 1973

(41) المعمرات : عبارة عن مؤسسات ثقافية لها شبه بالكتاتيب القرآنية أحيانا وبالزوايا إير الخلواتية احيانا أخرى ، وتنتشر في أرياف الجزائر وقراها الجبلية خاصة منطقة جبال القبائل بالشرق الجزائري . أنظر :

بوعزيز (يحيى) ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1999، ص 136

(42) نفسه ،ص ص 140-141

(43) مجاهد 0مسعود) الجزائر عبر الأجيال ن ش و ن ت ، الجزائر ، ص 419

(44) FOURNEL (mark), la tunisie , le christianisme et l' islam dans l' afrique septentrionale , paris ,1886,p.173

(45) سعد الله ن الحركة الوطنية ، لجزء الأول ...مرجع سابق ن ص 77

(46) خوجة ،المرآة ،تعريب الزبيري ،ص 225

(47) انطوان أودولف دوبوش ،تولى منصب رئيس اسقفية الجزائر من1838 إلى 1845

(48) لويس اغسطين بافي ، خلف دوبوش على رأس أسقفية الجزائر من 1846 إلى 1866

(49) للمزيد من التفاصيل راجع :

سعيدي (مزيان) ،النشاط التبشيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867-1892)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ،اشراف الاستاذ الدكتور ناصرالدين سعيدوني ، معهد التاريخ ،السنة الجامعية 1998-1999 ،

(50) أنظر الفصل الثالث من الرسالة المذكورة ،ص ص 93-127

(51) بوحوش (عمار) التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ، دار الغرب الاسلامي ن ابنان 1997 ،ص 73

(52) بن قينة ، ص 28

(53) بن نعمان ، ص 61

(54) TURIN (y) , op cit,p.36

(55) تركي ،ص 237

(56) سعد الله ،أفكار جامحة ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1988 ،ص 25

(57) نفسه ، ص ص 26-27
(58) بن نعمان ،ص 62
(59) يذكر الأستاذ حلوش أنه حسب احصاء سنة 1871 كان عدد الزوايا في القطر الجزائري حوالي 2000 زاوية تشرف على تعليم وتثقيف حوالي 28000 تلميذ من السكان ،باتفاق جميع المصادر والمراجع ، ويقوم بالتدريس فيها مدرسون جزائريون (الطلبة) ،خريجي المدارس العربية الحرة بترخيص من الحاكم العسكري في المنطقة العسكرية .وكانت نفقات الاعتناء بهذه وتسييرها على حساب القبائل (قبيلة) نفسها ومشاركة البلديات الأهلية من جهة ثانية .راجع : حلوش ،المرجع السابق نص 134
(60) بوعزيز (يي) ،" أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرن التاسع عشر والعشرين " ،الثقافة ،عدد 63 ،ماي ــ جوان 1981 ،ص 24
(61) تركي ،ص ص 239 -240
(62) أنظر : سعيدي ،الحركة التبشيرية ، مرجع سابق ، ص ص 201-202
(63) مرتاض (عبد المالك) " أصالة الشخصية الجزائرية " ،الأصالة ، العدد الثامن ،ماي ــ جزان 1972 ،ص 222
(64) TURIN ,p.138
(65) حلوش ،ص 134
((66) بوعزيز ، "أوضاع المؤسسات الدينية ..." ،مقال سابق ،ص ص 13-14
(67) سعيدي ، المرجع السابق ،ص 202
(68) سعد الله ، أفكار جامحة ،ص 27
(69) سعد الله (أبو القاسم) ،الحركة الوطنية الجزائرية (1900ــ 1930) ،الجزء الثاني ، الشركة الوطنية للنشروالتوزيع الجزائر،1983، ص ص 199ــ200
(70)العدوي (أحمد إبراهيم) ، "التطور التاريخي للحركة الوطنية الجزائرية " **المجاهد الثقافي**، عدد 14 ــ15 /جويلية 1970 ،ص87 .
(71) نفسه
(72) سعد الله (أ) ،المرجع السابق ،ص 113 .
للمزيد من التوسع في المسألة راجع :
علي المحافظة ، الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798ــ1914) ،الدار الأهلية للنشر والتوزيع ،بيروت ،1983، ص 109 .
محمد سهيل طقوش ، العثمانيون من قيام الدولة حتى الإنقلاب ،ط1،دار بيروت المحروسة ، لبنان ،1995،ص495 .
(73)سعد الله (أ) ، المرجع السابق ، ص 114 .
(74)أنظر المسألة عند : سعد الله ، نفسه ،ص 77
العدوي (أ) ، المقال السابق ، 88

(75) راجع لذلك مقال : البوعبدلي (المهدي) ،" جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد الجزائر عام 1322ه/1903م" **الأصـــــالـــــة** ،عدد 54 ــ 55 ، 1978 ، ص 72 ــ 88

(76) كان من جملة من لازموه مدة إقامته بالعاصمة مفتي المالكية الشيخ محمد بن زاكوروفضيلة مفتي الحنفية محمد بوقندورة والشيخ يوسف بن سماية والشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة وعبد الرزاق الأشرف والأستاذ عبد الحليم بن سماية أنظر ابن شنب (سعد الدين) ، " النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة " ، **مجلة كلية الآداب** ،جامعة الجزائر ،العدد الأول ، 1964 ، ص 43 .

(77) سعد الله ، المرجع السابق ،ص 120.

(78) شارل جونار (1857 ــ1927) ، شخصية سياسية فرنسية ، ولي حاكما عامل على الجزائر مرتين .الأولى بين 1900ــ1911 ، والثانية بين 1918 ــ 1921

(79) ومن قبلها مجلة العروة الوثقى

(80) يقول سعد الله في هذا الشأن :" إذا كان عبده شخصية لم تؤثر كثيرا على الجزائريين ،فإن أفكاره عن الإصلاح والدين وعن الجامعة الإسلامية كانت معروفة في كامل الجزائر" .

أنظر سعد الله ، المرجع السابق ،ص 20

(81) سعد الله (أ) ، أفكار جامحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1988، ص 81

(82) سعد الله ، الحركة الوطنية ، مرجع سابق ،ص 121.

83) AGERON (charles ,robert) , "politique Algerienne Liberale"

REVUE D'HISTOIRE MODERNE ET CONTEMPORAINE

,v6, avril-juin 1959 P.128 .

(84) سعد الله ، أفكار جامحة ، مرجع سابق ،ص 82 .

(85) أنظر : بوعزيز (يحي) ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1986 ،ص ص 179 ــ202 .

راجع أيضا : TALIADOROS (georges) , la culture arabo- islamique et la naissance du nationalisme algerien (1830-1962) enal ,Alger ,1985,p45.

(86) بوعزيز (ي) ، الإتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912ــ1948) ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ص 11

(87) بوعزيز (ي) ،كفاح الجزائر ...ن مرجع سابق، ص 12.

(88) هلال (عمار) ،أبحاث ودراست في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 ــ 1962) ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1995، صص113ــ114

أنظر أيضا : تركي (رابح) عبد الحميد بن باديس : فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900ـ1940) ،ش و ن ت ، الجزائر ،1970، ص ص 137 ـ138

(89) عن السياسة التعليمية في الجزائر أنظر:

حلوش (عبد القادر) سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ،دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر ،1999 .

(90) بوعزيز ،الإتجاه اليميني ،مرجع سابق ن ص 12

(91) نفسه

(92) بن قينة (عمر) المشكلة الثقافية في الجزائر ، التفاعلات والنتائج ، دار أسامة للنشروالتوزيع،،الأردن ،2000، ص ص195ـ196.

(93) بوحوش (عمار) التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ، دار الغرب الإسلامي ،لبنان، 1997 ،ص ص 195ـ196

راجع أيضا : AGERON (charles robert), histoire de l'Algerie contemporaine ,presse universitaire de France ,paris 1980,p 37 .

(94) بوحوش ،نفسه ،ص 196.

(95) سعد الله ،الحركة الوطنية ..،ص ص 86ـ87

(96) نفسه ، ص 89

(97) يقصد بذلك العمالات الثلاث (les trois departements) : عمالة الجزائر ، عمالة وهران،وعمالة قسنطينة .

(98) وصفها أحمد توفيق المدني بقوله: <<جملة الأنظمة والقوانين الرهيبة التي يطلق عليها اسم قوانين الأنديجينا والتي ضيقت الخناق على هذه الأمة وأخمدت أنفاسها ، وجعلتها تعيش في جو مظلم وحالة ضغط يصعب تصورها ، وقلما يستطيع العقل تصديقها >>.أنظر خرفي ،ص 23

(99) بوعزيز ، الإتجاه اليميني ...ص 14

(100) يذكر سعد الله أن الإدارة الفرنسية قد دعمت نفسها بعدد 75000 جندي وأحلت الجنود السود الغرباء محل الجنود الجزائرين ، أنظر : سعد الله ، الحركة الوطنية ،ص 110

(101) بوعزيز ، الإتجاه اليميني ، ص 14

(102) بوعزيز (ي) ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، الجزء الثاني ، ثورات القرن العشرين ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ،1996،ص ص 15ـ16

(103) راجع :

AGERON (ch,r) ,les Algeriens musulmans et la France (1871-1919),presse univrsitaire de France ,paris , 1968 ,tome second,p1139.

MEYNIER (gilbert) ,l'Algerie revelée , librairie Droz ,paris 1981 ,p 259.

(103) لقد نصّ قرار التجنيد الإجباري بأن يجند الشباب الجزائري في سن الثامنة عشرة ن ويتقاض أجرا شهريا على خدمته ن بينما الشاب الأروبي يجند في سن الواحدة والعسريين ولا يتقاضى أجرا عن خدمته ن فهو وطني صميم والجزائري المسلم مرتزق ، إنّه حيف سياسي وظلم اجتماعي .راجع :
بوعزيز ، الإتجاه اليميني ، مرجع سابق ، ص 15

(104) كان جونار من أعضاء مجلس الشيوخ ومن أنصار فكرة الجزائر المستعمرة لا المندمجة في فرنسا، أي التي تحتفظ ببعض خصائصها المغايرة للوطن الأمّ فرنسا .

(105) سعد الله ، أفكار جامحة ،ص 85

(106) حلوش ، مرجع سابق ،ص 211

(107) نفسه .

(108) خرفي (صالح) ، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث ،ش وش ن ت ،الجزائر ،1975 ، ص 60.

(109) دبوز (محمد علي) ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، المطبعة العربية الجزائر ، الطبعة الأولى ، الجزائر ، 1971 ، ص ص 16 ــ 17.

(110) خرفي (ص) ، المدخل ، ص ص 60 ــ61.

(111) بوعزيز ،الاتجاه اليميني ، صن 16

(112) طالبي (عمار) ابن باديس ، حياته وآثاره ج 1 ، دار الغرب الاسلامي لبنان ، الطبعة الثانية ، 1986 ص 18

(113) المدني (أحمد توفيق) كتاب الجزائر ، دار المعارف ، مصر ، 1963 ، ص 53

(114) خرفي ، المدخل ،ص ص 53 ــ54

(115) سعد الله ، الحركة الوطنية ،ص ص 152ــ 153

(116) نفسه ،ص 153

(117) نفسه ، ص 157

(118) حلوش ،سياسة فرنسا التعليمية ،ص 251

(119) سعد الله ،الحركة الوطنية ،ص 167

(120) نفسه

(121) لمزيد من التفصيل في الأمر أنظر :

MERAD (Ali) , le reformisme musulman en Algerie de 1925 à 1940 : Essai D'histoire religieuse et sociale, edition el hikma , Algerie ,1999 pp 44-48 .

(122) سعد الله , الحركة الوطنية ،ص 168

(123) نفسه

(124) أما سرفيي ، الصحفي والكاتب الفرنسي الذي كان يعيش في الجزائر فقد قارن النخبة الجزائرية بجماعة تركيا الفتاة وجماعة مصر الفتاة في الطموح والأمال في تولي الزعامة السياسية . راجع لذلك :

SERVIER (André) , le peril de l' avenir , le nationalisme musulman en Egypte en Tunisie ,enAlgerie , constantine ,1913 p52.

DUMAS (charles) , liberez les indigenes ou renoncez au colonnies ,4 ème edition,eugene figier édition , paris 1914 ,p62.

(125) حلوش ،ص ص 252 ــ253

(126) يشير سعد الله إلى أن عدد النخبة كان 450 مثقفا ن راجع كتابه الحركة الوطنية ،ص 168

أما علي مراد فقيم عددهم في هذه الفترة ب 100 مثقف ، راجع كتابه : الاصلاح الاسلامي في الجزائر ، ص 44 .

(127) سعد الله ، ص ص 170ــ 171

(128) نفسه ، ص ص 174ــ175

(129) نفسه ،ص 164

(130) حلوش ، ص 153

(131) سعد الله ، ص ص 181ــ182

(132) نفسه ، ص ص 139ــ140

(133) نفسه ،ص 140

(134) ناصر (محمد) الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 , ش و ن ت ، الجزائر ، 1980 ،ص 8

(135) ناصر (محمد) المقالة الصحفية الجزائرية ، نشأتها ،تطورها ، أعلامها من 1903 إلى 1931

ش و ن ت ، الجزائر ، 1978 ، ص ص 55ــ56

أنظر كذلك في هذا السياق : سبكي (مليكة) ،"الصحافة الجزائرية ابان الإحتلال الفرنسي" **مجلة التـــــاريخ** ، العدد الأول من سنة 1986 ، ص ص 153 ــ154

(136) ناصر (م) ،المرجع السابق ،ص 56.

(137)ابن شنب ،المقال السابق ،ص 64

(138) MERAD (Ali) ,"" la formation de la presse musulmane enAlgerie " (1919-1939) **IBLA**, N°105, 1er trimestre,1964 ,p 23

(139) ناصر، الصحف العربية ، ص 8

(140) ناصر ، المقالة الصحفية ،ص ص 58 ــ59

(141) سعد الله ، الحركة الوطنية ،ص ص 141ــ142

(142) ابن شنب المقال السابق ص 59 .

(143) سعد الله ,الحركة الوطنية ،ص ص 140ــ141

(144) مياسي (ابراهيم) ، " ارهاصات الحركة الوطنية الجزائرية (1900م ــ 1914م) "، **المصادر** ، العدد السادس ،مارس 2002م ،ص ص 144ــ145

(145) أنظر الزبير سيف الاسلام ، تاريخ الصحافة في الجزائر ، ش و ن ت ، الجزائر ،1973،ج 6 ص ص 159 ــ 175

(146) MERAD (ali) ," la formation de la presse ..." ;op cit ; p 15

(147) مياسي (ا) ، المقال السابق ، ص 145

(148) ابن شنب ن المقال السابق ، ص 60

(149) نفسه ، ص 61

(150) وقد كان تأثر تأثرا عميقا بقراءة مجلة المنار فعزم على مقاومة البدع والقيام باصلاح الدين لشعوره بحاجة الاسلام إلى هذا الاصلاح في البلاد الجزائرية فدار بخلده أن يستعمل الصحافة لنشر أفكار الأستاذ محمد عبده فتقدم إلى الادارة الفرنسية بطلب رخصة نشر جريدة حسب القانون الجاري به العمل في ذلك الوقت ففاز بالرخصة فأصدر العدد الأول وأقبل عليه القراء اقبالا حسنا وكان عمر بن قدور قد اختار للفاروق هذا الشعار

قلمي لسان ثلاثة بفؤادي ديني ووجداني وحب بلادي

أنظر : ابن شنب ، المقال السابق ،ص 62 .

نسير أن جريدة الفاروق موجودة بالمكتبة الوطنية بالحامة في شكل ميكرو فيلم تحت رقم م ر **12**

وقد تمكنت من تصفحها شخصيا

(151) مياسي ، المقال السابق ، ص47

(152) بتاريخ يوم الأحد 20 رجب 1332ه/ 14 جويلية 1914م ، الصفحة الثامنة .

أنظر : جريدة ذو الفقار ، المكتبة الوطنية بالحامة جناح المكرو فيلم رقم م ر 32

(153) راجع لذلك ابن شنب ،ص 62

ــ لمزيد من التفاصيل في شأن الصحافة الجزائرية مع بداية القرن العشرين

أنظر ناصر (محمد) ،الصحف العربية ،مرجع سابق

سيف الاسلام (الزبير) ،تاريخ الصحافة ،مرجع سابق ،

احدادن (الزهير) الصحافة الاسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930م .

(154) سعد الله ،الحركة الوطنية ، ص 141

(155) نفسه ، ص ص 143 ــ 144

(156) راجع التقويم الجزائري لسنة 1912 ،ص 184 (المكتبة الوطنية بالحامة ، جناح المكرو فيلم رقم م ر 41 .

(157) التقوم الجزائري ، سنة 1912 ص ص 184ــ 185

(158) سعد الله ، ص ص 144 ــ 154

(159) التقويم الجزائري ، سنة 1912 ، ص 186
(160) ابن شنب ،ص ، 65
(161) سعد الله ،ص 145
(162) دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة ، ج 1 ن ص 140
(163) سعد الله ،ص 147
(164) نفسه ، ص ص 142ـ 143
(165) مياسي ، ص ص 141ـ 142
(166) راجع المسألة عند سعد الله ،ص ص 144 ـ 145
(167) نفسه ، ص ص 48 ـ 50
(168) ابن قينة (عمر) ، "عبد القادر المجاوي في حياته وآثاره (1848م – 1913م) " ، الثـقافة ،
عدد 48 ، ديسمبر 1978م ص 116
(169) نفسه ، ص ص 117 ـ118
(170) ابن شنب ،ص ص 47 ـ 48
(171) نفسه ، ص ص 53 ـ 54
(172) نفسه ، ص 54
(173) سعد الله ، أفكار جامحة ، مرجع سابق ، ص ص 85 ـ86
(174) سعد الله ،الحركة الوطنية ،ص 143
(175) تركي (رابح) ، دراسات في التربية الاسلامية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1987م ، ص ص 96 ـ 97
(176) مياسي ، ص 133
(177) سعد الله ، الحركة الوطنية ،ص 151
(178) مياسي ، ص 148
(179) ابن شنب ،ص
(180) سعد الله ، الحركة الوطنية...مرجع سابق ص ص 299 ـ 300
(181) نفسه ، ص 300
أنظر أيضا : دبوز ،نهضة الجزائر ...ج 2 ، ص ص 25 ـ 26
(182) سعد الله ، أفكار جامحة ...ص 42
(183) محمد الميلي ، "الجزائر و المسألة الثقافية ، التناقضات الثقافية (الجذور) " ، المستقبل **العربي** عدد 45 نوفمبر 1982 ص ص 41 ـ42
(184) أنظر دراسة زهير احدادن :
ZAHIR IHADDADEN," l'emir khaled et la presse " ,**centre des études historiques ,numéro spécial ,** novembre 1986 ,p.33-37

(185) صالح خرفي ،ص 65
(186)محمد ناصر ،المقالة الصحفية ...،المجلد الثاني ، ص 266
(187) جاء في اعتذار عمر بن قدور عن توقف السلسلة الثانية من الفاروق ما يلي : " بناء على ما تخرص به المتخرصون وافتراه الممفترون ، من الصاق ونسبة مقالات نشرت بجريدة التقدم إلي فإنني أعلن صراحة بأنني عطلت جريدة الفاروق وفارقت السياسة واجتنبت كل خوض فيما يخص الجرائد وغيرها ولازمت العزلة التامة " . أنظر : خرفي ص 65
(188) نفسه ص 66 .راجع في هذا السياق كذلك :
ALI MEDAR ; op cit ; p132 .
(189) سعد الله ، الحركة الوطنية ،ج 2 ،ص 422
(190) نفسه ،ص 423 أنظر أيضا :
مفدي زكريا ، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر ،جمع وتحقيق أحمد حمدي ،منشورات مؤسسة مفدي زكريا ،الجزائر ،2003 ص ص 88 ــ100
(191) محمدد ناصر ،المقالة ،ج 2 ص 269
(192) محمد خير الدين ، مذكرات ، الجزء الأول ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،ص 296
(193) نفسه ،ص ص 297 ــ298
(194) نفسه ،ص 298
أنظر أيضا : خرفي ،ص ص 66ــ67
(195)خيرالدين ،ص 299
(196) سعد الله ، أفكار جامحة ،ص 42 .
راجع في هذا الصدد : LA VOIX DES HUMBLES
كتب في الصفحة الرئيسية : جريدة ناطقة باسم جمعية المعلمين من أصل أهلي بالجزائر ، مؤسسسها السيد فاسي ومديرها المسير السيد زنات ، الأعداد المتوفرة على مستوى مكتبة الحامة تمتد من سنة 1923 إلى سنة 1939
كانت هذه الجريدة تمثل لسان حال المعلمين الجزائريين باللغة الفرنسية ،كان شعارها وهدفها تثقيف الجزائريين تثقيفا غربيا فرنسيا حتى يصبحوا في آخر المطاف فرنسيين وهي بمواقفها هذا كانت تلتقي مع جريدة صوت الأهالي زعيمة الادماج
(197) دبوز ، النهضة ،ج2 ص 28
(198) خرفي ،ص ص 67 ــ 69
أنظر جريدة : صوت الأهالي LA VOIX DES INDIGENES
كانت تصدر أسبوعيا وكانت تمثل وجهة نظر المتجنسين الجزائريين وذوي الثقافة الفرنسية
كما أنها كانت تهدف فيما تكتب الى الحث علىالتجنس بالجنسية الفرنسية والمطالبة بالادماج وسيرا مع خطتها فإنها كانت تريد من الصحف الوطنية أن تحذو حذوها

. الأمر الذي جعل أحد مفكرينا يقول عنها : ط طبعا تود الزانية أن تكون النساء كلهن زوان " .
نشير أن الأعداد المتوفرة في المكتبة الوطنية (الحامة) تمتد من سنة 1932 الى سنة 1952 . وغايتنا أن سن نوفق مستقبلا في اجراء دراسة عما بعد اطلاعنا المبدئي عليها .
(199) عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925ـ1962 ،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1983 ،ص ص 106ـ107
(200) أنظر الشهاب ،عدد 3 ،أبريل 1930 ،هي متواجدة على مستوى مكتبة الحامة ، جناح المكروفيلم تحت رقم مر 17
(201) مرتاض ، المرجع السابق ، ص 112 .
عن نشاط الابراهيمي الثقافي خاصة أنظر :
MERAD ; opcit ; p83
(202) البصائر الثانية عدد 86 ،السنة الثانية ،ص 56 ، جناح المكرو فيلم بالحامة ،رقم م ر 6
(203) نفسه ، عدد 3 ، السنة الأولى
(204) محفوظ قداش ، الجيلالي صاري، المقاومة السياسية ...، مرجع سابق ن ص ص 261
(205) مرتاض ، ص ص 106ـ107
(206) أنظر تفاصيل تأسيس نادي الترقي عند : دبوز ص 92 (207) راجع لذلك : مرتاض ،ص 42
تركي ،ص 232
(208) دبوز ، ص 94
(209) الشهاب ،ج 9 ،أوت 1934
(210) دبوز ص ص 94 ـ95
(211) مرتاض ،ص ص 44 ـ45
(212) عمار هلال نمرجع سابق ،ص ص 261 ـ263
(213) نفسه ،ص 263
(214) نفسه ،ص ص 270 ـــ 283
(215)راجع في هذا الشأن :
" تقرير عن التعليم المسجدي ، نوعه ،الحاجة إليه ،وجوب القيام به ،الحالة التي هو عليه ، كيف ينبغي أن يكون " خطاب ألقاه الشيخ عبد الحميد ابن باديس سنة 1935 نشر في :
سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، المطبعة الجزائرية الاسلامية ،قسنطينة ،1935 ، ص ص 95ـ98

(216) سعد الله ،أفكار جامحة ، ص ص 104ـ105
(217) راجع في هذا الشأن :
مرتاض ، ص ص 45ـ58
تركي ،ص ص 233ـ236 وكذلك
ملحق قائمة المدارس المنشأة بين 1931 ـ1956 ص 276
خيرالدين ،مذكرات ،ص ص 204ـ209
(218) تركي ،ص ص 238ـ239
راجع في هذا الشأن : عبد القادر عثماني ، " الزوايا في الجزائر عرضا وتحليلا " محاضرات الموسم الثقافي 1998 ـ 1999 ، منشورات المجلس الاسلامي الأعلى ، الجزائر 1999 ، ص ص 217 ـ 231
(219) محمد الهادي الحسني ، " ماذا تعرف عن زاوية الشيخ عبد الرحمان اليلولي "،جريدة العصر ،العدد 13 ، رمضان 1401ه / جويلية 1981 ص 4
(220) ابن شنب ،المقال السابق ،ص 38
(221) تركي ،ص ص 240ـ241
أنظر في هذا الصدد : رسالة يسلي مقران ، الحركة الدينية الاصلاحية في منطقة القبائل 1920 ـ 1945 ، بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة ،جامعة الجزائر ، معهد الفلسفة ،إشراف
أبو عمران الشيخ 1404ه /1983م .
(222) **عمار هلال ،الحركة الاصلاحية في الجنوب الجزائري وتطوراتها ورجالها ،الحلقة الثالثة** ، ص 23
أنظر أيضا :
دبوز ،بداية من الصفحة 127
(223) تركي ص 241
أنظر كذلك :دبوز ،ص 125 وعن الجمعيات الدينية ، راجع الصفحة 229
(224) سعد الله ،أفكار جامحة ،ص 106

عمار هلال ،المقال السابق ،ص 131 ـ 132
(225) مرتاض ،ص 157
(226) أنظر : سعد الله ،دراسات في الأدب الجزائري الحديث ،دار الآداب ،بيروت 1966
كتاب الركيبي تطور النثر الجزائري الحديث
(227) مرتاض ص ص 157ـ158
(228) راجع في هذا الصدد :
ـ سعد الله ،تارخ الجزائر الثقافي ، ج 8 ص ص 174 ـ175
ـ مرتاض ، ص ص 182 ـ183

ـ سعيد ولد خليفة ، " الثورة كانت أيضا ثورة الكلمة " ، **الحدث العربي والدولي** ، العدد 24 ، نوفمبر 2002 ،ص ص 90 ـ 91

(229) سجل مؤتمر الجمعية سنة 1935 ،ص 27

(230) نفسه

(231) تاريخ الجزائر الثقافي ج 8 ص 109

(232) سعد الله ،أفكار جامحة ،ص 107

(233) الربيع بوشامة ، ديوان الربيع بوشامة ،جمع وتقديم جمال قنان ، منشورات متحف المجاهد ،الجزائر ، 1994 .

(234) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 8 ص ص 196 ـ 198

(235) يذكر أبو القاسم سعد الله أن الجزء الثاني من الكتاب ظهر سنة 1932م وأنهى الميلي كتابه بالقرن السادس عشر ورغم أنه عاش الى سنة 1943 فإنه لم يصل بكتابه الى العصر الحاضر غير أنه ابنه محمد الميلي قد أكمله بعد الاستقلال باصداره الجزء الثالث مبنيا على ما وجده من مخطط وأوراق والده راجع : سعد الله ، الحركة الوطنية ،ج 2 ص 425

(236) نفسه ،ص 426

(237)نفسه ،ص ص 426ـ427

أنظر في هذا المجال دراسة :

BEN CHENEB ," quelque historiens arabes modernes de l' REVUE AFRICAINE , n° 91 année 1947,pp475-499 Algerie

(238) مرتاض ،ص 205

(239) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 7 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،ص 419

(240) نفسه ،ص ص 207 ت208

(241) نفسه ،ص ص 420ـ421

راجع أيضا : BEN CHENEB ; op cit ; p488

(242) سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 7 نص 423

(243) نفسه نص 424

(244) ابن شنب المؤرخين العرب صص 495 ـ498

(244) يذكر سعد الله في موسوعته تاريخ الجزائر الثقافي أن تاريخ الجيلالي قد أعيد طبعه بعد الاستقلال كما اعيد تنقيحه وتوسيعه حتى صار كأنه كتاب جديد وقد أصبح في أربعة أجزاء بدل اثنين ووصل فيه المؤلف الى عهد الثورة . وفيه نوه بدور زوجته في ترجمة النصوص له من الفرنسية فقال انها كانت تلخصها وتترجمها الى العربية طياة أيام اعداده لهذا التاليف وجمع شتاته من أوله الى آخره راجع : سعد الله ، نفسه ص ص 424 ت425

(245) أنظر: قداش وصاري ، المقاومة السياسية ... ، ص ص 253 مرتاض ،ص ص 224 ـ238

(246) كان الجزائريون قبل الاحتلال يمثلون عن طريق خيال الظل المعروف بالكركوز كما كانوا يعرفون التمثيل بهذه الوسيلة التي كانت شائعة في المشرق العربي ايضا . وكان مسرح خيال الظل مزدهرا سنة 1830 وظل بضع سنوات بعد ذلك . وقد وصفه الكتاب الأروبيون الذين سجلوا الحياة العامة في رحلاتهم وكتاباتهم النطباعية عن المجتمع الجزائري وحضروا بعض الحفلات ومن الشخصيات البارزة في مسرح خيال الظل شخصية الحاج عيواز . ولكن مع الاحتلال يبدو أن هذا المسرح قد اتخذ أساليب جديدة . ويبدو أن السلطات الفرنسية لم ترق لها هذه الأساليب الجديدة فمنعته تماما في بداية الأربعينات. أنظر :
سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 8 ص 134

(247) لانعتقد أن زيارة الفرقة المصري بقيادة جورج ابيض سنة 1921 هي وحدها التي حركت في الجزائريين الإهتمام بالمسرح فقد سبق لفرقة عربية أن زارت الجزائر قبل الحرب العالمية الأولى ومع ذلك لم تجعلهم يهتمون بتأليف الفرق المسرحية والموسيقية والغنائية .فهناك ظروف جديدة تولدت عن سنة 1919 وما بعدها ومها تطورات الأحداث السياسية وبداية الفكر الاصلاحي وظهور الصحافة ذات الاتجاهات المختلفة وشخصية الأمير خالد وشخصيات علمية اخرى عادت من المشرق مثل العقبي والابراهيمي والزواوي وربما كان من المتعذر على الفرقة المصرية أن تزور الجزائر وتمثل فيها ما مثلت لو جاءت قبل 1921 كما أن تطورات مصر والسعودية وسورية وغيرها بعد 1919 قد ساعد على ميلاد الجو الجديد .

وقد ذكر البعض أن السبب في فشل الفرقة المصرية يرجع الى اللغة الفصحى التي استعملتها في التمثيل لأن الجمهور العاصمي لم يفهمها ويبدو لنا أن ذلك مبالغة قصد بها الفرنسيون عندئذ أن يؤكدوا مقولتهم : إن اللغة الفصحى (لغة القرآن الكريم) ليست لغة الجزائريين فهي كلاسكية كاللاتنية لا تسيعمل الا في العبادات وخطب الجمعة وليس للمسرح والحياة العامة ولعل بعض المثقفين الجزائريين قد انخدعوا بتلك المقولة التي ظهرت لهم برينة . ومن جانبنا برى الأسباب ربما تكمن في أخرى ومنها المكان الذي اختير للتمثيل وقد لاحظ ذلك سعد الدين ابنشنب فقد مثلت المسرحيات العربية على مسرح بعيد على الجمهور الجزائري الذي أغلبه م نالأحياء الشعبية فقد خطط لهل لتمثل في المنفى . راجع المسألة عند :

سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 8 ، ص ص 442 ــ443

(248) سعد الدين ابن شنب ، المسرح العربي لمدينة الجزائر ، ترجمة عائشة خمار ، الثقافة عدد 55 ، فبراير 1980 ،ص 30

(249) سعد الله ن تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 8 ،ص ص 443ــ444

(250) نفسه ،ص 444

(251) جروة علاوة وهبي ،"المسرح الحديث بدا مع جيش التحرير " ، **الأصالة** عدد 22 أكتوبر نوفمبر ديسمبر 1974 ،ص 195

(252) أنظر ترجمة موجزة لحياته عند :
سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 5 ،ص ص 424 ــ425
(253) نفسة ،ص ص 423 ــ424
(254) ابن شنب ،المسرح العربي ... ، ص 32
(255) سعد الله ، ج 5 ،ص 425
(256) أنظر ترجمة موجزة لحياته عند :
سعد الله ،ج 5 ، 429
(257) علاوة وهبي ،المسرح الحديث ... ،ص 196
(258) نفسه ،ص ص 196ــ197
(259) سعد الله ، ج 5 ،ص ص 427 ــ 428
(260) أنظر ترجمة محمد التوري عند :
سعد الله ،ج 8 ،ص 451
(261) وهبي ،ص ص 197 ــ198
(262)نفسه ص 198
(263) نفسه ،ص ص 198 ــ 199
(264) نفسه ص 199
(265) عن مختلف المسرحيات أنظر ثبت لذلك عند :
سعد الله ،ج 8 ص ص 135 ــ144
(266) سعد الله ، ج 8 ،ص 448
(267) ابن شنب ، المسرح العربي ،ص 39
(268) سعد الله ،ج 8 ، 448 .
(269) نفسه .

لفصل الثاني : المنطلقات والأسس السياسية للحركة الوطنية

(1830 م – 1954 م)

1 - حركة النخبة في بداية الإحتلال
2 – المقاومة العسكرية (المنظمة وغير المنظمة / دراسة إستنتاجية)
3 – منطلقات إحتراف السياسة(1908م - 1919م)-
4- الأحزاب السياسية والجمعيات

1 - حركة النخبة في بداية الاحتلال :

إنّ التّحدي الذي أبداه الغزاة الفرنسيون للجزائريين قد تولدت عنه ردود فعل مختلفة مدنية و عسكرية ، فالعنف و التعصب الديني و الاستهتار بالدين الإسلامي و القيم الأخلاقية و الاعتداء على الأملاك الشخصية و الدينية ، كل ذلك أدى إلى أشكال مختلفة من المقاومة ، كل حسب طاقته وكان ذلك مدعاة للبحث عن وسائل الوحدة و جمع الصفوف و العمل المشترك ضد العدوالمغتصب و مخاطبة المشاعر العليا التي تحرك الجميع كالدين و الوطن و ذلك هو ما يعرف بالضمير الوطني .
و جراء لكل ما قامت به فرنسا ، فان ردود الفعل الجزائرية على هذه الغزو و الاحتلال الذي أعقبها قد اتخذت أشكالا عديدة ، و قد كان من الطبيعي أن تظهر أقل ردود الفعل في المدن و خاصة مدينة الجزائر التي عرفت أول اتصال بالعدو و اختلطت به و اطلعت به و اطلعت على إجراءا ته التعسفية و تضررت مباشرة باستهتاره و جوره و سميت هذه المقاومة (ردود أفعال) المقاومة المدنية أو مقاومة الحضريين و ذلك تمييزا عن مقاومة الريف .
و في مقامنا هذا سنتحدث عن لجنة الحضر و دورها السياسي و النضالي و عن أهم زعماء هذه اللجنة و على رأسهم حمدان بن عثمان خوجة ، و أحمد بوضربة ، و العنابي و دورهم الفعال في الدفاع عن الجزائر .وكذا موقف القادة الفرنسيين من ممثلي اللجنة .

التعـــــريف بالنّـخـبـــة (لجنـــــة الحضـــــر) :

تشكل النّخبة أو ما درج المؤرخون الجزائريون على تسميتها بلجنة الحضرطبقة غنية منحدرة من أهل البلاد ومن مهاجري الأندلس .كانوا سياسيا في المرتبة الثالثة بعد الأتراك والكراغلة . وكانوا يملكون الأراضي في سهل متيجة وبعض الأملاك في مدينة الجزائر نفسها ويمتهنون التجارة . وكانوا غالبا راضين بوضعهم ولايطمحون الى مناصب سياسية . ولكن منهم من تقلد مناصب القضاء والإفتاء والكتابة ونحوها من المقاليد الثانوية الهامة . كان بعضهم محل ثقة الداي **كحمدان خوجة** (1) . وعندما بدأالفرنسيون في شرح الوضع

الاجيماعي لجزائر ،صنفوا طبقة الحضر على أنها منافسة وساخطة على الأتراك . وهكذا وجهوا أنظارهم نحو هذه الطبقة التي كانت بدورها مستعدة للاستعانة بهم لكن بشروط . وبمجرد استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر نحوا الأتراك عن الحكم وأسندوا بعض المناصب لهؤلاء الحضر فتولى بعضهم مركز " آغا العرب مثل **حمدان بن أمين السكة** ،وأصبح بعضهم بايا على التيطري مثل **مصطفى ابن عمر** ،وأصبح بعضهم رئيسا لأول مجلس بلدي لمدينة الجزائر مثل **أحمد بوضربة** . (2)

لكن هذه الطبقة سرعان ماكتشفت أنها كانت مخطئة في اعتقادها بأنّ فرنسا ستعوض حكم الأتراك بحكم محلي تكون هي (لجنة الحضر) على رأسه .وقبل أن نقدم الاتهامات الأولية التي وجهتها هذه الطبقة ضد الفرنسيين ، دعنا نتمعن فيما يذكره المؤخون الفرنسون أنفسهم عن تصرفات جيشهم في الجزائر . فالمؤخ بوديكور ,الذي كان يكتب في السنوات الأولى من الامبراطورية الثانية , يقول : " إن جندنا كانوا خجلين من أنفسهم عند عودتهم من الحملة (ضد منطقة القبائل) ... فقد قطعوا 18000 شجرة وحرقوا المنازل وقتلوا النساء والأطفال والشيوخ . وقد أثارت النساء المنكوبات بالخصوص رغبتهم في الثروة بعادة لبس الأقراط والخلاخل والأساور الفضية . وهذه الحلي ليس لها عرى كحلي الفرنسية . فقد وضعت في شحمة آذان الفتيات منذ الصغر ولا يمكن إزالتها عندما يكبرن . ولكي يحصل جنودنا على هذه الحلي ،عمدوا الى قطع شحمة الآذان وتركها حية على تلك الحالة البشعة . " ويصف المؤرخ الأنكليزي نيفيل بربور وقع الحكم الفرنسي على الجزائر بالعبارات التالية : " إن بعض أحسن مساجدهم (أي الجزائريين) قد حول الى كنائس وأيام المواسم الاسلامية قد أبطلت شرعيتها وأراضي القبائل قد صودرت وكل رمز وطني قد حطّم ."(3)

وأمام هذه الوقائع إلتجأ حضر الجزائر إلى عدة طرق للتعبير عن عدم رضاهم . لم يكونوا مرابطين فيأمروا أتباعهم بالجهاد ضد فرنسا كما فعل محي الدين والد الأمير عبد القادر ولم يكونوا شيوخ قبائل فيدعوا أنصارهم إلى حمل السلاح كما فعل ابن زعموم ولم يكونوا من بقايا الدولة المنهارة فيحملوا الناس على محاربة العدو كما فعل كل من باي

التيطري بومزراق وباي قسنطينة أحمد باي . لقد كانوا مجرد طبقة تاجرة في الماضي ولكنها الآن مجردة من المال ، كانوا يحسنون المؤامرات ولكنهم يفتقدون الوسائل . وقد زاد وضعهم سوءا أن كثيرا منهم هاجر أو ارتحل الى أماكن أخرى في الجزائر نفسها والذين لم يهاجروا ولم يرتحلوا شتتهم الفرنسيون وأضعفوهم بالنفي والمحاكمات وتسليط الطائفة اليهودية عليهم . (4)

لقد كان لعنصر الزمن وللتجربة المرة دورا في ايقاظ ذوي الضمائر الحية من الجزائريين الذين أخطأوا فيتقدير الموقف تقديرا صحيحا في البداية وحاولوا تدارك ذلك بالعمل في حدود امكانياتهم المحدودة لدعم جهود المقاومة المسلحة بالوسائل السياسية (5) .

لم تكن طبقة النخبة أو لجنة الحضر على درجة واحدة من التفاهم و الطموح و المصالح ، بل لم يكونوا ينظرون إلى فرنسا بعين واحدة ، فقد كان فيهم البعيد النظر رغم ضعف الإمكانيات و فيهم الضعيف الخائر الذي يكفي لاستمالته وعد كاذب . و كان على هؤلاء أن يدخلوا في دوامة البحث عن الذات و التعرف على مواقع الأقدام و دراسة نوايا العدو الفرنسي ، و التحسس لمصالح العامة و اهتماماتها ، و قد ظهر في بعض الأحيان أن اللقمة كانت أكبر بكثير من أفواههم و أن اللعبة السياسية كانت أعقد بكثير أيضا مما ملكت أيديهم و من ذكاءهم ، ومن البديهي إذن أن يتولد على الوضع الجديد ثلاثة تيارات سياسية سمّاها ــ الدكتور أبو القاسم سعد الله ــ أحزابا :

1 **التيار العثماني** : هو الذي كان أصحابه يهدفون إلى البقاء على ولاءهم للخلافة العثمانية و تحرير الجزائر من ربقة الفرنسيين و عودة الحكم العثماني إلى الجزائر و كان على رأسه **ابن العنابي و حمدان خوجة** .

2 **التيار الوطني :** و نعني به ذلك الذي كان يضم عناصر تنظر داخليا و يعمل للصالح العام و التحرير الوطني و استعمال كل السبل لجمع الشمل و على رأسه **أحمد بوضربة** .

3 التيار الفرنسي : فهو الذي ارتبطت مصالحه بالمصالح الفرنسية ، ووجد نفسه مستفيدا من الوضع الجديد و كان على رأسه **مصطفى ابن الحاج عمر**

و هنا يجدر القول أن الزعامات المذكورة لم تكن كلها ذات مواقف محددة و ثابتة من البداية إلى النهاية ، إذ كثيرا ما وقع التحول في الميول من هذا الجانب إلى ذلك و العكس ، كما أن هذه التيارات قد وقع بين زعمائها مشاحنات و كيده أدت إلى إضعافها و إتاحة الفرصة للعدو لضربها (6) .

تيارات النخبة (لجنة الحضر) ودور أبرز رجالتها في المقاومة السياسية :

1 - التيار العثماني :

1.1 - نشاط حمـــــدان بن عثمـــــان خوجـــــة :

ولد حمدان بن عثمان خوجة سنة 1189ه/1773م بالجزائر العاصمة على عهد الداي عثمان باشا ونشأ تحت رعاية أبيه وتوجيهه المستقيم فتعلم القرآن الكريم وتفقه في الدين . ولما بلغ الحادية عشر من عمره سافر الى القسطنطنية صحبة عمه وكان ذلك أول احتكاك له بالعالم الخارجي وقد كان محبا للتجارة والأسفار التي جعلت منه رجلا متنورا عالما بكل ما يجري حوله . (7)

لعب حمدان خوجة دورا هاما في مدينة الجزائر أثناء وقوع عملية الاحتلال خاصة ما يتعلق بالدعوة الى اجتماع الحضر الذين طالبوا على اثره من الداي الاستسلام وقد كان محل ثقة الداي ولذلك أرسله الى صهره ابراهيم آغا الذي عقد مجلس لتحديد خطة معينة للدفاع عن البلاد . كان خوجة من بين أعضائه ولكنه لم يتمكن من وضع خطة استراتيجية دقيقة وقد تمخض هذا الاجتماع بروز لأراءمتضاربة فابراهيم آغا كان يرى أنه يجب بناء حصون على شاطىء البحر وتزويدها بالمدافع .أما حمدان خوجة فرأى أن رأيه كان سديدا ولكن

لايمكن تطبيقه ومن المستحسن أن يبدأ الجزائريون بالمقاومة ومهاجمة الفرنسيين وعرقلة نزولهم وأكد حمدان لابراهيم أنه إذاسخرت كل القوى الجزائرية في إقامة الحصون فان نيران المراكب الفرنسية ستقضي عليها وأن تسليح الحصون سوف يؤدي الى تعرية مدينة الجزائر التي ينبغي الدفاع عنها وحمايتها(8).

وبعد فشل الجزائريين في مقاومة الاحتلال وانهزامهم دخل الفرنسيون مدينة الجزائر بعد توقيع معاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830م . ونتيجة لما فعله الفرنسيون ، من اجراءات تعسفية ومعاملات سيئة للجزائريين وأملاكهم . ظهر نشاط سياسي في شكل العمل في اتجاه إبلاغ الرأي العام اللفرنسي أولا بالفضائع التي ترتكب باسمه في الجزائر من جهة . واقناعه بعدم فائدة بقاء فرنسا في هاته البلاد من جهة ثانية . وذلك عم طريق تجهيز العرائض والشكاوى والاحتجاجات ضد ممارسات إدارة الاحتلال التي تستهدف الممتلكات الخاصة وأملاك الوقف على المساجد والزوايا والمدارس وتدنيس أضرحة الأولياء والاستحواذ على أملاك الحرمين الشريفين مكة والمدينة وأوقاف جمعيات سبل الخيرات وانتهاك حرمة المساجد والمقابر وتدنيس قبور الموتى . واتخاذ عظامهم سلعة للتصدير وتعطيل سريان أحكام الشريع الاسلامية في بعض الأحيان وغيرها من الانتهاكات (9) .

إن جميع المؤرخين الفرنسيين الذين كتبوا عن حمدان قد حاولوا جاهدين أن يقدموه مشوها للقراء ليحرمونا من شخصية وطنية هي من المع وجوه المقاومة السياسية في بلادنا .
فتذكر أن سي حمدان كان يرغب في إيقاف القتال مع الفرنسيين حقنا لدماء المسلمين الجزائريين الذين لا طاقة لهم على متابعة المقاومة . ولما وقف القتال أوفد إبنه الأكبر حسن بمرافقة أحمد بوضربة إلى « الحي العام» للتفاوض مع الحنرال دو بورمون DU BOURMONT وكان ذلك بعد ظهر اليوم الرابع من شهر جويلية 1830 وكان سي حمدان يهون على الجزائريين الذين أرادوا أن يغادروا البلاد ويهاجروا منها خوفا على دينهم، فكان يجدّ في نصحهم مخاطبا إياهم:

' لا فرق بين أن حكمنا زيد أو يرأسنا عمر وإنما نطالب من يحكمنا أو يرأسنا بالعدالة الاجتماعية والأنصاف التام ، إن الأسس التي بنيت عليها القوانين الفرنسية تقتضي عدم مس ديننا وعقائدنا لأن الدين أمر عقلي والأمور العقلية لا محاربة فيها إن الفرنسيين هم بشر مثلنا وقد جمعت بيننا وبينهم الأخوة الانسانية بالاضافة إلى ذلك فإن الحضارة والتمدن مستمدان من قوانين الانسان، إذن فكيف نخاف من أمة لها باع طويل في الحضارة الانسانية، وقدم راسخ في التمدن البشري" . (10)

ولعل عبارات هذه الفقرات توهم وتزرع بذور الشك في نفوس بعض القراء فتجعلهم يتهمون
سي حمدان في وطنية وإخلاصه لأبناء جنسه. والملاحظ على مواقفه طابع الغموض خلال السنوات الأولى من الاحتلال وربما يعود الأمر الى غموض السياسة الفرنسية واختلاف وجهات نظر مسؤوليها ولذلك تضاربت أقوال الكتاب حول شخصية حمدان خوجة .

و إذا ما تحدثنا عن علاقته بدوبرمون فان هذا الاخير لما دخل الجزائر وجد نفسه ملزما باسناد بعض الوظائف السياسية لوجهاء البلاد الذين كانوا يحسنون اللغة الفرنسية ليكونوا همزة وصل بينه وبين الشعب الجزائري فكان على راس هؤلاء الوجهاء المزدوجي اللغة حمدان بن عثمان خوجة فاسند اليه رئاسة المجلس البلديلمدين الجزائر المحتلة . كما التمس منه دوبرمون أن يكفيه شر اليهود الذين أخذوا يطالبونه بالأموال التي قدموها للكراغلة أيام الاحتلال فانتهج معهم حمدان طرقة ديبلوماسية الى أن استصعبوا السير فيه فاحجموا وأقلعوا عن المطالبة بمالهم . وبذلك كان حمدان خوجة همزة وصل بين السلطات الفرنسية والأهالي (11) .
أما علاقته بكلوزيل CLAUZEL فهي أنه اسند إليه وظائف منها : تعيينه من قبله عضوا في إحدى اللجان التي تقوم بتقويم الدور والمنازل التي اقتضت مصلحة الحكومة الاستعمارية تهديمها، كما استعمله ايضا للتوسط بينه وبين مصطفى بومرزاق(باي التيطري) الا ان علاقته به توترت وابتعد كل واحد عن الاخر والسبب يرجع لعدم ثقة كلوزيل بحمدان ، سيما وانه قد عارضه و حرض الجزائريين على الاحتجاج

عندما سجن المفتي الحنفي ابن العنابي بسبب امتناعه عن موافقة راي كلوزيل في تحويل المساجد إلى مراكز عامة لصالح الحكومة .

إن سي حمدان كان لا يبغض كلوزيل وإنما كان يفضع أعماله اللاإنسانية تجاه اخوانه الجزائريين فجاء في كتاب المرآة : "أنا لا أتحامل على كلوزيل ولا أبغض شخصيته وإنما قلت فيه ما قلت بعدما شاهدت بالعيان أعماله السيئة وبعدما قرأت كتاباته المضللة للرأي العام الفرنسي ومع ذلك فانني قد صنت كتابي عن ذكر الكثير من أعماله اللا إنسانية ولم تسغف يميني قلمي أن يكتب أشياء واقية يندى لها الجبين فأرجو من السيد كلوزيل أن يوبخ ضميره بدل أن يلوم قلمي ."(12)

أمّا علاقته بالدوق دو روفيقو DUC DE ROVIGO ، الذي تغيرت ــ على عهده ــ السياسة الفرنسية راسا على عقب فإنه كان يهاجمه وينعته بالظلم والطغيان والعجرفة والاستبداد ورغم هذا فان روفيقوا كان يثق بسي حمدان ثقة تامة تتبلور لنا في تكليفه اياه في مهمة الصلح بينه وبين محي الدين بالقليعة والحاج احمد باي قسنطينة وقد سافر سي حمدان الى قسنطينة سفرتين احداهما في وسط شهر اوت 1832 والثانية في اواخر شهر اكتوبر من نفس السنة (13).

- ففي السفرة الاولى عرض حمدان بن عثمان خوجة على احمد باي الاستسلام ودفع مبلغ ثلاثة ملايين فرنك غرامة على الحروب السابقة وضريبة سنوية مقابل ابقائه حاكما على بايلكه، فجمع الحاج احمد اعضاء الديوان وتدارس مهم الامر واتفقا على رفض دفع غرامة الحروب السابقة وقبول مبدا دفع الضريبة السنوية شرط ان يخلي الفرنسيون عنابة ، ويكتفوا باقامة قنصل لهم فقط بها وبشرط ان يوافق السلطان العثماني على ذلك ايضا، وحمل سي حمدان خوجة هذا الجواب وعاد به الى الجزائر بحرا عن طريق عنابة.(14)
- ثم بعد حوالي شهرين ونصف ثنّى روفيقو برسالة أخرى لأحمد باي، وأعطاها سي حمدان ليوصلها إياه جاء فيها :

" طلب مني روفيقو خمسين الف دورو بدلا من ثلاثين ملايين بودجو زيادة عن الضريبة السنوية (اللزمة) وتتعهد فرنسا بان تكون وسيطة بيني وبين الباب العالي ليمنحني القفطان وابقى بايا على قسنطينة مثلما انا عليه الان ولكن لايتم ذلك إلا بشرطين:

1/- أن اسمح لها بان تجعل ثكنتين لجنودها احداهما بقصبة قسنطينة والثانية بقصبة عنابة.
2/- أن يبقى ميناء عنابة تحت تصرفها وسلطتها المطلقة

رفض الحاج احمد هذه الشروط فاقترح عليه حمدان خوجة ان يكون لينا في جوابه وطلب منه ان يزوده بمبلغ 5 او 6 الاف دورو ليذهب بها الى فرنسا ويدافع هناك على قضيته ويحصل له على شروط افضل فاستجاب الحاج احمد لرغبته.

وبعد وساطة حمدان خوجة وصل الى قسنطينة المبعوث العثماني كامل بك ليخبرهم عن عزم السلطان على اجراء مفاوضات مع فرنسا لابقاء قسنطينة تحت السيادة العثمانية.

وفي نهاية المطاف لم يتمكن سي حمدان من التوصل الى حل وسط يرضى فرنسا والباي وباءت جهوده بالفشل.(15)
وهكذا نجد أن حمدان خوجة تصدر النشاط السياسي في السنوات الاولى من الاحتلال وفي اطاره حرر كتابه المشهور المرآة كما كتب عددا كبيرا من الرسائل بعث بها الى اصدقائه من المسلمين والاروبيين واليه يعود الفضل في قيام صديقه الانجليزي بانستير تحرير كراسته المشهورة " **نداء من أجل الجزائر** " و التي قام بتوزيعها على مواطنيه وباء بجاء من حمدان خوجة قام اعيان بايلك الشرق بارسال عريضة للبرلمان الانجليزي يطلبون فيها دعم ومساندة هاته البلاد ، وهي المعروفة بمواقفها في الدفاع عن حقوق الانسان ومن أجل تحريره ، في مقاومتهم ضد فرنسا التي تتحدى هذه الحقوق وباتباعها لسياسةالابادة ضد الجنس البشري الجزائري (16)

لقد أحس دوروفيقو بنزعة حمدان القومية لذلك سلط عليه أنواعا من المضايقة و تأكد حمدان أنه لم يبق أمامه سوى الذهاب إلى فرنسا بحثا عن الآذان الصاغية ،
و في باريس اتصل حمدان بجميع المسؤولين و على رأسهم ملك الفرنسيين الذي رفع إليه عددا من العرائض و الشكاوي ، كما أرسل يوم 3 جوان 1833 مذكرته المشهورة إلى الماريشال سولت SOULT وزير الحربية الفرنسي و قد ضمّنها جميع المخالفات التي ارتكبتها الجيوش الفرنسية . و فعلا لقد أنتجت مساعي حمدان في هذه المرة إذ أعلن في السابع من شهر جويلية 1833 عن تشكيل اللجنة الإفريقية في 7 جويلية 1833م ويهدف التقيق الذي كلفت به اللجنة الى تحقيق غرضين :

ـ إيجاد الحلول لأهم المشاكل الناتجة عن الاحتلال

ـ دراسة الأوضاع الراهنة بنزاهة وموضوعية

لقد استبشر الجزائريون بهذا الحدث ظنا منهم أنه سيسفر عن الاستقلال فأمطر الأعيان أعضاء اللجنة بوابل من الوثائق و المذكرات تتحدث عن الإضطهادات التي تعرض لها الشعب ، و تقترح الحلول التي يرونها مناسبة و ساهم حمدان كذلك في تزويد هذه اللجنة بمعلومات قيمة خاصة وأنه أصبح يمثل صوت الجزائريين الذين فوضوه للتحدث باسمهم أمامها .

غير أن هذه اللجنة ، بالرغم من إعترافاتها الصريحة بأن الأهالي مظطهدون ومعذبون في أرضهم ومن أن فرنسا لم تأت لهم بالحضارة وإنما جلبت لهم الجهل والأمية والهمجية ، أجمع أعضاء اللجنة على ضرورة مواصلة الاحتلال ةعدم التخلي عن الفريسة لما كانت تمثله الجزائر في ذلك الوقت من خزان طبيعي للموارد الطبيعية والاقتصادية وموقعها الاستراتيجي التجاري الهام .
وبذلك خاب أمل حمدان خوجة في اللجنة الافريقية التي لم تحقق له وللجزائريين الشيىء المراد .(17)

لم يحصر حمدان خوجة نشاطه في دائرة الوسط الفرنسي بل وسعه الى حظيرة الدولة العثمنية فوجه عددا من الرسائل الىاسطنبول يدعو فيها الى مناصرة الجزائريين ولعل الرسالة التي بعثها الى السلطان محمود الثاني (1784 ــ 1839) بتاريخ 16 أوت 1833 والتي ترجمها عبد الجليل التميمي من اللغة التركية ونشرها في كتابه (بحوث ووثائق في التاريخ المغربي) وهي على غاية من الأهمية من حيث الجرأةفي الطرح والدقة في المعالجة إذ حمله مسؤولية ضياع الجزائر وأنه سوف يسأل امام الله والناس عن ذلك حيث قال : " إننا يوم القيامة سنتوجه الى العلي حل ّ شأنه قائلين إن سلطاننا قذ تخلى عنا الا أن السلطان يقول لقد كنت مشغولا بمشاكل أخرى ولمن الله سوف لن يقبل منه هذا الجواب ". (18) وقد أثرت رسائل حمدان الى السلطان العثماني على السياسة العثمانية تأثيرا مباشرا حيث دفعت السلطان العثماني الى القيام بفعاليات سياسية لمحاولة استرجاع الجزائر (19) .

كما كان حمدان يخاطب كلا حسب مقدرته فيقول لسلطان مثلا : " إن المسلمين الذين استشهدوا ودفنوا في هاته التربة سوف يسألونك يوم الحساب لماذا تخليتم عنهم ". ويفهم من هذه الرسالة أنه خاطبه باسم الشعب الجزائري ووصف مأساة الجزائريين بأنها لم يعرف مثيلا لها منذ سبعة آلاف سنة ورجاه أن يعين حاكما واقترح الحاج أحمد باي لتولي هذا المنصب وقدم تصورا لنظام الحكم وكيف يتعامل مع بلدان المغرب .(20)

لم يسلم السي حمدان ، هو الآخر من ظلم الفرنسيين ،فعزم على نقل القضية الجزائرية الى باريس حيث حرية النشاط السياسي ولوجود معارضة بعض السياسيين الذين لم تستهوهم فكرة الاحتلال والبقاء في الجزائر الى جانب وجود السفارة العثمانية التي من المحتمل أن يكون حمدان على قناعة بأن الباب العالي على مقدرة استرجاع الجزائر وإن كان سبق لبعض الباحثين أمثال جورج ايفر georges yver أن قال : " سافر حمدان الى باريس من أجل الدفاع عن قضاياه الشخصية فقط " (21). لكن المؤكد أن هدف حمدان هو الدفاع عن قضاياه الخاصة وقضايا الجزائريين المضطهدين ،الأمر الذي ألمه ودفعه الى الخروج من الجزائر والدليل قوله : " ولم أستطع أن أحتمي من مناكر

الفرنسيين واليهود ولم أتمكن من الخروج من الجزائر اللا بصعوبة كبيرة إذ سللت نفسي كما تسل الشعرة من العجين " .(22)

وكذا قوله : " بمجرد وصولي الى باريس ... قدمت الى رئيس المجلس الوطني عريضة تتضمن ما هو مشهور وذائع من شكاوى أبناء وطني دون أن أتكلم عن قضيتي الخاصة التي هي الآن معلقة أمام مجلس الدولة " (23) . ومما سعد حمدان على النشاط السياسي وجود أحد الأقطاب الياسية المغاربية وهو حسونة الدغيسي بالاضافة الى ألمع العناصر الجزائرية في باريس أمثال مصطفى بن ابراهيم باشا ،كل ذلك شجع حمدان على العمل فأشهر مظالم الادارة الفرنسية في عدة لوائح جمعت في مؤلفه " المرآة " حيث ذكر قائلا : " لو أن الكفار يعلمون شطرا من تحريرات وتأليف ومراسلات مع الأجناس وغير ذلك مما لا أقدر على ذكره كل ذلك لأجل إنقاذ البلاد لأكلوا لحمي وأوقعوا بي ، والحمد لله الذي سترني منهم " (24) .

ولما وجد حمدان أن آماله ذهبت أدراج الرياح عقد الرحيل الى اسطنبول من باريس عن طريق مدينة ماتز METZ يوم 28 ماي 1836م واختارها كونها مركز الخلافة الاسلامية وقبلة أنظار المسلمين ولكن وصوله اليها كان وهو قد كبر سنه محطم القلب خائب الأمل ، زيادة على سوء حظه من جراء طرد السلطات الاستعمارية ابنه حسن من الجزائر متهمة اياه بالتآمر ضد الوجود الفرنسي بالجزائر (25) . ومما يلفت النظر أن نشاط حمدان ،وهو في اسطنبول يختلف عن نشاطه وهو في باريس ففي اسطنبول لم يكن يلح على الباب العالي بنفس الحرارة التي كان يلح بها وهو في باريس كي يتدخلوا مباشرة لصالح القضية الجزائرية ويعود ذلك الى تفهمه لعدة معطيات من بينها إقتناعه بضعف الدولة العثمانية أمام الحركات الانفصالية خاصة التي قادها والي مصر محمد علي فضلا عن ضغوط الدول القوية عليها ولاسيما فرنسا التي كثيرا ما هددت الباب العالي سياسيا كلما حاول التدخل لصالح الجزائر (26) . وعليه فنشاط السي حمدان في اسطنبول تمحور خاصة على قضية أحمد باي حيث ظل يناشد الباب العالي كي يسرع في تقديم المساعدة له محذرا من أنه في حاة السكوت فإن فرنسا سوف تتمكن من احتلال مدينة قسنطينة الأمر الذي حدث

بحلول شهر أكتوبر 1837 فتأسف حمدان للأمر وأرسل الى أحمدباي ناصحا إياه بالاتجاه صوب اسطنبول .(27)

بقي السي حمدان باسطنبول حتى وافته المنية سنة 1840م ، ولعلنا لا نجافي الحقيقة إذا أدلينا بالقول أن نشاط حمدان خوجة كان رمزا لمقاومة سياسية جزائرية مستميتة من أجل الدفاع عن القضية الوطنية والتشهير بالجرم الاستعماري الفرنسي الحاصل في الجزائر .

2. 1 محـــــمـــــد ابن العنـــــابي :

عاش محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري المشهور بابن العنابي عمرا حافلا بالانتاج العلمي والاضطراب الياسي . فقد ولد سنة 1189ه/ 1775م حسبما أكده بنفسه في إجازته للشيخ محمد بيرم التونسي سنة 1245ه . وتوفي بإجماع الباحثين في الاسكندرية (بمصر) سنة 1267ه /1851م .وهذه الفترة الطويلة التي تتوزع على القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 و 19 م) تعد من أحرج الفترات التاريخية لا في الجزائر فحسب ولكن في الدولة العثمانية والعالم الاسلامي قاطبة . فقد عاصر الثوزة الفرنسية ومانتج عنها من أحداث مست جوانب متعددة من الحضارة الاسلامية وعاصر في بلاده (الجزائر) حروبا خارجية ضد الأنجليز والأمريكان والفرنسيين والإسبان والتونسيين وغيرهم ، وحروبا بين الطائفة التركية نفسها سواء على مستوى السلطةة المركزية في مدينة الجزائر أو على مستوى الأقاليم .

وكان ضحية كل هذه الحروب (الداخلية والخارجية) هو الرجل العادي من الفلاحين وأصحاب الحرف والتجارة ، لأنه هو الدافع للضرائب وهو وقود الفتن .(28)

تولى ابن العنابي الفتوى على مذهب الإمام أبو حنيفة (مذهب العثمانيين) و قام برحلات و بعثات دبلوماسية إلى المغرب و اسطنبول وحج و زار عدة بلدان ، وتولى التدريس بالأزهر و ألف الكتب و الرسائل و منح الإجازات و لقي علماء المشرق و تعرف على حكامه و منهم السلطان محمود الثاني و محمد علي والي مصر و باي تونس و سلطان

المغرب . ويكفي أن كان كتابه **السعي المحمود في نظام الجنود** عبارة عن دعوة للنهوض الاسلامي وضرورة تقليد الغرب في العلوم والتكنولوجيا وفي الأسلحة الجديدة رغم أنه ألفه قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1826م

ويبدو أن العنابي خرج من الجزائر قبل الاحتلال بسنوات بنية الحج ، وعندما حلت الكارثة بالجزائر نادى الباشا حسين على محل ثقته ابن العنابي و طلب منه أن ينادي في الناس بالجهاد و ويجمع كلمة الجيش المتفرق . فعل ذلك لكن بعد فوات الأوان فبقي في داره يخطط إلى أنه جاءه قرار النفي من قبل كلوزيل الذي تفطن له فنفاه الى الاسكندرية بسرعة في سبتمبر 1830 .(29)

وتعود أصول هذا التوتر حينما أجبركلوزيل المفتي على تسليمه بعض المساجد في المدينة لجعلها مستشفيات للجيش متعهدا له باستعمالها مدة شهرين إثنين فقط . وكان ابن العنابي شديد النقد للسلطات الفرنسية على خرقها للاتفاق الموقع بين الداي حسين باشا والكونت دوبرمون . وكان يكتب بنقده ولومه الى الجنرال كلوزيل (30). وضاق كلوزيل ذرعا بجرأة المفتي فقرر وضع حد لها .فقد ألقى عليه رجال الدرك القبض وقادوه إلى السجن وتعرضت أسرته خلال ذلك إلى المهانة . وكانت التهمة التي وجهت إليه هي تدبير م}امرة ضد الوجود الفرنسي وإعادة الحكم الاسلامي (العثماني) للجزائر .

وتروي المصادر الفرنسية أنّ المخبريين قد وشوشوا في أذن كلوزيل بأن المفتي الحنفي لمدينة الجزائر رجل خطير على الوجود الفرنسي وأن له تأثيرا قويا على أهل البلاد .أما حمدان خوجة فيفصل الحادثة حسبما رواها له المفتي فيما يلي : " جاء الترجمان إلى منزل ابن العنابي وطرح عليه بعض الأسئلة تتعلق بمكانته في البلاد وخططه المستقبلية . من ذلك أن الترجمان أخبره بأن كلوزيل ينوي الجلاء عن الجزائر وتسليم الحكم له وسأله ما إذا كانت لديه القدرة على تنظيم جيش والدفاع عن البلاد ،فأجابه المفتي بأن ذلك في استطاعته إذاإقتضى الأمر . ثم سأل الترجمان هل جيشه سيكون من داخل البلاد أو من مدينة الجزائر وحدها ،فأجاب المفتي بأنه سيجيش جيشا يبلغ ثلاثين ألفا من كل أهل البلاد . وكان الترجمان قد أخفى ، حسب هذه الرواية ،

شخصين ضلا ينصتان لهذه المحادثة . ليكونا شاهدين ضد المفتي (31) .

فأمر كلوزيل بنفيه فورا ولم يهمله ، رغم أنه كان صاحب أسرة وأطفال وأملاك وديون وغيرها مما يستوجب مهلة معقولة لتصفية هذه الأمور قبل مغادرة البلاد . وهذا الجانب الإنساني هو الذي جعل خوجة يتدخل لدى كلوزيل لصالح المفتي ،رغم توجسه هذا منه (32) .فقد رجاه أن يمهله حتى يبيع أملاكه ويصفي ديونه ويسفر أسرته .ولم يحصل له خوجة على مهلة عشرين يوما إلا بصعوبة كيرة . وبعد إنقضاء ذلك الأجل رحل ابن العنابي الى الإسكندرية
بعد أن لفق له كلوزيل تهمة تثبت أنه كان على اتصال بزعماء القبائل الريفية ليؤلف منهم جيشا يطرد به الفرنسيين . (33) .

وكان إتخاذ مثل هذا االإجراء سببا في صمت السلطات التشريعية في البلاد كالقضاة والمفتين فهم لم يعودوا الى الاحتجاج على خرق شروط التسليم خوفا من مصير المفتي ابن العنابي . ولقد استمرت سياسة الفرنسيين في إبعاد العناصر الخطرة ذات النفوذ أو التي يمكن أن تلعب دورا إجتماعيا وسياسيا بين المواطنين حتى يخلو الجو للسلطات الجديدة (34) .

2- التيار الوطني :

- أحمـد بوضربـــــة :

كان بوضربة ينتمي إلى نفس الطبقة الإجتماعية التي ينتمي إليها حمدان خوجة . ويوصف بأنه رجل ذكي ومحتال بعيد كل البعد عن مكارم الأخلاق وقد كان قبل الاحتلال يشتغل بالتجارة الخارجية وكانت له محلات في مرسيليا حيث أقام مدة طويلة تعلم فيها اللغة الفرنسية . ولم يغادر مرسيليا ال عندما أعلن عن إفلاسه المطلق . (35)
من أبرز عناصر حزب الحضر (التيار الوطني) في الفترة 1830-1837 ، فهو الذي فاوض الداي و بورمون و فرض وجهة الحضر

على الأول و نال وعودا من الثاني لصالح الحضر ، و قد كافأه بورمون فجعله على رأس اللجنة البلدية التي أنشأها لإدارة شؤون العاصمة ، و كان
دوبرمون يأخذ برأيه في تعيين الأهالي ولاسيما الحضريين في المناصب الجديدة ،فهوالذي إقترح غسناد منصب آغا العرب الى الحضري حمدان بن أمين السكة (عم حمدان خوجة) وهو الذي أوصى أحد أقاربه مصطفى بوضربة وكيلا لأوقاف مكة والمدينة ، كما أوصى بتعيين الحاج مصطفى بن عمر بايا على التيطري وكان يقترح سياسة فرنسا نحو باي قسنطينة وباي وهران . وقد استمرعلى مكانته وتأثيره عند خلفاء بورمون أيضا فقد ولاه كلوزيل إدارة أملاك مكة والمدينة ووضع فيه بيرتزين ثقته .(36)

يصفه الفرنسيون بعدة أوصاف متناقضة أحيانا . فهم ن ناحية يثقون فيه ولكنهم من ناحية أخرى يتهمونه بأنه كان يرأس " لجنة المغاربة " التي كانت تعمل لصالح إستعادة الحكم الاسلامي في الجزائر والتي كانت على اتصال مباشر مع الباشا المخلوع .(37)

استغل بوضربة هاذ الوضع فوجه بوضربة نشاطه ضد عناصر الحزب العثماني و بقايا الأتراك فكان يتهمهم بالتآمر و يشيع عنهم العداء له وللفرنسيين و ينصح هؤلاء بطردهم من الجزائر و من أجل ذلك اكتسب عداوة اليهود و العناصر العثمانية و كثرت حوله الشكاوي فعزله كلوزيل ، و شك في نواياه وبقي كذلك علة عهد بيرتزين إذ نجده يقوم بنشاط مكثف لصالح أهل الحضر ومصالح العاصمة والعرب عموما . ونحن نجد عدة عرائض موقعة من أعيان العاصمة تختاره للتفاوض لصالحهم مع الفرنسيين سنة 1831م. و قد نفاه روفيقو سنة 1832 فعاش في مرسيليا و لكنه لم يتوقف عن قضية بلاده و تكررت أنشطته فنجده أمام اللجنة الإفريقية 1833-1834 و عند الأمير عبد القادر(1834-1835) و عضو بلدية الجزائر من جديد سنة 1836م .(38)
لقد لعب بوضربة دورا حساسا جعل الجزائريين ينقسمون حوله ، فهو عند البعض من الموالين للفرنسيين و هو عند البعض من ضحايا الفرنسيين كما جعل الفرنسيين أنفسهم ينقسمون حوله فهناك من يعتبره

صديقا لهم و منهم من يعتبره عدوا لدودا حتى أن بيليسيي وصفه بأنه : 'رجل ذكي ومحتال بعيد كل البعد عن مكارم الأخلاق " (39)

ان أحمد بوضربة لم يستطع أن يحقق أهدافه الشخصية و الوطنية من الوجود الفرنسي و خابت آماله في الفرنسيين ، عموما ساند الأمير عبد القادر ، و أنشأ علاقات تجارية مع المغرب ، لم يستطيع أن يتحرر تماما من التبعية الفرنسية لأن زوجته منهم و ابنه الوحيد (اسماعيل بوضربة) كان يدرس عندهم . كما أنه عجز عن إيجاد تنسيق مع الأوجه الأخرى للمعارضة أمثال حمدان خوجة و ابراهيم ابن مصطفى باشا .

إن العرائض التي صدرت عن أعيان الجزائر بين 1830-1831 كانت مفهمة بالثقة في بوضربة و منها تلك العريضة التي صدرت عن " إذن أعيان السادات الأجلة الكرام و كافة علماء الجائر و قدوة أهل الإسلام و كبرائها و مشايخها و أشرافها و أعيانها و خاصتها و عامتـــــها " بتاريخ 16 شوال 1246 و الموقعة من قبل مفتين و علماء و ضباط و تجار و خوجات و موظفين سامين ... ، و كلهم يعبرون عن ثقتهم فيه للتحدث باسمهم مع الفرنسيين .

كما لجأ بوضربة إلى كتابة العرائض إلى المسؤولين الفرنسيين في الجزائر يطلبون منهم رفع الظلم و من ذلك العريضة التي أرسلوها إلى الجنرال بيرتزين يطالبونه فيها 1831 باحترام الاتفاق المبرم بين حسين باشا و بورمون ورد الأوقاف إلى المسلمين و يحتجون على بقاء المنازل محتلة من قبل الجنود و الضباط دون دفع الكراء و احتجوا أيضا على بيع اقليمي وهران و قسنطينة إلى الباي تونس. وقد استمرت عملية التفويض هذه وكتابة العرائض والاحتجاجات ضد سوء المعاملة الى سنة 1836م ذلك أننا نجد حمدان خوجة أيضا يلتقي وهو في فرنسا بعرائض ورسائل من أولئك الأعيان في نفس الغرض (40)

ويبدو أن برنامج أعيان الحضر لم يخرج عن هذو الأمور التي نص عليها في الحقيقة 'تفاق الجزائر :

1- احترام الدين الإسلامي و مؤسساته و أوقافه و إنشاء لجنة من المسلمين لادارة شؤونه .

2- إعادة الأملاك الخاصة التي استولى عليها الجيش الأجنبي و دفع الكراء و تعويض أصحبها .
3- تسيير شؤون المدينة من قبل الحضر .
4- تخفيض نشاط اليهود في الجزائر وطرد الأتراك الباقين منها .
5- فتح مجالات العمل و التعلم و الصحافة أمام الجزائريين ،(فتح المدارس العربية وإنشاء جريدة إلخ .

و يظهر من هذا البرنامج أنه غيرمتطور ولا طموح فهو يقبل بالوجود الفرنسي كحقيقة واقعة ولكن يريد أن يستفيد منه لصالح فئة .(41)

لقد طهر بوضربة ،كما طهر خوجة نعند تكوين اللجنة الافريقية (7 جويلية 1833م) فكتب اليها مذكرة كما كتب خوجة مذكرة ، ولكن شتان بين العملين روحا وعاطفة وهدفا. فبينما كان خوجة ثائرا على الأوضاع غير مؤمن بالتعاون المفروض بين الفرنسيين والجزائريين ، كان بوضربة ناقدا للأوضاع ولكنه قابلها مقترحا حلولا عملية لفائدة التعاون الفرنسي الجزائري .والمذكرة مقسمة الى سبعة فصول تضم عناوين مثل التنظيم البلدي ،تطبيق القضاء والعدل ،التنظيمات الخاصة بالمناطق الداخلية ، إدارة المؤسسات الخيرية وغيرها (42)

إن الصراع بين أهل الحضر وعلى رأسهم بوضرية في هذه المرحلة وبين الفرنسيين قد ساعدت على إذكائه أيضا عدة عوامل من ذلك تبدل ضباط الجيش الفرنسي في مدة وجيزة (ثمانية في ظرف سبع سنوات) واختلاف أمزجة ومعاملة كل واحد منهم وجهل الجزائريين بحقيقة الفرنسيين واختلاف المصالح بين أهل القطر كله مادام الاستعمار لم ينجح بعد في بسط نفوذه الا على أجزاء قليلة من الساحل وتباعد الشقة بين عواصم الأقاليم تقلة الوعي السياسي العام وانعدام تدخل قوة اسلامية أو غيرها مما قد يساعد على تحديد المواقف وبلورة الاتجاهات (43)

3- التيار الفرنســـــــي :

إذا كانت عناصر الحزبين السابقين تعود أصولها إلى ما قبل الاحتلال فان عناصر الحزب الفرنسي لم تظهر إلا مع الاحتلال و كانت تضم مختلف الأفراد و العائلات التي ارتبطت مصالحها بالوجود الفرنسي و هي بذلك تشمل بعض رجال الدين و العلماء و الأعيان و الساسة و الموظفين الإداريين ، و كان هذا الحزب قد ضم أيضا أفرادا من ذوي الاتجاه الوطني السابق و من ذوي الاتجاه العثماني ، و لم يتبلور اتجاه الحزب بسرعة كما تبلور اتجاه الحزبين الآخرين .
ولكن يجب التحذير من الحكم بأن جميع هؤلاء كانوا من الحزب الفرنسي قلبا و قالبا ذلك أن كثيرا منهم لعبوا أدوارا مختلفة .فبدأوا أنصارا ثم تحولوا عنه و منهم من كان عدوا ثم وجد نفسه من أنصاره (44) .
كان في صف الحزب الفرنسي **مصطفى بن الحاج عمر** الذي عينه كلوزيل بايا على إقليم التيطري خلفا للباي مصطفى بومزراق الذي خلعه الفرنسيون لثورته ضدهم (45) . ويبدو أنه كان قليل الخبرة وأنه لم يسع الة هذا المنصب ولكن المنصب الذي سعى إليه وأنه قبله كرها . وكان عليه أن يواجه ثورة الباي ثم ثورة إبنه سي احمد (ابن بومزراق) وأن يواجه شكوك وثورة أهالي الاقليم وأخيرا ضغط الفرنسيين الذين ينتظرون منه إخضاع الاقليم إليهم .

لم يكن ابن عمر على دراية كبيرة بشؤون الحكم والادارة كما أن كلوزيل أمره عند تعيينه أن لايغير شيئا من الادارة السابقة فاقتصرت أعماله على تسيير أمر القضاء وحل المخالفات ونحوها .

ومع ذلك فقد تعلق به أهل المدينة ورغبوا في بقائه غليهم حين أراد أن يعود الى مدينة الجزائر في صحبة الجيش الفرنسي . فابن عمر كان يعرف أنه لاقدرة له على مواجهة الموقف بعد إنسحاب الجيش الفرنسي من المدية ولكن المواطنين خافوا من حلول الفوضى فأصروا على بقائه بينهم .(46)

واجه مصطفى ابن عمر ثورة سي أحمد بن بومزراق الذي أعلن الثورة ضده واحتل دار الباي الريفية . بل كان يدخل المدينة دون أن يجرؤ الباي على إعتقاله وعندما تفاقم أمره طلب ابن عمر النجدة من خليفو كلوزرل الحاكم العام برتزين الذي حضربنفسه لنجدته ولكن هذا الأخير فشل في مطاردة العرب فقرر انسحاب الفرنسيين من المدية وأخذ معه الباي وقفل راجعا نحو العاصمة .

أراد برتزين بعد ذلك تعيين ابن عمر بايا على وهران ولكن القائد الفرنسي فيها الجنرال بوايي BOYER رفض التعاون معه وقد ظل كذلك الى عهد دوروفيقو الذي 'إضطهد طبقة الحضر فذهب ابن عمر الى باريس خوفا من توجيه الاتهام اليه بأنه يعمل لصالح عودة الحكم الاسلامي وقد انضم الي زملائه المنفيين فكونوا حولهم حلقة من المعارضين والفضوليين . وفي باريس أعطي وسام الشرف وأصبح الناس يخاطبونه بالسيد الباي ، غير أنه من الواضح أن هذا الوسام لم يكن علامة على إعتراف فرنسا بخدماته فقط ولكنه كان محاولة لاسكاته لأن هناك عددا آخر من أمثاله كانت توجه اليهم اتهامات في الجزائر تمنح لهم الأوسمة في باريس وكان ابن عمر إذ ذاك يبلغ سبع وأربعين سنة وكان يتقن الفرنسية وكان يلبس لباس أهل الحضر ويطعم الفقراء . (47)

إن الشيىء الذي يمكن أن نخلص إليه هو أن المقاومة السياسية التي تبنتها لجنة الحضر وبخاصة من خلال نشاط حمدان خوجة قد أثبتت درجة الوعي السياسي عند هذه النخبة الجزائرية والتي حاولت الوقوف بين عهدين عثماني وفرنسي . والأمر المؤكد أن تصفية نشاط الحركة من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية لم يثن من عزيمة الجزائريين الذين لم تنطفىء عندهم جذوة المقاومة،الأمر الذي تأكد في جنبات التاريخ الوطني من جراء اندلاع المقاومة الشعبية الجزائرية.

2 - المقاومةالعسكرية الجزائرية للاحتلال الفرنسي 1830-1916
(المنظمة وغير المنظمة / دراسة تحليلية استنتاجية)

ملاحظات حول كتابة تاريخ المقاومة الوطنية للاحتلال:

على الرغم من وفرة المادة الوثائقية والمكتوبة حول تاريخ المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي في القرن التاسع عشر، والتي يعبر عنها الركام الكبير من الكتابات الاستعمارية ذاتها، إلا أن تدوين ذلك الميراث الضخم لم يلق الاهتمام الذي يستحقه،(48) ولعل ما يثير الاستهجان في ما يتعلق بالجهود الكبيرة التي بذلت في سياق كتابة تاريخ المقاومات، هو ذلك التوجه العام الذي أخذته تلك الجهود، فبدلا من التنسيق والتكامل في هذا العمل الذي يستدعي حشد الإمكانات وتوحيد الرؤية، آثرت الدراسات الجزائرية في موضوع المقاومات الشعبية أن تتخذ من الجهوية والتجزئة شعارا لها، و قامت بخوصصة رموز و أعلام الجهاد ضد الاستعمار في القرن 19 في مؤسسات علمية في الظاهر، أسرية وجهوية في الباطن تحمل أسماءهم في مناطق مختلفة من الوطن.

إن هذه التجربة لا تزال حديثة النشأة نسبيا، ولم تؤت من الثمار إلا بضعة ملتقيات لإحياء مآثر زعماء وأعلام المقاومات في أجواء فلكلورية واحتفالية. وكان الأجدر في رأيي ربط تلك المؤسسات بمراكز بحث وجامعات توكل إليها مهمة تدوين وفحص وتحليل تراث المقاومة الذي يعتبر ميراثا لا يقدر بثمن، ودينا ثقيلا معلقا للسلف على الخلف. (49)

ويجدر الاعتراف هنا بأن الاهتمام الذي أصبحت الكثير من الدوائر المحلية توليه لإحياء مآثر المقاومة ونفض غبار النسيان رجالها ووقائعها، إنما يعبر حقيقة في جوهره عن صحوة وعن جهد واع لاستعادة الذاكرة الجماعية كاملة ،وترميم ما تساقط منها لعقود طويلة(50) ولكن الاستمرار في المسعى الذي يعيد كل مقاومة إلى عرينها الأول جغرافيا، وإلى ملكية القبائل والأسر التي نبعت منها لا

شك أنه سوف يبعثر صورة الفسيفساء الرائعة والمتكاملة للمقاومة الجزائرية إلى عدد لا يحصى من الحجارة الصغيرة المختلفة الألوان.

لقد استمر احتكار الكتابات الاستعمارية لتاريخ الجزائر عموما، ولتاريخ المقاومة والحركة الوطنية والثورة التحريرية على وجه الخصوص ردحا طويلا من الزمن. ولا تزال نفس الرغبة لدى المؤرخين الفرنسيين المعاصرين في استعادة زمام المبادرة قائمة من خلال الحرص الكبير المعلن على إبقاء وتيرة المشاركة في كتابة التاريخ الوطني من وراء البحار(51)، و لهذا السبب لم يكن من الغريب على أي باحث في تاريخ المقاومة الوطنية في القرن 19. ان يجد مؤرخا فرنسيا أو أكثر لكل مقاومة من أمثال لويس رين و بول أزان، ثم أن يصادف من بعدهم جيلا آخر منهم درس كتاباتهم وسار على منهجهم من أمثال شارل أندري جوليان وشارل فيرو وهنري قارو وغيرهم.

ولكن مهما يكن من أمر، فالكتابة التاريخية الاستعمارية لم يعد لها ثبوت النص ولا ثبوتية الدلالة اليوم بعدما أنكشف زيفها وخبث مراميها المغلفة بأهداب علمية استشراقية المظهر كولونيالية الجوهر. كما أن هذا لا يعني أن نستمر في الاعتقاد طويلا بأن الكتابة التاريخية هي مجرد جمع للوثائق وتسجيل للأحداث والوقائع، لأنها بذلك لا تغدو أن تكون إلا مجرد حكي وروايات شعبية، ولكنها في الأصل عملية متجددة يمارسها كل جيل بالقدرة العقلية التي وصلها، وفي منظور يبحث عن الحقائق بموضوعية ما استطاع إلى ذلك سبيلا، دون أن يهمل أهمية إعادة البناء التاريخي في إحداث التغيير في واقعه الراهن .

إن ضخامة هذه المهمة وعبئ هذا المسعى يكمن في أن استرجاع المسلوب من الأشياء المادية قد يكون مجديا بالقوة، ولكن استعادة التاريخ والهوية والذاكرة الجماعية في طهارتها الأولى، لن يكون إلا بالفعل الثقافي وبالإبداع الحضاري.

ولعله من المفيد هنا توضيح أن ما تمت الإشارة إليه ليس بهدف إنشاء خطاب ملحمي يلقى على مسامع الجموع بهدف إثارتها، ولا ينبع من نزعة شوفينية مقيتة تعود إلى كتابة التاريخ الوطني وفق منظور ينم عن روح تعصبية عرقية كانت أو مذهبية، ولكن مجرد دعوة إلى تصويب الأخطاء الكثيرة الشائعة عن تاريخنا، لأن جحود وإنكار جهاد وتضحيات أجيال كاملة من أسلافنا لاشك يجعلنا شركاء في مؤامرة

الصمت المفروضة، وطرفا في عملية التشويه الواسعة التي استهدفت هذا التاريخ.

إن أقل ما يمكن تحقيقه في مسعى كتابة تاريخ المقاومة هو الانتقال بها من مستوى تسجيل الوقائع والأحداث إلى مستوى التحليل والفحص والتدقيق. وهو الأمر الذي يتطلب الوقوف عند دراسة مختلف أشكال النضال الوطني في القرن التاسع عشر والبحث في ميزات المقاومات ومطالبها السياسية, وتحليل مكامن القوة فيها، واستنتاج أسباب فشلها وبناء صورة منكاملة لها انطلاقا من القواسم المشتركة بينها.

ـ المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي1830-1916 (دراسة تحليلية استنتاجية)

مدخل:

بعد ثلاثة أسابيع من الإنزال العسكري لجيش الاحتلال الفرنسي على سواحل سيدي فرج وصلت قوات الجيش الأفريقي إلى الجزائر العاصمة, ودخلتها بعدما استسلم الداي حسين، الذي خرج من المدينة صوب ليفورنة بايطاليا رفقة أسرته وعددا من أفراد حاشيته، تاركا وراءه دولة منهارة وجيشا صغيرا مهزوما وشعبا أعزلا تحت رحمة استعمار شرس هيمن عليه وعلى أرضه لأكثر من قرن وثلاثة عقود، لقد كان المشهد آنذاك في مدينة الجزائر كئيبا، فالمدينة غادرتها أعداد كبيرة من سكانها الذين هجروها إلى البليدة وملیانة وغيرهما من حواضر المتيجة، ولم يبق منهم إلا من عدم القدرة على الخروج من ضعفاء الناس وفقرائهم، وبقي فيها حضرها من الأثرياء الذين فاوضوا الداي حسين باسم الجيش الغازي على الاستسلام، والى جانب الحضر مكث اليهود الذين أعلنوا ابتهاجهم بسقوط المدينة واعتبروا رفع الأعلام الفرنسية على أسوار العاصمة وعلى قلاعها بأنه إيذان بخلاصهم و بدخولهم في عصر جديد.

في تلك الأجواء كان من المؤكد أن أحلام النصر الخاطف والمظفر قد ساورت أذهان دوبورمون وقادة جيشه، وظنوا لأول وهلة أن الحرب انتهت بمجرد ما بدأت، ويمكن القول أن الانهيار السريع لدولة الداي حسين على الرغم من الهالة والهيبة التي كانت قد تمتعت

بها في الحوض الغربي للمتوسط لأكثر من ثلاثة قرون متوالية كان مدعاة لذلك الشعور في أوساط قادة وساسة الاحتلال.

لكن سرعان ما وقف جيش الغزاة على الحقيقة، وأدركوا أن الحرب لم تنتهي بتلك الجولة القصيرة مع جيش الداي، وإنما كانت في بدايتها مع شعب بأكمله انتصب مدافعا عن أرضه وعرضه و دينه.

إن أهم ميزة لظاهرة المقاومة للاحتلال الفرنسي في القرن19 تكمن في أنها في جوهرها كانت تمثل رد فعل داخلي للجماهير الجزائرية على الغزو الاستعماري بعد أن تهاوت مؤسسات الدولة التي تم تشييدها خلال العهد العثماني بشكل سريع. فتلك الدولة لم تصمد إلا بعض قلاعها في الشرق الجزائري , ولعدة أعوام فقط بفضل جهاد الحاج أحمد باي.

لقد كانت المقاومة الشعبية التي تزامنت بدايتها مع ذلك الانهيار، نتيجة لانتعاش روح الجهاد الكامنة في أوساط الشعب الجزائري الذي هبت طلائعه الأولى للمقاومة في سهول المتيجة، ثم سرعان ما سرت تلك الروح في سهل أغريس في الغرب وحول قسنطينة في الشرق، وشهدت بعد عقدين فقط من الاحتلال انتشارا وامتدادا كبيرين في مختلف مناطق البلاد، واستمرت جذوتها مشتعلة إلى العقد الثاني من القرن العشرين.

1-قراءة في تطور حركة المقاومة و مراحلها:

1.1-المتيجة مهد المقاومة(1830-1835):

كان الجنرال دوبورمون قائد الحملة الفرنسية الغازية أول من اكتشف دخول السكان الجزائريين في المواجهة مع جيش الاحتلال بعد فترة قصيرة من سقوط الجزائر العاصمة، فقد فر وهو يجر أذيال الهزيمة عائدا إليها بعدما اصطدم بمقاومة سكان البليدة في أوت 1830. والملفت للنظر أن الكتابات الفرنسية التي تناولت التاريخ لحركة الغزو كثيرا ما أشارت إلى تعدد معاقل المقاومة في المتيجة، ولكنها لم تكلف نفسها عناء البحث والتقصي في ملامح وخلفيات تلك المقاومة لأن تلك الكتابات لم تكن في جوهرها سوى تقارير عسكرية حول أداء الجيش الاستعماري في الغالب .

إن الوقائع التاريخية التي تمتلك اليوم الكثير من تفاصيلها تثبت أنه كان هنالك إجماع وطني على ضرورة المقاومة والتصدي للغزو الخارجي بقوة السلاح(52)، وظهر ذلك جليا ليس في المتيجة فحسب، وإنما في مختلف المناطق التي وضع جيش الاحتلال قدمه عليها في وهران والعاصمة وعنابة في الشهور الأولى للغزو.

إن سقوط الحكم المركزي وظهور الفراغ السياسي بفعل عجز المدن عن صنع قيادة جديدة، سمح بعد فترة قصيرة من احتلال مدينة الجزائر بصعود الجماهير الريفية إلى واجهة المقاومة، وكان على رأس تلك الحركة مجموعة من الزعماء الدينيين والقبليين في المتيجة من أمثال الحاج علي السعدي و الحاج محمد بن زعموم والحاج محيي الدين القليعي.

ويذهب كل من سعد الله أبو القاسم وجمال قنان(53) إلى اعتبار اجتماع برج البحري(تامنفوست) في 23 جويلية1830 بمثابة الانطلاقة الأولى لحركة المقاومة الشعبية بعد سقوط الجزائر العاصمة. وتجدر الإشارة إلى أن ذلك الاجتماع الذي حضره زعماء قبائل المتيجة و عدد من علماء العاصمة، وتقرر فيه إعلان الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين، وتزامن مع تصدي قبائل فليسة وبني موسى والخشنة وبني خليل لأول محاولة للجنرال دوبورمون في الاستيلاء على مدينة البليدة(54).

تميزت المقاومة في المتيجة بانتهاج أسلوب حرب العصابات ومناوشة الحملات الفرنسية التي كانت تحاول الخروج من مدينة الجزائر باتجاه البليدة والمدية وملیانة، وتمكنت قبائل المتيجة من المنتشرة من شرشال وملیانة غربا إلى واد يسر وواد سيبا وشرقا من الاستمرار في عرقلت محاولات التوسع الفرنسية على الرغم من عدم توازن القوة .

وحتى منتصف عام 1831 ظل الصراع بين المقاومة والاحتلال قائما حول مدينتي البليدة والمدية(55)، ويمكن اعتبار هذا شاهدا على الصمود وعلى شدة المقاومة الشعبية إذا ما قورنت بسهولة وقوع العاصمة في قبضة الجيش الغازي. ولعل ما يؤكد صحة هذا الطرح هو ما ذكره المؤرخ الفرنسي اليساري مارسال ايغريتو عندما أشار إلى أن حركة الغزو خلال سنتي 1830-1832 كانت بطيئة في المتيجة و

المناطق الساحلية المحاذية لها، وتميزت باتخاذ شكل حملات عسكرية متقطعة غالبا ما كانت تتعرض لمضايقة القبائل المسلحة.(56)

لقد شهدت مقاومة المتيجة مرحلتين قبل أن تتواصل وترتبط مع مقاومة الأمير عبد القادر في عام 1835، ويمكن تحديد تلك المرحلتين كالآتي:

أ- **المرحلة الأولى** : وتمتد من اجتماع برج البحري في عام1830 إلى اجتماع سوق علي عام 1832، وتميزت هذه الفترة بمشاركة مختلف قبائل المتيجة في مواجهة الاحتلال تحت قيادة زعمائها المحليين بشكل تلقائي ومعزول في الغالب.

ب-المرحلة الثانية: تمتد من 1832 الى1835 وعرفت فيها المقاومة تزعم الحاج علي السعدي، وهو شخصية دينية من العاصمة التي كانت بها زاوية لأسرته، غادر المدينة واستقر في مليانة، ثم شرع في تحريض ودعوة القبائل في شرق المتيجة إلى الجهاد، ونجح في تنسيق الجهود مع الحاج محمد بن زعموم بهدف منع الحملات الفرنسية من الخروج من الجزائر العاصمة.

لقد توفر للمقاومة في هذه الفترة زعامة روحية جسدها الحاج السعدي وقيادة عسكرية ميدانية مثلها الحاج بن زعموم وأبناءه، ويذهب أبو القاسم سعد الله إلى توضيح أن هذه الثنائية الدينية- العسكرية(الروحية- الزمنية) في مقاومة المتيجة أصبت ميزة لزعامات المقاومات في الغالب(57).

ولم تنته مقاومة المتيجة في عام 1835، وإنما انخرطت في صفوف أكبر وأشهر مقاومة جزائرية في القرن ال19 ,عندما توجه الحاج علي السعدي إلى الأمير عبد القادر في معسكر وشجعه على القدوم إلى منطقة القبائل , فقام الأمير بتعيين الحاج السعدي خليفة له فيها، وتوطدت صلة الأمير بالمتيجة أيضا بعدما أعلن زعماء شرشال والقليعة أمثال الشيخ محمد بن عيسى البركاني والحاج محيي الدين بن المبارك القليعي ولاءهم للأمير.(58)

2.2-مرحلة المقاومة المنظمة 1830-1847 :

شهدت هذه الفترة مقاومة قوية ومنظمة ذات طابع وطني بقيادة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري والحاج أحمد باي في إقليم

قسنطينة، وعرفت حملات عسكرية عديدة وكمائن قاتلة ومعارك ضارية عند أسوار المدن وفي امتدادات الهضاب والسهول.

في الغرب، وبتاريخ 04 جانفي 1831 أعلن باي وهران استسلامه للفرنسيين الذين تعاظمت آمالهم في السيطرة السريعة والحاسمة على الجزائر، لكن في ذلك الوقت بالذات كان شاب جزائري في الرابعة والعشرين من عمره يخوض أولى تجاربه في ساحات الجهاد(59) وعندما أظهر مقدرة كبيرة على القيادة والمقاومة بويع أميرا للمؤمنين في سهل أغريس بمعسكر.

أما في الإقليم الشرقي فقد شرع الحاج أحمد باي في الاعتماد على العنصر الوطني بعد سقوط الحكم المركزي في العاصمة، وقام بحشد الأنصار من حوله بفضل نفوذ أحواله من آل بن قانة، كما تمكن من كسب ولاء وتأييد شخصية دينية بالغة النفوذ بقسنطينة , و التي كان يمثلها شيخ الإسلام محمد بن الفكون. (60)

ا-مقاومة الأمير عبد القادر1832-1847:

في مطلع عام1832 دخلت القوات الفرنسية إلى مدينة وهران بقيادة الجنرال دامريمون، فانتشرت الفوضى وتفاقمت في مختلف مناطق الغرب الجزائري، وتباينت ردود الفعل في أوساط زعماء القبائل وشيوخ الطرق الصوفية والعلماء, وانقسمت المواقف بين داع للاستسلام ومستجير بالسلطان المغربي ومناد للجهاد ولطرد الغزاة.

فاجتمع زعماء القبائل في معسكر وأعلنوا الجهاد، وأسندوا قيادهم إلى شيخ من أشرافهم لم يكن إلا والد الأمير عبد القادر، شكل الشيخ محيي الدين الحسيني فرقة صغيرة من قبائل الحشم وعهد بقيادتها إلى أبنائه الذين شنوا حرب عصابات على أبواب مدينة وهران بعدما خابت آمالهم في الحصول على تأييد ودعم سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن(61).

بويع الأمير عبد القادر من طرف العلماء وزعماء القبائل في 03 رجب 1248 ه الموافق لـــ21 نوفمبر1832، ثم بايعه الناس بيعة عامة في 13 رمضان 1248ه الموافق لـــ 04 فيفري 1833. ولقبه والده بناصر الدين أمير المؤمنين، فأعلن الأمير عبد القادر بعد بيعته رفضه للسلطنة و اكتفى بالبيعة بالإمارة.(62)

تمت بيعة الأمير على كتاب الله وعلى سنة نبيه الكريم، وحدد عبد القادر إثرها أهداف المقاومة في نشر الأمن وتوحيد القبائل حول مبدأ الجهاد، وفي توظيف كل الوسائل من أجل دفع الفرنسيين إلى الاعتراف بدولة الجزائر وبزعامته لها(63). ولم يكن الدافع الأول في اختيار الناس للأمير على رأسهم النسب والعلم أو الوعي والشعور بالحاجة إلى الدولة وتنظيم الإدارة، وإنما كان لقيادة الجهاد الذي أثبت مقدرته عليه(64).

إن أهم عامل ساعد على ظهور مقاومة الأمير عبد القادر يتمثل في الانهيار التام والسريع لمؤسسات الدولة في بايلك الغرب في بداية الاحتلال، وكان من الأسباب الهامة في ذلك التأثير الكبير للطرق الصوفية والصراع الطويل الذي كان ناشبا بين ممثلي الدولة والزعماء الدينين في المنطقة قبيل الغزو الفرنسي .(65)

خاض الأمير عبد القادر ملحمة بطولية باعتراف أعداءه قبل إخوانه، استمرت فيها المقاومة ما يزيد عن عقد ونصف عقد من الزمن، سطر فيها بسيفه الحوادث الوطنية والمعارك العسكرية(66). حتى شهد له خصومه ومؤرخو عصره بقوة الإيمان وبالوطنية وبمواصفات القائد السياسي والعسكري الفذ.(67).

شهدت مقاومة الأمير عبد القادر جولات عسكرية دامية في مواجهة الجيش الفرنسي، وتخللت مراحل القتال فترات للدبلوماسية وعقد معاهدات أو الاتفاق على هدنة مثلما حدث مع الجنرال ديميشال في1834 حيث اعترفت فرنسا للأمير بسلطته على قسم كبير من بايلك الغرب، ومع الجنرال بيجو في عام 1837 في معاهدة التافنة التي أقر فيها الفرنسيون بسيادة الأمير على أجزاء كبيرة من البلاد، بعدما امتد سلطانه من حدود المغرب غربا إلى بلاد القبائل شرقا، وشارف على تخوم الصحراء عند جبال عمور وأولاد نايل وصولا إلى منطقة الزيبان.

إن المقام هنا لن يتيح لنا التفصيل في استعراض كل أعمال الأمير عبد القادر التي زاوج فيها بين المقاومة المتواصلة ضد الغزاة وبين الجهود السياسية الحثيثة التي رام من وراءها إلى إقامة دولة جزائرية بديلة لتلك المنهارة في صيف 1830. وسوف نركز على الجانب الأول المتعلق بقيادة الجهاد ضد الاحتلال مع الإشارة إلى أننا

تناولنا الجانب الثاني لأهميته في مبحث آخر مستقل بعنوان تجربة الأمير عبد القادر في محاولة بناء الدولة الوطنية المستقلة بواسطة الحركة الجماهيرية المنظمة.

عرف جهاد الأمير عبد القادر الكثير من الوقائع التاريخية المشهودة في ساحات الحرب، ويعود بعضها الى الفترة السابقة لتوليه قيادة المقاومة مثل واقعتي خنق النطاح الأولى والثانية في ماي 1832 .(68) اللتين أظهر فيهما من الشجاعة ما أهله لتبوأ الزعامة بالرغم من حداثة سنه.

و منا أشهر منازلاته للجنرالات الفرنسيين، كانت معركة المقطع في جويلية 1836 التي ألحق فيها الأمير عبد القادر هزيمة كاسحة بالجنرال تريزيل بالقرب من مدينة سيق في أعقاب نقض الفرنسيين لمعاهدة ديميشال.(69) ويمكن أيضا ذكر معركة مليانة في 28 أفريل من عام 1841 ضد الماريشال بيجو، ومعركة قلعة أسوان في المغرب الأقصى بتاريخ 10 ديسمبر من عام 1847 في مواجهة له مع جيش السلطان المغربي(70).

لم يتوفر للأمير خلال مقاومته جيشا نظاميا حقيقيا يواجه به جحافل الغزاة الفرنسيين، و لكنه أدرك منذ البداية أهمية وجود قوة عسكرية منظمة ودائمة للتفرغ لمهمة الجهاد، إلا أن ظروف الحرب لم تمكنه من تجسيد هذا المشروع في حينه .(71) وفي هذا السياق يذكر شارل هنري تشرشل أن قوات الأمير عبد القادر كانت غير نظامية في السنوات الأولى لمقاومته، وبلغت حوالي 60 ألف جندي، لكنه كان من النادر اجتماع ثلث ذلك العدد للقيام بحملة عسكرية.(72) و هذا الأمر كفيل بتوضيح مدى انعدام توازن القوة بين جيش الأمير والجيوش الغازية طيلة السجال المسلح الذي عرف على الرغم من ذلك انتصارات باهرة للأمير عبد القادر ارتبطت مقاومة الأمير عبد القادر بشخصيته الكارزمية التي جمعت بين الزعامتين الروحية والزمنية. وكانت تلك الحالة استثناء نادرا في تجارب المقاومات الجزائرية العديدة في القرن 19 م. ولكن ملحمة الأمير علي الرغم من جاذبية شخصيته وطغيان تأثيره كعالم مجاهد وقائد سياسي وعسكري فذ، وشاعر مرهف الحس، وصوفي متعبد وناسك، سمحت ببروز عدة شخصيات إلى جانبه

شاركته في محاولة بناء نموذج جديد للدولة الوطنية وفي حمل لواء المقاومة والجهاد .

من أشهر رجال الأمير كان العلماء في مجلس الشورى والخلفاء في مقاطعات الدولة، وكان قادة جيوشه من فرسان القبائل التي التفت حوله. وليس المقام هنا لتعريفهم والاسترسال في وصف أعمالهم بشكل مستفيض، ولكن سوف نقتصر على ذكر عينة منهم بصورة عابرة لأن الإحاطة برجال الأمير تستدعي بحثا قائما بذاته .

كان أقرب الرجال إلى الأمير عبد القادر وزيره محمد العريني وكاتبه أحمد بن علي ابن عمه وقاضي القضاة أحمد بن الهاشمي الذي وضعه الأمير على رأس مجلس الشورى.(73) وإلى جانبهم كان صهر الأمير ورفيق دربه مصطفى بن التهامي(74) الذي كان خليفة له على معسكر، ومحمد بن علال أحد أقدر قادة الأمير وأشجعهم، والذي كان خليفة على مليانة وسقط شهيدا دفاعا عن الزمالة. ويمكن أيضا ذكر محمد بن عيسى البركاني خليفة الأمير على المدية، و الحاج محمد البوحميدي خليفة تلمسان، و الحاج أحمد الطيب بن سالم خليفة برج حمزة (البويرة) و بلاد القبائل. (75)

استمرت مقاومة الأمير عبد القادر من 1832 الى1847 وقدمت فيها الأعداد الغفيرة من الجزائريين التضحيات الجسيمة، وتكبدت فيها الجيوش الغازية الخسائر الفادحة التي ذهب أحد المؤرخين الفرنسيين إلى تقديرها ب40 ألف جندي, وأشار إلى أن المواجهة مع جيش الأمير عبد القادر كانت مكلفة في كل جولاتها, ففي معركة ملييانة لوحدها أورد أن خسائر الجيش الذي كان بقيادة الماريشال السفاح بيجو بلغت800 جندي قتيل، وفي معركة التافنة 400 جندي، وهذا ما يبين ضراوة المقاومة وصمودها في مواجهة الجيوش الفرنسية(76).

لكن ضعف وقلة الموارد والوسائل العسكرية والاقتصادية لمقاومة الأمير وخيانة عدد كبير من الإقطاعيين وزعماء القبائل في الداخل(77)، ومحاصرة الجيش الفرنسي له في المناطق الساحلية والشرقية وجيش المخزن المغربي من الناحية الغربية. انتهى به كل ذلك الوضع بالأمير إلى اتخاذ قرار الاستسلام للجيش الفرنسي في شهر محرم من عام 1264 ه- ديسمبر 1847 بعد مشاورة أصحابه.(78) واستشارة عدد من العلماء في الأقطار الإسلامية. وهذا ما جعل

المستشرق الفرنسي المعاصر برونو ايتيين يذهب إلى القول بأن عزة نفس الأمير عبد القادر لم تسمح له بالنظر إلى انسحابه النهائي من ساحة المقاومة على أنه كان استسلام، وإنما خدمة كبرى أداها لبلاده الثائرة. (79)

ب- مقاومة الحاج أحمد باي1830-1837:

تؤكد المصادر التاريخية الجزائرية مثل مذكرات أحمد بوضربة ومذكرات أحمد باي مشاركة قائد بايلك الشرق في الدفاع عن الجزائر العاصمة في صيف 1830. فقد أشار الحاج أحمد باي إلى أنه شارك في مقاومة الحملة الفرنسية إلى جانب الداي حسين، وكان على رأس أربع مئة فارس، إلا أنه سرعان ما انسحب إلى قسنطينة واعتصم بها وشرع في الاستعداد لمواجهة الغزو و التوسع الفرنسي .(80)

وتجدر الإشارة إلى أن سلطة الحاج أحمد باي تعرضت إلى محاولة الانقلاب عليه خلال فترة غيابه عن قسنطينة وتواجده في الجزائر العاصمة. فقد استغل حمود بن شاكر وعدد من عساكر حامية المدينة ذلك الغياب وقاموا بانقلاب ضده , لكن الناس انتفضوا عليهم وأطاحوا بهم اثر عودة أحمد باي وبايعوا هذا الأخير عاى الجهاد ضد الفرنسيين. وكانت تلك أول بيعة شعبية نصبته باشا على البايلك.(81)

لقد التف أعيان قسنطينة حول أحمد باي و أصبغوا عليه لقب الباشا وثبتوه حاكما على المقاطعة الشرقية للبلاد واسقطوا محاولات الانقلاب عليه.(82) فظهر التحول الجذري في طبيعة المقاومة في الإقليم الشرقي إلى درجة تمكن من القول بأنها غدت حينئذ مقاومة وطنية بمسحة شعبية في معقل أحد الرموز الأكثر تمسكا بالانتماء إلى النظام المركزي المنهار.

إن مكمن ذلك التحول في طبيعة المقاومة في بايلك الشرق يتمثل في توجه أحمد باي إلى الاعتماد على العناصر الوطنية المحلية في تدعيم صفوفه بعد سقوط الحكم المركزي في العاصمة.(83) وذلك بالرغم من استمرار ه في التأكيد على إبقاء أواصر الارتباط بالخلافة العثمانية من خلال المراسلات العديدة مع السلطان محمود الثاني، والتي كان يطلب فيها المساعدة والنجدة في مواجهة جيوش الغزو.

إلا أن حشود الأنصار التي تجمعت حوله من أجل الدفاع عن قسنطينة قلعة بايلك الشرق لم تكن من الانكشارية، وإنما كانت من القبائل المنتشرة في محيطها، ولم تكن مقاومة الحاج أحمد باي مقاومة للجيش العثماني في الجزائر، وإنما كانت ملحمة صنعتها قبائل أولاد مقران وأولاد عاشور وغيرهما من القبائل التي التفت حول الباي المجاهد الذي لم يعد يمتلك القدرة على مقارعة الجيش الغازي بالاعتماد على ما كان بيده من القوات النظامية.(84)

تمكنت المقاومة في قسنطينة من صد الحملة العسكرية الفرنسية الأولى في سنة 1836 وكبدتها خسائر طائلة عند أسوارها التي امتنعت أمام المدفعية المهاجمة، ولكن المقاومة التي تزعمها أحمد باي لم تنتهز الفرصة للمبادرة بالهجوم بعد الحملة الأولى، وبعد سنة واحدة تعرضت المدينة إلى حملة ثانية بقيادة الجنرال دامريمون، ولم تجد تحصينات المقاومة اثر اقتحام الجيش الفرنسي للأسوار التي راهن عليها أحمد باي في إفشال الحملة .

انتهت المقاومة في قسنطينة بحرب شوارع دامية دفع فيها الجيش الفرنسي ثمنا باهظا تمثل في هلاك ثلاثة من أكبر قادة الحملة وهم الجنرال دامريمون والعقيدين بيريقو كارامان إلى جانب ألف جندي قتيل.(85) وسقط فيها المئات من المقاومين ومن سكان المدينة تحت أنقاض المنازل والأسوار التي دكتها المدفعية الفرنسية.

خرج أحمد باي من قلعته بعدما انتزعها الفرنسيون منه في أكتوبر 1837، وانسحب الى جبال الأوراس وقرى الزيبان، وحاول من هناك إعادة تنظيم الصفوف وحشد الأنصار لمواصلة المقاومة. ولكنه بعد سنوات عديدة فشل في مساعيه وانتهى إلى الاستسلام للفرنسيين في ربيع سنة 1848. (86)

لقد كان سقوط قسنطينة خسارة استراتيجية للمقاومة الجزائرية بشكل عام، لأن الجيوش الفرنسية أصبحت تمتلك زمام المبادرة بعد سنة 1837 (87), ويمكن أن نشير هنا إلى أن أهم أسباب فشل أحمد باي في مقاومته تعود بالدرجة الأولى إلى اعتماده على الحصون والقلاع والأسوار في إطار الدفاع الاستراتيجي عن عاصمة البايلك دون غيرها وهو ما يفسر انتظار وصول الغزاة إلى مشارف أسوارها، ولم يعتمد على أسلوب المقاومة الشعبية الواسعة وعلى المبادرة بالهجوم

وتوسيع جبهات القتال بهدف استنزاف إمكانات وقدرات الجيش الزاحف على المدينة.

وفي هذا السياق يشير أبو القاسم سعد الله في أحد أحكامه القاسية على أداء الحاج أحمد باي في المقاومة إلى أن هذا الأخير" سقط قبل سنة 1837، أسقطه الجزائريون لا الفرنسيون لأنه لم يقدم لهم بديلا عن النظام القديم".(88) ويؤكد يحي بوعزيز هذه الفكرة في إشارته إلى أن فشل أحمد باي بعد خروجه من معقله في إعادة تنظيم صفوف المقاومة انطلاقا من الأوراس ومن الزيبان كان بسبب نجاح الأمير عبد القادر في مد نفوذ دولته إلى تلك المنطقة، حتى أن الأمير أصبح له فيها خلفاء من أمثال الحسن بن عزوز ومحمد الصغير بن عبد الرحمن منذ سنة 1837 .(89)

وحسب سعد الله في تقييمه لسياسة ومقاومة أحمد باي، فإن قائد بايلك الشرق لم يكن دفاعه عن مقاطعته يعتمد على القلوب والولاء، وإنما على الأسوار والحصون. ولو أنه كان يقود مقاومة شعبية لأمكنه مواصلتها من الأرياف، ولكنه لم يفلح في جمع الناس من حوله خارج أسوار مدينته على بالرغم من عشر سنوات قضاها في الأوراس .

ج- المقاومات الشعبية 1847-1916:

إن أية دراسة دقيقة وشاملة لظاهرة المقاومة الشعبية المسلحة في الجزائر في الفترة الممتدة من 1847 إلى سنة 1916 سوف تنتهي إلى إثبات تواصلها واستمرارها وانتشارها. وذلك على الرغم من تباين انطلاقاتها زمنيا واختلاف نطاقات امتدادها جغرافيا.

ولم تنطفئ شعلة المواجهة المسلحة للتوسع الاستعماري عند أسوار مدينة قسنطينة في أكتوبر 1837، أو عند خروج الأمير عبد القادر من ميدان الجهاد في ديسمبر من عام 1847، و لكنها استمرت فعمت زوايا البلاد الأربع واشتد ت حينا وفترت حينا آخر لمدة تجاوزت سبعة عقود.

إن التقسيم الكلاسيكي لمراحل المقاومة الجزائرية للاحتلال من خلال الكتابات الفرنسية يذهب إلى اعتبار سنة 1871 بمثابة معلم لانتهائها(90). وهو طرح يتجاهل الثورات التي أعقبت ثورة المقراني

والشيخ الحداد مثل ثورة الأوراس بزعامة الشيخ محمد أمزيان عام 1879 و ثورة أولاد سيدي الشيخ الثانية بقيادة الشيخ بوعمامة في سنة 1881، وإلى جانبها انتفاضة مليانة وريغة في عام 1901 و ثورة الأوراس في سنة 1916 .

أما التقسيم الشائع الذي درجت عليه الدراسات الجزائرية فيذهب إلى التمييز بين مراحل المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي، وذلك بتصنيفها إلى نمطين أو شكلين بارزين من أشكال المقاومة في مرحلتين كبيرتين.(91)

تمتد المرحلة الأولى التي تعرف بمرحلة المقاومة المنظمة من 1832 إلى 1847، وتنصر دلالتها في الإشارة إلى مقاومة الأمير عبد القادر في الفترة 1832-1847 إلى جانب مقاومة الحاج أحمد باي في بايلك الشرق .

وتعرف المرحلة الثانية من المقاومة التي انطلقت بشكل واسع منذ عام 1847 و استمرت إلى سنة 1916 بمرحلة المقاومات الشعبية غير المنظمة، أو بتسمية الانتفاضات والثورات الشعبية. وتعود خلفية هذه التسمية إلى الطابع المميز الذي غلب على معظم تلك الثورات في ارتباطها بقبائل معينة أو بزعامات دينية محلية، وبحدودية انتشارها واستمرارها.

إن التناقضات الكثيرة القائمة بين ما تذهب إليه المصادر التاريخية الاستعمارية حول المقاومة الشعبية وبين المنحى الذي أخذته الدراسات الجزائرية، لا يكمن فقط في ما يتعلق بتحديد مراحل المقاومة من خلال معالم زمنية محددة على الرغم من أهمية هذا التحديد في الدلالة على نجاح سياسة الإخضاع والتوسع الشهيرة بتسمية " التهدئة" بالنسبة للفرنسيين، وأيضا للدلالة على تواصل واستمرار رد الفعل الجزائري المسلح على الغزو إلى سنوات الحرب العالمية الأولى بالنسبة للكتابات الوطنية.

ولكن الاختلاف يبدو جذريا في قراءة وفي تصوير تجربة المقاومة الجزائرية بشكل عام، فقد صورت الكتابات الاستعمارية حروب المقاومة على أنها انتفاضات معزولة لقبائل مترامية الأطراف، وبأنها لم تكن سوى حركات احتجاج مسلح بزعامة رجال دين من العلماء وشيوخ الطرق بدافع من التعصب الديني .(92)

كما روجت تلك المصادر أن العديد من الثورات التي قادتها عناصر من الأرستقراطية الريفية المتحالفة مع المرابطين، كانت في جوهرها ردود فعل رافضة لفقدان الامتيازات الإقطاعية و الزعامة والنفوذ .(93)

وإذا ما استثنينا مقاومتي كل من الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي فإننا نجد أن أغلب المصادر الفرنسية تكاد تجمع على إفراغ بقية المقاومات من أي محتوى سياسي وطني لها، وذلك من خلال التركيز على الفكرة التي حصر أهداف تلك الثورات في جملة من المطالب الاجتماعية. ويمكن هنا الإشارة إلى أن جوهر التضليل في تلك الكتابات يكمن في تفاديها الإجابة على سؤال ظل يطرح نفسه على ساسة وقادة الاحتلال بصورة ملحة : لماذا كل هذا التواصل والاستمرار في مواجهة الاحتلال عند شعب أعزل؟.

لقد تضمن منهج المؤرخين الاستعماريين في التضليل أسلوب التعتيم بهدف الالتفاف حول المطالب السياسية للمقاومة الوطنية، وفي سياق كل سطرته أقلامهم فان الجماهير الجزائرية لم تثر دفاعا عن السيادة والأرض والعقيدة، ولم تكن المقاومة أسلوبا للتعبير عن رفض الغزو وسيطرة الأجنبي، وإنما مجرد احتجاج على فرض الضرائب بالنسبة للفقراء وعلى فقدان النفوذ والامتيازات بالنسبة للعلماء والمرابطين والإقطاعيين الأثرياء.

إن المقام هنا ليس لاستعراض منهج مدرسة التاريخ الاستعماري في كتابة التاريخ الوطني، ولكنه يتيح حيزا للرد بأن ما ذهب إليه أحد أبرز تلاميذ تلك المدرسة، وهو شارل أندري جوليان من إنكار لوجود "الشعب" أو" الأمة " الجزائرية قبل الاحتلال، من ادعاء بعدم توفر "الضمير المشترك" أو أدنى تعبير عن الوعي الوطني لدى الشعب الجزائري. (94) في الواقع لا يبقي أي وجه للغرابة عند الوقوف على التزييف والتحريف المنهجيين اللذين ميزا القراءة التاريخية الاستعمارية لظاهرة المقاومة للاحتلال.

وليس هناك أدل من تناقض لويس رين مؤرخ ثورة عام1871 في وصفه لزعيمها الميداني الباشاغا المقراني بالإقطاعي المدافع عن مصالحه الخاصة، لزعيمها الروحي الشيخ الحداد بالمتعصب الديني في آن واحد. (95) دون أن يطرح على نفسه التساؤل التالي : كيف أمكن

للمقراني المدافع عن إقطاعات أسرته في إقليم مجانة (سطيف) أن يحشد عشرات الآلاف من الفلاحين من شرشال غربا إلى منطقة القل شرقا في مواجهة دامية مع الاستعمار؟ وهل كان التعصب الديني ميزة عند الشيخ الحداد أم أنه كان تعبيرا عند السواد الأعظم من الجزائريين في الاستماتة دفاعا عن عقيدتهم؟.

3.2- ميزات المقاومات الشعبية 1847-1916 :

إن تعدد وكثرة الأحداث و الوقائع التي شهدتها ظاهرة الثورات الشعبية في وجه الاحتلال في الفترة التي أعقبت نهاية مقاومة الأمير عبد القادر في دسيمبر من عام 1847 لا يسمح بعرض أدق تفاصيلها وتتبع تطوراتها في دراسة تحليلية موجزة. كما أن محاولة الخوض في تحليل أبرز ميزاتها واستنتاج أهم أسباب فشلها تفرض على أي باحث وبشكل قسري التخلي عن الأسلوب السردي الذي يرتكز على تسجيل الوقائع في سياق نظري أقرب ما يكون إلى الضبط الكرونولوجي منه إلى الدراسة التاريخية التحليلية المعمقة.

ويجدر هنا توضيح أن التراث الضخم للتجربة الطويلة للمقاومة الجزائرية في وجه الاحتلال الفرنسي تطرح أمام الباحث صعوبة بالغة فيما يتعلق بضبط وتحديد ميزات جميع الثورات والانتفاضات بصورة عامة. ولعل هذه الصوبة هي التي ساهمت في توجه قطاع عريض من المؤرخين و الباحثين الجزائريين إلى تناول المقاومات والثورات في دراسات مستقلة، غالبا ما يتم فيها التركيز على ثورة أو مقاومة بعينها.

وإذا أمكن تبرير هذا التوجه بهذه الخلفية، فان الجانب السلبي فيه يتمثل في أنه يبدو شبيها بتخصص المؤرخين الاستعماريين من أمثال بول أزان ولويس رين وغيرهما من الذين لا تزال كتاباتهم بمثابة مصادر أساسية بالنسبة لتاريخ المقاومة. والأخطر في استمرار مثل هذا التوجه في تناول تراث المقاومة الوطنية يكمن في إبقاء الصورة المتكاملة لها في حالة تفكك شديد.

لقد شكل سيل المقاومة الجارف روافد كثيرة، وأدى إلى انتعاش روح الجهاد الكامنة في أعماق الجماهير الغفيرة من الجزائريين الريفيين الذين انتصبوا في مواجهة الاحتلال، إلى درجة جعلت الأرض تشتعل عند كل موطئ قدم حلت به جحافل الغزو الفرنسي، فتعددت بؤر المقاومة في مشارق البلاد ومغاربها. فظهر تزامن وتشابه بعض

المقاومات مثل ثورة محمد بن عبد الله أبو سيف الشهير بلقب "أبو بغلة" في بلاد القبائل (1850-1854)، وثورة لالا فاطمة نسومر في نفس المنطقة (1854-1857)، وثورات أولاد سيدي الشيخ والشريف بوشوشة وبن ناصر بن شهرة في الفترة (1864-1881). كما برز انفراد مقاومات أخرى مثل انتفاضة الزعاطشة في الزيبان (1848-1849) وثورة الشيخ محمد أمزيان في الأوراس في عام 1879، وانتفاضة ابن خدومة في سور الغزلان عام 1870، وانتفاضة مليانة وريغة في 1901، وثورة الأوراس في سنة 1916. وهذا على سبيل الذكر لا الحصر لأن تجربة المقاومة الوطنية للاحتلال حافلة بنماذج لم يأت ذكرها في هذا السياق الموجز.

إن تزامن بعض المقاومات وتشابهها، وانفراد أخرى وتمايزها من حيث الانتشار و الحدة و طول الأمد لا يمكن اعتباره علامة مميزة لها إلا إذا تم النظر إلى كل تجربة بمعزل عن البقية. أما إذا تم تسليط الضوء عليها كظاهرة متسقة و ملتحقة انطلاقا من وحدة الهدف الذي كان يجمع بينها , فان الميزة الأهم في تجربة المقاومة ككل، تصبح التواصل والانتشار والاستمرارية في التعبير عن الرفض للاحتلال الفرنسي.

شكلت المقاومات العديدة التي تلت جهاد الأمير عبد القادر ظاهرة مميزة، كانت القواسم والميزات المشتركة بينها أكثر مما كان يميزها عن بعضها البعض، وإذا كان تباينها في الزمان والمكان في مختلف مناطق البلاد، و في الارتباط بزعامات قبلية أو دينية كثيرة، فانه بالإمكان حصر جملة من الخصائص العامة التي تجعلها في صورة روافد لمجرى واحدا أو فروعا لشجرة واحدة.

يمكن حصر أهم الميزات المشتركة للمقاومات الشعبية في الفترة الممتدة من عام 1847 إلى عام 1916 في جملة من الخصائص البارزة من قبيل :

أ - الزعامة الدينية (القيادة الروحية).
ب- العنصر الوطني (الأصالة الوطنية).
ج- القاعدة الشعبية الريفية.
د- التواصل و الاستمرار.
ه- الانتشار و الشمول.

ا- الزعامة الدينية(القيادة الروحية):

إن أبرز ميزة في المقاومات الجزائرية للاحتلال تمثلت في ارتباطها الوثيق بظاهرة الزعامة الدينية في جميع التجارب التي شهدها القرن ال19، وفي هذا السياق يشير المؤرخ جمال قنان إلى أنه منذ بداية عام 1832 تزعم رجال من الأسر الدينية حركة المقاومة بشكل كاد أن يكون مطلقا.(96) و يدعم أبو القاسم سعد الله فكرة تبوأ الزعماء الدينين قيادة المقاومة الوطنية عندما ذهب إلى التأكيد بأن القيادة الروحية في حركة المقاومة كانت دوما فوق القيادة الزمنية(العسكرية أو السياسية)(51)، وهذا ما نجم عنه تكريس لثنائية قيادية تكررت مرارا في المقاومات التي كان على رأسها دوما زعماء روحيين من العلماء وشيوخ الطرق إلى جانب قادة ميدانيين من أعيان وفرسان القبائل الثائرة.

شكل كل من الحاج علي السعدي والحاج محمد بن زعموم في المتيجة أول نموذج لهذه الثنائية في قيادة المقاومة في وجه الاحتلال في الفترة التي أعقبت سقوط الجزائر العاصمة، واستمرت تلك التجربة لمدة ثلاثة سنوات من1832-1835 انضوت بعدها مقاومة المتيجة تحت لواء الأمير عبد القادر، وأصبح الزعيم الروحي لها خليفة للأمير على منطقة المتيجة.

ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن مقاومة الأمير عبد القادر تمثل نموذجا استثنائيا في ما يتعلق بظاهرة الثنائية الروحية- الزمنية في قيادة المقاومات. لأن الأمير عبد القادر يعد القائد الوحيد الذي نجح في الجمع بين الزعامتين عندما تلقب بأمير المؤمنين(97). وأصبح بذلك القائد الروحي والسياسي والعسكري للمقاومة.(98)

وإذا ما تم استثناء هذه التجربة لاعتبارات كثيرة تميزها عن بقية تجارب المقاومة، فان أغلب المقاومات التي أعقبت حركة الأمير، عاودت الظهور بزعامة شيوخ الطرق والزوايا الذين وجدوا في زعماء القبائل وفرسانها سندا لهم في الدعوة إلى الجهاد ومقاومة الغزاة.

إن نموذج التداخل والتكامل في الزعامة الثنائية الذي كانت مقاومة المتيجة إرهاصا لظهوره في السنوات الأولى للاحتلال، أصبح متلازمة تكرر بروزها في ثورة الشريف بوبغلة والحاج عمر الرحماني

ولالا فاطمة نسومر في بلاد القبائل في أعوام1850-1857، وفي ثورة 1871 بقيادة المقراني والشيخ الحداد(محمد أمزيان بن علي) .

وقد فسر البعض تزعم رجال الدين من العلماء وشيوخ الطرق الصوفية للمقاومة على أنه كان نتيجة للفراغ السياسي الذي تركه انهيار مؤسسات الدولة في بداية الاحتلال.(99)وفسره البعض الآخر بأنه كان بفعل عجز النخبة السياسية الحضرية القليلة العدد عن تشكيل قيادة سياسية بديلة للنظام القديم(100).

أما الكتابات الاستعمارية فقد وصمت ذلك الارتباط الوثيق بين الطرق الصوفية والزوايا وحركة المقاومة بأنه كان دلالة على التعصب الديني والعرقي، وذلك بفعل تواجد الزعماء الدينين على رأس كل ثورة، وبسب الانخراط الواسع للزوايا في جميع المقاومات .(101)

إن ما لا يمكن مجادلته هو أن صعود زعماء الأسر الدينية لتبوأ قيادة الجماهير الريفية الغفيرة في مواجهة الغزو والاحتلال، كان في سياقه التاريخي نتيجة مباشرة للفراغ السياسي الذي تركته دولة الداي المنهارة ولفشل الفئة الحضرية القليلة والمعزولة عن المجتمع القبلي الريفي العريض في أعماق البلاد وأطرافها في تولي المبادرة لصد الاحتلال. كما أن تلك الزعامة الدينية كانت قد امتلكت مكانتها السياسية في الجزائر في الفترة السابقة للاحتلال عندما أصبحت أكثر تأثير في المجموعات المحلية من النظام البائد نفسه.

وهذا ما يسمح بتأكيد أن الزعامة الدينية للمقاومة لم تكن تعبيرا عن التعصب الديني أو العرقي كما تزعم المصادر الاستعمارية في قراءتها المغرضة للثورات الشعبية. وإنما كانت نتيجة تلقائية لانتعاش روح الجهاد الكامنة في أعماق الجزائريين وتعبيرا صادقا على إرادة الأمة في رفض كل ما هو غريب عنه، ودفاعا مستميتا عن مقوماتها الحضارية المميزة (102)

لقد لعب الزعماء الدينيون و خاصة الرحمانيون دورا مهما و بارزا في أغلب جولات المقاومة الشعبية التي استمرت عقودا طويلة من الزمن .(103) وذلك من الشيخ محمد بوزيان في الزعاطشة في عام 1849 إلى الشيخ الحداد في بلاد القبائل عام 1871 فالشيخ محمد أمزيان في الأوراس عام 1879 وصولا إلى ثورة الأوراس الثانية في عام 1916. وكان إلى جانب الرحمانيين زعماء الطريقة القادرية مثل

الأمير عبد القادر (1832-1847)، الشيخ بن العربي بن التاج (بوعمامة) في الفترة 1881-1904 .

وحري بالذكر هنا أن اختلاف الطرق وتعدد الزوايا لم يكن مانعا لبروز الجهود المشتركة في سياق المقاومة ضد الاحتلال، ويعد انضمام ثوار الونشريس بزعامة سي الأزرق القادري إلى ثورة أولاد سيدي الشيخ، وتعاون كل من بن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة في واحات الجنوب الشرقي وجبال عمور مع ثورتي أولاد سيدي الشيخ والمقراني نموذجا للانخراط الجماعي لأتباع الرحمانية والقادرية والسنوسية، وحتى زعماء الزوايا المحلية من أمثال الحاج السعدي و محيي الدين القليعي في صفوف المقاومة .

ب- العنصر الوطني (الأصالة الوطنية):

من أهم ميزات المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي في الفترة من 1830 الى1916 اعتمادها الكلي على النصر الوطني في المواجهة ، وكان ذلك على النقيض من جيش الاحتلال نفسه الذي تشكل في الكثير من الأحيان من مجموعات غير متجانسة ضمت إلى جانب الغزاة الفرنسيين جماعات من المرتزقة الأوربيين وحفنة من التراجمة اليهود .

لقد حاول أحمد باي استجداء الدعم والمعونة من السلطان العثماني محمود الثاني.(104) وتوجه الأمير عبد القادر في بداية مقاومته بطلب العون والمساعدة من السلطان المغربي مولاي عبد الرحمن، (105)باسم الروابط الدينية والمعنوية التي كانت تجمع بين الجزائريين ودولة الخلافة العثمانية، وروابط الأخوة والجوار مع الدولة العلوية. إلا أن تلك المساعي لم تكلل بالنجاح والتوفيق. وفي هذا السياق يمكن أن نذهب إلى اعتبار المزاعم الاستعمارية بوجود عوامل خارجية وراء كل الثورات الشعبية , بأنه من أكبر الافتراءات التاريخية التي يمكن دحضها انطلاقا من ثبوتية توفر المقاومة الجزائرية على عنصر الأصالة الوطنية .

وفي الواقع إن الاتهامات الفرنسية لزعماء المقاومة بالعمالة لأطراف خارجية كالدولة العثمانية بالنسبة لمقاومة أحمد باي، والمخزن المغربي بالنسبة للأمير عبد القادر، وألمانيا بالنسبة لثورة عام 1871، وحتى للسنوسيين في ليبيا بالنسبة لبن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة. لم تكن لتطغى على ظاهرة الانخراط الواسع النطاق

للجزائريين في حركة المقاومة التي شكلوا فيها الوقود الذي أستعرت به نار الثورات والانتفاضات دون غيرهم، ودون انتظار لمدد يأتي من الآفاق البعيدة.

إن ميزة الأصالة التي يعكسها انفراد العنصر الوطني في عملية الدفاع عن البلاد في مختلف أرجائها يكتسي أهمية بالغة عند قراءة تجربة الاستماتة الجزائرية في وجه الغزو الفرنسي. لأنها تعكس وحدة الموقف ووحدة الشعور بالانتماء السياسي، وتعبر عن ردود فعل واعية لأمة متجانسة تجاه خطر أجنبي أحدق بها من كل جانب.

ج- القاعدة الشعبية الريفية:

ارتبطت المقاومة الجزائرية في مختلف مراحلها بأسماء الزعماء الدينيين وأجواد القبائل الثائرة في الظاهر، ولكنها كانت في عمقها الحقيقي ثورات للفلاحين والريفيين الذين شكلوا السواد الأعظم من السكان في البلاد آنذاك.(106)

ولم تكن تلك الجماهير الغفيرة من الفلاحين مهيأة لتلعب دور الجيوش النظامية في عملية المواجهة مع قوة عسكرية استعمارية محترفة كانت تعتبر في القرن التاسع عشر من أقوى الجيوش الزاحفة في العالم. ولكن سرعة تفكك وانهيار الحكم المركزي لدولة الداي حسين في بداية الاحتلال،وما أعقبه من سقوط لآخر قلاعه عند أسوار قسنطينة عام 1837 من جهة، وإخفاق جماعة الحضر في تبوأ زعامة الجماهير الجزائرية بسبب افتقادهم للسمعة والمكانة في أوساط المجتمع القبلي آنذاك من جهة أخرى، كان من الأسباب والعوامل التي سمحت للزعامات الدينية والقبلية المحلية في تصدر جبهة المقاومة انطلاقا من الأرياف التي شكلت قواعد خلفية وخزانات وقود لأتون ثورات ظلت مشتعلة لفترة طويلة.(107)

د- الانتشار والشمول:

يعد انتشار ظاهرة المقاومة وشمولها لمختلف مناطق البلاد من الميزات الرئيسية لها، ولما كانت حركة الغزو حربا ضارية وطويلة الأمد فقد تمظهرت حركة المقاومة في شكل ردود فعل مسلحة متواصلة ورافضة للقبول بالهزيمة النهائية لفترة طويلة استمرت إلى السنوات الأولى للحرب العالمية الأولى .

وخلافا لما كانت تذهب إليه الكتابات الفرنسية في الزعم بأن معاقل الثورات في الجزائر كانت مرتبطة بمناطق محدودة ومعينة. فان الحقيقة التاريخية التي يمكن إثباتها انطلاقا من الشواهد التي يتيحها لنا ميراث المقاومة الجزائرية، تؤكد بأن كل سكان البلاد عربا وبربرا، بدوا وحضرا، في هضاب الغرب وجبال الأطلس التلي، وفي جبال عمور والأوراس، وفي واحات الجنوب ومنطقة الطاسيلي شاركوا في مواجهة حركة التوسع و الاحتلال الفرنسي.(108)

ولعل إعطاء لمحة قصيرة عن تطور حركة المقاومة وانتشارها في الفترة 1847-1916 سيكون كفيلا بتوضيح ميزة الانتشار والشمول، وكافيا لدحض الطرح الاستعماري الذي أشرنا إليه سابقا .

انطلقت المقاومة واستمرت من ثورة الزعاطشة في الزيبان بقيادة الشيخ بوزيان (1848-1849) إلى ثورة الأوراس بقيادة الشيخ بن علي بن النوي في عام 1916 ،(109) ودام اشتعالها سبعة عقود لم تتخللها سوى فترات قصيرة من الهدوء لاستعادة الأنفاس والاستعداد لانفجارات أخرى في بلاد القبائل بزعامة الشريف محمد بن عبد الله وللا فاطمة نسومر(1850-1857)، وفي الأغواط وورقلة وتقرت بقيادة الشريف محمد بن عبد الله في عام 1852، ثم في جبال عمور والبيض وتيارت على يد أولاد سيدي الشيخ (1864-1881)، ومن بعدهم الشيخ بوعمامة في المنطقة ذاتها في الفترة (1881-1904).(66)

ومن أهم الدلائل على استمرار جذوة المقاومة في أوساط الجماهير كان انفجار الثورات في مناطق بذاتها لأكثر من مرة، وفي فترات زمنية مختلفة وبشكل أشد وقعا وتأثيرا وانتشارا من سابقاته، وهو ما شكل صعوبة بالغة لحركة الغزو الاستعماري رغم تفوقها العسكري، وكان من الأسباب الرئيسية في تأخر عملية الشروع في الاستيطان إلى ما بعد سنة 1870 .

وللوقوف عند هذه الحقيقة التاريخية يمكن هنا التدليل بمقاومة بوبغلة وللا فاطمة نسومر في بلاد القبائل في سنوات 1850-1857 ، ومقاومة المقراني و الشيخ الحداد في المنطقة ذاتها في عام 1871. وهذا مع الإشارة إلى أنها لا تمثل نموذجا فريدا في تجارب المقاومة الوطنية، وإنما يمكن ملاحظة ذلك أيضا في مقاومتي الأوراس الأولى

والثانية في عامي 1879 و 1916، وفي مقاومتي أولاد سيدي الشيخ الأولى والثانية في سنتي 1864 و1881.

هـ- التواصل :

من بين أبرز ميزات المقاومات الشعبية بعد سنة 1847، كانت ميزة التواصل فيما بينها، على النقيض من التجربة الفاشلة والسلبية التي شهدتها كل من مقاومتي الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي، والتي يمكن اعتبار فشلهما في التواصل والتنسيق من الفرص الكبرى الضائعة في مسار حركة المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي .

لقد سمح التواصل بين المقاومات الشعبية على نطاق محدود غالبا بتنسيق الجهود في المواجهة التي لم تكن تتوفر فيها معايير توازن القوى بين الغزاة والمقاومين، وأمكن ذلك التواصل ليس في تحقيق دحر نهائي للاحتلال، وإنما من فتح جبهات متعددة للمقاومة في آن واحد مثلما حدث أثناء ثورة أولاد سيدي الشيخ التي انظم إليها ثوار الونشريس، وأثناء ثورة المقراني التي آزرها الثوار في الواحات الشرقية.

ويمكن القول بأن ظهور ميزة التواصل بين المقاومات بعد سنة 1847 يعود الفضل الأكبر فيه إلى مقاومة الأمير عبد القادر في سنوات 1832-1847 التي نجحت في اشراك معظم مناطق الجزائر في مواجهة حركة التوسع الاستعمارية. وتمكنت بذلك من الزج بالسواد الأعظم من الجزائريين في حركة المقاومة .

إن أهمية توفر هذه الميزة في المقاومة على الرغم من محدودية النتائج التي تمخضت عنها ميدانيا تكمن في أنها أضفت على الثورات والانتفاضات الطابع الوطني الذي تجاوز نطاق العشائر والقبائل، وتجاوز أيضا نفذ الطرق الصوفية والزوايا المنتشرة بكثرة في مختلف مناطق البلاد. ويعبر التواصل بين المقاومات من جهة أخرى على توفر عنصر الشعور بالخطر المشترك الذي يتضمن في جوهره الدلالة على الشعور بوحدة المصير أمام العدو الأجنبي الزاحف من كل حدب وصوب.

4.2- أسباب فشل المقاومة الجزائرية للاحتلال 1830-1916 :

1- التفوق العسكري الاستعماري و سياسة التدمير الشامل:

إن حركة الغزو الاستعماري الفرنسي للجزائر كشفت عن تحول كبير في ميزان القوة لصالح بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي لصالح هذا الأخير، وظهر ذلك التحول في صور عديدة للتفوق المادي في مجالات كثيرة، بفعل الثورات الثقافية والسياسية والصناعية التي كانت دول أوربا مسرحا لها في القرنين 18-19 .

ولم يكن غريبا أن يكون أسطول محمد علي باشا هو آخر الأساطيل الشراعية التي أنجزها الفنيون الفرنسيون، لأن القوى الأوروبية كانت آنذاك على أهبة الدخول إلى عصر البخار، ولعله بالإمكان الجزم بأن الهزيمة الساحقة للجيش النظامي للداي حسين لم يكن بسبب الخلل الكبير في خطة الدفاع عن الجزائر العاصمة فقط كما تذهب إليه بعض الدراسات الجزائرية، وإنما يعود بدرجة أكبر إلى التباين الشديد في ميزان القوة العسكرية لصالح جحافل الغزو .

وليس من الخطأ هنا في التأكيد على أن المقاومة الوطنية لم تتوفر في مختلف مراحلها على قوة نظامية مدافعة، إذا ما استثنينا جهود الأمير عبد القادر في محاولته لإنشائه، وحتى الأمير نفسه لم يكن بإمكانه حشد أكثر من 15 ألف جندي في معركة واحدة، على الرغم من أن المصادر التاريخية تذهب إلى تقدير قواته شبه النظامية بحوالي 60 ألف جندي(110)

وتفسر بعض الكتابات التاريخية غياب الجيش النظامي في تجربة المقاومة التي تلت سقوط الحكم المركزي، والصعوبات التي واجهها الأمير عبد القادر في محاولته لإنشاء قوة عسكرية دائمة التفرغ للجهاد والدفاع عن الدولة بالطبيعة الفطرية المعارضة لفكرة التجنيد الإجباري عند الشعب الجزائري حتى في سنوات الحكم العثماني.(111)

ولكن هذا التفسير يبدو ضعيفا لأن الأسباب الحقيقية التي حالت دون امتلاك الجزائر لجيش نظامي قوي يتولى مهمة الدفاع عن البلاد بعد سقوط العاصمة في عام 1830، لا تكمن في رفض السكان الجزائريين في الانخراط في جيش منضبط، وإنما في هامشية و سطحية وعزلة النظام العثماني عن الجماهير التي كان يحكمها، وفي الاعتماد الكلي للأوليغارشية الحاكمة على قوة الجيش الانكشاري في صد

الهجمات الخارجية. وهو الأمر الذي جعل المجتمع الريفي العريض في الجزائر يبقى رهينة لنفوذ الإقطاعيين وقبائل المخزن وخاضعا للولاء للقبيلة وللطرق الصوفية والزوايا، ويقف مناصبا العداء في غالبيته للحكم المركزي.

ومن العوامل الرئيسية التي انتهت بالمقاومات والثورات العديدة والمتواصلة إلى الهزيمة الميدانية أمام التوسع الفرنسي، كانت سياسة التدمير الشامل التي انتهجتها حركة الغزو.(112) والتي ارتكزت على اعتماد سياسة الأرض المحروقة لإفقاد المقاومة من أية إمكانية لاستغلال مقدراتها المادية في الصمود و الاستمرار، في سياسة الإبادة المنظمة بهدف كسر الروح المعنوية لها من خلال الجرائم الكثيرة في حق الأهالي العزل، إلى جانب ممارسة الاختطاف والنفي بهدف ترويع الثوار وإخماد روح الجهاد في صدورهم.(113)

ب- الدور الخطير للعناصر الجزائرية العميلة:

لعبت مجموعة من الجزائريين من زعماء القبائل والأسر الإقطاعية الكبيرة دورا خطيرا ساهم بقدر كبير في إرباك صفوف المقاومة الجزائرية وتسبب بشكل مباشر في إفشالها. مثلما حدث في ثورة محمد بن عبد الله (بوبغلة) التي انتهت إلى الفشل بفعل تحالف عدد من أعيان منطقة القبائل مع الجيش الفرنسي ضده، حتى أن زعيم الثورة نفسه قتل على يد القياد لخضر بن أحمد المقراني في عام 1854 (114).

لقد انتصبت بعض الزعامات المحلية تماثيل دائمة للخيانة والعمالة طيلة فترة الاحتلال من أمثال فرحات بن السعيد في الزيبان، ومصطفى بن اسماعيل في الزمالة والدوير في بايلك الغرب، و بوعزيز بن قانة في بسكرة وكل من أحمد المقراني وابنه لخضر في مجانة وبلاد القبائل، إلى جانب عدد من أعيان أولاد سيدي الشيخ الذين حاربوا أبناء عمومتهم الثائرين تحت لواء الجيش الغازي.

ان استعراض تجارب المقاومة منذ بداية الاحتلال يسمح بالوقوف على حجم الجهود الهدامة التي قدمتها أجيل متعاقبة من العملاء و الموالين للاستعمار من رموز القبائل والأسر الإقطاعية الواسعة النفوذ في مختلف مناطق البلاد .

واجه أحمد باي بالإضافة إلى جيش الغزو الزاحف على قسنطينة، مؤامرات وخيانة عدد من الخصوم الأشداء من أمثال فرحات بن السعيد وإبراهيم الكريتلي ومحمد بن نعمون وعبد الرحمن سلطان تقرت.(115)

كما تعرضت مقاومة الأمير عبد القادر إلى الغدر والخيانة من طرف مصطفى بن إسماعيل زعيم قبائل الزمالة والدوابر المخزنية الذي عقد اتفاقا مع الجنرال تريزيل في عام 1834 لمحاربة الأمير بعدما كان قد بايعه من قبل. و استعان الجيش الفرنسي أيضا في مواجهة الأمير عبد القادر بعدد من خصومه من أمثال ابراهيم بو شناق الذي عينه الجنرال كلوزيل حاكما على مستغانم، وبكل من أحمد بن الطاهر ومحمد الغماري. (116)

وتجدر الإشارة إلى أن حجم الإرباك الذي تسبب فيه الدور الخطير للعناصر العميلة على حساب مقاومة الأمير عبد القادر على سبيل المثال، لا يتضح بدون معرفة أن أغلب العملاء كانوا لفترة ما من خلفاءه في عدد المقاطعات الثمانية التي تشكلت منها دولته مثل فرحات بن السعيد في الزيبان وأحمد المقراني في إقليم مجانة .(117)

ان هذا الدور الذي لعبته هذه الطائفة من الجزائريين في تدعيم الاحتلال الأجنبي للبلاد ,لم يتقلص و انما تعاظم وازداد بعد استسلام الأمير عبد القادر , و أصبح من الأسباب الرئيسية التي أدت الى فشل جميع الانتفاضات التي حدثت بعد سنة 1847 (118) بما فيها النتفاضة الشعبية الكبرى لسنة 1871. (119)

ج- الطابع الاقليمي المحدود للمقاومات:

يمكن اعتبار العزلة و الطابع الإقليمي الحدود للثورات الشعبية من أهم أسباب فشل تجربة المقاومة الوطنية في القرن إل 19 . لأنه إذا ما وضعنا جهاد الأمير عبد القادر جانبا لخصوصياته الكثيرة, فإننا نجد أن بقية الانتفاضات لم تتجاوز في نطاقها الميداني وفي توظيفها للوسائل العسكرية والمادية مجال نفوذ القبائل الثائرة , وهو ما جعلها تتميز بطابع إقليمي محدود وضيق جغرافيا و ضعيف عسكريا في أغلب الأحيان .

إن انعدام التنظيم الوطني وطغيان الطابع الإقليمي وعدم تزامن حركات المقاومة و افتقادها لوحدة الصف , جعل الكثير من الذين

تناولوا بالدراسة تاريخ المقاومة ينزعون الى وصفها بأنها لم تكن سوى ردود فعل على السياسة الاستعمارية تميزت بالاحتجاج المسلح على الاعتداء العسكري والتعسف الاداري.

و يمكن القول بأن مثل هذا الطرح ينطوي ضمنيا على قراءة سلبية شديدة تفقد حركة المقاومة الكثير من أصالتها و شرعيتها التاريخية , عندما تنتقص منها الصفة الأساسية لها وهي أنها في الأصل تمثل استجابة تلقائية لدوافع عقائدية تفرض واجبات الدفاع عن الدين والوطن .

ان الطابع الاقليمي المحدود للمقاومات أثر بشكل مباشر في فشلها بعد فترات قصيرة في الغالب من المواجهة مع حركة الغزو والاحتلال. وكان أيضا عاملا أساسيا تسبب في جملة من الانعكاسات التي منعت حركة المقاومة من تحقيق أهدافها .

و يجدر الاقرار هنا أنه ليس بالامكان في هذا الحيز استعراض جميع تجارب المقاومات لاستخلاص أهم الجوانب السلبية في أدائها الذي ارتبط بشكل وثيق بالاطار الاقليمي , و لكن يمكن ضبطها فيما يلي :

1- أثر الطابع الاقليمي المحدود جغرافيا وبشريا و المعزول عسكريا وسياسيا لأغلب المقاومات في فشلها و انهزامها في جولات سريعة , و يمكن هنا التدليل بثورة الزعاطشة في عامي 1848-1849 .(120)

2- ان محدودية انتشار المقاومات جعلتها في متناول الجيش الفرنسي الجرار الذي كان يلجا الى محاصرتها ثم تسليط وسائل القمع عليها بهدف استنزاف قدرتها على الصمود في فترة قصيرة, ومثل هذا ما حدث بالنسبة لثورتي بلاد القبائل في أعوام 1850-1857 .(121)

3-انفراد زعماء القبائل في اتخاذ قرار تفجير الثورة حرمها من امتلاك الشروط اللازمة للاستعداد المادي والعسكري , وجعلها رهينة للارتجال والتسرع الذي أفقدها التنظيم المحكم والأهداف المحددة فكان الفشل الذريع نتيجة حتمية لها , وتعد ثورة أولاد سيدي الشيخ الأولى نموذجا يوافق هذه الحالة .(122)

4- إن عزلة المقاومات بعضها جغرافيا وعدم توافقها زمنيا بالرغم من تواترها واستمرارها افقدها القدرة على تخيف الضغط عنها وإعادة تنظيم صفوفها، ودفعها إلى استنزاف كل وسائلها دون أن تكيف دفاعاتها أو تغير من استراتيجيتها. فأحمد باي في قسنطينة ظل يراهن على أسوار المدينة في كسر الحملة الفرنسية الثانية عام 1837، لكن الدفاعات المنيعة سقطت أمام مدفعية الجيش الغازي وسقط معها بايلك الشرق كله في معركة واحدة، كما تسبب اعتماد الشيخ بوزيان على أسلوب الدفاع والاحتماء بالأسوار القديمة لواحة الزعاطشة في هزيمة ثورته التي كان بامكانها اللجوء إلى حرب استنزاف في منطقة واسعة الأرجاء ومختلفة التضاريس (الزيبان والأوراس).

4- التفكك السياسي للدولة الجزائرية:

إن امتلاك أي دولة لنظام حكم مركزي وجيش نظامي تسنده جماهير واسعة يعد شرطا أساسيا لتوفير أي شعب على القدرة في مواجهة الأخطار الخارجية التي تحدق بها من أي جانب، وإذا ما قمنا بإسقاط هذا الشرط الحيوي على تجربة المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي في القرن الـ19، فإننا سرعان ما نلاحظ أن تلك التجربة افتقدت منذ الأيام الأولى هذه الدعامة الأساسية، وهو ما جعلها عرضة لهزيمة ساحقة وسريعة لولا الصمود الذي أبداه الشعب الجزائري لمدة سبعة عقود كاملة.

5- تعدد مراكز النفوذ السياسي المحلية:

أسفر سقوط الدولة السريع في عام 1830 عن نتائج كارثية على الصعيد المقاومة، وليس ذلك لأنه حرمها من قاعدة صلبة وقوية، وواجهة سياسية رسمية فحسب، وإنما يعود أيضا إلى تداعيات ذلك السقوط والانهيار. إذ سرعان ما طفت إلى السطح ظاهرة تعدد مراكز النفوذ السياسي المحلية في الجزائر في محاولة منها لسد الفراغ الذي تركته دولة الداي.

إذ تعدد الزعامات المحلية لم يكن ظاهرة غير مألوفة في الجزائر في أيام الحكم العثماني ذاته، فقد كان توزيع النفوذ السياسي قائما بين جهاز الحكم المركزي وقبائل المخزن في مواجهة القبائل غير الخاضعة، وتبوأت الأسر الدينية من شيوخ الطرق الصوفية و أصحاب الزوايا

مكانة مؤثرة في المجتمع إلى درجة كانت تستشعر منها الدولة القائمة خطرا محدقا بنفوذها.

وفي الواقع إن تعدد الزعامات المحلية الدينية منها والقبلية في الجزائر بعد عام 1830. لم يكن سلبيا بصورة كلية على وتيرة ومسار حركة المقاومة، لأن المجموعات الجزائرية التي كانت خلال العهد العثماني تتفاعل مع قادتها المحليين في إطار الطرق الصوفية بشكل أكبر بكثير من تفاعلها مع السلطة الرسمية سرعان ما أسلمت زمام المبادرة في قيادتها للمرابطين الذين انخرطوا في حركة الجهاد ضد الاحتلال.

ولكن على الرغم من ذلك الدور الايجابي البارز الذي لعبته الزعامات الدينية فإن الانعكاس الخطير لظاهرة تعدد مراكز النفوذ السياسي ظهر من خلال جهود الهدم المتواصلة المعاكسة لحركة المقاومة على يد الكثير من العناصر الجزائرية العملية التي كانت تنتمي إلى الزعامات القبلية وإلى الأسر الأرستقراطية الإقطاعية، والتي تسببت بقدر كبير بعل تحالفها مع قوات وإدارة الاحتلال في إفشال مقاومة الأمير عبد القادر و معظم الثورات التي أعقبتها.

3 - منطلقات احتراف السياسة(1908-1919) :

لقد تحمل المجتمع الجزائري أعباء وأخطار القبضة الاستعمارية لعقود طويلة تعرضت خلالها البلاد إلى خطر الفرنسة والتمسيح وسياسة التهجين الثقافي، ويمكن توضيح الانعكاسات السلبية على المجتمع الجزائري باستعراض السياسات التي لجأت إليها السلطة الكولونيالية بهدف إحكام سيطرتها على أجيال متعاقبة من الجزائريين.

كانت نوايا الجنرالات الفرنسيين في بداية الاحتلال تهدف إلى دحرا لملايين من الجزائريين إلى أعماق الصحراء الكبرى (هذا المشروع كان حلما للمريشال بيجو)، والقيام بزرع ملايين بديلة لهم من الأوروبيين، ولما أفشلت المقاومات الشعبية تلك الأحلام الفاشية، انتقلت السياسة الاستعمارية إلى توظيف أدوات ووسائل أخرى لتركيع الجزائريين وإطفاء جذوة المقاومة والصمود في أعماقهم.

وفي هذا السياق كانت قوانين الغاب الاستعمارية مثل قانون الأهالي وقوانين النهب المنظم للملكيات العقارية والوقفية، بالإضافة إلى

القوانين الزجرية المتطرفة مثل قانون مبدأ المسؤولية الجنائية الجماعية والسلطات المطلقة للبلديات المختلطة. ولابد من توضيح أن هذه السياسة المعلنة كانت معاول هدم متواصل يهدف إلى تفقير وتجهيل وتجويع الجماهير المسلمة، ومن أجل التمهيد لتنصيره وإدماجه بعد أن تتداعى خلايا المناعة الحضارية لديه.

عند مطلع القرن العشرين، وقف الجزائريون على الحقيقة المؤلمة، لأن العهد الاستعماري ظهر لهم أشبه ما يكون بالصحراء القاحلة المقفرة، أضراره لا تعد ومغارمه لا تحصى. إن الذي سمح بتشكيل تلك الرؤية يتمثل في الرياح التي هبت على الجزائر بفعل التيارات التي كان يموج بها العالمين الإسلامي والأوروبي آنذاك.

كما أن السياسة الاستعمارية كانت تشهد في حالات استثنائية وقصيرة بعض الانفتاح على يد عدد من الساسة من أمثال الحاكم العام شارل جونار(123) ورافق ذلك بدية ما يعرف بالنهضة الثقافية في الجزائر، التي تميزت بظهور أشكال جديدة للتعبير عن المطالب الاجتماعية والثقافية والسياسية في أوساط مجموعات من المثقفين الجزائريين.

لقد شقت النخبة الجزائرية لنفسها سبلا جديدة، وخاضت غمار معترك السياسة من خلال ثلاثة قنوات رئيسية يمكن أن نعتبر بأنها شكلت منطلقات لاحتراف العمل السياسي في الفترة الممتدة من 1908-1919. و تتمثل تلك القنوات في مايلي:

1/- الصحافة.
2/- الجمعيات.
3/- النوادي.

1- الصحافة:

كسرت الصحف الجزائرية الأولى في بداية القرن العشرين احتكار الكولون للصحافة في الجزائر، والتي كانت من أهم وسائل وأدوات التأثير في الرأي العام وفي توجيهه، فقد كانت المجموعة الأوربية في الجزائر على قلة تعدادها مقارنة بالأغلبية المسلمة تمتلك ترسانة إعلامية مشكلة من عدد كبير من الجرائد الناطقة بالفرنسية، إلى

جانب صحف عربية تحت وصاية الإدارة الاستعمارية مثل صحيفة الأخبار(1839) والمبشر(1848) وفرنسا الإسلامية(1913) وغيرها من الجرائد التي كانت مسخرة لخدمة المصالح الاستعمارية والدعاية لسياسة الحكومة العامة في الجزائر.

كانت بدايات الصحافة الجزائرية صعبة للغاية في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، ولم تتمكن الجرائد الرائدة مثل جريدة الحق (عنابةعام1893) من البقاء طويلا أمام ضغط الكولون، وهذا ما جعل الجرائد الأولى التي ظهرت في مطلع القرن العشرين كجريدة المصباح (بالغتين العربية والفرنسية)تسعى إلى كسب ود الإدارة الاستعمارية من خلال اعتماد خطاب مهادن، ولهذا رفع العربي فخار صاحب المصباح شعارا لجريدته ينادي بالعمل من أجل التفاهم والتعايش بين المجموعتين الجزائرية والأوروبية طيلة مدة صدورها في سنتي (1904-1905).(124)

توالت الصحف التي أسسها الجزائريون بعد ذلك، فظهرت صحيفة الجزائر الشهرية لعمر راسم (1908)، وتميزت تلك الصحيفة بتوعية قرائها من الجزائريين بالقضايا الدولية وتطورات الأوضاع في العالم الإسلامي، كما عرفت بلهجتها الحادة عند تناول القضايا الوطنية، وهو الأمر التي جعلها تختفي بعد فترة قصيرة من الصدور.

ومن أبرز الصحف التي ظهرت قبل الحرب العالمية الأولى، صحيفة المغرب باللغتين العربية والفرنسية، وكان يديرها الفرنسي بيار فونتانا (صاحب المطبعة الشهيرة باسمه في العاصمة)، تأسست المغرب في سنة 1909، وما تجدر إليه الإشارة فيما يتعلق بهذه الصحيفة حول مضمون ومحتوى خطابها الإعلامي، هو التباين الشديد في قراءة تجربتها لدى المؤرخين الجزائريين.

يذهب محمد ناصر إلى تقرير بأنها كانت جريدة منحازة للإدارة الاستعمارية على الرغم من تظاهرها بالدفاع عن حقوق ومطالب الجزائريين(125) .أما أبو القاسم سعد الله فيشير إلى أن توجه صحيفة المغرب كان توجها إصلاحيا وإسلاميا بلسان عربي، ويشير إلى العديد من كتابها من أمثال الشيخ عبد القادر المجاوي وابن الموهوب ومحمد بن أبي شنب وغيرهم .(126)

إن سياق هذه الدراسة لا يسمح بالاسترسال في ذكر التراث الضخم للصحافة الجزائرية في الفترة الممتدة ما بين سنتي1900-1914.و لكن الهدف المتوخى في هذا المبحث يتمثل في تسليط الضوء على تجربة الصحافة الجزائرية كوسيلة للتعبير عن المطالب السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية.

وحري بنا الإشارة إلى أن تلك التجربة تضمنت بروز صحف ناطقة باللغتين، يمكن تقسيمها في توجهها إلى صنفين :

- صحف وطنية.
- صحف مقربة من الدوائر السياسية الاستعمارية.

بالنسبة للصحف الوطنية، يمكن أن نضيف لما سبق ذكره، جريدة الإسلام للصادق دندن باللغتين العربية والفرنسية، والتي تأسست عام (1912)، وعرف عن صاحبها حماسته للقضايا الوطنية، واستماتته في الدفاع والمطالبة بحقوق المسلمين الجزائريين.

وإلى جانب جريدة الإسلام، ظهرت جريدة الفاروق بعد سنة واحدة على يد عمر بن قدور، وهي الجريدة التي تأثرت في مضمونها بجريدة المنار لرشيد رضا، حتى اعتبرها البعض أول جريدة إصلاحية في الجزائر(127)إذ تميزت الفاروق بتوجهها الإسلامي والوطني وعكفت على الاهتمام بقضايا المسلمين في الأقطار العربية والإسلامية. أما جريدة ذو الفقار التي تأسست صدرت في سنتي (1913-1914)، فقد عرفت بمعارضة التجنيد الإجباري و التركيز على القضايا الاجتماعية والدينية في الجزائر(128) .

وعلى النقيض من هذه الجرائد، ظهرت على الساحة الإعلامية في الجزائر في بداية القرن مجموعة من الصحف المقربة من دوائر السياسة الاستعمارية، وتعتبر جريدة كوكب أفريقيا نموذجا للصحف التي كانت تدور في فلك سياسة الحكومة العامة وتقوم بالدعاية لها، ولعل هذا ما أتاح لها طول العمر (1907-1914) مقارنة بالصحف الوطنية التي أشرنا إليها سابقا، وغالبا ما يصف المؤرخون صحيفة كوكب أفريقيا بأنها كانت لا تختلف عن الصحف الاستعمارية آنذاك إلا في لسانها العربي.

لقد كان للصحافة الجزائرية في تجربتها الأولى في الفترة 1900-1914، دورا كبيرا في تثقيف الجزائريين، وفي إنهاء عزلتهم

عن الأحداث التي كانت تحيط بهم، وساهمت تلك الصحف في تبلور القضايا التي غدت تمثل في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، مرجعيات للبرامج السياسية للنخبة والأحزاب الوطنية.

إن التأثير الايجابي الأولي للصحف البواكير يكمن بالدرجة الأولى في إنهائها للاحتكار الاستعماري للصحافة، والذي استمر طويلا في الجزائر، وهو الأمر الذي حرم الجماهير الجزائرية من امتلاك وسيلة وأداة ومنبر للتعبير عن المطالب الوطنية، ويمكن الجزم أن سياسة الحصار الاستعمارية هي التي أعطت فيما بعد الذرائع لمدرستها التاريخية في الزعم بتأخر التعبير عن الفكرة الوطنية عند الجزائريين إلى العقود الأولى من القرن المنصرم.

2-الجمعيات:

تعد الجمعيات الثقافية من أبرز مظاهر النهضة الجزائرية في العقد الأول من القرن العشرين، إذ شهدت الحواضر الكبرى ميلاد العديد من الجمعيات التي كانت تمثل تجربة شبيهة بالصالونات والمنتديات الأدبية والعلمية في المشرق العربي. إن أغلب الدراسات التي تناولت الموضوع، لا تشير غالبا إلى خلفيات نشأتها وكثيرا ما تختلف في ضبط سنوات ظهورها على يد مجموعات صغيرة من النخبة الحضرية في الجزائر وقسنطينة وتلمسان وغيرها.

لكن بالنظر إلى مزاولة السواد الأعظم من أعضاء الجمعيات للكتابة الصحفية، يمكن أن نذهب إلى تفسير خلفية ظهور تلك الجمعيات بتوجه مؤسسيها إلى البحث عن مساحات بديلة للتعبير عن أفكارها واهتماماتها بعيدا عن الصحف التي كثيرا ما كانت تجاربها قصيرة، بفعل تعرضها إلى التعليق والمنع والمضايقة.

وتعتبر كل من الجمعية الرشيدية والجمعية التوفيقية من أهم وأبرز الجمعيات التي تأسست في الجزائر في العقد الأول من القرن الماضي.

ا/- الجمعية الرشيدية:

تأسست هذه الجمعية في الجزائر العاصمة في سنة1902م (129)على يد جماعة من الشبان الجزائريين من خريجي المدرسة الفرنسية، وكانوا يحضون بتأييد عدد من الفرنسيين المتعاطفين مع

الجماهير الجزائرية المسلمة، وكانت الرشيدية تعلن أن أهدافها تتمثل في نشر والعلوم في أوساط الجماهير، وأصدرت في ذلك المسعى نشرة إعلامية باللغتين العربية الفرنسية.

كان أهم نشاط ثقافي قامت به هذه الجمعية يتمثل في إشرافها على عقد سلسلة من المحاضرات العلمية في مختلف فروع المعرفة(130) ،كما نجحت الرشيدية في الامتداد والانتشار في مناطق عديدة من الجزائر، وبعد عقد واحد من نشأتها أصبح فرع العاصمة يضم أكثر من (250عضو).

ب- الجمعية التوفيقية:

ظهرت في سنة (1908) بالجزائر العاصمة وتم تجديدها في سنة(1911)، تزعمها الدكتور ابن التهامي أحد أبرز وجوه النخبة، وكان نائبه في الجمعية محمد صوالح الذي يعتبر من نشطاء النخبة (كان يتميز بإسهامه كبير في النشاط الثقافي للجمعية (131) .

تبنت الجمعية التوفيقية شعار السعي نحو تحقيق تجمع للجزائريين الراغبين في الارتقاء الفكري والاجتماعي[10]، وعرضت نفسها كمدرسة ومنتدى أخوي لأعضائه، وسارت التوفيقية على نهج الرشيدية في نشر العلوم والمعارف فنظمت في سنة (1911) سلسلة من المحاضرات في القانون الدولي والأدب العالمي والحضارة العربية والتاريخ (132).

ان أهمية الدور الذي قامت به الجمعيات الثقافية في بداية القرن العشرين يمكن أن نستخلصه من خلال بعض انجازاتها, التي انعكست في ارتقاء المستوى المعرفي و الفكري لشريحة من النخبة و أعداد معتبرة من العامة .

إن النشاط الفكري والثقافي لتلك الجمعيات يعكس حقيقة الجهود الثقافية والاجتماعية التي كرست لخدمة المصالح العامة للجماهير(133) ،حيث تحولت الجمعيات إلى مراكز للتهذيب والارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري، وأظهرت اهتماما خاصا باللغة العربية وآدابها التي حاولت

السياسة التعليمية الاستعمارية طمسها منذ السنوات الأولى للجمهورية الفرنسية الثالثة.

أثرت الجمعيات الرائدة كالرشيدية والتوفيقية في انتقال وانتشار النشاط الثقافي إلى مناطق عديدة من الجزائر، فقد ظهرت الجمعية الصديقية في مدينة تبسة عام(1913) على يد عباس بن حماية، وكان هدفها العناية بالتربية الإسلامية ونشر التعليم العربي والقيام بالإصلاح الاجتماعي(134) . ويمكن القول أن نشاط تلك مثل تلك الجمعيات يكون قد ساهم في تهيئة الأرضية للحركة الإصلاحية الشاملة التي تزعمتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد ذلك بسنوات قليلة.

ج- النوادي:

إلى جانب الجمعيات، ظهرت النوادي الثقافية في الجزائر، وكان أشهرها نادي صالح باي الذي تأسس في قسنطينة عام (1907).

وضع نادي صالح باي للتعريف بطبيعة نشاطه شعار: جمعية الدراسات الأدبية والعلمية والاقتصادية، وكان النادي في تأسيسه ثمرة لمبادرة من طرف مجموعة من المثقفين الجزائريين، وبدعم من عدد من العناصر الفرنسية. ترأسته شخصية فرنسية (أريب) وضم في صفوفه إعلاما جزائرية بارزة من أمثال ابن الموهوب ومصطفى باشطارزي ومحمد بن باديس.

نجح نادي صالح باي من الانتشار في عدد من المدن في شرق الجزائر، حيث أصبح لديه فروعا في عين مليلة وواد زناتي وقالمة وسوق أهراس. وبلغ عدد أعضائه (1700)، وكان النادي يهتم بنشر التعليم وتنظيم الدروس وعقد المحاضرات الأدبية والعلمية ويدعو في شعاراته إلى العمل والتعاون(135) .

جذور النخب السياسية الأولى:

لقد كانت الميزة الظاهرة على الرأي العام الجزائري في مطلع القرن العشرين، تتمثل في الوتيرة البطيئة لردود الفعل لديه، وهو ما جعل تتبع ملامح النشاط السياسي للجزائريين عملية صعبة للباحثين

الذين كثيرا ما لجاؤا إلي إضفاء تقييم ايجابي على ذلك النشاط، على الرغم من قلة الشواهد والدلائل التاريخية المتوفرة.

إن مما لا جدال فيه أن سياج الغيتو الاستعماري الذي كان يعيق حركة الشعب الجزائري من جهة، عبئ القوانين الزجرية التي كانت تخنق الحريات من جهة أخرى، كانت من العوامل التي تسببت في ضعف النشاط السياسي في الجزائر.

لكن ما يذهب إليه الكثير من المؤرخين، هو أن ذلك الوضع لم يمنع تشكل أنوية نخبوية في شكل تجمعات صغيرة، يمكن اعتبارها الإرهاصات الأولى لظهور التيارات السياسية في الجزائر، وذلك بالنظر إلى تباين مطالبها واختلاف التكوين السياسي والاجتماعي لعناصرها.

وتذهب الدراسات الكلاسيكية إلى تقسيم النخب السياسية الأولى التيارين بارزين: كتلة المحافظين و الكتلة الليبرالية.

ا/- كتلة المحافظين:

تكونت هذه الكتلة من مجموعة من العلماء و زعماء الطرق و بعض الأعيان، و يصفهم الكتاب الفرنسيون غالبا بتسمية أصحاب العمائم، تميزوا في مطالبهم برفض التجنيس والتجنيد الإجباري، و كانوا في غالبيتهم من أنصار فكرة الجامعة الإسلامية.

كان من أبرز وجوه هذه الكتلة : الشيخ المولود بن الموهوب، عبد الحليم بن سمايا، عبد القادر المجاوي،أبو القاسم الحفناوي، و الطيب بن زكري.

أما بالنسبة للقضايا التي شكلت أهم مطالب كتلة المحافظين، فيمكن إيجازها في مايلي:

- المساواة في التمثيل النيابي بين الجزائريين والفرنسيين.
- المساواة في الضرائب.
- معارضة التجنيس والتجنيد الإجباري.
- حرية الهجرة.
- نشر وإصلاح التعليم العربي.
- إلغاء قانون الأهالي.
- المطالبة بالعمل بالقضاء الإسلامي. (136)
- احترام العادات التقاليد العربية والإسلامية.
- الدعوة إلى الجامعة الإسلامية.

وعلى الرغم من احتكاك العناصر المحافظة بالنخبة المفرنسة من خلا ل العمل الصحفي المشترك، وفي نشاطات الأندية والجمعيات الثقافية إلا أن كتلة المحافظين عرفت بمعارضتها الشديدة للتيار الليبرالي، و خاصة في ما تعلق بفكرة التجنيس و الإدماج و التغريب.

ب- الكتلة الليبرالية :

ضمت هذه الكتلة جماعة من الشبان الجزائريين من خريجي المدرسة الفرنسية، وكان في صفوفها أطباء ومحامين وقضاة وصحفيين ومترجمين، وتبنت هذه الكتلة الأفكار الغربية كالحداثة والحرية والجمهورية والمساواة، واعتبرت المحافظين مجموعة من الرجعيين الرافضين للتقدم ومسايرة التطور.

حاول عناصر الكتلة الليبرالية التأثير على السياسة الاستعمارية بهدف تحقيق مطالبهم، وقد ساعدهم في ذلك قربهم من الدوائر الاستعمارية التي كانوا كثيري الاتصال بها بحكم امتلاكهم للثقافة الفرنسية، ومزاولتهم في الغالب للوظائف الإدارية المحلية في المدن الكبرى.

قام الليبراليون بتأسيس جريدة المشعل في عام 1904، واتخذوها كمنبر للدعاية لأفكارهم الرامية للاندماج والتجنس، باعتبار ذلك السبيل الوحيد لتحقيق تقدم الجزائريين وتطورهم.

تشكلت من بين صفوف الكتلة الليبرالية جماعة عرفت باسم لجنة الدفاع مصالح المسلمين, وقامت هذه اللجنة بإرسال وفد إلى باريس في جوان 1912. وحمل ذلك الوفد عريضة احتجاج للرئيس الفرنسي بوانكاري.

ويعتبر العديد من المؤرخين أن تلك العريضة كانت تمثل أهم مطالب الكتلة الليبرالية، ويمكن عرض أبرز ما جاء فيها فيما يلي: المطالبة بإلغاء قانون الأهالي وجميع القوانين الاستثنائية في الجزائر، والمطالبة بتخفيض مدة الخدمة العسكرية الإجبارية إلى سنتين بدل ثلاثة سنوات، والدعوة إلى إلغاء مكافأة التجنيد بالنسبة للجزائريين، والمطالبة بالتمثيل النيابي في المجالس المحلية وفي البرلمان الفرنسي، و تضمنت العريضة أيضا المطالبة بالمساواة في الدفع الضرائب وفي فرص العمل[16].

من خلال النظر في ما سبقت الإشارة إليه يمكن أن نقف على تباين واختلاف مطالب المحافظين والليبراليين. لأن الأخيرين كانوا لا يعارضون التجنيد الإجباري وإنما دعوا إلى تقنينه من خلال تخفيض مدة الخدمة العسكرية إلى سنتين لتحقيق المساواة مع الفرنسيين، وجاء مطلب إلغاء مكافأة التجنيد لأنها كانت تضع الجزائريين المجندين في الجيش الفرنسي في صورة شبيهة بالمرتزقة.

وما يمكن ملاحظته في عريضة لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الليبرالية أنها لم تتضمن أدنى إشارة إلى مسائل التعليم العربي والقضاء الإسلامي، وهو ما جعل برنامجهم على حد نقيض لمطالب المحافظين.

النخبة و بداية النشاط السياسي في الجزائر:

تولي العديد من الكتابات التي تناولت النهضة الجزائرية في بداية القرن العشرين أهمية كبرى لزيارة الشيخ محمد عبده للجزائر في عام 1903. و ذلك إما أحدثه من حركية في الأوساط المثقفة الجزائرية، حتى أن رشيد بن شنب في مجلة دراسات إسلامية ذهب إلى القول بأن تلك الزيارة التي قام فيها الشيخ عبده بالاتصال بعدد من المثقفين، سمحت باكتشاف تباين أفكارهم و توجهاتهم(137)

انقسمت المثقفون الجزائريون في ردود فعلهم والتعبير عن توجهاتهم أمام الشيخ محمد عبده إلى ثلاثة تيارات:

التيار الأول ضم مجموعة من الشيوخ المحافظين على التقاليد العربية والإسلامية، ولم يكونوا يقبلون بفكرة التجديد إلا فيما يتعلق بالتنديد بالبدع والضلالات وتقديس الأولياء، كما كانوا من دعاة تطوير التعليم والمناهج في الزوايا والمدارس القرآنية، وقد لقي هذين الموقفين تجاوبا من الشيخ عبده.

ومن أهم ممثلي هذا التيار محمد بن زاكور المفتي المالكي في العاصمة، ومحمد بوقندورة المفتي الشافعي في العاصمة، إلى جانب عبد الحليم بن سمايا و عبد القادر المجاوي ومحمد السعيد بن زكري، وهؤلاء الثلاثة كانوا من المدرسين في المدرسة الرسمية في الجزائر العاصمة. بالإضافة إلى علي بن الحاج موسى الذي كان قائما على ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي(138).

أما التيار الثاني فقد مثلته مجموعة من المثقفين المؤمنين بالحداثة، وكانوا يعتقدون في مستقبل أفضل للإسلام، ورأوا بأن الأفكار التي كانوا

يحملونها كالهوية العربية الإسلامية وروح المبادرة والإيمان بإمكانية تحقيق التقدم كانت تعبر عن تطلعات الشعب الجزائري.

لقد كان مفهوم التجديد الإسلامي لديهم يترجم اهتمامهم وآمالهم في إمكانية تحقيق الارتقاء إلى صف الحضارة الراهنة بتوظيف مكاسبها دون التراجع عن المعتقدات الخاصة بالمسلم الصارم والمستنير في نفس الوقت، وكان هؤلاء أكثر قربا من الشيخ محمد عبده.

وأشهر ممثلي هذا التيار محمد بن مصطفى بلخوجة المعروف بالشيخ الكامل و شيخ المضرّبة، وكان إماما بمسجد السفير بالعاصمة، والشيخ ابن دالي محمود بن الحاج كحّول محرر جريدة المبشر ومدرس بالمسجد الكبير بالعاصمة، ومصطفى الشرشالي المدرس بمدرسة العاصمة، وعبد الرزاق الأشرف قاضي المحكمة المالكية، ومحمد بن شنب أستاذ بمدرسة الآداب بالعاصمة(139).

بالنسبة للتيار الثالث، ضم أعيانا وشخصيات نخبوية ذات تكوين غربي، كان بعض عناصره دعاة إدماج تام وآخرين لمسألة الحريات الموسعة، وفتح الباب أمام ارتقاء المسلمين الجزائريين للمناصب العمومية، وكان هذا التيار يطالب بالتكوين الفرنسي والتقدم الاجتماعي.

من الناحية السياسية كانت هذه المجموعة تمثل التيار المتفرنس، وكان أبرز الممثلين له الدكتور بلقاسم بن تامي، والمحامي أحمد بوضربة، والمترجم أحمد بن بريهمات، إلى جانب بعض أعيان العاصمة مثل حمود بوعلام وحمدان بوركايب.

كان للشيخ عبده حوارا ونقاشا ساخنا مع التيار الثالث، إذ اعترض أمام أحمد بن بريهمات على تخلي المتطوين (النخبة المتفرنسة) على شخصيتهم وهويتهم وبحثهم عن الاندماج الذي اعتبره الشيخ مستحيلا حتى في ظل التنازل التام عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية الذي يميزهم عن الأوروبيين(140).

وعلى الرغم من تباين اتجاهات النخب الجزائرية في العقد الأول من القرن العشرين, إلا أن التيار الثالث من بين تلك التي أشرنا إليها سابقا، كان هو التيار الأكثر انخراطا في النشاط السياسي، في الوقت الذي انكفأت العناصر المحافظة على نفسها داخل الجمعيات والأندية الثقافية.

عرف تيار النخبة المتفرنسة بتيار الشباب الجزائري، وأيضا بتسمية حركة الجزائر الفتاة، ويتخذ الكثير من المؤرخين ميلاد وظهور

هذا التيار كمعلم لبداية العمل السياسي المنظم في الجزائر، وذلك بفعل تحول الأعداد القليلة من العناصر المثقفة بالثقافة الغربية إلى التجمع والانتظام في العمل السياسي الهادف إلى تحقيق جملة من المطالب دون الخروج عن الإطار الاستعماري(141)

وتكاد الكتابات الجزائرية والفرنسية تجمع كلها بأن تيار حركة الجزائر الفتاة شهد نموه وانبعاثه في مطلع العقد الثاني من القرن الماضي، ففي سنة1912، توجهت مجموعة من عناصره في وفد إلي باريس حاملا معه عريضة تتضمن أهم مطالبهم(142) .

إن اللجوء إلى العرائض في حقيقة الأمر لم من ابتكار تيار الشباب الجزائري بقدر ما كان تقليدا في التعبير عن الاحتجاج والمطالبة لدى الجزائريين، وتكفي الإشارة إلى عريضة سكان قسنطينة للاحتجاج على التجنيس عام1887، و عريضة سكان تلمسان في رفض التجنيد الإجباري عام 1891م (143).

إن المجموعة الصغيرة من التي تجمعت حول جملة من المطالب الداعية إلى إلغاء قانون الأهالي والتجنيس والإصلاح السياسي والفرنسة وتقنين التجنيد الإجباري(144)لم ترق في نشاطها السياسي إلى مستوى الحزب، لان ذلك النشاط لم يمس القطاعات العريضة للشعب الجزائري المتمثلة في الفلاحين والريفيين وسكان المدن الفقراء، واستمرت حركة الجزائر الفتاة كاتجاه خاص للنخبة المتعلمة والمثقفة بالثقافة الفرنسية[25]. ومع أجواء ومستجدات الأحداث في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، فقد هذا التيار تجانسه ووحدة صفوفه وتعرض إلى الانشقاق إلى تيارين رئيسين، شكل أحدهما رافدا أساسيا للتيار الوطني الرافض للاندماج والتجنيس والفرنسة.

حركة الأمير خالد1920-1926:

قبل الخوض في استعراض أهم المحطات التاريخية لتجربة الأمير خالد في العمل السياسي في الجزائر في أعقاب الحرب العالمية الأولى، يجدر بنا توضيح أن المقصد من هذه الإشارة التفصيل في الترجمة الذاتية لشخصية الأمير خالد لأن الكتابات الجزائرية المتداولة تكفينا ذلك(145)وليس المرمى من ورائها أيضا تتبع دقائق وتفاصيل

الأداء السياسي للأمير خالد في الجزائر وفرنسا في الفترة الممتدة من بداية نشاطه إلى نفيه خارج الجزائر.

ولكن المتوخى من هذا المبحث،هو وضع حركة الأمير خالد في السياق التاريخي لتطور مسار الحركة الوطنية في شقها الذي يتعلق باحتراف السياسية كأسلوب للمطالبة بالتغيير والحصول على الحقوق، وذلك بالنظر لما تشكله تجربة الأمير خالد من أهمية بالغة في تطور السياسي في الأوساط الجزائرية في العشرينيات من القرن المنصرم، حتى أنه أصبح من المتاح لنا اليوم أن نعتبرها التجربة الفاصلة بين مرحلة العمل السياسي النخبوي ومرحلة العمل السياسي الجماهيري في الحركة الوطنية الجزائرية.

تعبر سنة 1919 البداية الحقيقية لنشاط الأمير خالد في الميدان السياسي، لأنها شهدت انقسام جماعة النخبة على نفسها حول مسالة الاحتفاظ بالأحوال الشخصية الإسلامية(146)، وتزعم التيار الأول المعروف بالتيار الليبرالي عدد من ابرز وجوه حركة الجزائر الفتاة في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى أمثال بلقاسم بن التهامي وصالح دندن ومحمد صوالح، و الدكتور تامزالي والمحامي أحمد بوضربة(147)

أما التيار الثاني المعروف بالإصلاحي فقد تزعمه الأمير خالد الذي برز كعنصر فاعل في ميدان العمل الوطني، واعتمد الأمير خالد على العناصر المنشقة من جماعة النخبة، والتي كانت تعارض مسالة التخلي عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية من أجل الحصول على حقوق المواطنة الفرنسية(148).

قدم الأمير خالد استقالته من جميع المناصب التي كان يشغلها من أجل التفرغ لنشاطه السياسي(149) الذي تميز فيه بمعارضة التيار الاندماجي، وبتوجيه المطالب السياسية إلى الحكومة الفرنسية مباشرة عن طريق الرسائل المفتوحة إلى الساسة في فرنسا، وبمحاولة الحصول على التأييد الدولي للقضية الجزائرية في أعقاب الحرب العالمية الأولى مباشرة.

كانت المعارك السياسية للأمير خالد في الساحة الوطنية في مواجهة دعاة التجنيس والاندماج، وتزامنت أولى تلك المعارك مع انتخابات المجلس البلدي في العاصمة في نوفمبر 1919، وهي الانتخابات التي أقرتها الإصلاحات الاستعمارية في فيفري من نفس

السنة، عندما واجه الأمير خالد في قائمة انتخابية ثانية قائمة الجناح الليبرالي الاندماجي التي أطلقت عليها تسمية رابطة العمل الفرنسية الإسلامية(150).

حقق الأمير خالد تقدما سياسيا كبيرا على منافسيه من الاندماجيين في انتخابات المجلس البلدي للعاصمة في نوفمبر1919، وفي انتخابات أفريل/جوان1920 الخاصة بالمجالس المالية والعامة، وفي انتخابات المستشارين للبلديات في جويلية 1921م (151). وأدى ذلك النجاح الذي لقيته حركته إلى تزايد الاحتجاجات من طرف خصومه وعلى رأسهم ابن التهامي وأنصاره الذين اتهموه بممارسة نفوذه الديني والسياسي الذي توارثه عن جده الأمير عبد القادر، ولم تنظر الإدارة الاستعمارية المدعومة بصحافة الكولون في الجزائر إلى المكاسب السياسية للأمير خالد بعين الرضا، فقامت بكيل الاتهامات له بالتعصب الديني والانتماء للشيوعية والجامعة الإسلامية والقومية العربية.

حذرت أبواق الصحافة الاستعمارية من الأخطار التي كانت تشكلها حركة الأمير خالد، فسارعت الحكومة العامة في الجزائر إلى التضييق على نشاطه، ثم قررت نفيه من الجزائر سنة 1923(152). وعلى الرغم من ذلك حاول الأمير خالد مواصلة العمل السياسي في فرنسا ذاتها إلا أن أصطدم بالمواقف الاستعمارية نفسها لدى اليساريين الذين وصلوا إلى سدة الحكم في فرنسا في عام1924 . فقرر التراجع إلى مصر ثم إلى سوريا حيث توفي في سنة1936 تاركا وراءه ميراثا عظيما في ميدان العمل السياسي الوطني على الرغم من السنوات القليلة لحركته في الجزائر(153)

4 – الأحزاب السياسية والجمعيات :

– نجم شمال إفريقيا و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1926 م –1937 م (قراءة تحليلية) :

يذهب العديد من المؤرخين الجزائريين و الفرنسيين على حد السواء إلى الجزم بأن الإرهاسات الاولى للحركة الوطنية الجزائرية الحديثة كانت مع أول احتكاك للعمال الجزائريين المهاجرين بالشعوب الاوروبية خلال

الحرب العالمية الاولى 1914-1918م (154)لكن هذه الحركة سرعان ما شهدت البداية الفعلية في سنة 1926 ، و هي السنة التي تم فيها تشكيل أول تنظيم جماهيري على يد مجموعة منظمة من العمال المهاجرين المغاربة ، و تحول هذا التنظيم الذي اتخذ شكل الحزب السياسي و تسمى بنجم شمال إفريقيا إلى المطالبة المباشرة باستقلال الجزائر و تسوية الوضعية الاستعمارية .

و بفعل الظروف السائدة في الجزائر آنا ذاك فقد تبوأ نجم شمال إفريقيا تاريخيا ريادة تيارات الحركة الوطنية على الرغم من كونه ولد في تربة غريبة سنة 1926 ، و في محيط تتجاذبه التيارات السياسية اليسارية بتنظيماتها الاجتماعية الكبرى (النقابات) (155) . لكن النجم الذي احتضنته الطبقة العمالية المغاربية و التي كان الجزائريون يمثلون سوادها الأعظم نجح في التحول إلى حزب سياسي يتبنى قضايا شعوب شمال إفريقيا المستعمرة ، و في الوقت الذي شهد فيه انتشارا و تنظيما كبيرين في فرنسا في مرحلة التأسيس و النشأة 1926-1928 ، بقي نجم شمال إفريقيا يفتقد على أية قواعد تنظيمية في الجزائر لمدة عقد كامل بعد تأسيسه في الفترة 1926 - 1936م (156) .

وضع على رأس الحزب الحاج علي عبد القادر (157) الذي كان مناضلا بارزا في الحزب الشيوعي الفرنسي و عضوا في لجنته المركزية في الفترة 1924 - 1925م ، (158) و اصبح مرشحا باسم الحزب الشيوعي الفرنسي في الانتخابات البرلمانية الفرنسية ، و على الرغم من ترجيح بعض الكتابات لمسألة كبر سنه و تجربته السياسية الطويلة كخلفية لتوليه رئاسة نجم شمال إفريقيا عند التأسيس سنة 1926 ، إلا أن ذلك الأمر كان في الحقيقة تعبيرا فعليا عن طبيعة العلاقة في تلك الفترة بين النجم و الحزب الشيوعي الفرنسي و الأممية الشيوعية الثالثة ، و التي تميزت بالوصاية و الولاء.

و تم إسناد الرئاسة الشرفية للأمير خالد الجزائري الذي كان نجمه قد بدا في الأفول إثر نفيه من الجزائر سنة 1924 وتراجعت حركته السياسية بشكل كبير بفعل غيابه من الساحة الجزائرية التي كان فارسها الأبرز في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى 1919 - 1924 .

و في هذا السياق يمكننا إثارة مسألة ذات جانبية ذات أهمية تتعلق بالعلاقة بين النجم و الأمير خالد ، و التي لا يتوفر الباحثون على وثائق

كافية بشكل ما لتوضيحها ، مما يجعل مسألة إسناد الرئاسة الشرفية في نجم شمال إفريقيا للأمير خالد مرتبطة تاريخيا بجملة من الاحتمالات لعل من أهمها ما يلي :

- شعور مؤسسي النجم بالحاجة إلى تدعيم الواجهة السياسية للحزب ، ولم يكن هناك الأفضل في الجزائر لتبوأها من الامير خالد أنذاك ، خاصة و انه كان من النادر و جود زعامات سياسية من الطبقة الاجتماعية العامة حتى في الدول الغربية ذاتها .

وفي هذا المنحى يمكن القول أن النجم نجح في استثمار شعبية الأمير من جهة وقلل من حجم الاغتراب عن الشارع الجزائري بفعل المنشأ في المهجر .

- من ناحية أخرى يمكن اعتبار هذه المسألة على أنها لا تكاد تتجاوز مستوى الاعتراف و التقدير الذاتيين بالجهد الكبير للأمير في خدمة القضية الوطنية ، و [أنها ايضا إشارة ضمنية إلى التواصل التاريخي مع حركته ، و هذا ما ساعد النجم فيما بعد في التواصل مباشرة مع الجماهير في الجزائر في سنة 1936 .

و قبل الخوض في نشأة نجم شمل إفريقيا سنة 1926 و تطوره إلى غاية حله على يد الادارة الاستعمارية سنة 1937 ، لعله من المفيد ومن الاهمية توضيح جملة من المسائل التي ارتبطت بتجربة الحركة الوطنية منذ بداية الهيمنة الاستعمارية إلى اندلاع ثورة التحرير الكبرى من ناحية و تحديد موقع النجم و حجم الدور الذي لعبه قياسا مع التيارات الأخرى من ناحية ثانية .

إن جوهر الأهمية التي أكتستها نشأة النجم يكمن في أنها تزامنت مع فترة استكمال الدولة الاستعمارية لفرض سيطرتها في الجزائر بشكل جعل الأقلية الأروبية تشعر مع اقتراب الذكرى المئوية للإحتلال بإمكانية الخلود في المستعمرة الهادئة ، و داعبت مخيلاتهم التجربة الرومانية القديمة في بلاد المغرب . و لذلك يمكن القبول بالطرح الذي اعتبر من خلاله أحد المؤرخين الانقلوساكسون و هو " دافيد غوردن " ميلاد نجم شمال إفريقيا بأنه كان أخطر حدث بالنسبة لمستقبل فرنسا في الجزائر في سنوات العشرينيات (159).

كما تزامن ظهور النجم مع فقدان النخبة للارتباط بالواقع الجزائري ، و تأكد عجزها عن تبني القضايا الوطنية بفعل إيمانها بإمكانية التغيير عن طريق المشاركة من داخل النظام الاستعماري ذاته ، لكن النجم من

خلال مبادئه و افكاره شكل بداية لمرحلة جديدة للمقاومة لم تكن غاية بذاتها ، وإنما مرحلة انتقالية لتحقيق أهداف اكثر شمولية ووضوحا من تلك التي رفعتها بقية التيارات الوطنية الأخرى .
لقد كان ضغط الكولون و سيطرتهم على مقاليد السلطة الاستعمارية في الجزائر عائقا أمام المشاريع التي كانت فرنسا تحاول من خلالها توسيع دائرة المشاركة السياسية للجزائريين، و استمرت سيطرت الاقلية الأروبية على النظام السياسي في الجزائر بشكل أدى إلى تغييب كلي و منظم للجزائريين عن المؤسسات الإدارية و السياسية مما نتج عنه ظهور ميل للحركة الوطنية من خلال نجم شمال إفريقيا باعتباره حركة جماهيرية إلى الاتجاه نحو خيارات الرفض (160) و إلى تبني إستراتيجية المواجهة مع الواقع الاستعماري القائم آنذاك في الجزائر .
وبفعل ذلك أتيحت للحركة الوطنية فرصة تاريخية بعد عقد واحد من نشأة النجم من امتلاك تيار وطني استقلالي عشية الحرب العالمية الثانية (161)

نشأة النجم و تطوره 1926 – 1937 :

تأسس نجم شمال إفريقيا في 20 جوان 1926 في باريس ، و تضمن إعلان التأسيس على أنه "جمعية تهدف على مساعدة مسلمي شمال إفرقيا على الحياة في فرنسا ، و توحيد العمل مع كل الطبقات الشغيلة و الشعوب المضطهدة " (162)و كان ذلك الاعلان اشبه ما يكون بالإعلان عن ظهور نقابة عمالية تجمع المهاجرين العمال الشمال الإفريقيين.
لكن نجم شمال إفريقيا تحول على المشاركة السياسية العلنية بعد اقل من سنة واحدة من تشكيله ، و كان ذلك في مؤتمر الشعوب المستعمرة في بروكسل في بلجيكا سنة 1927 ، و سرعان ما ادى ذلك النشاط إلى بروز الافكار الوطنية في أوساط العمال الجزائريين ، وبعد انسحاب العناصر المغربية و التونسية من صفوفه عرف النجم أزمة داخلية بفعل صراع و تجاذب تيارين شكلا منذ البداية أهم أجنحته . وهما التيار اليساري بزعامة الحاج علي عبد القادر و الذي كان يحضى بدعم الحزب الشيوعي الفرنسي وحركة الكومنتيرن

أما التيار الوطني المنافس داخل النجم فقد تزعمه احمد مصالي الحاج و أنصاره الذين كانوا يرغبون في إخراج الحزب من دائرة الوصاية الشيوعية المزدوجة في فرنسا (163).

تولى مصالي الحاج زعامة النجم في سنة 1928 (164) ، و نجحت القيادة الوطنية للحزب في التخلص تدريجيا من محاولات الوصاية و التوجيه من طرف اليسار الفرنسي ، و في الواقع فإن مطالب مصالي في مؤتمر بروكسل (10-15 فيفري 1927)و الذي اعتبر أكبر حدث سياسي عالمي في تلك السنة (165) كانت بمثابة الإعلان عن وجود التوجهات الوطنية الرديكالية داخل النجم .

كانت أهم مطالب النجم تتمثل في مطلب الاستقلال و في فكرة إعادة بعث الدولة الجزائرية (166)، ولم يكن ظهور تلك المطالب من صميم التوجه العام للنجم عند تاسيسه ، و إنما ثمرة لنجاح مصالي الحاج و محمد سعيد الجيلالي و بنون اكلي في فرض نهج وطني مستقل بعدما أدركوا أن العناصر الشيوعية داخل الحزب كانت تحاول ربط سياسته بأهداف و مصالح الأحزاب و الدوائر اليسارية في فرنسا (167)

و في هذا السياق يمكن اعتبار الاجتماع العام للحزب الذي عقد في 05 فيفري 1928 بباريس بمثابة انقلاب العناصر الوطنية على القيادة و العناصر الشيوعية في هرم الحزب ، و لم تكن الادارة الفرنسية بمعزل عما كان يحدث داخل النجم من تطور في توجهاته الوطنية و مطالبه الراديكالية ، و سرعة انتشاره في أوساط الطبقة العاملة المهاجرة الجزائرية ، لذلك أصدرت في 20 نوفمبر 1929 قرارا يقضي بحل الحزب بتهمة المساس بوحدة التراب الوطني (168) و يشير أبو القاسم سعد الله إلى أن خلفية الاتهام تعود إلى تعاون النجم مع جمعية الطلبة المسلمين لشمال لإفريقيا و إلى اعتبار الإدارة الفرنسية للنجم كحزب شيوعي يعمل في السرية بشكل يخالف القوانين السارية على الجمعيات السياسية (169) .

فضلت قيادة النجم مواصلة العمل في صمت و حذر بعد حل الحزب قضائيا ، و أعلنت بعد فترة قصيرة عن ميلاد حزب جديد نجم شمال نجم شمال إفريقيا المجيد لإيهام الادارة الفرنسية بأن الحزب الجديد غير ذلك المحل (170).

في سنة 1930 قام الحزب بإرسال مذكرة لعصبة الأمم تضمنت تنديدا صارخا بالاستعمار الفرنسي في الجزائر (171) ، و تم إصدار أول جريدة للنجم تحت تسمية الأمة و التي أصبحت لسان حال الحزب للتعريف بالقضية الوطنية ، و منبرا للتشهير بالسياسة الاستعمارية في الجزائر .

و في سنة 1931 تعززت صفوف نجم شمال إفريقيا بانضمام مجموعة من الشباب المناضلين الحركيين الذين سرعان ما غدوا من ابرز شخصيات الحزب في فترة قصيرة و أشهرهم راجف بلقاسم ، عمار عيماش ، كحال ارزقي (19) موساوي رابح (172) . و بعد ما خاض الحزب تجربة العمل السري لمدة ثلاثة سنوات 1930 – 1933 دعى الزعيم مصالي الحاج الحزب إلى عقد المؤتمر في 28 ماي 1933م (173)، تم فيه تحديد سياسة النجم و إعادة هيكلته و صياغة البرنامج الجديد له .

كان انتخاب لجنة مركزية جديدة مؤلفة من 30 عضو من أهم نتائج المؤتمر كما تم إسناد المناصب القيادية و توزيع المسؤوليات بين أعضاء النجم ، فأصبح عمار عيماش أمينا عاما للحزب و رئيسا لتحرير جريدة الأمة ، و تولى بلقاسم راجف المالية ، و ضمت اللجنة التنفيذية موساوي رابح و كحال ارزقي و بنون أكلي ، و أحتفظ مصالي الحاج برئاسة الحزب و الإدارة السياسية لجريدة الأمة (174).

حدد مؤتمر ماي 1933 الخطوط العريضة للبرنامج السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي للحزب ، كما تم ضبط الوسائل و القوانين الداخلية التي تسمح له ببلوغ اهدافه باعتباره حزبا و طنيا يمتلك إيديولوجية نابعة من اصالته و استراتجية خاصة به توافق مبادئه الثورية (175) .

وعلى الرغم من كون الدراسة الموضوعية لتجربة النجم بشكل خاص و الحركة الوطنية بصورة عامة تفرض علينا النظر إلى الأدبيات السياسية لتيارات الحركة الوطنية على أنها اقرب ما تكون إلى الشعارات الوطنية منها إلى البرامج السياسية الدقيقة و المتكاملة و ذلك بالنظر إلى أن تلك الأحزاب كانت في جوهرها حركات مقاومة ضد الاستعمار ، و لم تكن أحزابا سياسية تتحرك في مناخ تعددي يسمح بأدنى هامش في الحركة و حرية التعبير (176).

أوجد نجم شمال إفريقيا لمناضليه و أنصاره مساحات جديدة للنشاط في باريس وفي العديد من المدن الفرنسية مثل ليون و ليل ،و شارك في المظاهرات التي كانت تنظمها المنظمة العالمية المعادية للاستعمار و الفاشية(177).

في النصف الثاني من سنة 1934 تمكن نجم شمال إفريقيا من رفع حجم الإصدار جريدة الأمة حتى بلغ 3000 عدد ، وتمكنت القيادة من توزيع الكثير منها في الجزائر (178) ، كما بلغ عدد مناضليه العاملين أكثر من 3500 مناضل في تلك السنة (179) .

بدأ النجم في تلقي ضربات السلطات الفرنسية في نوفمبر 1934 ، إذا اعتقلت قياديه بتهمة إعادة تشكيل جمعية محلة و ممارسة سياسة معادية لفرنسا ، وتم سجنهم لمدة ستة أشهر و تغريمهم بمبلغ مالي قدره 2000 فرنك فرنسي (180) ، وبعد ثمانية أشهر من ذالك الإجراء قامت في 03 جويلية 1935 بإلغاء القرارات الصادرة في حق النجم فاستأنفت قيادة النجم حركتها و نشاطها .

شارك مصالي الحاج في التنديد باحتلال إيطاليا للحبشة إلى جانب 35 تنظيم دولي و معادي للاستعمار ، و دافع عن قضايا شمال إفرقيا أمام عصبة الأمم (181)، و في جنيف شارك النجم ممثلا في كل من مصالي الحاج و عمار عيماش في مؤتمر مسلمي أوروبا الذي دعى إليه و تزعمه الأمير شكيب أرسلان داعية العروبة و الاسلام في الفترة 12 – 17 سبتمبر 1935 (182) .

في تلك الأثناء أصدرت المحاكم الفرنسية أحكاما بالسجن في حق قياديين في النجم ، فلجأ مصالي الحاج إلى سويسرا مرة ثانية حيث أجاره الامير شكيب أرسلان و أكرمه بالضيافة حتى طال به المقام لأكثر من ستة أشهر ، أصبحت بعدها أفكار شكيب أرسلان بالغة التأثير في توجهات مصالي الحاج السياسية .

حتى أن أحد المؤرخين الفرنسيين توصل بعد استعراض التجربة التاريخية للتيار الاستقلالي الثوري إلى ان النجم كان إطارا لتفاعل الشيوعية بشكل ملفت مع تيار وطني شعبوي رومانسي و تيار اسلامي متصاعد ، خاصة بعد لجوء مصالي الحاج إلى أحد أكبر أعلام العربة و الاسلام في النصف الأول من القرن العشرين ، الأمير الدرزي شكيب أرسلان (183).

بعد تولي الجبهة الشعبية للسلطة في فرنسا سنة 1936وإصدار العفو العام عاد مصالي من منفاه االطوعي إلى فرنسا (184) و تقدم إلى حكومتها بمطالب تضمنت تشكيل برلمان جزائري منتخب (185)واثر انعقاد المؤتمر الاسلامي في الجزائر \اعن النجم عن دعمه للمطالب التي تخدم المصلحة العامة للجماهير ، و رفضه لمطالب الأقلية في إشارة واضحة إلى الإدماج و التجنيس .

و عندما فشل مصالي في إقناع وفد المؤتمر الاسلامي بالتخلي عن فكرة تمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي و في التجنيس ، قرر الحزب بزعامة مصالي نقل نشاطه لأول مرة للجزائر منذ نشأته لقطع الطريق أمام مطالب المؤتمر الاسلامي و مقارعة خصومه السياسيين (186) و على رأسهم النخبة و الحزب الشيوعي الجزائري ربيب الوصي السابق عليه في فرنسا .

و في 02 أوت 1936 كان أول احتكاك للنجم بالجماهير في الجزائر بالملعب البلدي للعاصمة (ملب 20 أوت حاليا ببلوزداد) حيث ألقى مصالي خطابا شهيرا تفاعل معه الحضور ، و ترك تأثيرا بالغا في نفوسهم (187) و مع نهاية سنة 1936 إنتهت الهدنة مع حكومة الجبهة الشعبية التي كان النجم قد هلل لقدومها من قبل ، و كان ذلك لسبب إصدار هذه الأخيرة لمشروع بلوم- فيوليت الإدماجي في 30 ديسمبر 1936 ، فأعلن مصالي الحاج صراحة معارضة النجم للمشروع و أعتبره أداة استعمارية لتقسيم الشعب الجزائري (188).

قام النجم إثر اجتماع عام في خريف 1936 بتجديد اللجنة المركزية التي أحتفظ فيها مصالي الحاج بالرئاسة بينما تولى النيابة الشاعر مفدي زكريا ، و قد عرفت الفترة الممتدة متن أوت 1936 إلى جانفي 1937 نشاط الحركة على يد مصالي الحاج ، فتم تنظيم الشعب و القسمات في عمالتي الجزائر و قسنطينة و عرف النجم انتشارا واسعا في بلاد القبائل.

و إثر عودة مصالي إلى فرنسا وجهت له عدة اتهامات تراوحت من الإخلال بالأمن العام إلى الإساءة للسلطات و المساس بالسيادة الوطنية و إلقاء الخطب التحريضية وعدم الامتثال للقوانين الفرنسية (189).

و بالإضافة إلى ذلك الضغط الذي مارسته حكومة الجبهة الشعبية اتجاه نشاط النجم ، تواطأت تلك الحكومة في 26 جانفي 1937 مع الحاكم

العام في الجزائر لوبو (1935 – 1940) الذي نجح في استصدار مرسوم يقضي بحل نجم شمال إفريقيا بصورة استعجالية دون إجراءات قضائية قابلة للاستئناف (190).

وضع قرار الحل نهاية للنجم كهيئة سياسية في شتاء سنة 1937 لكن أفكار الحرية و مبادئها بقيت راسخة في قلوب و عقول أعضائها و لدى الكثير من شرائح الشعب التي أحتكت بها . ومع ربيع نفس السنة ولدت تلك الأفكار من جديد في 11 مارس 1937 عندما أعلن مصالي الحاج و رفقائه القدامى في النجم عن ميلاد حزب الشعب الجزائري (P.P.A)

- **قراءة تقييمية لتجربة النجم (1926 – 1937) :**

في ختام هذه الدراسة الموجزة ، لابد من توضيح ان ما يهدف إليه هذا المبحث الأخير ليس تقديم عرض تاريخي مفصل لتجربة نجم شمال لإفريقيا ، لأن العديد من الدراسات السابقة أعطت الموضوع حقه فيما يتعلق بجمع وعرض و سرد المادة التاريخية ، لكن المتوخى في هذا الحيز ، هو تحديد جملة من القراءات و النتائج و المقاربات التي يمكن من خلالها إبراز أهم ما يميز الأداء السياسي لنجم شمال إفريقيا في الحركة الوطنية الجزائرية .

- من الناحية التركيبة الاجتماعية للحزب يعتبر النجم أول حزب جماهيري غير نخبوي (شعبوي)في الحركة الوطنية مقارنة بما سبقه مثل حركة النخبة في الفترة 1919 – 1926 و بعدها .

- و بالنظر إلى التنظيم الهيكلي فقد أمتلك النجم بنية تنظيمية جيدة في فرنسا (1926 – 1937)و في الجزائر 1936 – 1937 ساعدته في القيام بنشاط مكثف على المستويين الداخلي و الخارجي .

- ظهرت التوجهات الثورية للنجم مباشرة بعد انفراد العناصر الوطنية بقيادته ، و ذلك بعد ما كانت في سنة 1926 لا تزيد عن الاحتجاجات و المطالب الإصلاحية (191).

- فيما يتعلق بالمطالب السياسية التي طورها نجم شمال إفريقيا طيلة تجربة عقد كامل يمكن تقسيمها إلى مطالب سياسية و أخرى اجتماعية و ثقافية و اقتصادية ، و يمكن أيضا ملاحظة ان إيديولوجية النجم و وسائل عمله و جملة أهدافه شهدت في سنة 1927 مرحلة الاعلان المبدئي ثم اكتملت سنة 1933م (192)، و أصبح الحزب في

سنة 1936 يمتلك تصورا تفصيليا لبرنامجه و أولويات نشاطه الثوري التحريري .

- قام النجم بتوظيف جملة من الوسائل في سبيل القضية الوطنية كالصحافة و التجمعات و المناشير و المعلقات ، و إذا كانت الجرائد من الوسائل الشائع استخدامها من قبل فإن اللجوء إلى المناشير مثل خاصية انفردت بها الأحزاب الاستقلالية في الحركة الوطنية في فترات العمل السري بفعل الحل القضائي و السياسي للأحزاب و عملية التضييق على هامش الحركة بالنسبة للزعماء الوطنيين .

- في سياق تطور علاقة النجم ببقية تيارات الحركة الوطنية مثل جمعية العلماء المسلمين ، و اخذ مواقف متباينة مع تيار النخبة وز الحزب الشيوعي الجزائري ، و ظل الحزب بمعزل عن مبادرات العمل الجماعي و الجبهوي في الحركة الوطنية حتى تاريخ حله في جانفي 1937 ، ويعود السبب في ذلك الوضع إلى الاختلاف الكبير في التصورات و المنطلقات و إلى قصر مدة احتكاك النجم بالمحيط السياسي في الجزائر (1936 – 1937).

- كان نجم شمال إفريقيا في جوهره ثمرة لتطور الوعي السياسي لدى المهاجرين الجزائريين و المغاربة في فرنسا ، ونتيجة لتوفر هامش الحرية السياسية بفعل الحياة الديقراطية في فرنسا و هو ما سهل للطبقة العمالية المغاربية سبيل الحركة السياسية مقارنة مع الواقع المفروض في الجزائر .

- كان الحزب أشبه بما يكون بالنقابة العمالية لكن الروح الوطنية لدى أعضاءه و مؤسسيه نتج عنها رفض التوقف عند حدود المطالب الاجتماعية البسيطة لتتطور إلى المطالب الأكثر راديكالية بين تيارات الحركة الوطنية الجزائرية في فترة ما بين الحربين 1919 – 1939.

- ولد نجم شمل إفريقيا في رحم الحركة الشيوعية العالمية بمختلف تنظيماتها الاقليمية في فرنسا لكنه تخلص من هيمنتها بعد سنتين من تأسيسه في 1926 ، و نجح في التحول إلى حزب وطني جزائري رغم غربة المنشأ و معاداة المحيط السياسي الذي تطور فيه .

- إن أهم إنجاز معنوي للنجم يتمثل في كونه حطم حاجز الخوف من الممارسة السياسية الوطنية في الجزائر ، و فتح المجال أمام

الشرائح العامة لذلك بعد ما ظلت تلك الممارسة محصورة في فئة ضئيلة جدا من المجتمع الجزائري .

2 / جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الوعي الوطني (1931 – 1956):

إن القضايا التاريخية التي تحفظ بخاصياتها في إثارة الجدل عند أدنا محاولة لإعادة النظر فيها ودراستها من جديد، هي في الغالب من أكثر المسائل أهمية وارتباطا بالواقع، إذ عندما يستمر التداخل بين التاريخ والسياسة يستمر معه تأثير الماضي في الحاضر، ودون الحرص على عامل التحفظ الذي ساد الكثير من الكتابات الجزائرية في تاريخ الحركة الوطنية، يمكن القول صراحة أن تقييم دور التيار الإصلاحي عموما، ودور جمعية العلماء المسلمين خصوصا ينتمي إلى هذا النمط من القضايا.

فبالرغم من الركام الضخم من الدراسات والإسهامات من طرف الباحثين الجزائريين في مواضيع ذات ارتباط وثيق بالتيار الإصلاحي وبجمعية العلماء المسلمين، إلا أن الجدل استمر والمواقف ازدادت تباينا إلى درجة التناقض الصارخ أحيانا عند التطرق على تحديد معالم الدور الذي قامت به جمعية العلماء المسلمين في تطور الوعي الوطني خلال العقود الثلاثة الأخيرة من التجربة الاستعمارية المريرة.

لقد شكلت تجربة جمعية العلماء في الحركة الوطنية منذ تأسيسها سنة 1931 إلى تاريخ حلها في سنة 1956، مادة تاريخية مغرية للباحثين الجزائريين من مختلف المشارب، فساهم تلاميذها الأوائل بالقسط الأوفر في تزويد المكتبة الجزائرية بالكتابات حول أعلامها وصحفها ومدارسها، وقاموا آثار روادها شعرا ونثرا، خطبا وفقها وتفسيرا: ثم كتب معاصرو الجمعية في التيارات السياسية الوطنية الأخرى حول الجمعية بصورة عرضية عند إصدارها لمذكراتهم ومؤلفاتهم في تجارب تياراتهم فكالوا لها المديح حينا وقدحوها أعابوها حينا آخر انطلاقا من مواقفها ومواقعها من مستجدات الأحداث في الجزائر.

إن الأكثرية من كتابات تلاميذ جمعية العلماء حول مدرستهم الأولى في الوطنية والانتماء الحضاري، جاءت رغم أهميتها في شكل روايات عن سير ذاتية، وتقارير عامة من الأداء والجهود التي قام بها

الجيل الأول من روادها ومؤسسيها في الجزائر، سواء تجاه الإدارة الاستعمارية أو بقية تيارات الحركة الوطنية.

إن هذه المحاولة لن تأتي بجديد إذ ما حاولت حصر الكتابات الجزائرية بمجموعها حول جمعية العلماء المسلمين ووضعها في سياق تصادمي بالنظر على مواقفها أو مضامينها، ولن تكشف أدنى موضع ظل، إذ ما حاولت اعتماد عملية سريعة لنقد المصادر التاريخية بغرض الإنقاص من قيمتها والتهوين من حديثها وأهميتها، ولمن ما سوف نذهب إليه هو القيام بتوظيف لبعض الكتابات الأجنبية – من لأجل تسليط الضوء على جملة من القضايا المرتبطة بتجربة جمعية العلماء في الجزائر خلال ثلاثة عقود (1931–1956)، وذلك بهدف إثارة مسائل قل ما تعرضت إليها الكتابات المحلية.

ورغم الإدراك المسبق بأن هذا المسعى لن يسلم من التعرض إلى النقد بالنظر على السمعة الغير اللائقة لميراث المدرسة التاريخية الاستعمارية في أوساط الجيل الجديد من الباحثين الجزائريين، إلا أن الاحتكام العلمي إلى طرف ثالث يصبح مسعى لا غنى عنه عندما يستمر الخلاف بين طرفين، وقد يذهب البعض إلى الالتباس ثم القول بأن اختيار الكتابات الفرنسية للحسم في القضايا والمسائل الخلافية عند المؤرخين الجزائريين ليس له ما يبرره في ظل وفرة الكتابات والدراسات الجزائرية حول هذا الموضوع.

إلا أن ما يمكن الرد به في هذا المقام، هو أن العودة التي تنشدها هذه الدراسة في صفحات بعض الكتابات الفرنسية ليست لتوخيها نزاهة تلك الكتابات وموضوعيتها، وإنما لتميزها عن كتاباتنا بالتحليل والعمق في إثارة المسائل الجوهرية ذات العلاقة بموضوع دور جمعية العلماء السياسي في الحركة الوطنية.

إن عامل التحفظ حينا وخشية الانزلاق نحو الأدلجة حينا آخر، بالإضافة إلى استمرار الشعور بالقيود المفروضة على التواصل الحر للأفكار، يفقد أغلب الدراسات صفة المرجعية الدائمة، ويجعلها أقرب ما تكون إلى الكتابات المأجورة والظرفية، كما يجعلها أكثر احتفالية وفلكلورية منها إلى العلمية الرصين والموضوعية.

هل كانت جمعية العلماء المسلمين مجرد جمعية إصلاحية ثقافية أم أنها تجاوزت ذلك الإطار لتصبح حركة سياسية على قدم وساق بقية تيارات الحركة الوطنية ؟، ما هي حدود التمايز والفصل بين الإصلاح

والسياسة ؟ هل كانت جمعية العلماء لائكية وكان توجهها اندماجيا ؟، ما حقيقة موقفها من الثورة التحريرية وما مدى مساهمتها في تطور الوعي الوطني في الجزائر المستعمرة؟ كيف ينظر اليوم إلى تراثها وما هي القراءات المثلى لبرنامجها وأهدافها؟

أمام كل هذه التساؤلات، سيكون من قبيل الموضوعية التسليم بأن هذه المقالة لن تستطيع الإلمام بإعطاء إجابات جامعة أو تقرير نتائج قطعية، وإنما ستحاول الكشف عن بعض المواقف التي تبنتها العديد من الكتابات الفرنسية من التجربة التاريخية لجمعية العلماء من حيث أداءها السياسي في سياق تطور الحركة الوطنية.

إن أغلب الدراسات التاريخية التي تذهب إلى نفي امتلاك جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لبرنامج سياسي،، وتحرص على إبقاء التلازم بين الصفة التي ولدت بها وبين الأداء الذي قامت به، كثيرا ما توظف القانون التأسيسي للجمعية التي أعلنته عند ميلادها في 05 ماي 1931، ويتم التدليل وفق هذا اطرح بأن تأسيسها لم يمن إطار القوانين العضوية لتشكيل الأحزاب السياسية، وإنما تم بموجب قانون 02 جويلية 1901 الذي سمح للجزائريين والأوروبيين واليهود في الجزائر بتشكيل جمعيات ثقافية ودينية ورياضية واجتماعية.

وهكذا فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفق هذا التصور لا تعدوا أن تكون مجرد جمعي دينية إصلاحية (أهلية) من بين 2799 جمعية سمحت الإدارة الاستعمارية بظهورها في الجزائر في الفترة الممتدة من جويلية 1901 إلى جويلية سنة 1962 . (193)

لكن الملاحظ أن الكتابات الفرنسية المبكرة نسبيا حول جمعية العلماء سريعا ما تجاوزت هذا التحليل السطحي إلى الخوض في العمق في محاولة لفهم الخلفيات الحقيقية لظهور جمعية العلماء، ويمكن هنا أن نشير إلى الدراسة التي قام بها المؤرخ الفرنسي جاك كاري، والتي ورد فيها أن: "القانون الداخلي للجمعية تم تحريره بشكل غير مفصل بهدف تحقيقي التوافق بين التيارات المختلفة التي كان يمثلها أعضاؤها، ومن أجل تفادي انتباه السلطات العمومية (الاستعماري)ي إليها"(194) .

وفي الواقع يعود التباين بين الكتابات الجزائرية الحريصة على تجريد جمعية العلماء من الصفة السياسية، ومن بين مثيلتها من الدراسات الفرنسية إلى التباين في تحديد منطلقات حركة الإصلاح وأهدافها وفي تصنيف النخب التي أنيرت للإصلاح منذ مطلع القرن

20م أي مع بدايات ما يعرف اليوم بمصطلح "النهضة الثقافية في الجزائر".

فبينما تعزي الرؤية الأولى باكورة الجهود الإصلاحية إلى التيار الإصلاحي المحافظ في الجزائر من خلال أبرز أعلامه كابن سمايا والمجاوي، تذهب الكتابات الفرنسية تذهب الكتابات الفرنسية إلى محاولة وضع المسار التاريخي لميلاد الحركة الإصلاحية في الجزائر في سياق تقاطع تطورات الوضع محليا مع ما كانت تعرفه الساحة العربية والإسلامية، وفي هذا المنظور لم تكن جمعية العلماء تمرة جهود الأعلام الجيل الأول من شيوخ الإصلاح المحافظين، وإنما وليدة تأثير العديد من التيارات الإصلاحية الكبرى التي كان يعج بها العالم الإسلامي في القرن 19م وفي العقود الثلاثة الأولى من القرن 20م.

وفي نفس السياق يمكن التوقف على بعض الدراسات الجزائرية مع مثيلتها الفرنسية في مسألة الخلفيات التاريخية والأسباب المباشرة لظهور الإرهاصات الأولى للإصلاح في الجزائر. إذ أصبح من الكلاسيكيات زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر سنة 1903 كمنطلق ومعلم تاريخي لبداية العلاقة بين الإسلاميين المحافظين في الجزائر، ورواد الإصلاح من دعاة الجماعة الإسلامية في المشرق.

لكن الملفت للنظر أن الكتابات الجزائرية لم تستمر في مجاراة كتابات فرنسية أخرى ذهبت إلى تصنيف تيار الإصلاح إلى تيارات مختلفة وفق قراءة استشراقية تنم أحيانا عن روح تعصبية وصليبية مقيتة(195).

إن هذا الطرح لا يري أنه كان هناك تيارا إصلاحيا واحدا، بل تقاسمت الساحة تيارات متباينة ومتناقضة، من الإصلاح الصوفي إلى الإصلاح المحافظ ووصولا إلى الإصلاح التحديدي، ويذهب إلى القول بأن التيارين الأوليين كانت جذورهما وليدة البيئة المحلية، بينما ارتباط التيار الثالث (التحديدي) بالتيارات الإصلاحية الكبرى في العالم الإسلامي من خلال احتكاك العلماء الجزائريين في شبه الجزيرة العربية ومصر و الشام، وتمثل التجارب الذاتية لكل من الشيخ عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي والعقبي خير حجة على ذلك.

إلا أن ما يستوقف الباحث عند محاولة استعراض مسألة إعلام جمعية العلماء بالتيارات الخارجية من خلال عدد من الكتابات الفرنسية، يتمثل في إجماع تلك الكتابات على التأثير المشرقي، وتتباين لديها منابع

ومصادر ذلك التأثير، ويمكن توظيف العديد من الشواهد من تلك الدراسات للتدليل على هذه المقدمة، فجاك كاري في دراسته حول جمعية العلماء ذهب من خلال العودة إلى أصول فكرة الإصلاح في العالم الإسلامي إلى تبني الطرح القائل بأن المنبع التاريخي لجميع التيارات الإصلاحية المعاصرة يتمثل في حركة التجديد التي تزعمها شيخ الإسلام بن تيمية في القرن 13م، تلك الحركة اعتبرت قطيعة مع كل من تيار نصية الفقهاء التقليديين وتيار الصوفية المبتدعة المخالفة للدين، ولا يولي كاري أهمية خاصة إلى تفاعل التيارات الإصلاحية المعاصرة فيما بينها طالما أن العالم الإسلامي كان دوما يموج بالأفكار العابرة حينا، والمتصادمة حينا آخر.

يرى كاري أن الدولة الإسلامية على مر العصور كثيرا ما كانت تعرف تيارَين رئيسيين : الأول يدافع عن القرآن ويدعوا إلى العودة إلى منابعها الأولى، وتيار آخر لا يناقضه من حيث الجوهر، وإنما يتميز عنه بالدعوة إلى تحكيم النقل والعقل معا من خلال الحث على فتح أبواب الاجتهاد.(196)

وفي مقابل هذا الطرح الذي أعلنه جاك كاري تذهب كتابات فرنسية أخرى إلى التركيز على التأثير الوهابي في توجهات الحركة الإصلاحية التي تزعمتها جمعية العلماء فهذا فتلييب ترييبي في أحد أفضل المؤلفات التي تناولت "حرب الجزائر" يذهب إلى أن: "الروح الشرقية والتأثير الوهابي كان ظاهرين في جمعية العلماء، إذ كان الانشغال الرئيسي لديها في تقنية "le puritanisme" بصورة صارمة (orthodoxe) (196)". ويضيف قائلا: "إن نواة هذا التيار الذي شكل في الأصل حركة تحيد إسلامية تسعى إلى تنقية العقيدة والتراث الإسلامي والعودة بهما إلى الصفاء الأول، كانت مشكلة من مجموعة علماء الدين الذين امتلكوا ثقافة عربية غزيرة، تحصلوا عليها بداية في الجزائر ثم واصلوا تحصيلهم في الجامعات الإسلامية كالزيتونة والأزهر والقرويين (197).

أما الباحثة الاجتماعية الفرنسية جولييت بسيس (ذات الأصول اليهودية التونسية)، فقد نزعت في كتابها الذي صدر في السنوات الأخيرة إلى التركيز على تأثير تنظيم الإخوان المسلمين في توجهات التيارات الإصلاحية في المغرب العربي فخلصت إلى أن: "القضية الأساسية للحركة السلفية، وفيما بعد لجناحها المتطرف الأصولي

الإسلامي المعروف بالأخوان المسلمين الذي تشكل بمصر في سنة 1928. تمثلت في الدعوة إلى محاربة الممارسات التقليدية، وقد تم توجيه هذا التيار إلى هذه الغاية بعد انتشاره في المغرب العربي". (198)

إن أيسر ما يمكن استخلاصه من هذا التحليل الذي أوردته جولييت بيسيس، هو أن حركة الإصلاح التي تزعمتها جمعية العلماء في الجزائر لم تكن بحاجة إلى تأثير المشرقي الخارجي فحسب، بل تجاوزت إلى الحاجة إلى طريقة الأداء وتحديد غايات وأهداف الإصلاح.

وعند محاولتها تحديد المعالم التاريخية القريبة لميلاد تيار الإصلاح في الجزائر، ذهبت بيسيس إلى التصريح بأن: "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت ثمرة لحركة الإحياء الإسلامي التي ظهرت في القرن 19م على يد جمال الدين الأفغاني ودعاة الجامعة الإسلامية والعديد من الحركات الإصلاحي... (199)..

إن النتيجة الأخيرة التي قدمتها جوليت بيسيس تجعل ما قررته أولا نسبا، وليس بالإمكان هنا الادعاء بالقدرة على الحسم في مسألة تحديد دقيق لمصدر وحيد للتأثير المشرقي على الحركة الإصلاحية في الجزائر، ولكن يمكن حصر جملة تلك المصادر بالنظر إلى ما ورد في الكتابات الفرنسية في كل من: التأثير الوهابي، فكرة الجامعة الإسلامية، تنظيم الإخوان المسلمين (200).

إن المسألة الهامة التي تمثل صلب هذه الدراسة تتعلق بالدور السياسي لجمعية العلماء المسلمين في الحركة الوطنية، وهذه المسألة تشكل موضوعا بالغ الأهمية في الأبحاث التاريخية لدى الأوساط القائمة على دراسة الحركة الوطنية، وبحكم حداثة التجربة الجزائرية في الكتابة التاريخية، فقد كان للكتابات الفرنسية فرصة السبق في المبادرة بالبحث والتحليل والتدوين.

حاول العديد من المؤرخين الفرنسيين فهم التجربة الإصلاحية التي تزعمتها جمعية العلماء في الجزائر على امتداد دام أكثر من عقدين من الزمن، وذلك من خلال الاحتكاك المباشر بزعمائها وشيوخها، أو بالعودة إلى الوثائق المتعلقة بنشاطها، كما هو الحال بالنسبة للمؤرخين روني جيمس وجاك كاري، فقد نشر الأول على صفحات مجلة إفريقيا – آسيا(بالفرنسية) مقالا بعنوان "الشيخ ابن باديس وفرنسا في أفريل 1936"، ذهب فيه إلى القول بأن : "جمعية العلماء المسلمين شكلت

بصورة واضحة منظمة سياسية – دينية، انخرطت في العمل السياسي بقوة منذ إنشائها(201)، وناصر جاك كاري هذا التوجه عندما أعلن أن : "جمعية العلماء المسلمين كان لها دورا سياسيا بارزا في الحركة الوطنية الجزائرية طيلة أكثر من عقدين (1930-1950) (202) " وأضاف بأن بعض أعضائها كالفضيل الورثلاني كان لهم جهودا ونشاطا في صفوف التنظيمات الإصلاحية الكبرى خارج الجزائر (203)".

ويمكن أن يصادف الباحث دراسات لأجانب غير الفرنسيين تقف الموقف ذاته، عندما تؤكد على المضمون السياسي لأداء جمعية العلماء، إذ أورد المؤرخ دافيد غوردن وهو من أوائل المؤرخين الأنغلوسكسونيين الذين أبدوا مبكرا اهتمامهم بتاريخ الجزائر في كتابه "ماضي الجزائر الفرنسية" الذي نشره في سنة 1966 أن : "الحركة الإصلاحية التي تزعمتها جمعية العلماء المسلمين تضمنت أبعادا سياسية واضحة من خلال تأثرها بجهود الأفغاني وعبده، وبشكل مباشر عن طريق مجلة المنار لمحمد رشيد رضا (204).

أما المؤرخ اليساري الألماني هارتموت السنهانس صاحب الدراسة الضخمة والقيمة التي عنوانها "حرب الجزائر 1954-1962" فقد أشار في سياق عرضه لأهم عناصر الحركة الجزائرية إلى جمعية العلماء، وذهب إلى تقرير الهدف السياسي لحركة التحديد الثقافية التي قامت بها جمعية العلماء بأن هذه الحركة التحديدية لم تكن معزولة عما كان يجري في محيطها لذلك لا يمكن اعتبارها مجرد إصلاح ثقافي بحت، وهنا أشار ألسنهانس إلى أن حركة العلماء الإصلاحية كانت تسير عكس تيار كل من دعاة المحافظة على أوضاع المجتمع الأصلي التقليدي القائمة من جهة، كما كانت ضد كل المحاولات لإدماج ذلك المجتمع في المنظومة الفرنسية من جهة أخرى" (205) .

لكن أليس من قبيل التسرع الانتهاء إلى مثل هذه النتائج قبل الإجابة على تساؤلات محورية : كيف حدث انتقال جمعية إصلاحية دينية إلى المجال السياسي ؟ وماهي الشواهد التاريخية على أدائها السياسي ؟ وهل بالإمكان قراءة البرنامج السياسي للجمعية بالعودة إلى شعاراتها وإلى تراثها؟

إن معاودة الاغتراف من الكتابات الفرنسية ذاتها كفيل بتوضيح بعض نقاط الظل التي قد تترسب ثانية في ذهن القارئ. لقد قام فيلب

تربيبي في كابه الآنف الذكر وفي سياق تحديد التيارات التي نشأة منها جبهة التحرير الوطني بالإشارة إلى التيار الإسلامي الذي كانت تمثله جمعية العلماء (206)، وأوضح لاحقا التطور والانعطاف الذي حدث في مسيرة العلماء عندما كتب قائلا : "على الرغم من كون الهدف في البداية كان دينيا محضا بالنسبة للجمعية، إلا أن عناصر هذا التنظيم سرعان ما تجاوز ذلك الإطار، وهو ما جعلهم في مواجهة مباشرة مع الذين كانوا في خدمة الاستعمار" (207).

وساند هارتموت ألسنهانس هذه الفكرة بالقول بأن : "منشأ الجمعية في الأصل كان غير تصادميا مع السيادة الفرنسية في الجزائر، لكن العلماء الذين لم تكن لهم ميولا سياسية سرعان ما غادروا صفوفها في سنة 1938، لأنهم لم يقبلوا بالدمج بين الإصلاح الديني والسياسة" (208).

كما جاء في دراسة للمؤرخ الفرنسي جون غلوري بعنوان "ملاحظات حول الثورة الجزائرية والشيوعية"، أن شعارات جمعية العلماء كانت بمثابة برنامج سياسي لها، وعلى الرغم من كون بدايته النظرية كانت ذات طبيعة دينية وثقافية، إلا أن العلماء انخرطوا في اتخاذ مواقف سياسية وهو ما كان يوافق منطق الإسلام التقليدي والتجديدي القائل بعدم التمييز بين ما هو زمني وما هو روحي (209).

وحول طريقة انتقال العمل الإصلاحي من الدعوة والتعليم إلى السياسة ذكرت جولييت بيسيس أن جمعية العلماء تمكنت بفعل نشاط متعدد الأوجه إلى الدعوة إلى ترك التقاليد البالية والممارسات الطرقية والمرابطية، ومن تشجيع التعليم العربي وبدعم من صحافة عربية متنوعة انتظم العلماء تحت قيادة كاريزمية للشيخ ابن باديس، وتزعموا حركة الإصلاح قبل أن يعلنوا عن تشكيل حزب ديني ذو مطالب اجتماعية-سياسية، وأعلنوا عن أنفسهم كأول تشكيلة للإسلام السياسي في الجزائر (210) .

إن ما أشارت إليه بيسيس لن يسلم من استهجان البعض له، لما جاء فيه من إشارات سياسية قوية قد تكون بفعل تزامن دراستها مع أحداث العشرية الأخيرة من القرن الماضي في الجزائر (صدر الكتاب في سنة 1997) والتي انتهى فيها المد الإسلامي إلى الصدام المسلح مع النظام الوطني القائم منذ الاستقلال.

لكن جاك كاري الذي أصدر باكورة دراساته حول جمعية العلماء في سنوات الخمسينيات. ذهب إلى أبعد مما ذهبت إليه جوليات بيسيس فيما يتعلق بالتوجه السياسي للجمعية، إذ أشار إلى أنها كانت تستلهم توجهها من مفهوم الدولة الثيوقراطية (الدولة الدينية). كما أنها تبنت الفكرة التي مفادها استقلال الجزائر هو الحل الوحيد الذي سيسمح للجزائريين بالممارسة الحقيقية لعقيدتهم[(211) .

قد تبدو هذه الشواهد غير كافية لإبراز الموقع الذي احتلته جمعية العلماء كفصيل سياسي بين تيارات الحركة الوطنية، وتبدو معها الحاجة جلية لإماطة اللثام عن المحطات العملية لمساهمة جمعية العلماء في الحياة السياسية في الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1931-1956، لتفادي مجادلة دعاة النفي الصفة السياسية لجمعية العلماء من جهة، ولتدعيم الدلائل التي سبقت الإشارة إليها من جهة أخرى.

ومع الإقرار بأن الإلمام بكل ذلك غير متاح في هذا الحيز إلا أن هذا لن يمنع من التركيز على المعالم الأكثر دلالة على الدور الذي لعبته جمعية العلماء في فترة زمنية قاربت ربع قرن كامل.

كانت المعارك السياسية الأولى لجمعية العلماء محصورة في البداية في مواجهة الطرفية، وسرعان ما انتقلت إلى مناوشة ومناجزت الإدارة الاستعمارية في مسألة شكلت حصان رهان بالنسبة لها لفترة طويلة، ويتعلق الأمر هنا بقضية فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية، وهي القضية التي تبنتها فيما بعد كل تيارات الحركة الوطنية[21] في المؤتمر الإسلامي سنة 1936 وفي برنامج حركة أحباب البيان والحرية سنة 1944.

إلا أن العلماء كانوا الأكثر إلحاحا في هذه القضية، وأصدروا ثلاث مذكرات طلبوا من خلالها صراحة بإعادة المساجد للمسلمين، وباستعادة القضاء والأوقاف الإسلامية، كما طالبوا بتطبيق قانون 12 ديسمبر 1905، وقرار 27 سبتمبر 1907 الذين نصا على مبدأ فصل الدين في فرنسا[(212) .

"وانطلاقا من موقع المتكلم باسم الشعب الجزائري المسلم طالب العلماء بالتطبيق الصارم لمبدأ فصل الدين في الجزائر، لكن موقف الإدارة الاستعمارية في هذه المسألة لم يتطور أبدا[(213) . حتى أن المؤرخ الفرنسي فرانك فريغوزي بعد دراسته للسياسة الدينية الفرنسية

في الجزائر، ذهب إلى القول بأن فرنسا كانت ترى بأن اللائكية لم تكن سلعة صالحة للتصدير إلى الجزائر، ولذلك استمرت في فرض سيطرتها ووصايتها على الدين الإسلامي في الجزائر (214) .

أما المسألة التي تعتبر الأكثر تعقيدا وأهمية في علاقة الجمعية بالإدارة الاستعمارية، فقد تمثلت في مواقفها مع "التجنيس" و " الإدماج"، حيث اعتبرتهما جمغية العلماء من المسائل الأكثر مصيرية، لأن الهدف منهما كان السعي نحو إلحاق المجتمع الجزائري بالمنظومة الفرنسية في إطار سياسة احتواء تدريجي منظم، شبيه بالسرطان يقوم على خلفية انتقاء الأقلية "النخبة" وإقصاء وتهميش الأغلبية "الأهالي".

إن الوقوف لبرهة قصيرة عند المسألة المتعلقة بالإدماج والتجنس يسمح لنا بإثارة وتوضيح مدى هشاشة بعض الكتابات التي اعتبرت أن مشاركة الجمعية في المؤتمر الإسلامي في جوان 1936، الذي تبنى في بعض مطالبه التطبيق الكامل لمشروع فيوليت، كانت بمثابة تراجع كبير عن مواقفها المبدئية، حتى أن البعض ذهب إلى حد وصمها بتأييد الإدماج وبخضوعها للمطالب التي كان ينادي بها كل من الحزب الشيوعي الجزائري وفدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين.

إن مثل هذه القراءة السياسية والغير التاريخية للمؤتمر الإسلامي تسمح بتقرير مثل تلك النتائج، لكن الإحالة إلى مواقف العلماء من مشروع بلوم-فيوليت وردودهم المباشرة أمام لجنة التحقيق البرلمانية الفرنسية في الجزائر (مارس-أفريل1937)، كفيلة إلى حد ما بتوضيح جوهر تصورهم لمسألة الإدماج والتجنس (215)[1]، وهو التصور الذي يعبر عن الرفض الضمني من خلال الإصرار على مبدأ "الحفاظ على قانون الأحوال الإسلامي"، بينما تميزت مواقف العلماء بالليونة ظاهريا مع الإدارة الاستعمارية.

وفي سبيل تلبيس جمعية العلماء تهمة القبول بالإدماج والتجنس، لم يكن غريبا تجاهل العديد من المصادر التاريخية والدراسات المحلية لفتوى الشيخ عبد الحميد بن باديس القاضية بتحريم التجنس بالجنسية الفرنسية التي أصدرها سنة 1938 ونشرت على صفحات جريدة الشهاب[1] (216) .

إن تجارب الحركة الوطنية ذاتها تتيح الفرصة اليوم لإدراك مدى ضحالة الكثير من القراءات التاريخية وسطحيتها. وفي سبيل توضيح هذه الفكرة سيكون طرح مقارنة بين تجربتين متميزتين في سياق تطور

الحركة الوطنية أفضل أسلوب لكشف ذلك : إن تجربة المؤتمر الإسلامي سنة 1936 شبيهة من حيث أسلوب العمل المشترك بتجربة حركة أحباب البيان والحرية في سنة 1944. وإذا أمكن القول بأن مطالب المؤتمر الإسلامي الذي ضم كل من الحزب الشيوعي والنخبة والعلماء شكلت أرضية لمطالب جماعية، فإن الأمر سيكون كذلك بالنسبة لحركة أحباب البيان والحرية التي ضمت كل من النخبة الليبرالية وعلى رأسها فرحات عباس والعلماء وعناصر حزب الشعب الجزائري (المحل آنذاك).

والتساؤل الذي يمكن طرحه هنا هو: هل يمكن اعتبار برنامج حركة أحباب البيان بمثابة تراجع تاريخي عن التوجه الاستقلالي الثوري لحزب الشعب الجزائري ؟ سيبدو مثل هذا الطرح سخيفا على الرغم من عدم تضمن ذلك البرنامج لأهم مطالب حزب الشعب، ولعله من المفيد هنا القول بأن القراءة الظرفية للأحداث التاريخية ليست كافية حتما لتحليلها بدقة، لأن تأمل تجربة الحركة الوطنية من سنة 1936 إلى 1954 فيما يتعلق بالمحطات التاريخية التي أتاحت إمكانية ظهور أشكال مختلفة من العمل الجماعي الجبهوي بين تيارات الحركة الوطنية المتباينة في توجهاتها كانت فاشلة في معظمها، بدءا بالمؤتمر الإسلامي سنة 1936 ومرورا بحركة أحباب البيان والحرية سنة 1944، ووصولا إلى "الحركة المسرحية" في أوت 1951 حيث تم تشكيل الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، ولعل الاستثناء الوحيد في أسلوب العمل الجبهوي الجماعي يتمثل في جبهة التحرير سنة 1954.

أتاحت الحرب العالمية الثانية في مرحلتها الثانية (1942-1945) انتعاش الحركة الوطنية في الجزائر بعد مرحلة أولى (1939-1942) تميزت بالفتور والركود، وساهمت جمعية العلماء في البدايات الصعبة التي تلت صدور البيان الجزائري في 12 فيفري 1942، وأصبح رئيسها الثاني الشيخ البشير الإبراهيمي أحد أبرز النشطاء السياسيين الجزائريين إلى جانب فرحات عباس ومصالي الحاج، وشكلت مساعي العلماء بين البيانيين وعناصر حزب الشعب عاملا مهما في نجاح تشكيل حركة أحباب البيان والحرية التي تحولت في فترة وجيزة إلى حركة جماهيرية بفعل حركية قيادتها المعتدلة، وحسن انتظام وفعالية القادة النضالية لحزب الشعب.

لم تكن نهاية الحرب العالمية الثانية في الجزائر هادئة كبدايتها، فقد هب إعصار من القمع في حوادث ماي 1945، وعاش الشعب الجزائري تجربة دموية أعادت إلى الأذهان لأجواء مقاومات القرن الـ19م، وعندما انجلت الأوضاع بعد أيام "مظلمة الجوانب بالظلم، مطرزة الحواشي بالدماء المطلولة" على حد تعبير البشير الإبراهيمي (217)شرعت السلطة الاستعمارية في التحقيق في الواقع والخلفيات التي أخرجت "المستعمرة الهادئة" من سكونها الذي كان يبدو أزليا في سنة 1930.

كانت جمعية العلماء من بين التيارات الوطنية التي تم توجيه الأصابع الوطنية حولها، وتبنت العديد من الدوائر السياسية الاستعمارية مسعى تحميلها شطرا من المسؤولية في انتفاضة الشمال القسنطيني العارمة في النصف الأول من شهر ماي 1945، وذهبت بعض الأصوات الكولونيالية إلى حد الدعوة إلى حلها ومصادرة ممتلكاتها، لكن الإدارة الاستعمارية اكتفت باعتقال زعمائها وغلق العديد من مدارسها والاستمرار في مراقبتها عن قرب.

إن المفارقة الكبرى التي يقف عندها الدارس لأحداث ماي 1945 تكمن في عزلة الحزب الشيوعي الجزائري عن بقية تيارات الحركة الوطنية بالنظر إلى مواقفه المؤيدة لموقف الاستعمار، بل أن بعضها كان أكثر تطرفا (218) في الوقت الذي تعرضت فيه كل التيارات التي شكلت تحالف حركة أحباب البيان والحرية إلى المضايقة والعقاب.

إن تحميل الإدارة الاستعمارية لقسط من المسؤولية في انتفاضة ماي 1945 لجمعية العلماء يطرح دون شك بعض التساؤلات من قبيل: أين رأت لجنة التحقيق الفرنسية ومعها الإدارة الاستعمارية مكمن الدور الذي قامت به جمعية العلماء في الأحداث ؟ وإذا كانت جمعية العلماء مجرد جمعية ثقافية إصلاحية كما يزعم خصومها، فأنى لها إذن القدرة على تحريك الجماهير بتلك الصورة العارمة ؟ أليس هذا الاتهام كافيا للنظر إليها باعتبارها تنظيما سياسيا يمتلك عمقا شعبيا دفع الإدارة الاستعمارية إلى النظر إليها بتوجس وحذر ؟

في الواقع لم تكن مواقف العلماء في أثناء الأحداث من الوضوح بشكل يسمح للإدارة الاستعمارية بإيجاد ذريعة مناسبة لحلها، ولكن لجنة التحقيق التي ترأسها الجنرال تيبار Tubert ، والتي قامت بإعداد

التقرير الشهير باسمه، وقامت بإدراج جمعية العلماء في موقع متقدم على رأس قائمة "الأحزاب والجمعيات التي تسببت في المظاهرات"، وأشارت أيضا إلى انطباع الأحداث بالتمرد السياسي والتطرف الديني. (219)[1].

كما بحثت لجنة التحقيق في مدى تأثير العلماء في الجماهير، وفي قدرتهم على إحياء الروح الجهادية، ولم تغفل لجنة تيبار التلميح إلى الشواهد الحية التي حققتها جهود العلماء التعليمية على حساب التعليم الفرنسي في الشمال القسنطيني، وانتهت توصيات القرير إلى عدم استبعاد "دعاية المصلحين" من بين الفرضيات التي حاولت من خلالها لجنة التحقيق حصر خلفيات وأسباب أحداث ماي 1945[1] (220).

إن موقف جمعية العلماء وموقعها في هذه التجربة التاريخية يجعلها تبدو أكثر من مجرد جمعية أهلية إصلاحية، بل أفضل حالا من مثل التيار اليساري في الحركة الوطنية الذي قايض تقاربه من الإدارة الاستعمارية خلال الحرب العالمية الثانية بتبنيه الموقف الأكثر سلبية في مساره السياسي منذ سنة 1935، ودون المغالاة في إضفاء الإيجابية على موقف العلماء من أحداث ماي 1945، يمكن القول بأنهم لم يعلنوا صراحة تأييدهم للانتفاضة ولم ينددوا بها في نفس الوقت، ولكنهم كانوا من الأوائل في القيام بالتنديد والاحتجاج على تنفيذ الأحكام في المعتقلين في العاصمة بتاريخ 01 جانفي 1947، وعندما أتاحت الظروف السياسية لهم فرصة للتعبير الحر، قام العلماء بتوظيف تلك الأحداث لصالحهم، عن طريق التنديد بالقمع والوحشية التي لحقت بالجماهير المسلمة (221)

لم تتوقف التجربة السياسية لجمعية العلماء عند أحداث ماي 1945 كما توخت بعض الدوائر الاستعمارية آنذاك، واستمرت في نشاطها الذي عرف نجاحا كبيرا في السياسة التعليمية حتى غدت تشرف على 181 مدرسة في سنة 1954 مقارنة بـــ90 مدرسة في سنة 1947[(32)] ولم يكن ذلك النشاط عائقا أمام استمرار مساهمتها في المجال السياسي، حيث أعلنت موقفا رافضا لقانون 20 سبتمبر 1947 المعروف "بدستور الجزائر" وشاركت في تحالف الأحزاب الوطنية سنة 1951.

في نوفمبر 1954 انطلقت الثورة التحريرية على يد فصيل سياسي جديد في الحركة الوطنية هو جبهة التحرير الوطني، التي ولدت ولادة قيصرية في رحم الحركة الاستقلالية الأم (حركة الانتصار – حزب الشعب(، وكان أبرز ما تميزت به الثورة في انطلاقتها عامل المفاجأة ليس بالنسبة للاستعمار فحسب، بل لمجموع الشعب الجزائري وبقية التيارات السياسية للحركة الوطنية (222)وإثر تجربة تاريخية صعبة دامت سنتين نجحت جبهة التحرير في حل ثم احتواء معظم الأحزاب والجماعات الجزائرية في صفوفها صيف سنة 1956[(223).

إن هذه المقدمة التاريخية ليست بها أية جدة، فالسبق والمبادرة بخوض المواجهة المسلحة ضد الاستعمار يعتبر أعظم ميراث تم إنجازه على يد التيار الاستقلالي الثوري في الحركة الوطني، لكن ما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق يتمثل في كون معظم الكتابات التي بادرت بالتدليل والمحاججة على ذلك السبق كثيرا ما قامت بتوظيف مواقف بقية التيارات السياسية في الحركة الوطنية من انطلاقة الثورة بشكل أضفى عليها الكثير من السلبية.

ولما كانت هذه المدرسة تقتصر على تناول الدور السياسي لجمعية العلماء المسلمين في الحركة الوطنية، فليس هناك حيزا كافيا لإثارة مسألة تقييم جميع المواقف من الثورة عمد انطلاقتها، وإنما سوف يتم التركيز على موقف الجمعية بشكل مباشر.

إن المنحى الغالب لدى السواد الأعظم من الكتابات الجزائرية يضفي على موقف جمعية العلماء من الثورة التحريرية طابعا سلبيا وذلك بالإشارة إلى المواقف الرسمية المتأخرة لها التي تميزت بالتحفظ وتوظيف هذه الكتابات مسألة تأخر انضمام الجمعية إلى الثورة في سنة 1956 كحجة تاريخية على ذلك.

وبالإمكان اليوم توجيه النقد إلى هذا الطرح الغير موضوعي في معظم جوانبه بتوظيف شواهد ينذر تناولها وتداولها، ولعل عرضها في سياق تحليلي سيسمح دون شك بتبيين مواقف الضعف في التصورات السابقة حول حقيقة الموقف الذي كان عليه جمعية العلماء من الثورة التحريرية.

إن بعض الكتابات الفرنسية تحفل بالإشارات الإيجابية لموقف جمعية العلماء في الوقت الذي يتم إهمالها في المقررات الدراسية الوطنية،

وسأعمل على إتاحة الفرصة للقارئ نفسه بتقييم هذه الشواهد بعرضها في شكل مختارات:

أ- في 20 فيفري 1954 صرح الشيخ العربي التبسي في أحد مساجد وهران قائلا: "سوف يأتي قريب يوم تضطر فيه فرنسا إلى الرحيل، وعلى المسلمين أن يتوحدوا لبلوغ ذلك الهدف".

ب- في 15 مارس 1954 (أسبوع واحد قبل إنشاء المنظمة الثورية للوحدة والعمل)، أعلن الشيخ الزموشي في تلمسان أن: "مهمة العلماء تجديد الإسلام وتنقية العقيدة ... ومهمتهم تحرير الجزائر من نير الاستعمار".

جـ- أما الشيخ عباس بن الشيخ الحسين فقد صرح في ندرومة بتاريخ 03 سبتمبر سنة 1954 قائلا: "لا تعتقدوا أن الجزائر تنام الآن، إنها تقاوم بشكل سري ... من الآن وخلال شهر أو اثنان، وعلى كل قبل عام فقط ستقوم الجزائر كبقية الدول العربية ...".

د- في 03 سبتمبر 1954 وقف التوفيق المدني في باتنة خطيبا: "على سفوح جبال الأوراس غير بعيدا عن آثار تيمقاد ولامبيز، تذكروا أن أسلافكم طردوا الاحتلال الروماني منذ قرون بعيدة، اليوم ها قد عاد استعمار آخر لكن ساعته ستحين قريبا، وعليه أيضا أن يختفي" (224).

إن مثل هذه التصريحات التي تعبر عن موقف جماعي داخل جمعية العلماء مؤيدة للثورة حتى قبل ولادتها، لا تجد طريقها إلى الناشأة في مدارسنا تاركة المجال لقراءات سطحية وانتقائية للكتابات التاريخية تلحق المجد بمن تشاء والعار بمن تشاء دون أدنا معيار من معايير الموضوعية.

لم يكن موقف جمعية العلماء من الثورة بالصورة التي لا يزال تقديمه بها قائمة في كتاباتنا وإذ ما أخذت الظروف التاريخية المحيطة بعين الاعتبار سيكون من السهل الوقوف على موقف من أكثر المواقف إيجابية من الثورة من خلال جملة مواقف زعمائها.

لقد أورد فيليب تريي في كتابه "تشريح حزب الجزائر" أن الشيخ محمد البشير الإبراهمي الذي كان رئيسا لجمعية العلماء دعا بصورة رسمية شيخ الأزهر إلى "إعلان الجهاد على فرنسا" في 01 نوفمبر 1954، بدعوى أنها تسيطر على أرض الإسلام في الجزائر (225) ، وذكر جاك كاري أن الشيخ خير الدين صرح أمام جموع المصلين في

الجامع الكبير بقسنطينة بمناسبة شهر رمضان (24 أفريل 1955) قائلا: "سنقاوم أنصار الاستعمار والخونة ... إن الشعب الجزائري حقيقة لا يمكن نكرانها ولن يخضع للعبودية" (226)

كما أورد نفس المؤلف أن الشيخ عباس بن الشيخ الحسين كان أكثر راديكالية على منابر مساجد ندرومة عندما أعلن في إحدى خطبه بتاريخ شهر أفريل سنة 1955: " يجب علينا أن نحرر مساجدنا كما نحرر وطننا، وإذا كان على عشرة منا أن يدفعوا حياتهم ثمنا لذلك، فسيخلفهم عشرة آخرين حتى يتحقق الهدف ... من هذه المساجد سيخرج جينيرالات، قادتنا في الحرب وجيوشنا ..." (227)

إن الشواهد على إيجابية مواقف جمعية العلماء من الثورة التحريرية كثيرة إلى درجة تجعل اتخاذ المعلم الزمني لانضمامها للثورة سنة 1956 والذي تزامن مع حلها من طرف جبهة التحرير الوطني مجرد معلم رمزي (228)، ويصنف الطرح الذي يتركز على ذلك في خانة التحليل الضحل للتجارب التاريخية.

في ختام هذه الدراسة، يبدوا من الصعب استخلاص نتائج، لذلك سوف تنحو هذه المحاولة إلى طرح جملة من الملاحظات التي يمكن أن تصبح منطقا للإثارة العديدة من المسائل الجانبية لموضوع الدراسة أو لإعادة النظر فيها.

أول هذه الملاحظات التي يمكن تقديمها تتعلق بضرورة إعادة النظر في القراءة التاريخية لتجربة الحركة الإصلاحية في الجزائر في سياق تطور الحركة من خلال ضبط المصطلحات بشكل دقيق، وأيضا بالانتقال إلى مستويات أعمق في تحليل الوقائع والتجارب التاريخية. لأن في الوقت الذي تستمر فيه معظم الأبحاث والدراسات لدينا في التركيز على الطابع الاحتفالي والفلكلوري، وعلى التصوير الملحمي للانتصارات والانكسارات على حد سواء، تحرص الدراسات الأجنبية على عدم التفريط في التحليل العميق والجدية والرؤية الشاملة، وتتخذ من هذه الميزات إنجيلا لها.

لقد قرأ جاك كاري شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "الإسلام ديني، الجزائر وطني، العربية لغتي" قراءة سياسية عميقة، كشفت له عن برنامج سياسي قائم على ثلاثة منطلقات يتقاطع كل منها مع غاية من الغايات التي كانت جمعية العلماء تهدف إلى تحقيقها، وانتهى تحليل

جاك كاري إلى هذه الخلاصة حول الثالوث الذي اتخذته جمعية العلماء كشعار وبرنامج لها (229) .

1- **الإسلام ديني:** مواجهة البدع ومحاربة الطريقة الضالة والدعوى إلى العودة إلى أصول الإسلام الأولى، وفي سبيل هذا المبدأ كانت المطالبة باستقلال الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية، كما طالب العلماء باستعادة المساجد والأوقاف والقضاء الإسلامي من دائرة الوصاية الاستعمارية.

2- **الجزائر وطني:** مواجهة كل إدماج للجزائريين في فرنسا، وكل تجنيس طوعي للجزائريين مع تخليهم عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي، الذي كان العنصر الأهم في التمايز بين الهوية الجزائرية والهوية الفرنسية في نظر جمعية العلماء المسلمين "الجزائريين ليست فرنسا، ولن تستطيع أن تكون فرنسا ولو أرادت" فالهوية والانتماء كانا أشبه ما يكونان بالتلازم الأبدي، وتضمن مبدأ "الجزائر وطني" العمل على استقلال الجزائر، والسعي نحو الدولة الإسلامية حيث يكون العلماء مستشاريها. وعلى المستوى العالمي العمل لصالح الأممية الإسلامية.

3- **العربية لغتي:** نشر اللغة العربية الحديثة والثقافة الإسلامية، الاعتزاز بالعظمة والكبرياء الإسلامي عن طريق إحياء الماضي الإسلامي المجيد، وإنشاء المدارس الحرة والحلقات الأدبية والدعوة إلى حرية الصحافة وترسيم اللغة العربية.

أما الملاحظة الثانية التي يمكن الإشارة إليها في ختام هذه المقالة فتكمن في أهمية ترميم الذاكرة الجماعية بشكل سليم من خلال أبعاد الموروث السلبي فيها عند التصدي للكتابة التاريخية الموضوعية، لأن من أبرز عيوب العديد من كتاباتنا اعتماد أسلوب "التقزيم والتعظيم" (230) في التاريخ الرسمي على وجه الخصوص. وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى الإقصاء السياسي وإلى الأخطر من ذلك، وهو طمس أجزاء وفصول من الذاكرة الجماعية. لأن الشرعية التاريخية في صورتها الحالية والتي صوغت التعتيم على الدور التاريخي للعديد من الشخصيات الوطنية بمختلف مشاربها وتوجهاتها،

جعلت النخبة الوطنية التي قادت حركة التحرير الوطني ثم الدولة الوطنية فيما بعد تغدوا وكأنها الوصي الوحيد على الماضي والحاضر والمستقبل معا.

إن ضرورة إعادة القراءة التاريخية لبعض التجارب كفيل بوقف انهيار ما تبقى من بناء الذاكرة الجماعية، وبتقويم الانحرافات التي قادت إليها الكتابة السياسية لتاريخ الحركة الوطنية. حتى أن أحد المؤرخين الأمريكيين وقف بشكل عابر ولكنه عميق على اضطراب الرؤية والتناقض في التصوير التاريخي لكتاباتنا من خلال تعظيم الفرد وتقزيم الجماعة وكتب قائلا: "بعد استقلال الجزائر نظرت النخبة الحاكمة إلى جمعية العلماء على أنها منظمة رجعية ثم تمت إزاحتها. لكن في الوقت ذاته ضلت تلك النخبة توظف ابن باديس باعتباره بطلا ورمزا وطنيا. (231)

3/ الحزب الشيوعي الجزائري: 1935- 1945:

يعتبر البحث في جذور العلاقة بين الحركة الوطنية والتيارات السياسية في الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى منتصف الخمسينات، من المواضيع التي ظلت بمعزل عن اهتمامات الباحثين الجزائريين في الوقت الذي لا يزال فيه الجدال والسجال السياسي في الجزائر حافلا بالاستعارات السياسية التي تعبر عن الموروث التاريخي من الصدامات السياسية العديدة بين تيارات الحركة الوطنية بما فيها التيار الشيوعي.

وفي مقابل انسحاب الأبحاث المحلية من الدراسات التي تعني بالأسباب والخلفيات التاريخية لتطور العلاقة بين تيارات الحركة والتنظيمات الشيوعية الأممية والإقليمية، هيمنة الكتابات الفرنسية على مثل هذه المواضيع بشكل يكاد يكون مطلقا.

وإذا كان بالإمكان تبرير مثل هذا الوضع بمسألة السبق التاريخي بالنسبة للفرنسيين، وبحداثة التجربة الجزائرية في الكتابة والبحث التاريخيين في فترات سابقة، فإن الواقع الراهن يجعل استمرار مثل هذه الأعذار من دلائل وجود عجز كامن في الذات أو قصور في امتلاك تصور واضح عن أهمية البحث في مثل هذه القضايا التاريخية، التي

ارتبطت بشكل وثيق بتجربة الحركة الوطنية الجزائرية في النصف الأول من القرن 20م.

وقبل أن نشد الرحال إلى مساحات الظل الكثيرة التي لا تزال تكتنف موضوع هذه الدراسة، من الأنسب الاعتراف بأن هذه المحاولة لن تكون بهدف تقديم سرد تاريخي في شكل ركام من المعطيات ذات الصلة بالموضوع، وإنما المتوخى منها هو تسليط الضوء على المناقب والمثالب التي نجمت عن احتكاك بعض تيارات الحركة الوطنية بالحركة الشيوعية في فرنسا وفي الجزائر على حد السواء.

إن تحديد المجال الزمني لهذه الدراسة لم يكن وليد العفوية، وإنما يعود في الأساس إلى الاعتبارات التاريخية التالية: اختيار سنة 1920 كمعلم زمني لتحديد بداية البحث يرتبط بأول مشاركة لمجموعة شيوعية باسم الجزائريين في مؤتمر شيوعي وذلك في سنة 1920 في مدينة تور الفرنسية حيث عقد الحزب الشيوعي الفرنسي أحد أشهر مؤتمراته، أما اختيار المعلم الزمني الثاني بسنة 1945 فمرجعه يعود إلى المنعطف التاريخي الذي شهدته الأوضاع المحلية والدولية مع نهاية الحرب العالمية الثانية.

الشيوعية في الجزائر ... الخطوات الأولى 1920-1924:

لا يتوفر الباحث على أدنى الإشارات الدالة على تواجد الحركة الشيوعية في الجزائر بشكل منظم قبل قيام الثورة البلشفية بالإطاحة بالنظام القيصري في روسيا سنة 1917، ولم يتبن الجزائريون الأفكار الماركسية إلا في مرحلة لاحقة بتأثير من الشيوعيين الفرنسيين(232)، فقد استمر غياب الجزائريين عن التنظيمات الشيوعية إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، ولعل العامل الحاسم في ذلك يعود إلى صعوبة انتشار المبادئ الشيوعية في المجتمعات الشبيهة بالمجتمعات الإقطاعية القديمة وهو ما كان عليه الحال في الجزائر آنذاك.

وما يدعم مثل هذا التحليل من وجهة النظر التاريخية هو أن اعتناق عدد من الجزائريين للأفكار الماركسية كان بفعل انتظامهم في النقابات العمالية التي كانت تابعة للتيارات اليسارية في فرنسا. وجدير بالقول أن مثل هذا الطرح لا يعد نبؤة بقدر ما يعتبر في جوهره توافقا مع مبدأ ماركسي أصيل، يتمثل في الرؤية التي مفادها أن الثورة

البروليتارية لا يمكن لها أن تجد التربة الخصبة في مجتمع ما، لا يتوفر على الطليعة التي تتمثل في الطبقة العمالية المنظمة وعلى الرغم من أن هذه الدراسة لا يدخل في مجال اهتمامها التركيز بشكل موسع على تطور مواقف الثورة البلشفية والدولة السوفياتية التي جاءت بها من المسألة الاستعمارية في الجزائر خلال الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، إلا أن هذا لن يمنع من تسليط الضوء على بعض الزوايا الظليلة، ويمكن الإشارة في هذا المقام إلى ما أوردته العديد من الكتابات الجزائرية والفرنسية فيما تعلق بعدم تناول الأدبيات السياسية الشيوعية في روسيا وفي السنوات الأولى للثورة البلشفية أي ذكر بصورة مباشرة للجزائر أو الشمال الإفريقي (233)

إن هذا ما يوضح من جهة هامشية المشكل الجزائري في اهتمامات البلاشفة، ومن جهة أخرى مدى تحامل الدعاية الفرنسية المعادية للشيوعية على الحركة الوطنية في الجزائر خلال سنوات المخاض الصعب في العشرينيات ومن بين صور ذلك التحامل الهادف إلى التضييق والحصار، ما أورده عبد القاسم سعد الله نقلا عن تقرير للحاكم الفرنسي للاشتراكي موريس فيوليت 1925-1927 جاءت فيه عبارة ادعى صاحبها أنها جاءت على لسان لينين والتي مفادها أنه قال: "أن الجزائر في قلعة الثورة". (234)إن الواقع السائد في الجزائر آنذاك يجعل هذه العبارة أقرب ما تكون إلى العبارات الموضوعة التي يمكن التشكيك في صحتها، لأن الجزائر في السنوات التي تزعم فيها لينين الثورة ثم الدولة السوفياتية 1917-1924 كانت في الكتابات الفرنسية ذاتها مثال للمستعمرة الهادئة في وسط المغرب المضطرب، كما أنها كانت من الناحية الاجتماعية والاقتصادية نموذجا للمجتمعات الإقطاعية القديمة بفعل الاستحواذ المنظم والشامل للسلطة والثورة فيها في يد الأقلية الأوروبية التي لم تكن تتجاوز عشر السكان الأصليين للبلاد (235).

وقبل ظهور أول الأحزاب السياسية في الجزائر سنة 1926، لم تكن للنخب السياسية في الجزائر آنذاك أية ارتباطات بالتيارات اليسارية محليا أو في فرنسا، لقد كانت نواة أول تمثيل منظم للشيوعيين الجزائريين في الوفد الذي شارك في المؤتمر الذي عقده الحزب الشيوعي الفرنسي في مدينة تور سنة 1920، والذي دعا إليه النخب الشيوعية في المستعمرات الفرنسية.

تزعم الوفد الجزائري شال أندري جوليان الذي عرض تقريرا عاما عن الوضع في الجزائر، وكان الوفد كله مكونا من فرنسيي الجزائر. وإثر عودته شرع في تطبيق توصيات الحركة الأم القاضية بضرورة إنشاء فروع شيوعية في المستعمرات، عرفت فيما بعد بالفدراليات الشيوعية(236)

كانت المجموعة الشيوعية الأولى فوضوية ومحدودة العدد (15 عضوا)، كما أنها كانت تفتقد إلى التنظيم والتنسيق((237)، وعندما دعت الأممية الشيوعية الثالثة في 20 ماي 1922 في أول نداء لها حول قضايا الشمال الإفريقي إلى "تحرير الجزائر وتونس". كانت المجموعة الشيوعية الجزائرية أبعد ما تكون عن تلك الدعوة، بل الأدهى من ذلك كما أشار المؤرخ جون غلوري، إلى أن فرع سيدي بلعباس انتفض بشكل عنيف ضد ذلك المشروع الذي اعتبره "دعوة إلى انتفاضة شعبية للجماهير المسلمة الجزائرية، وهو ما يمثل في نظر الفرع جنونا خطيرا، لا يمكن للفدراليات الجزائرية للحزب الشيوعي التي تملك الوعي الماركسي أن تتحمل مسؤولية الموافقة عليه أمام التاريخ الشيوعي(238).

لم تكن المجموعة الشيوعية الجزائرية قادرة على تحليل الوضعية الاستعمارية بدقة، فقد كانت تتلقى بطواعية الأوامر القادمة من فرنسا (239)، حيث كان الحزب الشيوعي الفرنسي يتبنى خطا موازيا لذلك الذي كانت تعتمده الأممية الثالثة (الكومنترن) فيما يتعلق بالمسألة الاستعمارية. هذا الأمر جلب سخط بعض الشيوعيين المغاربة في المؤتمر الرابع للكومنترن في موسكو سنة 1922 على الخطاب الذي كان سائدا في بيانات وتعليمات الحزب الشيوعي الفرنسي(240)

ولم يسلم اليسار الفرنسي في المؤتمر الخامس الذي عقد في موسكو (17 جوان – 7 جويلية 1924) من هجومات وانتقادات السوفيات أنفسهم، الذين اتهموا الشيوعيين الفرنسيين والفرع التابع لهم في سيدي بلعباس بارتكاب أخطاء كثيرة منذ سنة 1922، واعتبروا ذلك انحرافا عن المبادئ الشيوعية(241).

كان من مكمن العجز في تصور الحزب الشيوعي الفرنسي والفدراليات التي كانت تدور في فلكه يتمثل في ربطه لمسألة تحقيق

التغيير عن طريق الثورة، بضرورة أولوية حدوث ذلك في فرنسا قبل الانتقال إلى المستعمرات. وفي ظل ذلك المنظور بقيت مسألة الدعوة إلى تسوية المسألة الاستعمارية في الجزائر مؤجلة في برنامج عمل للحزب الشيوعي الفرنسي.

الحزب الشيوعي الفرنسي والحركة الوطنية الجزائرية 1924-1935:

في سنة 1924 ظهر تحول كبير في سياسة اليسار الفرنسي في الجزائر، وتمثل ذلك في قيام الحزب بنشاط مركز، انتهى بتشكيل الفدرالية الشيوعية الجزائرية، التي أصبح لها صحيفة تسمى "النضال الاجتماعي". ويمكن في هذا السياق التساؤل عن خلفياتي ذلك التحول في النشاط الشيوعي في الجزائر بالنظر إلى المواقف السلبية التي كان يعبر عنها الحزب الشيوعي، ومن وراءه الشيوعيين الجزائريين اتجاه قضية تسوية المسألة الاستعمارية.

لم يكن سعي الشيوعيين الفرنسيين إلى تجنيد العناصر الجزائرية بغرض الانفتاح على أوضاع المستعمرة، ومن أجل التواصل المباشر مع "الأهالي"، ولم يكن أيضا تشكيل الفدرالية بهدف ترقية الفروع الشيوعية بها إلى مستوى الأحزاب اليسارية الأوروبية. وإنما ارتباط كل ذلك بسياسة الحزب الشيوعي الفرنسي التي كانت تقوم على مبدأ الهيمنة والاحتواء لجميع التنظيمات الشيوعية في المستعمرات الفرنسية، وهو ما جعلها مجرد أقمار تدور في فلكه(242)

يذهب محمد حربي في قراءته للأسباب التي تحكمت في تحول مواقف الحركة الشيوعية في ألمانيا سنة 1932، دفع بالاتحاد السوفياتي إلى الشروع في "الحملات العالمية"، وذلك بفتح جبهات جديدة ضد العالم الرأسمالي، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى توظيف الكومنترن من أجل الدعاية للثورة البروليتارية(243).

ويصل حربي إلى تحديد الأهداف التي توختها إستراتيجية الكومنترن في مواجهة الاستعمار الفرنسي في أقطار المغرب العربي والتي تضمنت في خطواتها الأولى ضرورة إنشاء تنظيم لا طبقي في فرنسا ذاتها للسماح للمغاربة بالانخراط فيه(244)مع عدم السماح لأية

قيادة بورجوازية للانفراد به(245))وذلك لمنع تكرار تجربة الحزب الدستوري التونسي.

أما أبو القاسم سعد الله، فقد عزى ظهور التحول المفاجئ في اهتمام الحزب الشيوعي الفرنسي بالأوضاع في الجزائر في سنة 1924 إلى جملة من الأسباب، منها ما كان سابقا لها مثل زيارة الرئيس الفرنسي ميليران إلى الجزائر في مارس 1922، والتي كانت وراء جذب اهتمام الكومنترن إلى المسألة الجزائرية (246).

ويضيف سعد الله، احتمال تعرض الحزب الشيوعي الفرنسي إلى بعض الضغوط من طرف الكومنترن، حتما إلى القيام بجملة من النشاطات الميدانية في الجزائر لإبعاد الشبهات والاتهامات التي كالها له بعض الشيوعيين المغاربة والانتقادات التي تعرض لها على يد الشيوعيين الروس (247).

تطور علاقة الحركة الشيوعية بالحركة الوطنية الجزائرية 1924-1926:

بعد إنشاء الفدرالية الشيوعية في الجزائر على يد الحزب الشيوعي الفرنسي، تراجع اهتمام الكومنترن بالمشكل الجزائري لبعض الوقت، ولم تتمكن العناصر الشيوعية في الجزائر من إعطاء دفع كبير لحركتهم وتوسيع دائرة نشاطهم، وذلك بفعل فشلهم في جذب القوى التي كانت تمتلك حضورا سياسيا وثقافيا في الساحة الجزائرية خلال العشرينيات من القرن الماضي، مثل جماعة الأمير خالد، وجماعة النخبة والعلماء.

وفي الحقيقة لم يكن انغلاق المجموعة الشيوعية الجزائرية على نفسها السبب الوحيد في فشلها في التسرب بين الجماهير، وإنما يعود ذلك بدرجة أكبر إلى المستوى الضعيف لإقبال الجزائريين على الانخراط في صفوف الفدرالية في الداخل وفي صفوف الحزب الفرنسي في فرنسا(248)

كما كان الواقع الجزائري من جهة، والنظام السياسي الفرنسي في العقد الثالث من القرن الماضي من أهم العقبات التي أصابت النشاط الشيوعي في الجزائر بالشلل. فقد كان الشارع السياسي تحت سيطرة

الكولون، الذين وجدوا في معاداة الشيوعية حصان رهان جيد للحد من نشاط الحركة الوطنية المتزايد.

وليس هنا نتسع للتفصيل في هذه المسألة التي أشبعها الباحثون عرضا وتفصيلا، ولكن النتيجة التي يمكن بلوغها عند هذا الحد، هي ترجيح تأثير جملة العوامل التي تمت الإشارة إليها سابقا في تراجع وتلاشي نشاط العناصر الشيوعية في الجزائر في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى (1920-1926).

على النقيض من تفويت الشيوعيين الجزائريين – في أغلبيتهم الساحقة من الأوربيين – لفرصة تكريس وجود تيار سياسي شيوعي فاعل في الجزائر في منتصف العشرينيات من القرن 20م، استمر تأثير وحضور الحزب الشيوعي الفرنسي بشكل غير قابل للتهميش في أوساط العمال المهجرين المغاربة، وتجلت معالم تلك العلاقة عند تأسيس نجم شمال إفريقيا سنة 1926، في أجواء كانت تسيطر عليها الحركة الشيوعية والعديد من التنظيمات اليسارية في فرنسا. (249)

الحركة الشيوعية ونجم شمال إفريقيا 1926-1930:

تعتبر تجربة نجم شمال إفريقيا مع الحركة الشيوعية من أهم فصول العلاقة بين هذه الأخيرة والحركة الوطنية الجزائرية، ولا يعود ذلك لمسألة السبق التاريخي فحسب، وإنما بدرجة أكبر لارتباط تلك العلاقة بتجربة التيار الوطني الاستقلالي في مرحلة التأسيس والنشأة 1926-1928.

كان الإعلان عن ميلاد نجم شمال إفريقيا في فرنسا على يد مجموعة من العمال المهاجرين المغاربة في سنة 1926، ثمرة من ثمار احتكاك اليد العاملة المهاجرة بالتيارات اليسارية وتنظيماتها الاجتماعية الكبرى التي كانت تموج بها فرنسا في فترة ما بين الحربين 1919-1939 . (250)

إن المصادفة التاريخية التي أدت إلى ميلاد التيار الوطني الثوري الاستقلالي للحركة الوطنية الجزائرية في المهجر، وفي عقر دار الاستعمار ذاته. والتي انتهت إلى تحول ذلك التيار إلى أسلوب المطالبة والمغالبة الأكبر راديكالية. تعود في الأصل إلى النتائج العكسية لجملة من الإجراءات الاستعمارية القمعية التي يمكن التأريخ للبعض، إلى فترة

سابقة للحرب الكبرى الأولى، ومن أهم الإجراءات الاستعمارية القمعية التي يمكن التأريخ للبعض، إلى فترة سابقة للحرب الكرى الأولى، ومن أهم الإجراءات التعسفية ضد الشعب الجزائري قانون التجنيد الإجباري، لسنة 1911، الذي تسبب في تحريك السكان بصورة منظمة نحو الهجرة إلى الخارج، والملاحظ أن الإدارة الفرنسية، كانت كانت غالبا ما تمنع حصول المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي من الحقوق السياسية التي تصاحب عادة أداء الخدمة العسكرية. (251)

لكن مع دخول فرنسا في الحرب العالمية الأولى ظهرت الحاجة الملحة إلى تجنيد جيش كبير من المستعمرات.

نظرا للاحتياجات الصناعية الحربية، وإلى القوة الضخمة للجيش الألماني على الجبهة المعادية وأمام احتمال قيام ردود فعل رافضة للتجنيد أصدرت الإدارة الاستعمارية مرسوما في 7سبتمبر 1916 ينص إلى تجنيد الجزائريين دون مراعاة للشروط التي كانت قد سنتها في قانون فيفري 1911.

وهذا ما أدى إلى تجنيد شبان جزائريين دون سن الخدمة العسكرية، وبعد أسبوع من ذلك المرسوم أردفته الإدارة الاستعمارية بمرسوم جديد في 14 سبتمبر 1916، يقضي بالزج في بالعمال في جبهات القتال عند الحاجة إليهم (252). وعندما جوبه هذا القانون بالرفض من طرف الجزائريين، لجأت السلطة الاستعمارية إلى تجنيد 17 ألف عامل منهم عنوة في الخطوط الأمامية لجبهات المعارك.

إن حجم التضحيات التي بذلها الجزائريون في الحرب العالمية الأولى في صفوف الجيش الفرنسي لا يزال مسألة غير دقيقة تاريخيا بالنظر إلى المعطيات الإحصائية رغم إجماع المؤرخين الفرنسيين والجزائريين على ضخامته وأهمية الدور الذي لعبه جنود المستعمرات في الدفاع عن فرنسا (253).

إن مكمن الصعوبة في تحديد حجم خسائر الجزائريين يتمثل في انعدام الوثائق التي تزيلي الغموض والالتباس عنه من ناحية وشدة التباين في المعطيات التاريخية المتوفرة فيما يتعلق بتعداد الجزائريين في الحرب العالمية الأولى سواء كانوا جنودا أو عمالا، وأيضا في عدد القتلى والجرحى، وفي تعداد الذين جندوا عنوة من الجزائر خلال سنوات الحرب (254)

إن الهدف من التوقف عند هذه المسألة في هذه الدراسة ليس هو استعراض دور الجزائريين في الحرب العالمية الأولى بشكل تفصيلي، وإنما توضيح الانعكاسات الإيجابية لتجربة مريرة عاشها عشرات الآلاف من الشبان الجزائريين، الذين دفعوا بفعل إجراءات قهرية وتعسفية للموت في أتون حرب تركت القارة الأوربية في أربع سنوات خرابا يبابا.

وليس المقصد أيضا الإشارة إلى "إصلاحات سنة 1919" التي اعتبرت أول انفتاح في السياسة الفرنسية في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى، والتي قضت بمنح جملة من الحقوق السياسية لفئة محدودة من الجزائريين، فيما يتعلق بالمواطنة الفرنسية وحق التصويت في الانتخابات البلدية (255).

إن أهم تأثير على الجزائريين في فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى، وفي السنوات التي تلتها، يمكن أن نحصره في اتساع الأفق السياسي لغالبيتهم، بفعل الاحتكاك المباشر بالمجتمعات الأوربية من جهة والمجندين من المستعمرات الأفريقية والآسيوية من جهة أخرى. ودون أن نغفل من جهة أخرى عن نجاح المهاجرين في الانخراط داخل النقابات العمالية رغم أصولهم الريفية، وانعدام التجربة والتأهيل في الميادين الصناعية للسواد الأعظم منهم.

شجعت الحكومة الفرنسية الاعتماد على سواعد الجزائريين لإعادة بناء الخراب الذي ألحقته الحرب بفرنسا (256)، فاستقر عدد كبير منهم في البلاد وتزوجوا بفرنسيات، وانتشروا في ضواحي باريس وجنوب ليون، وفي مارسيليا ومناجم الشمال ومناطق الأردين والمارن.

وعندما لاحظت الإدارة الاستعمارية ارتفاع وتيرة الهجرة من الجزائر نحو فرنسا، أصدر الحاكم العام في الجزائر تيودور ستيغ (1921-1925) THEODOR-STEEG قرار يقضي بفرض رقابة صارمة على هجرة الجزائريين إلى فرنسا (257)على الرغم من انتماء الأغلبية الساحقة لليد العاملة المهاجرة إلى المهن البسيطة في الموانئ والمخازن، بفعل مستويات التعليم الضعيفة للعامل الجزائري آنذاك.

كان لحركة الأمير خالد في الفترة الممتدة من 1919-1925 بعض التأثير الملموس في أوساط العمال المغاربة المهاجرين في فرنسا (258)لكن التحول البارز بالنسبة للطبقة العمالية المغاربية

وللحركة الوطنية الجزائرية حدث في 20 جوان 1926، بنجاح جماعة منهم في تشكيل تنظيم سياسي، ظهر في بدايته في شكل أقرب ما يكون إلى النقابة العمالية بالنظر إلى مبادئه المعلنة. (259)

ظهر التأثير الشيوعي في نجم شمال إفريقيا في إسناد القيادة إلى أحد الشيوعيين الجزائريين، وهو حاج علي عبد القادر، الذي كان عضوا في اللجنة المركزية في الحزب الشيوعي الفرنسي (260) ومرشحا باسم الحزب في الانتخابات التشريعية التي جرت في 11 ماي 1924 (261).

وتذب بعض الكتابات إلى القول بأن مصالي الحاج نفسه كان شيوعيا وعضوا منخرطا في الحزب الشيوعي الفرنسي في الفترة السابقة لتأسيس النجم 1924-1926. ولكن في الحقيقة يمكن دحض مثل هذا الطرح بالعودة إلى الدراسة التي قام بها الشيوعي الفرنسي المناصر لثورة التحرير دنيس بارجي DENIS BERGER والتي أعاد من خلالها قراءة مذكرات مصالي الحاج في الفترة الممتدة من مولده إلى 1938 . (262)

تمكن نجم شمال إفريقيا بعد أزمة داخلية من التحول إلى حزب سياسي وطني إثر انسحاب القيادة والعناصر الشيوعية منه، وانفرد الجزائريون به بعد مغادرة التونسيين والمغاربة لصفوفه. وعلى الرغم من مشاركة الحزب في التظاهرات في التظاهرات الدولية التي كانت تتم بتوجيه من التنظيمات الشيوعية العالمية، مثل مؤتمر الشعوب المستعمرة في بروكسل سنة 1927، إلا أن القيادة الجديدة للحزب بزعامة مصالي الحاج تمكنت من إحداث القطيعة مع الحزب الفرنسي الشيوعي ومع الفرنسي للأممية الشيوعية في الفترة الممتدة ما بين 1928-1932 (263).

ويرى جين غلوري JEAN-GLORIÉS أن حركة نجم شمال إفريقيا التي تأسست في مارس 1962، والتي كانت تدور في فلك الحزب الشيوعي الفرنسي سرعان ما تحولت عن الشيوعية، بعدما تولى مصالي الحاج زعامتها سنة 1928 (264). وفي ذات السياق يؤكد محمد حربي أن التيار الأكثر راديكالية في الحركة الوطنية الجزائرية تصدى لتدخل ووصاية الحزب الشيوعي الفرنسي، وبدأ مع بداية سنة 1928 في التخلص بشكل سريع من التوجه الشيوعي. (265).

أما محفوظ قداش فقد حدد بداية انقلاب العناصر الوطنية داخل نجم شمال إفريقيا على العناصر الشيوعية بالاجتماع العام الذي عقده النجم في 05 فيفري 1928 بباريس (266)ويعتبر قداش أن ذلك التحول كان نتيجة لنجاح مصالي الحاج وبانون آكلي ورفاقهما في فرد نهج وطني مستقل(267) في مواجهة محاولات العناصر الشيوعية داخل ألحزب لوضع التنظيم كأداة في خدمة اليسار الفرنسي الذي كان يسعى إلى احتواء الجزائريين عن طريق فرض الوصايا على نجم شمال إفريقيا.

ويذكر أبو القاسم سعد الله أن بوادر التحول داخل النجم نحو تبني المطالب الوطنية ظهرت بعد سنة من إعلان برنامجه (المطالب التي أعلن عنها مصالي في مؤتمر بروكسل سنة 1927)، وهو الأمر الذي جعل منظمة الكومنترن توصي بالحذر منه وبالعمل ضده. (268)

بعد هذا العرض قد يكون من المتاح القيام ببعض المقاربات والاستنتاجات قبل الانتقال إلى الشطر الثاني من هذه الدراسة، والمتعلق بتطور العلاقة بين الحركة الوطنية الحزب الشيوعي الجزائري في الفترة الممتدة من (1935-1945).

لقد كانت تجربة الحزب الشيوعي الفرنسي مع نجم شمال إفريقيا في الفترة الممتدة من (1926-1930)، الفرصة الضائعة الثانية بالنسبة لمشروع الكومنترن الذي كان يهدف إلى احتواء الحركات الوطنية في شمال إفريقيا، بعد الفشل الذريع بالنسبة للفدرالية الشيوعية الجزائرية في التحول إلى تيار سياسي فاعل في الجزائر في منتصف العشرينيات.

أما بالنسبة للحركة الوطنية الجزائرية من خلال أول وأبرز تياراتها وهو التيار الاستقلالي فقد تمكن نجم شمال إفريقيا في تجاوز معضلة النشوء في أجواء اليسار الفرنسي في فترة قصيرة (1926-1928) وشق لنفسه توجهات وطنية معلنة في الفترة (1928-1933)، وتحول النجم في منتصف الثلاثينيات إلى قوة سياسية مؤثرة في الساحة الجزائرية إلى جانب النخبة وجمعية العلماء الجزائريين.

الحزب الشيوعي الجزائري وتيارات الحركة الوطنية 1935-1945:

في مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي الذي عقد في سنة 1935 بزعامة موريس توريز MORICE THOREZ في مدينة فيلربان بالضاحية الجنوبية لمدينة ليون، التي كانت من أهم المراكز الصناعية في فرنسا آنذاك، اتخذ الحزب قرارا تاريخيا بالنسبة للفروع الشيوعية في الجزائر.

تمت ترقيت بعض العناصر المسلمة الجزائرية مثل عمار أوزقان وبن علي بوخرط إلى مواقع قيادية هامة، وسمح المؤتمر بتحويل الفدرالية الشيوعية إلى حزب، بهدف تشجيع المسلمين على الانخراط فيه. (269)

وتذهب بعض الكتابات التاريخية التي تناولت الحركة الوطنية الجزائرية إلى اعتبار سنة 1935 بمثابة تاريخ الظهور الفعلي للتيار الشيوعي الجزائري، وذلك بفعل تبوء بعض العناصر الجزائرية لمواقع متقدمة في المسؤولية لأول مرة في التنظيمات اليسارية في الجزائر منذ سنة 1924.

لكن على مستوى الخطاب والإستراتيجية بقي الحزب الشيوعي الجزائري رهينة للتصورات والأفكار التي كان يستعيرها بشكل قسري، من حركة الكومنترن واليسار الفرنسي بفعل استمرا التبعية والوصاية الخارجية.

كانت سلبية الشيوعيين الجزائريين تكمن في أنهم ظلوا يندون بقيام ثورة للفلاحين ضد الامبريالية والإقطاع بشكل مبهم (270) .واستمروا في تجاهل المطالب الوطنية التي كان على رأسها مسالة تحرير الجماهير من الهيمنة الاستعمارية، فبقي الحزب بعيدا ومعزولا عن الجماهير ولا يحظى بتأييدها (271)

انخرط الحزب الشيوعي الجزائري في الحياة السياسية في الجزائر بعد فترة قصيرة من تشكيله سنة 1935، ونجحت العناصر القيادية الجديدة (بما فيها الأعضاء المسلمين) في إضفاء بعض الحيوية على نشاط الحزب، وذلك عندما تمكنت من الدفع به إلى المشاركة السياسية وإلى التقرب من بقية الأحزاب و القوى السياسية في الجزائر

التي كانت تمثل مختلف تيارات الحركة الوطنية كنجم شمال إفريقيا، وجماعة النخبة التي انضوت في صفوف فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين

(F E M A)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (A OMA) لقد تميز الأداء السياسي للحزب الشيوعي الجزائري فيما يتعلق بسرعة التموقع بين التيارات السياسية بالنجاح الكبير، مقارنة بتجربة الفدرالية الشيوعية الجزائرية التي تميزت بالسبات الطويل الذي استمر لعقد كامل من الزمن.

دون تحقيق أدنى مستوى من الارتباط بالقوى السياسية الناشئة أو بالجماهير في العشرينيات من القرن الماضي.

عند هذه المسألة ثمة تساؤل تجدر الإجابة عته لتفادي الانزلاق إلى الاستمرار في إضفاء الإيجابية المطلقة على أداء الحزب الشيوعي الجزائري في بداية نشاطه (1935-1936)، ويمثل هذا التساؤل فيما يلي: هل كان تواجد بعض العناصر المسلمة الجزائرية في قيادة الحزب الشيوعي الجزائري هو العامل الحاسم في تعاظم الدور السياسي للحزب بعد فترة قصيرة من نشأته في فرنسا سنة 1935 أم أن ذلك ارتبط بعوامل تاريخية أخرى أكثر أهمية؟ .

عند الخوض في محاولة الإجابة على هذا التساؤل ليس من المتاح تحديد حجم التأثير والفعالية التي كان، أمثال أوزقان وبوخرط يمتلكونها داخل الحزب، ولكن ما يمكن أن نذهب إليه انطلاقا من البنية العرقية والتنظيمية للحزب الشيوعي الجزائري، ومن الآليات والضوابط التي كانت تتحكم في العلاقات بين الأحزاب الشيوعية الإقليمية والقطرية من جهة، وحركة الكومنترن من جهة أخرى. هو أن ما طرأ على نشاط الحزب الشيوعي الجزائري لم يكن بفعل تأثير وتوجيه عناصره، جزائرية كانت أم أوربية في الداخل، وإنما كان مرتبطا بمعطيات تاريخية مختلفة.

إن التوقف عند هذه المسألة بهذا الشكل سيزيد من الغموض الذي قد يتبادر إلى ذهن القارئ، لذلك لا مناص من الاسترسال في تفصيل العوامل التاريخية التي أثرت بشكل مباشر في مواقف ونشاط الحزب الشيوعي الجزائري في الفترة الممتدة من 1935 إلى 1945 لتوضيح الرؤية بصورة جلية.

تمثل أول عامل من العوامل التي أثرت في تعاظم مكانة الحزب الشيوعي في منتصف الثلاثينات، في الفرصة التاريخية التي جعلت منه وسيطا بين تيارات الحركة الوطنية والإدارة الاستعمارية سنة 1936 فبعد سنة واحدة من ظهوره في الجزائر وصلت الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا، بدعم من تحالف عريض ضم الشيوعيين، وتزامن ذلك مع تواجد الحزب الشيوعي الجزائري في تجمع المؤتمر الإسلامي. (272)

لقد كانت سنة 1936 في الجزائر حافلة بالآمال بالنسبة لجميع الأطراف السياسية على اختلاف مشاربها ، وكانت حافلة بمشاعر الخيبة أيضا، فبعد أن توسم المؤتمر الإسلامي من حكومة الجبهة الشعبية القبول لمطالبه، عاد الوفد الذي أرسله إلى باريس "بخفي حنين"، وتوقعت الإدارة الاستعمارية النجاح في محاولة تمرير مشاريع إدماجية جديدة، بالنظر إلى الأجواء المتفائلة والاحتفالية التي صاحبت تولي الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا. (273).

كانت خطبة الحزب الشيوعي الجزائري بعد تقربه من بقية الأحزاب الوطنية في منتصف سنة 1936 تقوم على أساس ترقية التحالف الذي كان يضم جبهة المؤتمر الإسلامي للتحالف مع الجبهة الشعبية في فرنسا. ولما كان الشيوعيون يمثلون طرفا هاما من أطراف التحالف السياسي الحاكم في المتروبول آنذاك فقد كان إنجاح مثل هذا المسعى كفيل بجعل الشيوعيين الجزائريين والفرنسيين كقوة سياسية محورية، ليس بالنظر إلى حجم التمثيل الشعبي لها، وإنما من جهة موقعها كوسيط بين تيارات الحركة الوطنية والحكومة الاستعمارية التي كان يسيطر عليها اليساريون.

وبالإضافة إلى الفرصة التاريخية لوصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا سنة 1936، كعامل مؤثر ساعد بشكل كبير في خلق هامش حركة أمام الحزب الشيوعي الجزائري داخليا، كان العامل الخارجي الأهم الذي تحكم في المنحى العام لتوجهات الحزب الشيوعي الجزائري، وحتى بالنسبة لسياسة أخيه الأكبر[43]، يتلخص في الانعكاسات السياسية المباشرة للتقارب الذي حصل بين فرنسا والاتحاد السوفياتي وفي سنوات 1935-1938 والذي جاء الإعلان الرسمي عنه في البيان الشهير بـــ"بيان ستالين –لافال (274) .

فبعد ذلك التقارب حدث انعطاف كبير في خطابات وتوجهات الحزب الشيوعي الفرنسي، وكان الاهتمام الأولي هو دعم التقارب الفرانكو–سوفياتي على حساب قضايا الشمال الإفريقي، ويذهب اليسار الفرنسي دنيس بارجي إلى توضيح خلفية ذلك الوضع الذي أصبح عليه الحزب الشيوعي الفرنسي في منتصف الثلاثينيات قائلا: "لقد اتصف الأداء الإيديولوجي للحزب الشيوعي الفرنسي في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية بالستالينية، ووضع الحزب نفسه في سياسته الخارجية كتابع لموسكو، حتى كان كل فعل سوفياتي موضع إشادة وتعظيم، ويتم إتباعه دون شرط أو تحفظ"(275)

ولم ينس الحزب الشيوعي الفرنسي المزاوجة بين الطاعة العمياء لموسكو، وبين أداء فروض الولاء للدولة الفرنسية، فقد كان الحزب يحشد الطبقة العمالية في سنة 1936 للالتفاف حول النظام السياسي في فرنسا (الجبهة الشعبية)(276) .

والغريب في الأمر أنه في الوقت الذي كان فيه موريس توريز ورفاقه ينطلقون من المفهوم الاستعماري الشهير القائم على مقولة "لا وجود لجمهورية قوية دون إمبراطورية واسعة" في معارضتهم لأية فكرة استقلالية في المستعمرات. كان الشيوعيون في الجزائر يعزفون على أنغام نشيد: "أواصر الأخوة المتينة التي تربط بين الشعب الجزائري والشعب العظيم في فرنسا"(277) .

كانت سياسة الحزب الشيوعي الجزائري الداخلية ومواقفه شبيهة مع تلك التي كان نظيره الفرنسي يتبناها، وفي بعض الأحيان متماثلة معها، وغالبا ما كانت تخضع لما تمليه الظروف السياسية. ففي الفترة الممتدة من عام 1935 إلى عشية الحرب العالمي الثانية سنة 1939 اقترب الشيوعيون الجزائريون من المنتخبين المسلمين (النخبة(278) (ومن جمعية العلماء المسلمين في المؤتمر الإسلامي (1936–1937) إلى درجة كبيرة بلغت حد الثناء على رئيس الجمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي، حتى أن عمار أوزقان الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري كتب في مذكراته واصفا الرجل بقوله:" كان ابن باديس مصلحا، ثوريا خالصا، وحكيما لا يطلب من كل مرحلة تاريخية أكثر مما تقدر أن تعطي "(279)

وعلى النقيض من تلك الحال، قاطع الشيوعيون حركة مصالي الحاج (النجم ثم حزب الشعب من بعده)، ودخلوا في صراع دائم معها، حتى أن قادة الحزب الشيوعي الجزائري كانوا يعتبرون جماعة مصالي و أنصاره بأنهم "مشاغبين و عملاء للفاشية الدولية ". و يذهب أوزقان عند الاستهزاء بفكرة الثورة والاستقلال لدى أنصار التيار الاستقلالي إلى وصف دعاة تلك الفكرة بأنهم "ديوك الليل التي تبشر بالصباح قبل الأوان ")(280) .

وفي الواقع، لم تكن مواقف الشيوعيين من بقية تيارات الحركة الوطنية ثابتة، إذ ما استثنينا حالة العداء والصدام مع الاستقلاليين في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية، فقد كان فرحات عباس والدكتور سعدان برجوازيين في أنظارهم إذا ما صادف أن أبديا مواقف معارضة للحكومات اليسارية في فرنسا، أما شيوخ الجمعية مثل ابن باديس و الإبراهيمي فقد كانوا زعماء للتجديد الإسلامي و لنهضة اللغة العربية في الجزائر عندما كان الشيوعيون إلى جانب الجمعية في تحالف المؤتمر الإسلامي عامي 1936-1937.

أما فيما بعد فقد أصبح الحزب الشيوعي يتعامل مع شيوخ جمعية العلماء كخصوم متطرفين و زعماء رجعيين، كما كان الشيوعيون الجزائريون يتهمون أتباع نحم شمال افريقيا وأنصار حزب الشعب بأنهم منشقين تروتسكيين[51] . ولم يبد الحزب الشيوعي أدنى احتجاج عند حل النجم في جانفي 1937 ، وعند إدانة بعض زعمائه أمام المحاكم الفرنسية في 27 أوت 1937 م (281) .

دخلت الحركة الوطنية في فترة سكون وسبات في السنوات الأولى للحرب العالمية الثانية، ولم يكن ذلك الحال بمحض الإرادة، وإنما بفعل سياسة التضييق و التعسف التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية لتفادي خروج الأوضاع في المستعمرات عن نطاق السيطرة. لقد انكفأ العلماء على أنفسهم بعد فقدانهم للشخصية الكارزمية القائدة بوفاة الشيخ عبد الحميد ابن باديس في 16 افريل 1940، واضمحل تأثير الشيوعيين الجزائريين بعدما انفصمت عرى المؤتمر الإسلامي في الجزائر، وفشل اليسار في البقاء على سدة الحكم في فرنسا.

كما تعرض حزب الشعب الذي أنشأه مصالي الحاج و أنصاره في مارس 1937 إلى الحل قبيل أيام قليلة من بداية الحرب العالمية

الثانية (أواخر أوت 1939)، لكن تطورات الحرب في أوروبا وانعكاساتها المباشرة في الجبهات الخارجية، سمحت بظهور ردود فعل كثيرة في المستعمرات التي وجدت نفسها طرفا من الأطراف المتحاربة بفعل لجوء القوى الاستعمارية إلى التجنيد الإجباري .

في 12 فيفري 1943 ظهر"بيان الشعب الجزائري " على يد الزعيم الجديد لتيار النخبة، فرحات عباس، وسرعان ما وجدت المبادرة التفافا و قبولا واسعين من قادة جمعية العلماء، و من طرف مصالي الحاج وأنصاره الذين كانوا يتحركون في السرية بعد حل حزب الشعب، لكن الحزب الشيوعي بقي الغائب الوحيد عن المناسبة التي غدت فيما بعد الجبهة الثانية في تجربة الحركة الوطنية.

وعلى الرغم من الردود السلبية التي تلقاها دعاة البيان من قيادة جيوش الحلفاء، ومن كبار الساسة والعسكريين الفرنسيين في الجزائر طيلة عامي 1942-1943 (282) إلا أن "حكومة فرنسا الحرة" أعطت هامشا جديدا للحركة بالنسبة لأنصار البيان الجزائري في 07 مارس 1944م (283) فكان رد الفعل ميلاد حركة أحباب البيان والحرية في شكل تجمع لتيارات الحركة الوطنية باستثناء الحزب الشيوعي الجزائري في 14 مارس 1944.

في تلك الأثناء كان الشيوعيون الفرنسيون أكثر تركيزا المتردية التي تمخضت عنها الحرب في فرنسا، بعد الانكسار الكبير في جوان 1940 والذي تلاه قيام حكومة فيشي المتعاونة مع النازية والمعادية لحكومة فرنسا الحرة وللشيوعيين.

بينما بقي الحزب الشيوعي الجزائري بمعزل عن الأحداث في الجزائر ولم يسجل أي نشاط بارز للشيوعيين الجزائريين(284) كنتيجة مباشرة بعدم مشاركتهم في حركة أحباب البيان والحرية التي نجح فيها فرحات عبس في جمع النواب المنتخبين والعلماء وحزب الشعب والطلبة[56].

لقد كان تشكيل حركة أحباب البيان والحرية بمثابة الرد الوطني الرافض للبنود الستة التي جاءت بها أمرية. 07 مارس 1944، والتي حاول من خلالها دوغول إعادة نسخ مشروع فيوليت في طبعة جديدة ومقايضة حصول الجزائريين على بعض المكاسب السياسية بالمشاركة الرابعة في الحرب العالمية الثانية إلى جانب فرنسا.

وفي الوقت الذي رفضت فيه كل التيارات الوطنية "الإصلاحات الفرنسي" رحب الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري بمبادرة دوغول واعتبارها تقدما كبيرا(285) ، والغريب أن الشيوعيين في فرنسا كانوا هذه المرة في موقف المعرضة لاقتراحات 07 مارس 1944 وظهروا في وضع "الملكيين أكثر من الملك والأكثر وطنية من كل الفرنسيين"(286) على حد تعبير جين غلوري.

إن ما يمكن تقريره بالنسبة لتطور علاقة الحزب الجزائري بتيارات الحركة الوطنية وتطور مطالبه السياسية في المرحلة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية (1942-1945). هو أن تلك العلاقة عرفت فتورا شديدا بعد فشل تجربة الجبهة الشعبية، بل تحولت إلى مواقف عدائية من قبل الشيوعيين الجزائريين اتجاه الاستقلاليين في التنظيم السري لحزب الشعب.

لقد كان الوطنيون في هذه الفترة يواجهون كل محاولة للإدماج، حتى النخبة التي كان على رأسها فرحات عباس تراجعت عن اندماجيتها، وراحت تطرح توجهات فدرالية تضمنت الدعوة إلى الاستقلال الذاتي وإلى حق تقرير المصير، لكن الشيوعيين كانوا يسيرون عكس هذا التيار، ولم يرتبطوا بالمطالبة بالدولة الجزائرية(287) وإنما ركزوا جهودهم لمقاومة الإقطاعيين، وكانت مطالبهم الأساسية: المساواة في الأجور، الحقوق الاجتماعية، مكافحة الأمية، حرية العمل النقابي، حرية التعليم باللغة العربية(288) .

إن بعض هذه المطالب كان يشكل أرضية مع بقية التيارات الوطنية، لكن الاختلاف المحوري كان يتمثل في منطلقات وأهداف العمل السياسي بالنسبة للحزب الشيوعي الجزائري الذي كان يتجاوز القضايا الوطنية المصيرية مثل المطالبة بالاستقلال وتصفية الهيمنة الاستعمارية، لصالح الانخراط في معارك دونكشوتية (وهمية)، إلى جانب الأممية الشيوعية الثالثة والحزب الشيوعي الفرنسي والتنظيمات اليسارية التي كانت تدور في فلكها.

في الأيام الأولى من شهر ماي 1945 انتهت الحرب العالمية الثانية في أجواء احتفالية في أوربا وأمريكا، لكن الأجواء في الجزائر لم تستمر على ذلك الحال طويلا، فسرعان ما آلت إلى نهاية مأساوية

وصفها رئيس جمعية العلماء آنذاك الشيخ البشير الإبراهيمي"بالأيام المظلمة الجوانب بالظلم والمطرزة الحواشي بالدماء المطلولة(289)

لقد تحولت المظاهرات التي أذنت السلطات الاستعمارية للجزائريين بتنظيمها لمشاركة الأوربيين في الاحتفال بانتصار الحلفاء على النازية(290) في أيام قليلة إلى مجازر منظمة ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من الجزائريين(291) وذلك بعدما وقفت الإدارة الاستعمارية على حقيقة تحول تلك المظاهرات، إلى أول استعراض للقوة بصورة سلمية في وجهها من طرف الجزائريين، الذين رفعوا شعارات حزب الشعب التي كانت تنادي بالاستقلال والتحرر من الهيمنة الاستعمارية.

كانت الانتفاضة الشعبية تنذر بالشمول والاشتداد، فجاءت ردود الفعل الاستعمارية قمعية ومفرطة في الوحشية والدموية، اعتبرها الساسة والقادة العسكريون مجرد إجراء وقائي لتفادي تحول الحركة الشعبية إلى ثورة عارمة شبيهة بتلك التي هددت الكيان الاستعماري في سنة 1871.

ولم تكتفي الإدارة الاستعمارية بإخماد الانتفاضة وقمع المظاهرات، وإنما سارعت إلى إحكام الخنق على الجزائريين، بتوجيه ضربات موجعة للأحزاب الوطنية، ولتبرير ذلك المسعى قامت السلطة الاستعمارية بالتحقيق في الأحداث، وشرعت في إلحاق التهم بالعديد من الأطراف بنية توسيع ظاهرة القمع والعقاب ليشمل مختلف تيارات الحركة الوطنية.

أشارة لجنة التحقيق التي أرسلتها الإدارة الاستعمارية من باريس للنظر في المسؤولية المحتملة لمختلف الأطراف والتنظيمات في الجزائر كالإدارة العامة والكولون والأوساط الأهلية (الجمعيات الإسلامية والأحزاب الوطنية) إلى مسؤولية حركة أحباب البيان والحرية في إثارة الأحداث وفي توجيهها. وجاء في التقرير الشهير باسم الجنرال توبير (THUBER) الذي ترأس اللجنة ما يلي: "أنه تحت تأثير الدعاية المركزة لأحباب البيان والحرية، والعلماء، والمصاليين، خاضت العديد من القرى والدواوير مواجهة عمياء لعدة أيام، فتم إخضاعها بسرعة عن طريق القمع الفعال"(292) .

وجاء في تصريح عبر الراديو لوزير الداخلية الفرنسي تيكسي TEXIER بتاريخ 30 جوان 1945 ما يلي: "إن الداعيين والمنفذين أصبحوا معرفين بالنسبة لنا ... إن أغلبيتهم عناصر تنتمي إلى حركة أحباب البيان والحرية، وإلى الفروع المحلية لحزب الشعب الجزائري المحظور والسري ..."(293) .

تعرضت حركت أحباب البيان والحرية إثر أحداث ماي 1945 إلى الحل وتم اعتقال ونفي قادتها داخل البلاد وخارجها (فرحات عباس ومصالي الحاج و الإبراهيمي)، وطالت الإجراءات التعسفية جميع الأطراف المشاركة فيها، فقد قامت السلطات الاستعمارية باعتقال عدد من شيوخ جمعية العلماء، وأغلقت مدارسها بالمناطق الشرقية للبلاد، كما اعتقلت المئات من مناضلي حزب الشعب الجزائري.

"يومئذ، لم يمن الزعماء الشيوعيون إلى جانب شعبهم، في الوقت الذي كان فيه من بين القتلى شيوعيين"(294)

وظل الوطنيون ينتظرون من الشيوعيين الجزائريين اتخاذ مواقف ملموسة تدعمهم على المستوى العملي في مواجهة الاستعمار، كما كانوا ينتظرون منهم أيضا تحقيق استقلاليتهم عن الحزب الشيوعي الفرنسي.

لكن ذلك لم يحدث، وأدهى من كل ما سبق، وصف الحزب الشيوعي الجزائري أحداث ماي 1945 بأنها نشاط لعناصر فاشية(295) وجاء في جريدة الحزب "الحرية" (LEBERTE) في 24 ماي 1945 في الرد على الاتهامات التي وجهها الكولون للشيوعيين بالمشاركة في الأحداث ما يلي: "كيف يمكن الظن بأن الشيوعيين يتعاونون مع الوطنيين المزيفين لحزب الشعب الجزائري، الذين نددنا بهم باعتبارهم جواسيس للحكومة العامة، وجرمين في خدمة الفاشية؟"، وعلى صفحات نفس الجريدة صرح أحد قادة الحزب الشيوعي الجزائري (ليون فيكس) قائلا: " يجب معاقبة مدبري الاضطرابات بدون رحمة، إنني أفضل الظلم والقمع على الفوضى، إن مدبري الأحداث من أتباع حزب الشعب ليسوا سوى أدوات إجرامية للخيانة العظمى"(296)

لقد كان موقف الحزب الشيوعي الجزائري من أحداث ماي 1945 الأكثر سلبية في مساره السياسي منذ نشأته سنة 1935 وحتى تاريخ قيامه بحل نفسه عام 1956، فبالرغم من فظاعة الجريمة التي ارتكبتها السلطة الاستعمارية في حق الشعب الجزائري، إلا أن المشاعر

الوطنية لم تستيقظ في أعماق الشيوعيين بفعل هول الصدمة التي عرفتها البلاد طيلة أيام شهر ماي 1945.

ولم تكن السلبية في الموقف الذي اتخذ من حزب الشعب فحسب، وإنما في محاولة البيانات والتصريحات التي صدرت عن الحزب الشيوعي الجزائري، تبرئة الإدارة ومن وراءها الجيش الفرنسي وجحافل الكولون. من تبعية المجازر، وإلحاقها بالتيار الاستقلالي بعد كيل الاتهامات له بالرجعية والعمالة للفاشية.كان موقف الشيوعيين الجزائريين سنة 1945 معبرا بشكل جلي عن انسلاخ حزبهم عن الواقع الجزائري، وعن مدى تحوله إلى وسيلة وأداة في خدمة الإدارة الاستعمارية، وقد كان لذلك انعكاسا مباشرا في زيادة حجم اغترابه ومانعا كبيرا أمام تأصله في البيئة الجزائرية (297)

ومن جهة أخرى استمرت علاقة الولاء والارتباط التي كانت تجمعه بالحزب الشيوعي الفرنسي، الذي غالبا ما كانت صحيفته الشهيرة "الإنسانية" (L'HUMANITE) تحمل في طياتها توجيهات الرفيق موريس توريز للشيوعيين الجزائريين، ولم يكن من المصادفة في شيء من المواقف المحلية من أحداث ماي 1945 مع تلك الآتية من وراء البحار.

فقد أشارت صحيفة "الإنسانية" بمناسبة مجازر ماي 1945 إلى أن حزب الشعب الجزائري، ليس سوى مجرد عميلا للألمان والفاشيين وبقايا نظام فيشي، ولذلك نصحت الصحيفة بضرورة تسليط العقاب على القتلة الذين وصفتهم بـــ "الهتلريين" في إشارة إلى الزعماء الوطنيين (280).

خلاصة :

ليس من المتاح ومن السهولة في الدراسات التاريخية الانتهاء إلى تقرير نتائج بشكل نهائي، لذلك لن تزعم هذه المحاولة تحقيق مثل ذلك، فالهدف منها هو السعي نحو جذب الباحث إلى إعادة قراءة المادة التاريخية في موضوع تطور العلاقة بيني تيارات الحركة الوطنية والحركة الشيوعية في النصف الأول من القرن العشرين.

وأيضا دفع القارئ إلى الإحاطة بمواضيع مقروئيتها شبه معدومة، على الرغم من أهميتها البالغة في التاريخ الوطني المعاصر.

تلك الأهمية التي تنبع من ارتباط الحركة الوطنية بالحركة الشيوعية في في مرحلة النشأة والتكوين (1926-1928)، والتي تميزت فيها العلاقة بمحاولات الوصايا والاحتواء، ثم بالتقارب والتحالف (1935-1936)، وانتهاءا بالصراع والعداء في مرحلتها الأخيرة (1936-1945).

عند ختام هذه الدراسة الموجزة يمكن تقرير جملة من لنتائج التاريخية التي تمخضت عن تطور العلاقة بين التيارات الوطنية الجزائرية والتنظيمات الشيوعية الأممية والإقليمية، مثل الكومنترن والحزب الشيوعي الفرنسي، وما نتج عن تجربة اليسار الجزائري وتطور علاقته بالمحيط السياسي والاجتماعي في الجزائر في الفترة الممتدة من 1935 إلى 1945.

1- رغم العلاقة المبكرة للشيوعيين الجزائريين (من الأقلية الأوربية) بالحركة الشيوعية العالمية وبالحزب الشيوعي الفرنسي والتي تعود إلى مؤتمر تور سنة 1920. إلا أنهم لم يتمكنوا من تحويل حركتهم إلى تيار فاعل في الجزائر في العشرينيات.

2- إن أهم ما ميز أداء اليسشاريين الجزائريين في الفترة الممتدة من بداية الاحتكاك باليسار العالمي، إلى مطلع الثلاثينيات (1920-1930)، وهو فشلهم في التحرر من هيمنة اليسار الفرنسي، حتى بعد إنشاء الفدرالية الشيوعية الجزائرية سنة 1924.

3- شكلت الأيديولوجية الماركسية لدى الشيوعيين الفرنسيين والجزائريين، إلى جانب تبعية الأحزاب الشيوعية في سياسيتها الخارجية للحزب الشيوعي السوفياتي، عائقا كبيرا أمام تبني الحركات

اليسارية في المستعمرات للمطالب الوطنية، ومنعتها من امتلاك هامش حركة خاص بها في وسطها السياسي (على المستوى القطري).

4- سيطرة الأوربيين في صفوف الحزب الشيوعي الجزائري، وسيطرة التصورات الشيوعية المتمحورة حول صراع الطبقات والسعي نحو بناء عالم إمبراطورية البروليتاريا، كانت حواجز أمام انتقال اليسار الجزائري إلى المطالبة بالاستقلال، وتبني فكرة التحرر عن طريق الثورة في وجه الاستعمار بالتحالف مع القوى الوطنية.

5- من الانعكاسات الإيجابية في علاقة الحركة الوطنية الجزائرية بالحركة الشيوعية العالمية، أن هذه الأخيرة ساهمت في رفع مستوى الوعي السياسي والتنظيمي للرعيل الأول من قادة الأحزاب السياسية، (رواد نجم شمال أفريقيا)، فقد شكلت النقابات العمالية التي كان يسيطر عليها الشيوعيون في فرنسا الكون فدرالية العامة للعمال المتحدين (C. G. T.U) ، المدارس السياسية الأولى بالنسبة لمصالي الحاج، بنون آكلي، راجف بالقاسم، حاج على عبد القادر، محمد معروف والجيلالي محمد السعيد وغيرهم.

6- كان الانتماء لإسلام وسيلة متميزة للمحافظة على الهوية بالنسبة للشعب الجزائري، الذي تعرض إلى أكثر أشكال الاستعمار قمعا وطغيانا، لذلك كانت جاذبية الشيوعية ضعيفة في أعين الجزائريين، فكان انخراطهم في صفوف الأحزاب اليسارية يكاد يكون معدوما.

7- كانت إستراتيجية الحزب الشيوعي الجزائري بعد تأسيسه في سنة 1935، تهدف إلى التحالف في جبهات سياسية مع تيار الحركة الوطنية لتجاوز معضلة الضعف الكامن فيه، والمتمثلة في ضآلة القاعدة الشعبية له، واستمرت هذه الاستراتيجية حتى في السنوات الأولى للثورة التحريرية. وفي الوقت ذاته كانت خطة الحزب الشيوعي الفرنسي الوصي عليه تهدف إلى احتواء الحركة الوطنية، عندما أتاحت لها الظروف السياسية فرصا لذلك مثل تجربة النجم (1926-1928)، وتجربة المؤتمر الإسلامي (1936-1937).

8- لقد كانت حالة الإعاقة الجمود التي ميزت أداء اليسار الجزائري في جوهرها نتيجة حتمية للتصور الذي كان شائعا في الأوساط الشيوعية الفرنسية، والذي كان يذهب إلى الاعتقاد بأن الطريق نحو تحرير الجزائر وبقية المستعمرات، يجب أن يمر عبر الثورة البروليتارية في فرنسا ذاتها. ولهذا السبب ظل الشيوعيون في الجزائر عاجزين عن تحليل الوضعية الاستعمارية من منظور مشترك مع التيارات الوطنية الأخرى، وبقوا أيضا أسرى للتوجيهات التي كانت ترد عليهم مني الضفة الشمالية للمتوسط.

هوامش الفصل الثاني :

(1)سعد الله ،محاضرات في تاريخ الجزائر ... مرجع سابق ،ص 65
(2)نفسه ،ص 66
(3)سعد الله ،الحركة الوطنية ...،ج 2 ، ص 28
سعد الله ، محاضرات ...،ص 67
أنظركذلك : جمال قنان ، قضايا ودراسات ... ، مرجع سابق ،ص ص 159-161
(5)نفسه ،ص 161
(6)سعد الله ، الحركة الوطنية ... ،ج 1 ،القسم الأول ، ص ص 109- 110
(7)حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ،تقديم وتحقيق محمد بن عند الكريم ،دار مكتبة الحياة ،بيروت لبنان ،1972 ، ص 90
(8) بوحوش ،مرجع سايق ،ص 95
(9) قنان ،دراسات في المقاومة والإستعمار ،ص 13
(10) محمد بن عبد الكريم ،المرجع السابق ، ص 154
(11) نفسه ،ص 160
(12) نفسه ،ص ص 163- 164
(13) نفسه ،ص 169
(14) بوعزيز ،ثورات الجزائر ، ج 1 ،ص ص 66-67
(15) محمد بن عبد الكريم ، ص ص 172-176
(16) جمال قنان ،" جذور ثورة أول نوفمبر 1954" الذاكرة ،عدد 5 ،سنة 1998 ،ص 13
أنظر كذلك ، قنان ،قضايا ودراسات ... ،ص 163

(17) حمدان بن عثمان خوجة ،المرآة ،تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ، الطبعة الثانية ،1982، ص ص 132-147

(18) عبد الجليل التميمي ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816 -1871) الدار التونسية ،مؤسسة زغوان ،الطبعة الأولى ،1972 ،ص ص 168-169

(19) حميدة عميراوي ،دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840) ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر إشراف الدكتور توفيق برو ،السنة الجامعية 1982- 1983 جامعة الجزائر ،ص 130

(20)التميمي ،بحوث ووثائق ،ص 172

أنظر كذلك : عميراوي ،ص 130

(21) GEORGE YVER " SI HAMDANE BEN OTHMAN KHODJA" **REVUE AFRICAINE** ANNEE 1913 P. 120

(22) عميراوي ،ص 100

(23) نفسه ،

(24) التميمي ،بحوث ووثائق نص 179

(25) سعد الله ، الحركة الوطنية ،ج 1 ،القسم الأول ،ص 34

(26) عميراوي ،ص 136

(27) نفسه ،ص 151

(28) سعد الله ، رائد التج ديد الإسلامي محمد ابن العنابي ،دار الغرب الاسلامي ،طبعة ثانية 2000 ص ص 21-22

تجد تفاصيل عن نشاط الشخص فالصفحات التالية ص ص 29-38

(29) سعد الله ،ص الحركة الوطنية ،ج1 ،القسم الأول ،ص ص 114-115

(30) حمدان خوجة المرآة ،تعريب الزبيري ....،ص 250

(31) نفشه ،ص 260

أنظر كذلك : سعد الله ،ابن العنابي ،ص ص 40-41

(32) حمدان خوجة ،المرآة ،تعريب الزبيري ....،ص 261

(33) سعد الله ،ابن العنابي ،ص ص 41

(34) سعد الله ،محاضرات ... ،ص 75

(35) حمدان خوجة ،المرآة ...ص 141

(36) سعد الله ، محاضرات ،ص 76

(37) نفسه ،ص 77

(38) سعد الله ، الحركة الوطنية ،ج1 القسم الاول ،ص 111

(39) T1 PELLISSIER DE RAYNAUD ANNALES ALGERIENNES NOUVELLE EDITION PARIS 1854 P 77

(40) سعد الله ، الحركة الوطنية ،ج1 القسم الأول ،ص ص 11-112
(41) نفسه ،ص ص 112-113
(42) أنظر تفاصيلها عند : حمدان خوجة المرآة ،تعريب الزبيري ،ص ص 171-201
(43) سعد الله ، الحركة الوطنية ،ج1 ص 113
(44) نفسه نص ص 117- 118
(45) حمدان خوجة ،المرآة ،ص 244
(46) سعد الله ،محاضرات ، ص 69
(47) نفسه ص ص 70-71 .
(48)- من المهم هنا الإشارة إلى أن هذا القول ذهب إليه عدد من المؤرخين الجزائريين من أمثال جمال قنان وأبو القاسم سعد الله، وقد أقر المؤرخ الفرنسي برونو اتيين مؤخرا بهذه الحقيقة بقوله:" لم تقدر قيمة المقاومة الجزائرية وأسيئت قراءتها، باعتبار أن التاريخ يكتبه المنتصرون خاصة". أنظر برونو ايتيين، عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، المؤسسة الوطنية لنشر والاتصال، ط2، الجزائر، 2001، ص26.
(49)- شهدت السنوات القليلة الماضية تأسيس العديد من المؤسسات التاريخية التي انتسبت في تسميتها إلى رموز المقاومات الشعبية مثل مؤسسة الأمير عبد القادر وأحمد باي والمقراني وغيرها. لكنها للأسف الشديد لم تنجح لحد الآن في تفعيل البحث التاريخي وتشجيع الاهتمام بميراث المقاومة، حتى أنه لا توجد مؤسسة واحدة من بينها تقوم بإصدار دورية منتظمة.
(50)- يعود الفضل في الكثير من هذه المساعي إلى وزارة المجاهدين وعدد من مراكز البحث التابعة لها، ويمكن القول بأنها ساهمت بقدر كبير في بعث الاهتمام بالتاريخ الوطني على الرغم من النقائص الكثيرة فيما يتعلق بالمنهج الذي أضفى في بعض الأحيان الطابع الانتقائي و الجهوي في توجيه تلك الجهود.
(51)- لايزال الاهتمام الفرنسي بالتاريخ الجزائري قائما إلى اليوم وبوتيره اتضحت معالمها مع قيام دور النشر الفرنسية الكبرى بإعادة طبع ونشر الكتابات الفرنسية القديمة والعديد من الدراسات الجديدة لعدد كبير من المؤرخين من أمثال بنجمين سطورا وبرونو ايتيين وجيلبرت مينيي وغيرهم.
(52)- جمال قنان ،قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر،منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1995،ص105.
(53)- نفسه،ص103.
(54)- أبو القاسم سعد الله،الحركة والوطنية،ج1،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1992،ص120.
(55)- جمال قنان،المرجع السابق،ص107.
(56)- مارسيل ايغريتو،حقيقة الأمة الجزائرية،منشورات سوسيال،باريس،1961،ص54(بالفرنسية).

(57)- أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ص117.
(58)- نفسه،ص130.
(59)- مارسيل ايغريتو،المرجع السابق،ص55.
(60)- برونو ايتين،المرجع السابق،ص135.
(61)- أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق ص141.
(62)- برونو ايتيين،المرجع السابق،ص137.
(63)- نزار أباظة، الأمير عبد القادر المجاهد،ط1،دار الفكر،(بيروت،دمشق)،1994،ص10.
(64)- محمد الطيب العلوي،مظاهر المقاومة الجزائرية1830-1954،منشورات وزارة المجاهدين ،ط3،الجزائر،2000،ص45. - نفسه،ص48.
جمال قنان،قضايا ودراسات،ص105
(20)- سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج4،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1996،ص180.
(21)- مارسيل ايغريتو، المرجع السابق،ص59.
(65)- يحي بوعزيز،الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري،ش.و.ن.ت،الجزائر،ص105.
(66)نفسه،ص108.
(67)- نفسه،ص110.
(68)- جمال قنان، دراسات المقاومة والاستعمار، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1998، ص46.
(69)- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر،أبو القاسم سعد الله،ط2،الجزائر،1982،ص140.
(70)- نزار أباظة، المرجع السابق، ص11.
(71)- مصطفى بن التهامي كان زوجا لشقيقة الأميرة خديجة، وكان ابنا لعمته جمع بينه وبين الأمير منذ صباهما وغدا فيما بعد قائدا لمعسكره ورفيق دربه في سجون فرنسا وفي منفاه بالشام،أنظر برونو ايتيين ،المرجع السابق،ص92-93.
(72) للاحاطة بخلفاء الأمير عبد القادر وقادة جيوشه، أنظر أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية،ج1،ص197-199.
(73)- مارسيل ايغريتو، المرجع السابق، ص56.
(74)- نفسه، ص61.
(75)- نزار أباظة، المرجع السابق، ص12
(75)- برونو ايتين،المرجع السابق،ص129.
(77)- يحي بوعزيز، جهود الأمير عبد القادر في تدعيم الجبهة الشرقية، مجلة الأصالة، العدد48،أوت1997،ص2-3.
(78)- محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص65.

(79)- جمال قنان، قضايا ودراسات، ص103.
(80)- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ط1، ص141.
(81)- شهدت السنوات التي سبقت تعرض قسنطينة للحملات الفرنسية قيام لأحمد باي بتصفية العديد من الانكشاريين، وتعرضت سلطه لمنافسة وزيره إبرهيم الكريتلي. في المقابل نجح أحمد باي في توظيف نفوذ أخواله من آل بن قانة في الزيبان، وفي استمالة قبائل أولاد عاشور في فرجيوة التي يتمني إليها القائد العسكري على بن عيسى، وساعده النفوذ الواسع لشيخ الاسلام محمد بن الفكون الذي كان على رأس المبايعين له بعد عودته من الجزائر العاصمة.
(82)- مارسيل ايغريتو، المرجع السابق، ص56.
(83)- يحي بوعزيز،مع تاريخ الجزائر في الملتقيات،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999،ص311. وأنظر أيضا: مجلة الدراسات التاريخية، العدد05، 1998، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ص152-154.
(84)- جمال قنان، قضايا ودراسات، المرجع السابق، ص104.
(85)- سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ط1، ص03.
(86)- مجلة الأصالة، العدد48، 1997، ص03.
(87)- محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص24.
(88)- يحي بوعزيز، المقاومة الجزائرية في القرن19، مجلة الدراسات التاريخية، العدد05، 1988، ص150-174.أنظر العلوي، نفسه، ص23.
(89)- يحي بوعزيز، نفسه، ص160.
(90)-نفسه، ص161.
(91)- أنظر في هذا مقال سعد الله المعنون "الأستاذ جوليان والتاريخ الجزائري" في كتابه: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990، ص59-77.
(92)- يحي بوعزيز، نفسه، ص164.
(93)- جمال قنان، قضايا ودراسات، المرجع السابق، ص107.
(94)- سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ط1، ص117.
(95)-نفسه، ص117
(96)- لا يجب أن يفهم من هذا الجمع بين الزعامتين الروحية والزمنية في شخص الأمير بأنه كان نتيجة لا استيلاء بالقوة، وإنما كان بفعل الإجماع على شخصه لما تميز به منصفات العالم المجاهد والقائد العسكري الفذ حتى أن أحد المؤرخين الفرنسيين في دراسة مقارنة له حول كل من الأمير عبد القادر والأمير الخطابي ذهب إلى تأكيد أن الأمير عبد القادر كان شديد الاعتماد في المقاومة وبناء الدولة على العلماء أكثر من اعتماده على الزعامات القبلية.أنظر :سعد الله،نفسه،ص272.
(97)- جمال قنان، قضايا ودراسات، المرجع السابق، ص105.
(98)- سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ط1، ص117.

(99)- يحي بوعزيز، حروب المقاومة كما صورتها الكتابات الفرنسية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد05، 1988، ص159-160.
(100)- محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص79.
(101)- يحي بوعزيز، نفسه، ص160.
(102)- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات، ص308.
(103)-غانم محمد، مقاومة الأمير عبد القادر من خلال الايستوغرافية المغربية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد08، 1993-1994، ص38.
(104)- مجلة الدراسات التاريخية، العدد05، 1988، ص160.
(105)-أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3،(ش.و.ن.ت)الجزائر، 1982، ص71، ص83.
(106)- تجدر الاشارة إلى أن هذه القاعدة الريفية ذاتها التي ستشكل الضن العريض للثورة التحريرية الكبرى بعد المأزق الشديد الذي انتهت إليه تجربة العمل السياسي في المناطق الحضرية في السنوات1950-1954.
(107)- مارسيل ايغريتو، المرجع السابق، ص54.
(108)- العلوي، المرجع السابق، ص80-81.
(109)- يحي بوعزيز، أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ، مجلة الدراسات التاريخية، العدد09، 1995، ص173-228.
(110)- شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص54.
(111)-نفسه، ص140.
(112)-لأن الاحتلال استهدفت السكان وثروات البلاد على حد سواء إلى درجة صرح فيها المارشال بيجو أمام الأشجار والزرع كانت تمثل أهدافا عسكرية في مواجهة مقاومة الأمير عبد القادر، ولعله بالإمكان الجزم اليوم بأن انتصارات الجيوش الغازية لم يكن بها أدنى مستوى من الفخر العسكري.
(113)- لا يكفي حيز هذه الدراسة لاستعراض صفحات الكتاب الأسود الضخم لجرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر التي اقترفت بأيدي قادة الغزو من أمثال روفيقو وبيليسيي و بيجو وسانت أرنو وغيرهم من السفاحين لأنه يحتاج إلى دراسة ضخمة وقائمة بذاتها.
(114)-محمد سي يوسف، ملاحظات حول كتاب"بوبغلة" مجلة الدراسات التاريخية، العدد05، 1988، ص190.
(115)- سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ط1، ص144.
(116)-نفسه، ص176-177.
(117)- لم ينقلب فقط بعض خلفاء الأمير على أعقابهم، وإنما كان إلى جانبهم عدد من أبرز وجوه المقاومة مثل الباشاغا بلقاسم أوقاسي الذي عده أبو القاسم من أبرز زعماء المقاومة في المتيجة في 1834، ولكنه في 1854 أصبح من أعوان الجيش الاستعماري في مواجهة ثورة بوبغلة.أنظر محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص193-194.

(118)- جمال قنان،قضايا ودراسات، المرجع السابق،ص112.
(119)- في عام 1930 نشرت الإدارة الاستعمارية كتابا دعائيا بعنوان الكتاب الذهبي للجزائر، وقد اسودت صفحات ذلك الكتاب بقوائم لأسماء عائلات وأفراد خدموا الإدارة الفرنسية وانتصبتا كأوثان لخيانة الوطن والدين.حول هذا أنظر: محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص23.
(120)- البخاري حمانة، أسباب فشل ثورة الزعاطشة، مجلة الدراسات التاريخية، العدد09، 1995، ص165-171.
(121)- محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص80.
(122)- أنظر كل من يحي بوعزيز، أضواء على ثورة أولاد سيدي الشيخ، مجلة الدراسات التاريخية، العدد09، 1995، ص173-228. وإبراهيم مياسي، ثورة أولاد سيدي الشيخ، مجلة الذاكرة، العدد03، 1995، ص191-216.

(123) - عين شارل جونار في مهمة مؤقتة في سنتي(1900-1901)، ثم كحاكم عام في الجزائر (1903-1911)، عرف عنه تشجيع الدراسات العربية، وخلال عهده سمح بفتح المدارس العربية الإسلامية في كل من الجزائر العاصمة وتلمسان في سنتي(1904-1905). ويشير علي مراد في دراسته القيمة حول الحركة الإصلاحية إلى أن الشيخ محمد عبدو قام بالثناء على سياسة جونار على صفحات مجلة المنار.
أنظر: علي مراد، الإصلاح الإسلامي في الجزائر (1925-1940)، الطبعة الثانية، منشورات الحكمة، الجزائر، (1999)، ص: 49. (الكتاب بالفرنسية)
وفي سياق الإشارة دائما إلى سياسة جونار يذكر أبو القاسم سعد الله إلى أن جونار كان وراء تشجيع أبو القاسم الحفناوي في تأليفه لموسوعة التراجم الشخصية الشهيرة بعنوان تعريف الخلف برجال السلف التي ظهرت في جزأين في عامي(1906-1907).
أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، (ش، و، ن، ت)، (الجزائر، 1983)، ص:141-143.
(124) - يذهب زهير إحدادن إلى أن صحيفة المصباح كانت تدعو للاندماج و تمجد السياسة الاستعمارية، وكان شعارها لفرنسا بالأهالي.
أنظر: زهير إحدادن، تاريخ الصحافة الأهلية في الجزائر،(م. و. ك)، (الجزائر،1983)، ص:327. (بالفرنسية).
(125) محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية مابين (1847-1939)، (ش. و. ن. ت)، (الجزائر، 1980)، ص: 22.
(126) سعد الله، المرجع السابق، ص:141
(127) أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر،1985)، ص: 73.
(128) زهير إحدادن، المرجع السابق، ص: 328.

(129) عبد المجيد بن عدة، مظاهر الإصلاح الاجتماعي والديني في الجزائر، رسالة ماجستير تحت إشراف د. جمال قنان، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1992-1993، ص: 129.

(130) للاطلاع على قائمة المحاضرات التي نظمتها الجمعية الرشيدية في عام 1907، أنظر سعد الله، المرجع السابق، ص: 146-147.

(131) نفسه، ص: 144.

(132) أبو القاسم سعد الله, تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص:47.

(133) سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق الذكر، ص: 144.

(134) بن عدة، المرجع السابق، ص: 130.

(135) محمد علي دبوز، النهضة الجزائرية الحديثة، الجزء الأول، المطبعة الجزائرية، الجزائر، 1971، ص: 264.

(136) عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص: 132.

(137) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط3، (ش. و. ن. ت) (الجزائر،1983)، ص: 153.

(138) عمار بوحوش، تاريخ الجزائر السياسي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص: 204-205.

(139) فرحات عباس، الاستقلال المصادر، فلاماريون، (باريس،1984)، ص: 203 (الكتاب بالفرنسية).

(140) نفس المرجع، ص: 203-204.

(141) نفسه، ص: 204.

(142) نفسه، ص: 205.

(143) جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المتحف الوطني للمجاهد، (الجزائر،1994)، ص:181.

(144) حول موضوع حركة الجزائر الفتاة راجع كل من: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص:97-103. وشارل روبير أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، المجلد الثاني، منشورات الجامعة الفرنسية، 1968، ص: 1030-1056.

(145) جمال قنان، المرجع السابق، ص:171-173.

(146) دافيد غوردون، ماضي الجزائر الفرنسية، منشورات جامعة أكسفورد، لندن، 1966، ص: 20.

(147) جمال قنان، المرجع السابق، ص: 182.

(148) من أهم الدراسات التي تضمنت تراجم شخصية للأمير خالد يمكن ذكر: كتاب الحياة السياسية في الجزائر العاصمة1919-1939 لمحفوظ قداش، ودراسة

آجيرون في مجلة السياسة الاستعمارية في المغرب المعنونة بـــ الأمير خالد حفيد عبد القادر.

(149- جمال قنان، المرجع السابق، ص: 182.

(150) - سعد الله، المرجع السابق، ص: 306.

(151) - نفسه، ص: 306-307.

(152) - جمال قنان، المرجع السابق، ص: 183.

(153) - نفسه، ص: 182.

(154) - للاطلاع على نتائج الانتخابات التي فازت بها قوائم الحزب الإصلاحي بزعامة الأمير خالد في الفترة1919-1921. راجع: محفوظ قداش، الحياة السياسية في الجزائر(العاصمة) 1919-1939، (ش.و.ن.ت) (الجزائر,1970)، ص: 42. وأيضا: عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 222.

(155) - سعد الله، المرجع السابق، ص:385.

(156) - (20)-جمال قنان، المرجع السابق، ص: 183.

(1)- ما يوافق هذا الطرح هو ما ذهب اليه الأستاذ جمال قنان الذي أشار أن أول وثيقة تضمنت الدعوة إلى استقلال الجزائر كانت في سنة 1916 في لوزان بسويسرا نشر عدد من الجزائريين و السويسريين وثيقة بدعم الأمير شكيب أرسلان بعنوان من أجل استقلال تونس و الجزائر ، و قد جاء هذا في كتابه المعنون بدراسات في المقاومة و الاستعمار ، منشورات متحف المجاهد (الجزائر 1998)، و هو نفس الطرح الذي تبناه من قبل أحد المؤرخين الفرنسيين من ذوي النزعة الاستعمارية . أنظر :

les "l'algerie sous le signe des ultras in" A.P LENTI , cahiers internationaux , III , n°82 , jan 1957. p51.

(2)- يقصد بها كل من الحركة الشيوعية العالمية المعروفة بالأممية الثالثة أو الكومنترن (Komentern)

و الحزب الشيوعي الفرنسي P.C.F و النقابة العامة للعمال (C.G.T) و غيرها من التنظيمات والنقابات اليسارية الأخرى في فرنسا .

(3)HARTMUT – la guerre d'algerie 1954 – 1962 , ed . publusud , 2000,p199. ELSENHENS,

(4)- من مواليد دوار السعادة بالقرب من غيليزان ، متوسط الثقافة باللغتين العربية و الفرنسية . هاجر إلى فرنسا سن 1905 ، تحصل على الجنسية الفرنسية بموجب مرسوم 22 ماي 1911 ، أنضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي ، و تدرج في صفوفه حتى أصبح عضوا في لجنة الادارة و رئيسا لإحدى خلاياها . بعد خروجه من النجم أنقطع ذكره ، و لا يزال تاريخ و فاته غير دقيق بين 1946 و سنة 1952 .

(5)- إبراهيم العسكري ، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية و دور القاعدة الشرقية ، دار البعث قسنطينة 1992 ، ص 50 .

david, gordon , the passing of french –Algeria , oxford London , 1966 , p31. HARTMUT , (6)university press , - ELSENHANS ,op.cit , p209 .

(8) –خلال الاشهر القلية التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة 1939 كان العديد من عناصر الحركة الوطنية الشباب في صفوف حزب الشعب الجزائري يحاولون التنسيق مع النظام النازي في ألمانيا و الفاشي في إيطاليا من أجل الحصول على الدعم للثورة على فرنسا في الجزائر . أنظر :

Julitte , bessis , Maghreb , la traversée du siele , ed l' harmattan, paris , 1997 , p175.

(9) – محمد قنانش ، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919 – 1939 الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر، 1982 ، ص 36.

(10) – هناك العديد من الشارت التي ذكرها مصالي الحاج فيما يتعلق بمسألة العصابة الشيوعية على النجم في بدايات تجربته للإطلاع على ذلك أنظر :

Denis , Berger , '' Massali – hadj et le P.C.F ' , in sou'al , n° 2 juin 1982 , Paris , pp 162 – 166.

(11) – Jean glories , '' quellques observations sur la Revolution Algerienne et de communisme , in : Afrique – Asie , N° 41 , 1er trim , 1957 .pp17 – 18 .

(12) – منصور بن لرتب ، مصالي الحاج ، جريدة الشعب ، 26 جوان 1989 ، ص 02.

(13) – أنظر الملخص لأهم الافكار التي عرضها مصالي الحاج في مؤتمر بروكسل في فيفري 1927 في : جمال قنان : قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، 1994 ، ص 184 .

(14) – Mahfoud , Kaddache , Histoire du nationalisme algerien Tome. II ,ed E.N.L , Alger , 1993 , 1993 ,p 199.

(15) –. Mahfoud , Kaddache , ibid , p231

(16) – أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1983 ، ص 399 .

(17) – عبد الحميد زوزو ، دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919– 1939 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ص 64 .

(18) – محمد قنانش المصدر السابق ، ص 58 .
(19) – أحمد الخطيب ، حزب الشعب الجزائري جذوره التاريخية و نشاطه السياسي و الاجتماعي ، الجزء الأول ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1986 ، ص 180 .
(20) – عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ، ص 85 .
(21) – Ahmed , Mahsas , le Movement Révolutionnaire en algerie de la premiere guerre Mondiale au 1er nov 1954 , ed L'Hharmattan , paris , 1979 , P89.
(22) – عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ، ص 67 .
(23) – محمد قنانش ، المصدر السابق ، ص 59 .
(24) – دون امتلاك القدرة على استحضار جميع المعطيات التاريخية المحيطة بتجربة ما ، شبيهة بالحركة الوطنية الجزائرية تصبح معظم الانتقادات أبعد ما تكون عن الموضوعية و اقرب ما تكون إلى الحامل و الذاتية ، و هذه من أبرز عيوب الكتابة التاريخية الرائجة في الساحة الوطنية اليوم ، بفعل التداخل الغير السليم بين الواقعة التاريخية كما حدثت و القراءة السياسية المعاصرة .
(25) – Massali l'hadj (Mémoires) , texte et etablis par ronand de roche brune , ed . jacques lattes , paris , 1985 , p76 .
(26) – Mahfoud , Kaddache , op.cit, p 352 .
(27) – أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ص : 399 – 401 .
(28) – Les mémoires de Messali l'hadj , op .cit.p188.
(29) – Le cri de peuple algerien , (organe de P.P.A .n° 95 , le 16 Mai 1995. p2.
(30) – محمد قنانش ، المصدر السابق ص.67 .
(31) – Jean glories , op.cit , pp17.18.
(32) – أحمد الخطيب ، المرجع السابق ، ص 183 .
(33) – عمار بوحوش ، نفسه ، ص 296.
(35) – أحمد الخطيب المرجع السابق ، ص 203 .
(36) – يوسف مناصرية ، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية بين الحربين 1919 – 1939 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1988 ، ص 191 .
(37) – عمار بوحوش المرجع السابق ، ص 300 .
(38) – عمار بوحوش نفسه ، ص 301 .
(39) – محمد قنانش ، المصدر السابق ، ص 48 .
(40) – أنظر قراءة تفصيلية في محاور برنامج النجم في المؤلف : محمد العربي الزوبيري ، الثورة في عامها الأول ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، 211 – 212

(1) – حتى التيار الاستقلالي ولد في المهجر، ولم يشرع في الانغراس في أرض الوطن إلا بعد سنة 1936، ولم يظهر أي حزب سياسي جزائري قبل سنة 1935 في الجزائر.

(2) – Jacques Carret, L'association des réformiste d'Algérie, in Afrique – Asie, n°43, 1958 Paris, pp 21-24

(3) – تصنف الدراسات الاستشراقية الإسلام إلى مستويات متعددة بطريقة مستهجنة تنطوي على خلفيات مبيتة. فهناك اسلام العلماء وإسلام العامة، إسلام مغاربي وآخر مشرقي، وهناك إسلام أبيض وآخر أسود، وثالث ثلاثي الألوان ابيض وأحمر وأزرق !!!

(4) – Jacques, Carret, op. cit, pp 21 -26

(5) – Philippe, Tripier, Autopsie de la guerre d'Algérie, ed. France-Empire, Paris, 1972, pp 15-16

(6) – Philippe, Tripier ,Ibid, p 15

(7) – Juliette, Bessis, Le Maghreb La traversée du siècle, ed. l'Harmattan, Paris, 1977,p 66

(8) – J, Bessis, Ibid, p 08 (9) – حول كتابات غير الفرنسيين أنظر:
Hartmut, Elsenhans, La guerre d'Algérie, Ed. Publisud, 2000, France, p 200
وانظر أيضا: David, Gordon, the passing of French-Algeria, Oxford University Press, London, 1966, p 31

(10) – Renié, James, cheikh Ben Badis et la France en avril 1936, in Afrique-Asie, n° 57, 1er trim, 1962, pp40-44

(11) – Jaques, Carret, op. cit. p41

(12) – أشار العديد من المؤرخين الفرنسيين إلى الدور الذي لعبه الشيخ الفضيل الورتلاني في صفوف الإخوان المسلمين في مصر وإلى مشاركته في التخطيط لتصفية الأمير الزيدي في اليمن بسبب تواطئه مع السياسة البريطانية، أنظر:
Philippe, Tripier, Op. cit, Jcques, p54 وأيضا Carret, op. cit, p43

(13) – David, Gordon, op. cit, p34

(14) – Hartmut, Elsenhans, op. cit, p200

(15) – Philippe, Tripier, op. cit, p12

(16) – Tripier, Ibid, pp 15-16

(17) – Elsenhans,op. cit, p200

(18) – Jean, Gloires, quelques observations sur la révolution algérienne et le communisme, in Afrique-Asie, n°41, 1er Trim, 1958, p23

(19) – Juliette, Bessis, op. cit, p66

(20) – J, Carret, op. cit, p 35

(21) – تبنت جميع فصائل الحركة الوطنية بما فيها الحزب الشيوعي الجزائري مطلب فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية، ولكن ما تجدر الإشارة إليه يكمن في أن ذلك لم يكن من المسائل الحيوية لدى تلك التيارات مقارنة بموقف العلماء، وكثيرا ما كان ذلك التبني مرتبط بالعمل الجماعي والجبهوي (1936)، (1944)، (1951).

(22) – Franck, Frégosi, Islam et Etat en Algérie, in Revue de recherches et Etudes sur le Monde Musulman et le Méditerranée (R.E.M.M.M), n°65, ed, Edisud, Axi-En-Province, p62

(23) – (Fr), Frégosi, Ibid, p 63

(24) – Frégosi, Ibd, pp 62-63

(25) – Messaoud, Lakouaghet, Le projet Blum-Violette : Les Oulémas et la commission parlementaire d'enquête, (mars, avril 1937), in revue des études historiques, périodique de l'Institut d'histoire, n° 10, 1997, Université d'Alger, pp 419-434

(26) – أصدر الإمام عبد الحميد بن باديس هذه الفتوى في 10 أوت 1937 وجاء فيها:

1- التجنس بالجنسية الفرنسية التي ينجم عنها التخلي عن الشريعة الإسلامية ردة.

2- من حكم عليه من طرف قاض مسلم ثم استأنف أمام قاض فرنسي مرتد ومارق في الدين.

3- من ترك وصية في غير أصول الإسلام مرتد.

4- من تزوج بغير مسلمة وأصبح أبناؤه غير مسلمين وهو يعلم بذلك فهو مرتد.

أنظر جمال قنان، دراسات في المقاومة والاستعمار، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1998، ص:114.

(27) – هذه العبارة مقتبسة من مقال للشيخ البشير الإبراهيمي بعنوان "من مآثر ذكرى 08 ماي 1945"مع تحويلها من الفرد إلى الجمع لأن الأحداث استمرت حوالي أسبوعين.

أنظر النص في: Jean, Gloires, op.cit, p20

(28) – وصف الحزب الشيوعي الجزائري (P.C.A) المتظاهرين في أحداث 08 ماي 1945 بأنهم "... مجرمين في خدمة الفاشية ... وأدوات إجرامية للخيانة العظمى" وقد جاء هذا الوصف على لسان جريدة الحزب الشيوعي (Liberté) بتاريخ 194/12/24.

(29) – Ahmed, Sari, L'association des oulémas musulmans algériens et les événements du 08 mai 1945, in Les cahiers de la Tunisie, n° 172, 1er Trim, 1996, p125

(30) – (A), Sari, Ibid, p 126

(31) – Sari, Ibid, p 129

وللمزيد أنظر: أحمد مريوش، حوادث الثامن ماي 1945 من خلال وجهة نظر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، 1997، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ص: 125-140

(32) – (J), Carret, op. cit, p33

(33) – (J), Glores, Ibid, p25

(34) – Glories, Ibid, p25

(35) – للاطلاع على هذه الاقتباسات من خطب شيوخ جمعية العلماء قبيل انطلاق الثورة أنظر: Jacques, Carret, op.cit, p37

(36) – Philippe Tripier, op. cit, p 17

(37) – Jacques, Carret, op. cit, p38

(38) – Ibid, p 38

(39) – بعض المعالم التاريخية التي تم اختيارها كأعياد وطنية تتضمن قراءة سياسية خاصة بها، وهي بعض الأحيان غير دقيقة من وجهة النظر التاريخية ولعل من أبرزها يوم الشهيد (18 فيفري)، وعيد الطالب (19 ماي)، إذ تغلب عليها الرمزية بدل الخلفية التاريخية الحقيقية. وينطبق هذا على الطرح الذي يربط بين تاريخ حل جمعية العلماء سنة 1956 باعتباره تاريخ بداية تأييدها للثورة التحريرية.

(40) – Jacques, Carret, op, cit, p 31

(41) – كمثال على غلبة واستمرار منطق "التقزيم" في الكتابات الجزائرية حول الحركة الوطنية تقع معظم الدراسات في أسر الشخصيات البارزة للحركة الوطنية، وتسند أبوة الحركة الوطنية إلى العديد من الأعلام، وتوارى شخصيات أخرى في غياهب النسيان، وفي الوقت الذي تجمع الكتابات الفرنسية ذاتها على الشخصية الكارزمية و الدينامية للشيخ ابن باديس، وعلى الجهد الضخم الذي قام به في الفترة 1931 - 1940، ذهبت دراسة جزائرية حديثة إلى تقرير مفاده أن "الشخصية الأكثر تأثيرا وأهمية في الجزائر خلال الثلاثينيات تمثلت في شخصية الدكتور ابن جلول ...".

أنظر: ملخص حول هذه الدراسة (رسالة دكتوراه) في العدد العاشر من مجلة الدراسات التاريخية، 1997، ص 414 وهي بعنوان:

MASTAFA Haddad, le constantinois entre les deux guerres (1919-1939), Thèse de doctorat sous la direction de Jean Louis – Meige, Université é de province (Axi-Marseille1), octobre 1995.

(42) – David, Gordon, op. cit, p 33

(1) – كان أول ظهور للشيوعيين جزائريين في المحافل الدولية في "لجنة عن الاستعمار" التي أنشأها المؤتمر الخامس للكومنترن (جوان- جويلية 1924)، وهما حاج علي عبد القادر وسيدي بلسجان محمد.
أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، الجزء الثاني، الطبيعة الثالثة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص: 344-353.

(2) – لا يوجد أدنى ذكر للجزائر أو الشمال الأفريقي في الأدبيات السياسية الشيوعية الشهيرة في الفترة 1917-1920. ويقصد بها: نداء 19 ديسمبر 1917 لشعوب الشرق، البانيين الأول والثاني للأممية الشيوعية الثالثة في مارس 1919 وفي 1920، والبيان الختامي لمؤتمر شعوب الشرق (باكو- أذربجان) عام 1920.

(3) – سعد الله أبو القاسم، نفس المرجع، ص: 337.

(4) – كانت الجزائر تحت الهيمنة الكولونيالية نموذجا للمجتمعات التي تسيطر فيها أقلية من الكولون الاحتكاريين على الشعب بأكمله، وهو ما كان يعبر عن مدى ضعف طبقة البروليتارية، هذا شكل العائق الأكبر أمام قيام ثورة تقديمية، في وجهة نظر التحليل الماركسي للوضع في الجزائر آنذاك.

(5) – محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1994، ص111.

(6) – عمار أرزقان، الجهاد الأفضل، دار الطليعة، بيروت، 1962، ص24.

(7) – Jean, Glories, Quelques observations sur la révolution algérienneet le communisme, in affrique-asie, n°41, 1958, p17

(8) – Ibid, p17

(9) – سعد الله، المرجع السابق، ص342.

(10) – نفسه، ص 343-344.

(11) – يرى أحد الباحثين الفرنسيين أن مسألة تبعية الأحزاب الشيوعية لبعضها البعض في شكل تراتبي ينتهي إلى مركزية مسيطرة، كان العائق الأكبر أمام الأداء السياسي لها، فالأحزاب الشيوعية القطرية تتبع الإقليمية منها، وهذه الأخيرة تخضع إلى موسكو بصورة مطلقة (وصفها بتبعية الملكية الإقطاعية l'Inféodation .
أنظر : Jean, Glories, op. cit, p32

(12) – Mohamed, Habibi ;Les nationalistes Algériens et le Maghreb, Paris, P13, 1982, in s'oual, n°2, juin,1928-1954

(13) – غالبا ماكانت محاولات الوصاية الشيوعية على الحركات الوطنية تنتهي في شكل صراع داخل التنظيمات السياسية التي تجمع بين الطرفين، وبالمقارنة مع تجارب الحركة الوطنية في جنوب شرق آسيا التي انتهت بانفراد الأحزاب الشيوعية بالقيادة، فإن مثيلاتها في الأقطار العربية والإسلامية عموما والمغرب العربي

والجزائر على وجه الخصوص، عرفت نهاية مغايرة لتجربة الكومنتانغ الصينية الشهيرة.

(14) – انقلبت البورجوازية التونسية على الشيوعيين في الحزب الدستوري، وتخلص نجم شمال إفريقيا من وصاية الحزب الشيوعي الفرنسي في فترة قصيرة بعد تأسيسه (1926-1928).

(15) – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص341.

(16) – جاءت أولى الانتقادات التي تعرض لها الحزب الشيوعي الفرنسي من طرف الشيوعي التونسي الطاهر بوخنقة في المؤتمر الرابع للكومنترن (1922)، ثم من طرف مانويلسكي عضو الوفد السوفياتي في المؤتمر الخامس للكومنترن (1924).

أنظر : أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 342-343.

(17) – Denis, Berger, Messali -hadj, pcf et le mouvement, Paris,

(18) – p1982, 20° national Algérien, in, s'oual Ibid, p155

(19) – بلغ عدد المهاجرين الجزائريين بفرنسا في نهاية الحرب العالمية الأولى حوالي 270 ألف مهاجر، اشتغل 120 منهم في المجهود الحربي لصالح الجيش الفرنسي، وفي جبهات القتال.

أنظر : عبد الحميد زوزو، دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939، (ش. و. ن. ت) الجزائر، ص14.

(20) – عمار، بوحوش، العمال الجزائريين في فرنسا، ط2، مطبعة أحمد زبانة، الجزائر، 1979، ص95.

(21) – أبو القاسم، سعد الله، المرجع السابق، ص217.

(22) – من ميزات الحرب العالمية الأولى أنها كانت من أكبر الحروب البرية في التاريخ، فقد شهدت المعارك الأطول أمد والأعظم في جسامة الخسائر مثل معركة تاننبرغ (1914)، معركة فيردان (جانفي- جويلية 1916) التي سقط خلالها أكثر من نصف مليون جندي فرنسي وألماني. وهناك العديد من الشهادات التاريخية على استبسال الجزائريين في معارك الحرب الكبرى: المارن – السوم – شارلوروا.

(23) – إن أدنى تقدير لتعداد الجزائريين المشاركين في الحرب في الكتابات الفرنسية بلغ 78 ألف، بينما بلغ أدنى تقدير للخسائر البشرية حوالي 22 ألف ضحية. أما على التقديرات فقد بلغت 255 ألف منهم 180 ألف جندي و 75 ألف عامل، وبلغ عدد القتلى في صفوفهم حوالي 55 ألف قتيل.

(24) – جاءت "إصلاحات 1919" في القانون الشهير بقانون 14 فيفري 1919 الذي أصدره البرلمان الفرنسي بإلحاح وضغط من جورج كليمنصو رئيس الوزراء آنذاك.

أنظر : عمار، بوحوش، مرجع سابق، ص99.

(25) – عمار، بوحوش، نفسه، ص135.

(26) – نفسه، ص135.

(27) – أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص93.

وانظر أيضا : عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص55.

(28) – ورد في بيان التأسيس أن : "نجم شمال أفريقيا جمعية تضم مسلمي المغرب والجزائر وتونس ... وتهدف على مساعدتهم على الحياة في فرنسا، وعلى توحيد العمل مع كل الطبقات الشغيلة والشعوب المضطهدة ...".

أنظر : محمد قنانش، الحركة الوطنية الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982، ص36.

(29)– رياض أمين، مصالي الحاج في أطروحة دكتوراه بالسربون، الحرية (أسبوعي)، عدد 94، 21-27 أكتوبر 1996، ص17.

(30) – التقى أحمد مصالي الحاج بعبد القادر حاج علي في فرنسا سنة 1924، وشاركا في حضور جلسات ومحاضرات الأمير خالد في باريس، لكن بعد صحبة استمرت سنة ونصف السنة، افترق الرجلان على دعوة الأول للثاني لتأسيس حركة وطنية جزائرية، ودعوة الثاني للأول للانخراط في الحزب الشيوعي الفرنسي.

للمزيد أنظر : Le Cri du peuple Algérien, organe du PPA (1995 mai, 16, n° 95, PP 1-2

(31) – Denis, Berger, op. Cit, pp 154 – 169

(32) – Denis, Berger, ibid, p158

(33) – Jean, Glories, op. Cit, p 17-18

(34) – Mohamed, Habibi, op. Cit, p13

(35) – Mahfoud, Kaddache, Histoire du nationnalisme Algérien, 1993 T2, Enal, p231

(36) – Kaddache, ibid, p199

(37) – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 2-4

(38) – J, Glories, op. Cit, p18

(39) – في الواقع أن تسمية الحزب الشيوعي "بالجزائري" وعناصره "بالشيوعيين الجزائريين"، مسألة لا تعدو أن تكون مجازية في جوهرها بالنظر إلى سيطرة العناصر الأوربية والفرنسية على الحزب، وندرة العناصر "الجزائرية المسلمة"، حتى أن بعض المؤرخين الجزائريين ذهبوا إلى الجزم بأن الشيوعيين من الأهالي لم يكونوا ماركسيين ولا لينينيين.

أنظر : محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، الطبعة الأولى، دار البعث، الجزائر 1984، ص198.

(40) – عمار، بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط3 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص281.

(41) – تجمع لتيارات الحركة الوطنية، كان انعقاد المؤتمر الأول في جوان 1936 وضم كل من العلماء والنخبة والحزب الشيوعي، ولم يشارك نجم شمال أفريقيا فيه بصورة رسمية بسبب تحفظه على بعض المطالب التي اعتبرها إدماجية.

(42) – استقبلت الأحزاب الوطنية صعود الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا سنة 1936 بنشوة بالغة وحفاوة كبيرة، وحتى التيار الاستقلالي اعتبر المناسبة فرصة تاريخية أمام الحركة الوطنية، لكن طموحات وآمال الوطنيين الجزائريين خابت بعد حين (استمرت الجبهة الشعبية في الفترة 1936 –1937)، كما خابت الآمال التي عقدها الأمير خالد على حكومة هيريو من قبل (1924). وهنا يمكن طرح تساؤل أشبه ما يمكن باللغز في تجربة الحركة الوطنية : ما هي الخلفيات التي كانت وراء استمرار مراهنة الأحزاب الوطنية على الحكومات اليسارية الفرنسية (الاشتراكية) في النصف الأول من القرن 2. على الرغم من الانتكاسات المتتالية في تجارب مختلفة (1924 هيريو)، (1936 الجبهة الشعبية)، (1954 منديس– فرانس) ؟

(43) – وردت في العديد من الأدبيات السياسية للحزب الشيوعي الجزائري الإشارة إلى نظيره الفرنسي بعبارة "الأخ الأكبر"، وهذا ما يوضح علاقة الوصايا والأبوية بين الطرفين.

(44) _ Jean, Glories, op. Cit, p18

(45) _ Denis, Berger, op. Cit, p157

(46) _ Ibid, p156

(47) _ Jean, Glories, op. Cit, p18

– في الحقيقة هذه العبارة التي كان ينادي بها الشيوعيون الجزائريون، لم تكن إلا للتجاوب مع مقولة موريس توريز الشهيرة القائلة بأن : "مهمة فرنسا الأساسية في العالم هي توحيد الشعوب امستعمرة مع شعبنا".

أنظر : عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، ص281.

(48) _ Jean, Glories, op. Cit, p18

(49) – عمار، أوزقان، المصدر السابق، ص27.

(50) – نفسه، ص 27.

(51) _ Jean, Glories, op. Cit, p18

(52) – Ibid, pp 18-19

(53) – شارل أندري، جوليان، أفريقيا الشمالية تسير : القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة مجموعة من الأساتذة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص 313–320 ... ويمكن أيضا الاطلاع على البيان الجزائري وردود الإدارة الاستعمارية عليه في : محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830–1954، ط3، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2 ... ، ص 127–199.

(54) – يقصد بالإشارة هنا : إلى أمرية الجنرال دوغول التي أصدرها في مدينة الجزائر باسم "حكومة فرنسا الحرة"، والتي اقترح فيها جملة من "الإصلاحات" (البنود الستة)، ونصت الأمرية على توسيع دائرة التجنيس (5 – 7 آلاف جزائري)،

ونصت على رفع مستوى التمثيل السياسي "للأهالي" (توسيع القاعدة الانتخابية للجزائريين).

أنظر : أبو القاسم، سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص275.

(55) – إن السبب الرئيسي في حالة الشلل السياسي التي سيطرت على الحزب الشيوعي الجزائري خلال الحرب العالمية الثانية تعود إلى تباين مواقف الحزب مع بقية تيارات الحركة الوطنية من جهة، وإلى تلقي الشيوعيين في فرنسا لضربات موجعة على يد حكومة فيشي من جهة أخرى.

(56) – مثل النواب الدكتور تامزالي وابن جلول وفرحات عباس والدكتور سعدان، ومثل العلماء الشيوخ العربي تبسي، وخير الدين والمدني، مثل حزب الشعب الأمين دباغين وحسين عسلة، بينما مثل الطلبة محمد الهادي جمام.

أنظر : فرحات، عباس، ليل الاستعمار، ترجمة : أبو بكر رحال، المحمدية، المغرب (د. ت)، ص167.

(57) – Jean, Glories, op. Cit, p19

(58) – Glories, ibid, p19

(59) – في الواقع لم يكن غريبا عدم ارتباط الشيوعيين الجزائريين بالدعوة المطالبة بالدولة الجزائرية، لأنه كان بفعل تأثير الفكرة الأممية الداعية للثورة العالمية للبروليتاريا، التي تتجاوز كل انتماء عرقي أو قطري، وأيضا بفعل إنكار الحزب الشيوعي الفرنسي للفكرة الوطنية. ويمكن هنا التذكير بنظرية "الجزائر أمة في طور التكوين" التي أعلنها موريس طوريز في الجزائر في 11 فيفري 1939، والتي ظلت جرائد الحزب الشيوعي الجزائري تروج لها حتى في السنوات الأولى للثورة التحريرية، والمراد توضيحه هنا هو أن أطروحة توريز لا تسمح باعتناق فكرة الدولة الجزائرية طالما أن الأمة كانت في مرحلة المخاض، ولأن سنن التطور السياسي تقضي بضرورة تواجد الأمة كدعامة أساسية لقيام الدولة.

(60) – Jean, Glories, op. Cit, pp 20-18

(61) – محمد البشير الإبراهيمي، "من مآثر 08 ماي 1945"، مجلة الذاكرة، عدد2، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 5-8.

(62) – سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ط3، ص234.

(63) – فرحات، عباس، المصدر السابق، ص 186-187،.

وللمزيد من المعلومات حول التضحيات الجسيمة للشعب الجزائري في ماي 145، أنظر: Mahfoud, Kaddache, op. Cit, pp 734-695

(64) – A, Sari, l'Association des ulamas et les évènements du 08 mai 1945, in, les Cahiers de la Tunisie, n°172, 1996, pp123-131

(65) – Ahmed, Sari, Ibid, p127

(66) – Jean, Glories, op. cit, p20

(67) – Glories, Ibid, p20

(68) – Ibid, p20

(69) – ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2 ...، ص135.

(70) – سعيدوني، نفسه، ص 1

الفصل الثالث :

العمل على تحقيق الدولة الوطنية المستقلة بواسطة الحركة الجماهيرية المنظمة

1 - تجربة الأمير عبد القادر 1832-1847 نموذجا

2 - إنجازات حزب الشعب

3 - مساهمة جمعية العلماء والتيارات السياسية الأخرى

1 - تجربة الأمير عبد القادر 1832-1847 نموذجا:

تذهب الدراسات التاريخية المعاصرة الى إضفاء أهمية بالغة على ظاهرة الدولة الوطنية ، وتعدها معيارا أساسيا لاكتمال نشأة وتكوين الأمم ومقياسا لمدى امتلاك السيادة الوطنية لأي شعب من الشعوب ومؤشرا على أصالة وتجانس أي مجتمع من المجتمعات . و يعود السبب في اضفاء كل هذه الهالة القريبة من القداسة على الدولة الوطنية الى الإجماع المطلق الذي ينظر الى التجارب الناجحة لمشاريع بناء الدولة الوطنية الحديثة على أنها أرقى مستوى أمكن تحقيقه لدى الشعوب والأمم في سياق تطورها التاريخي والسياسي.

و تتباهى المدارس التاريخية الأوربية بأن أوروبا كانت مهدا لظهور الدولة الحديثة المتميزة بالهوية القومية والوحدة السياسية و بالأصالة التاريخية ، بالرغم من أن أغلب دول أوروبا لم تحقق وحدتها السياسية الا في مراحل متأخرة من القرن ال19 وفي بداية القرن ال20 . و ترتكز في تبرير نزعتها تلك بأن التطور السياسي في انكلترا وفرنسا على سبيل المثال في بداية العصر الحديث كان ارهاصا لظهور مرحلة جديدة في مسار التطور السياسي و التاريخي ، و نعني بذلك مرحلة الدولة القومية الحديثة التي شكلت نقلة نوعية لأنها تجاوزت الأشكال التقليدية القديمة كدولة القبيلة والاقطاع والأوليغارشية.

لقد انكشفت عهود ما بعد الاقطاع في أوروبا عن ميلاد دول قوية استفادت من حركة الاحياء العلمية والثقافية الشهيرة بالاستنارة ومن الثورة الصناعية التي كانت أوربا ميدانا لها ، فستحالت تلك الكيانات السياسية الى قوى استعمارية انخرطت في سباق محموم من أجل السيطرة والاخضاع. و كرد فعل على تلك الصدمة الحضارية التي تسببت فيها الحملات الاستعمارية الأولى حاولت بعض القوى خارج القارة الأوروبية القيام بتجارب تحديث بهدف اللحاق بركب الدول الصناعية.

و تعد تجارب بطرس الأكبر وكاترين الثانية في روسيا في القرن ال18 ، ومحمد علي باشا في مصر في النصف الأول من القرن ال19 ، وتجربة الميجي في اليابان في النصف الثاني من القرن ال19 شواهد

على ذلك السعي الحثيث الذي كان يتوخى تحقيق التوازن في امتلاك عناصر القوة الجديدة مع الدول الأوروبية الكبرى.

نجحت روسيا الى حد كبير على يد بطرس الأكبر في الخروج من عهد الدولة الاقطاعية، وتمكنت اليابان في مدة يسيرة لم تتجاوز أربعة عقود من تحقيق انقلاب وتحول عظيم ، أزاح عنها أوزار ماض طويل و مرير بالصراعات الداخلية بين الزعامات الاقطاعية العسكرية، وجعلها دولة حديثة في مصاف الدول العظمى مع مطلع القرن ال20 .

أما في مصر ، فبعد أن قطعت تجربة التحديث التي تزعمها محمد علي باشا أشواطا كبيرة في كنس بقايا أطلال و أنقاض الدولة الاقطاعية العثمانية- المملوكية ،و بعد أن كشفت عن تعاظم مقدرات الدولة الجديدة في فترة قصيرة 1805-1840 الى درجة جعلتها تشكل خطرا محدقا بالمشاريع الاستعمارية في المشرق العربي ، عندئذ أعلنت القوى الأوربية الكبرى الحرب على محمد علي باشا و شكلت تحالفا عريضا دفاعا عن" الرجل المريض" ثم أجهزت على التجربة التحديثية الوليدة في مصر في مهدها.

و يجدر الذكر هنا أن التجارب التحديثية التي أشرنا اليها سابقا ، والتي رمت الى بناء دول حديثة على منوال الدول الأوروبية الكبرى ، لا تمثل في الواقع استثناءات قليلة ، ذلك أن القوى الاستعمارية الكبرى لم تمهل بقية الشعوب والأمم في العالمين العربي والاسلامي وفي جنوب شرق آسيا وفي أفريقيا و أمريكا اللاتينية في الشروع في مواكبة التطور والتغيير .

و لم تدع القوى الاستعمارية لبقية الشعوب أدنى فرصة للانخراط في مشاريع اعادة تقويم البناء السياسي لديها، و انما تكالبت عليها وسرعان ما كبلتها بقيود السيطرة والاحتلال لعقود طويلة أعادتها الى ما يعرف بعصر ما قبل الدولة الخلدونية.

في عام 1830 تعرضت الجزائر للموجة الاستعمارية الأولى التي قضت على الجهاز السياسي القائم فيها في فترة وجيزة لم تتجاوز أياما معدودات ، وحطم الاستعمار الفرنسي خلالها جميع معالم السيادة الوطنية التي تمكن النظام العثماني البالي من صيانتها وفرض الاعتراف

بها لمدة زادت عن ثلاثة قرون في ظل جمهورية أوليغارشية محصورة في أيدي أقلية عسكرية تمركزت في الحواضر الكبرى في البلاد. لم يكن للنظام العثماني المركزي في الجزائر طيلة أيامه سلطة المراقبة الفعلية المباشرة في الجزء الأكبر من البلاد، ولم تحاول دولة الداي ربط المجتمع الجزائري بحكمها وظلت علاقتها بالسكان الذين شكلوا الأغلبية الساحقة علاقة نفعية بحتة دون أي محاولة حقيقية للتوحيد السياسي .(1) ويمكن ملاحظة أن دولة الداي لم تشرك السكان حتى في معركة الدفاع عن الأرض أمام حركة الغزو الفرنسي، و اكتفت بحشد قوتها العسكرية النظامية القليلة فحدث أنكسارها السريع ، ولعل ذلك يمكن اعتباره دلالة واضحة على عزلة تلك الدولة عن رعاياها.

ان الاشارة الى سرعة انهيار وسقوط الدولة الجزائرية في عام 1830 ليس الهدف من وراءه اضفاء السلبية المطلقة على التراث السياسي العثماني بشكل عام ، لأن اعادة الاعتبار الى التاريخ الوطني في فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي تفرض علينا النظر الى العهد العثماني على أنه يمثل جزءا ومرحلة من مراحل التطور التاريخي والسياسي للجزائر ، ويجدر التوضيح أن هذا الطرح لا يقتضي بالضرورة اللجوء الى التوفيق بين التناقضات التي شابت واعترت تجارب مرتبطة بالتاريخ الوطني. بقدر ما يحتاج الى المكاشفة والاقرار بمكامن الضعف و السلبية بصورة موضوعية دون أدنى تحامل أو شطط .

ولعله من المفيد في هذا السياق ازالة كل التباس محتمل ، لأن الاقرار بصورة موضوعية بهامشية وسطحية التراث السياسي العثماني في الجزائر وأهميته النسبية في بناء الدولة الحديثة وتوحيد المجتمع .(2) لا يجب ان يعني تجاوز حقيقة و حجم الدور التاريخي الايجابي الذي لعبه في الدفاع عن عن البلاد لفترة طويلة كانت فيها عرضة لأخطارخارجية كثيرة. و يستحسن الاعتراف بأنه و على الرغم من ضعف تفاعل الدولة مع السكان الا أنها استمرت في أداء دور القلاع المرابطة عند الثغور حتى تاريخ سقوطها.

1 ــ مواصفات الأمير كمؤسس للدولة الوطنية:

ان هذه الدراسة لن تعنى بتقديم ترجمة ذاتية مفصلة لشخصية الأمير عبد القادر الذي يعد معلما من معالم المغرب العربي ، لأن الأمير لم يعرف مجاهدا وسياسيا فحسب ، ولم يبرز للناس عالما أو زعيما أو مصلحا أو قائدا أو صوفيا أو شاعرا فقط ، بل كان يجمع في نفسه الشماء ذلك كله على حد وصف المؤرخ السوري نزار أباظة في كتابه" الأمير عبد القادر العالم المجاهد" (3)، ان شخصية الأمير بكل هذه الأبعاد أكبر من تحتويها دراسة موجزة من جهة ، ولأنها خضعت على مدار السنين الى الدرس والتدوين منقبل أعداد غفيرة من الباحثين والمؤرخين العرب والأعاجم.

ولكن الذي تتوخاه هذه الدراسة ، هو تسليط الضوء على تجربة الأمير في محاولة بناء الدولة الوطنية بواسطة الحركة الجماهيرية المنظمة ، وهو ما سيسمح دون شك من اكتشاف العديد من مناقبه الشخصية التي تعد مواصفات رجل الدولة من أبرزها في هذه الدراسة.

ذهب الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني الشهير ماكس فيبر في السنوات الأخيرة للحرب إلعالمية الأولى الى صياغة مفهوم دقيق لما أسماه بالشخصية الكارزمية أو الزعامة الملهمة القائدة، وذلك بتعريفها على أنها تمثل صفة متلازمة للشخصيات القائدة الفذة التي تمتلك قدرة هائلة في التأثير في الجماهير وفي توجيهها وقيادتها ، و حدد فيبر أوجه و مجالات الزعامة الكارزمية في أصناف معينة للشخصيات المؤثرة وهي : النبوة و القيادة السياسية والقيادة العسكرية والمكانة الدينية أو العلمية .(4) و يحق لنا قبل الخوض في صميم هذا البحث التساؤل: من المشهود للأمير عبد القادر البطولة والبراعة في الجهاد والمقاومة ، وبالقدرة والحنكة في السياسة و الادارة عند أبناء أمته وأعدائه على حد سواء. فهل تتيح لنا الشواهد التاريخية المتوفرة أن نعتبره شخصية كارزمية فذة في تاريخنا الوطني؟

ان تواتر المؤلفات التي خصصت للأمير عبد القادر و تناولت سيرته الذاتية، صنعت له في الأذهان صورة للفارس المغوار حينا ، وللمتصوف الناسك أو الشاعر الزاهد حينا آخر . و لكن تلك المؤلفات

لم تكشف عن مكامن العبقرية الحقيقية في شخصية الأمير باعتباره صاحب ارث سياسي عظيم ، بصفته أول منشئ للدولة الجزائرية الحديثة و أول رائد في بعث الوعي الوطني في القرن ال19 .
<...لقد اعترف له خصومه ومؤرخوا عصره بقوة الإيمان وبالوطنية وبالذكاء والحيوية، و بمواصفات القائد السياسي والعسكري الفذ ، بذل جهودا كبيرة من أجل توحيد بلاده ، كان واسع الإطلاع والمعارف ، وشاعرا مرهف الحس يحمل في شخصه ميراث القرون الذهبية للحضارة العربية والإسلامية....>(5) وكانت انسانية الأمير أعظم من كل الفخر العسكري الذي جمعه أعداؤه (6).
وصفه مؤرخ من أبناء أمته فقال:<... كان بطلا يرجع الى الشعب ويحس بنبضاته ، ويحتكم إلى القرآن والسنة و آثار السلف الصالح ، ينفتح على الحضارة والعلم والعقل ، ويستمد طموحه من الشرف والجهاد والوطنية....>(7)

لقد كان الدافع الأول في إختيار الجزائريين للأمير الشاب على رأسهم ، ليس في النسب والعلم أو نتيجة للشعور بالحاجة للدولة وتنظيم الإدارة والجيش، وإنما لقيادة الجهاد الذي أثبت مقدرته عليه.(8) فبايعوه بيعتين : كانت الأولى في 3 رجب1248 ه الموافق ل21 نوفمبر1832 من طرف العلماء وأعيان القبائل ، ثم كانت الثانية في 13 رمضان 1248 ه الموافق ل4 فيفري1833 من طرف عامة الناس في القبائل التي آزرته.(9)

لكن الأمير بعد مبايعته أدرك أهمية بناء الدولة عن طريق توحيد أجزاء البلاد المنفصمة سياسيا ، وجمع شمل القبائل وإلغاء العصبيات وتقاليد النظام القديم ، فكان عليه أن يبدأ في بناء الدولة وهو على صهوة جواده .

إن عبقرية الأمير عبد القادر تكمن في مقدرته الكبيرة على الجمع و المزاوجة في جهوده بين متطلبات المقاومة المتواصلة ضد الأعداء من جهة ، والسعي الحثيث باتجاه تأسيس نظام حكم مركزي يكون دعامة أساسية لدولة وطنية مستقلة ، والأدهى في هذا المسعى كله

أن التكوين القبلي الهش في الجزائر عند بداية الإحتلال والضغط الإستعماري المتزايد لجيوش الإحتلال فرضا على الأمير عبئا آخر كان عليه أن يحمل وزره ، وهو عبئ الإصلاح أثناء المقاومة وقبل الشروع في إقامة دعائم الدولة الجديدة .

و على الرغم من الظروف التاريخية العصيبة التي ميزت تجربة الأمير عبد القادر وقصرها ومحدوديتها الزمنية إذا ما قورنت بتجارب أمم أخرى ، إلا أن الأمير قدم من خلالها أول قاعدة للتوحيد الوطني عندما قاد المعركة ضد الفرنسيين لمدة سبعة عشر عاما ، و ترك منها تراثا سياسيا أكثر إشراقا و طموحا لأنه حاول إرساء نظام سياسي شرعي ومركز مؤسسيا، و ليس من المغالاة في شيئ إعتبار تلك التجربة ملحمة فذة وفريدة في تاريخ الجزائر المعاصر، لأنها شهدت ميلاد النواة الأولى للدولة الجزائرية الحديثة على يد أحد أبرز رموز الذاكرة الجماعية للشعب الجزائري.

2 ــ جهود الأميرفي بناء الدولة الوطنية1832-1847:

2. 1 ــ نموذج الدولة وأسس نظام الحكم:

قامت عبقرية الأمير عبد القادر في بناء الدولة على تقليد النبي (ص) في مقاومة نزعات ذويه المقربين الى جانب مكافحة الأوضاع القديمة ، ثم وضع مبادئ عامة للتخلص من النظام القبلي حتى أصبح القادة و رؤساء القبائل والولاة مسؤلين أمامه ، و المهام والاختصاصات في المسؤلية محددة هرميا .

ذكر الأمير لأشهر كتاب سيرته من الأوربيين من أمثال دوماس وتشرشل أن هدفه الأساسي كان في طرد الكفار من أرض الأباء والأجداد ، والإعتماد في السلطة على العلماء والمرابطين والأشراف مع استبعاد زعماء القبائل العسكريين الإقطاعيين جميع موظفي النظام العثماني البالي . (10)

إن مايمكن ملاحظته في بيعة الأميرعبد القادر الأولى في 3 رجب 1248 (27 نوفمبر1832) من طرف العلماء والأشراف بوادي فروحة عند"شجرة الدردارة" الشهيرة ، ثم في بيعته الثانية من طرف

عامة الناس في 13 رمضان 1248 (4فيفري1833). أنهما تشكلان في رمزيتهما تواصلا تاريخيا مع هدي السيرة النبوية في بيعتي الرضوان والعقبة الأولى.

و بذلك الأسلوب في الإستخلاف و تولي زمام الحكم وقيادة الجهاد ضد الغزو والإحتلال . كانت دولة الأمير عبد القادر الناشئة في ذلك العصر هي الدولة الإسلامية الشرعية الفريدة المنبعثة من الإرادة الشعبية ومن الإجماع الوطني .

و بعد حصول الأمير على تزكية والده الشيخ محيي الدين بن مصطفى (11) وتنازله عن القيادة، وحصوله على بيعة العلماء والأشراف من قبائل الحشم والجعافرة وبني عامر، لم يتأخر الأمير طويلا في تحديد معالم دولته وأسس النظام الذي كان يأمل في إنشائه، فقام على الفور بمراسلة القبائل الأخرى البعيدة ليدعوها إلى البيعة ، و ضبط في تلك المراسلات شروط البيعة و ميثاقها بقوله:< ... اشترطنا على الذين منحونا هذا السلطان (الإمارة)، أن عليهم واجب الخضوع في كل أعمالهم إلى نصوص و تعاليم كتاب الله ، و إلى الحكم بالعدل في مختلف مناطقهم طبقا لسنة النبي (ص) ، وأن يعاملوا القوي والضعيف بإخلاص ودون محاباة...>(12)

إن ماتجدر الإشارة إليه قبل الخوض في تفصيل واستعراض جهود الأمير في بناء الدولة الوطنية ، هو أن بعض الدراسات و الكتابات التي أشارت إلى تجربة الأمير في محاولة تأسيس تلك الدولة غالبا ما أرخت لها بمعالم زمنية غير موضوعية ، و هو ما يعبر عن سطحية شديدة في قراءة التراث السياسي المتميز الذي تركته .

ومكمن السطحية في ما نحن بصدد توجيه النقد له ، يتمثل في التحديد الخاطئ لبداية تجربة الأمير السياسية في بناء الدولة عندما تتم الإشارة إليها بأنها كانت في أعقاب معاهدة ديميشال في 26 فيفري1834 . وهذا لعدة اعتبارات يمكن تبسيطها في أن هذا التحديد إنما هو يعبرعن مرحلة الشروع في بناء المؤسسات وهي المرحلة التي تعد بداية تتويج الجهود و ليس بداية العمل باتجاه بناء الدولة . وأيضا إن مثل هذا التحديد يشكل تجاوزا للجهود المضنية في توحيد القبائل و

صيلغة طبيعة و أسس نظام الحكم ، و تسطير المبادئ التي قامت عليها تلك الدولة.

إن دولة الأمير عبد القادر لم تكن ذلك الجيش النظامي الذي أقامه في ظروف المقاومة العصيبة ، ولم تكن تلك المقاطعات التي قسم بها أقاليم الدولة ووضع عليها خلفاءه الثمانية فحسب ، و إنما كانت قبل ذلك كله محصلة لتلك الثورة الإجتماعية والسياسية التي قامت بتغيير الأوضاع القديمة ، و التي ألغت البناء القبلي الممزق للمجتمع لتحوله في مابعد إلى مجتمع لا طبقي خاضع لنظام حكم مركزي قائم على الشورى والعدل.

و ليس من الغلو في شيئ أن نجزم في سيلق هذا الموضوع ، بأن قراءتنا للعديد من التجارب الكبرى في تاريخنا الوطني لا تزال ميزتها الأساسية القراءة العابرة والضحلة حينا ، ومستعارة من توصيفات التراث الحالك السواد للمستشرقين الأوائل و المحدثين حينا آخر.

إن تقويم مثل هذا الشطط في قراءة تجربة الأمير عبد القادر ، قد لا يتأتى إلا بإعادة النظر في ماتركه هذا العلم البارز من أعلام العروبة والإسلام في القرن ال19 من ميراث سياسي خصب ، قد تستلهم منه الأجيال القادمة قبسات من نور ومعالم هدي تسير عليها.

لم يكن طموح الأمير في اتجاه إقامة الدولة الوطنية الجديدة على أطلال دولة الداي المنهارة و في مواجهة حركة الغزو والاحتلال الفرنسي رومانسيا حالما ، وإنما كانت الميزة الأولى في ذلك الطموح الواقعية الصارمة التي جعلته يقدم على بذل التضحية بنفسه وقبل شعبه ، و ليس فقط بترف الملك الملذوذ على حد تعبير إبن خلدون ، وإنما بخاصة ماله وعلى حساب نزعات ذويه المقربين.(13)

إن حيز هذه الدراسة لا يتيح عرض مناقب وخصال الأمير ، ولكن إستعراض أهم أعماله السياسية و تتبع أبرز خطواته في سبيل بناء دولة وطنية جديدة لأمته ودحر العدوان الخارجي عنها ،لعله دون شك سيسمح باكتشاف غنى شخصية ذلك الرجل الذي جمع في نفسه الشماء خصالا و شمائلا كثيرة.

و يمكن حصر الأسس الرئيسية في دولة الأمير عبد القادر في جملة من الخصائص التي شكلت دعائم الدولة الوطنية المستقلة وهي:

1-الطابع الموحد للدولة.
2-الطابع الشوري لنظام الحكم .
3- إقامة العدل والمساواة.
4- البعد الإصلاحي في حركة الأمير.

أ ـ الطابع الموحد للدولة:

لم يكن تواجد قوات الغزو والاحتلال في الجزائر بعد سنة 1830 هو التحدي الوحيد الذي انتصب كحجرة عثرة أمام سعي الأمير عبد القادر في طريقه لتأسيس الدولة التي كان يأمل في إنشائها، وإنما كانت علاقات الصراع الداخلي بين مراكز النفوذ السياسي المحلية الكثيرة وإلى جانبها التركة الثقيلة للنظام القديم من أكبر العوائق والعقبات التي كان على الأمير أن يتجاوزها بالكثير من الجهود المادية والعسكرية.

و قد لا يتضح حجم الأدء السياسي والعسكري للأمير في مختلف مراحل إنشاء الدولة ،إلا بالإطلاع على مدى التفكك والتوتر اللذين سادا البلاد عشية الاحتلال الفرنسي للجزاءر العاصمة ، إذ تراكمت الإنعكاسات السلبية الوخيمة للنظام العثماني في أواخر أيامه إلى درجة جعلت من هامشيته و سطحيته في الحفاظ على الدولة و الإبقاء على وحدة المجتمع الميزة الأكثر ظهورا في الوضع السياسي العام في سنة 1830 .

واجه الأمير عبد القادر عددا كبيرا من الكيانات المستقلة وشبه المستقلة التي توزعت في مختلف مناطق البلاد ، و التي أحصاها المؤرخ الإستعماري لويس رين ب 126 قبيلة مخزنية و200 قبيلة مستقلة و190 قبيلة خاضعة وشبه خاضعة.(14)

و حري بنا هنا توضيح أن القبائل الرافضة للحكم المركزي في الجزائر كانت أكثر عددا منها في المغرب الأقصى و تونس حسب ما جاء في الدراسة القيمة التي أعدها محمد عبد الباقي الهرماسي .(15) وإذا ما أضفنا إلى ذلك إنهيار الدولة القائمة في الأيام الأولى للغزو ، وما تركه من تداعيات خطيرة زادت من التفكك السياسي ومن تعدد الكيانات الصغيرة المستقلة حتى أن المناطق الغربية من البلاد فكرت في اللجوء إلى جوار السلطان المغربي و إعلان الولاء له ، أمام هذه

الصورة الممزقة يمكننا دون شك تصور حجم التحدي الذي واجه الأمير عبد القادر في محاولته إرساء قواعد نظام جديد إختلف جذريا عن التنظيم العثماني القديم . إن الخطوات في اتجاه تنظيم السلطة السياسية وتوحيد إقليم الدولة و فرض المركزية الإدارية لم تكن بالأمر الهين في ظل الصراع بين القوى المختلفة التي ورثت تقاليدها من عقود الحكم العثماني الطويل، فقد كانت قبائل المخزن باعتبارها فئة عسكرية إدارية تقف على قمة الهرم الإجتماعي في الريف الجزائري العريض .(16)

و عندما وقف الأمير عبد القادر في صف السواد الأعظم من السكان الذين كانو يخضعون لسيطرة النبلاء العسكريين ، كسب قلوب الناس وعظم قدره في أعينهم ، لكنه في المقابل فتح على نفسه جبهة جديدة من الأعداء في مواجهة تلك الفئة النافذة التي سرعان ما أرتمت في حماً الخيانة والعمالة ، وغدت فيما بعد شوكة في حلق الأمير ،ورأس حربة أدمت جيوش دولته في مناوشات و وقائع مسلحة استفاد منها الفرنسيون كثيرا.

لقد أدرك الأمير أن توسيع رقعة الدولة كانت تحتاج إلى القوة العسكرية ، ولكن قبل ذلك كان عليه توحيد الفئات المتناثرة والمتنافرة في المجتمع القائم على العصبيات القبلية والولاءات للزعامات الدينية الكثيرة أيضا ، و هوالأمر الذي كان يتطلب الحنكة والعزم في السياسية والشدة والبأس في توظيف القوة العسكرية .

لأن أعيان المخزن المترفون كانوا يحتقرون العامة ، و في الوقت ذاته ينظرون إلى المرابطين و العلماء نظرة إحترام يشوبها الحذر بفعل مكانة هؤلاء العلمية والدينية من جهة ، و لنفوذهم و قدرتهم على إشعال صراع بين المخزن والمجتمع التقليدي.(17) . لقد تمكن الأمير من كسب ولاء العلماء والأشراف والمرابطين ومن وراءهم أعدادا غفيرة من الفلاحين والريفيين البسطاء ، لكنه أدرك أن العقبة الكبرى التي ستعترضه في بسط نفوذ دولته سوف يشكلها التحالف الخطير لقبائل المخزن التي كانت تعارض مساعي إصلاح الأوضاع الموروثة عن النظام البالي . فقام الأمير بإلغاء إمتيازات المخزن في نص البيعة الثانية(فيفري1833), وسوى بين جميع القبائل في الحقوق والواجبات ، وألزم الجميع بإحالة الخلافات إلى

سلطته ، فكانت تلك الأعمال أول خطوة نحو تشييد دولة موحدة على حد وصف وتحديد فقهاء القانون الدستوري والقانون الدولي، الذين يقصرون الطابع الموحد للدولة في إمتلاكها لثلاثة ميزات رئيسية هي: تنظيم السلطة السياسية ، وحدة الإقليم، تجانس الجماعة .(18) ، ثم أتبع الأمير ذلك بترتيب الحاشية وتعيين رجال الدولة وتحديد مهامهم ، و بث العمال والقضاة في سائر الجهات .(19) و أسند مناصب الإدارة إلى عناصر كفؤة ، وأجرى لهم الرواتب لاجتناب ما كان يرتكبه رجال المخزن من نهب وإبتزاز .(20) و دفعت به نزعته التجديدية إلى أن يضرب صفحا عن النظام العثماني الذي كان قبله ،فاستبعد رجال المخزن و موظفي الحكومة السابقة .

فانتهى الجهد بالأمير عبد القادر إلى إقامة مجتمع ودولة على أسس جديدة قوامها المساواة في الواجبات والحقوق بين القبائل ، بعدما أعاد النظر في العلاقات الإجتماعية وقام بتصفية التمايزات التقليدية الجائرة ، و من بين الشهادات التاريخية المعبرة عن عبقرية الأمير عبد القادر في تجربته لبعث الدولة الوطنية ما أورده شارل هنري تشرشل كاتب سيرته عندما صرح قائلا :" لقد كشف الأمير عبد القادر عن تفهمه لحاجة قومه في الإرتقاء من عهد القبيلة والإقطاع إلى عهد التعايش الإجتماعي و الإلتزام نحو بعضهم ونحو الدولة ".(21) إن هذا التقدير الذي عبر عنه هذا الكاتب العسكري الإنكليزي قد لا يكون مؤثرا في وعي القارئ إلا إذا أدرك أنه يجب وضع تجربة الأمير عبد القادر في سياقها التاريخي الذي سبق الوحدتين السياسيتين الشهيرتين في أوروبا في كل من إيطاليا وألمانيا .

ب – الطابع الشوري لنظام الحكم:

يوصف النظام السياسي في عهد الدايات بأنه كان جمهوريا بصورة مجازية ، لأن التداول على السلطة كان يتم عن طريق الإنتخاب داخل الديوان الذي يشكل الجهاز التنفيذي للدولة . و لكن في الحقيقة يمكن القول أنه لم يكن كذلك لأن طبيعة النظام ذاته كانت عسكرية ترتكز في أدائها السياسي على أوليغارشية قليلة العددومعزولة عن المجتمع

كما أن ذلك النظام أهمل إقامة مؤسسات الدولة المختلفة وتوحيد المجتمع ، و اكتفى بدوره التقليدي في الدفاع عن البلاد بالإعتماد على قوة الجيش الإنكشاري لصد الأخطار الخارجية ، وعلى قبائل المخزن للسيطرة على الثورات الداخلية . لكن النظام السياسي في عهد الأمير جاء مختلفا بصورة جذرية عن سابقه ، إذ قام عن طريق البيعة الشعبية العامة التي حصل بموجبها الأمير عبد القادر على التفويض بالسلطة العليا من أجل قيادة الجهاد ضد الفرنسيين من طرف العلماء والأعيان وعامةالقبائل ا لملتفة حوله .

و دعم الأمير موقعه إثر البيعتين الشهيرتين له بالإمارة ، عندما قرر في شروط البيعة برنامجه السياسي الذي بناه على الأسس التالية :

1- السمع والطاعة للأمير باعتباره صاحب السلطة العليا و المركزية .

2- الثبات على الجهاد لإعلاء كلمة الله .

3- المقاومة ضد العدو دفاعا عن الوطن .(22)

و لم يحوي منشور الأمير الذي وزعه على القبائل بعد بيعته خطابا حماسيا ودعوة صريحة للجهاد فحسب ، وإنما تضمن جملة من المبادئ السياسية والأخلاقية التي أعتبرها الأساس في تغيير الأوضاع ، كالدعوة إلى الوحدة والإجتماع وإجراء الحق والعدل نحو القوي والضعيف.(23)

لقد إنطلق الأمير من الشريعة الإسلامية في سن قوانين دولته ، و جعل دستوره في ذلك القرآن ، و اعتمد الشورى في ممارسة الحكم .(24) فأسس مجلسا لها ضم أحد عشر عضوا من أجلة العلماء .(25) وضع على رأسهم قاضي القضاة أحمد بن الهاشمي .(26) كانت فكرة الأمير في تأسيس نظام حكم مركزي تهدف إلى "إنشاء دولة مسلمة حقيقية على نهج الأقدمين (السلف الصالح)"(27) لأنه رأى فيها الضمانة الأولى لإكتساب القدرة على مواجهة الأعداء .

و لذلك كان اعتماد الشورى بفعل الإقتباس الجذري من الشريعة الإسلامية التي لجأ الأمير إليها بهدف تنظيم شؤون الدولة .(28) حتى أنه ألزم نفسه بالدستور الذي وضعه (29) وحشد العلماء و الأشراف والمرابطين لمؤازرته في الإشراف على إدارة دفة الحكم في الدولة الناشئة، و كان من مظاهر العمل بالشورى في دولة الأمير إستشارة العلماء في سن الضرائب الجديدة (المعونة).(30)التي كانت توجه لدعم المجهود الحربي في المقاومة لصد الاحتلال . تكون مجلس الشورى الأعلى من أحد عشر رجلا من ذوي العلم والفضل ، و ضمت التشكيلة الأولى للمجلس كل من أحمد بن الهاشمي المراحي (قاضي القضاة) ، و عبد القادر بن روكش و عبد الله سقاط المشرفي و طاهر المحفوظي و أحمد بن الطاهر و محمد بن المختار المكي و إبراهيم بن القاضي و غيرهم .(31) و قد كان لمجلس الشورى الأميري مكانة مميزة في نفس الأمير ، إذ كان غالبا ما يستعين به في مسائل القضاء و في أوجه صرف المال العام و في فرض الضرائب . كما كان الأمير يجتمع به للنظر في مسائل الهدنة والحرب ويشركه في إتخاذ القرارات بشأن أي إتفاق أو تعديل معاهدة . مثلما حدث في إجتماع مليانة الذي رفض فيه المجلس الموافقة على تعديل بنود معاهدة التافنة بعد الإتفاق الذي وقعه الميلود بن عراش على إنفراد مع الماريشال فالي في 04 جويلية 1838 .(32) و يذهب الدكتور أحمد مطاطة الى أن مجلس الشورى الأعلى الأميري كان يشكل أعلى هيئة قضائية في دولة الأمير ، مقره بجوار مقر الأمير ، و كثيرا ما كان المجلس يدفع ويحض الأمير إلى استشارة علماء الإسلام في فاس والأزهر في القضايا العالقة ، ويقوم المجلس فضلا عن تلك المهام بمراجعة أحكام القضاة في المقاطعات الثمانية للدولة. ويصدر فيها أحكاما نهائية ، و لم تكن قراراته تكتسب الصفة الرسمية إلا بعد المصادقة عليها بإتفاق أعضائه ، و كان الإعتماد في التشريع و الفصل في المسائل على الكتاب والسنة و الأعراف الجارية .(33)

و لم يكن في دولة الأمير مجلسا واحدا للشورى بل تميز النظام القضائي و السياسي بتأسيس مجالس فرعية للشورى عرفت بتسمية (ديار الشورى) في كل مقاطعة من المقاطعات بجوار مقرات القضاة و الخلفاء . و على الرغم من تبعية تلك المجالس للمجلس الشوري الأعلى

إلا أن تعيين أعضائها لم يكن يتم من طرف الأمير وإنما ينتخبون تحت إشراف خلفاءه(34) وهذا ما يوضح التكامل والتداخل بين الطابعين المركزي واللامركزي في الإدارة في دولة الأمير عبد القادر.

ج ــ إقامة العدل والمساواة:

ذكر المستشرق الفرنسي المعاصر برونو إيتيين في كتابه " عبد القادر الجزائري" أن الفضيلة القرآنية الرئيسية التي كانت في عيني الأمير هي إقامة العدل .(35) و ظهر ذلك الحرص لديه في تنظيم القضاء في كل مكان بدولته ، وفرض للقضاة رواتب مقدارها 10 دورو (36) و مكافآت وحوافز مادية أخرى عند الإجتهاد والجد . و تواجد القضاة حتى في صفوف الجيش يرافقون الكتائب عند خروجها للجهاد ، و يساعدهم رؤساء الشرطة للإشراف على تنفيذ الأحكام .(37) حاول الأمير عبد القادر منذ توليه الإمارة أن يقيم العدل و النظام معا ، "و كان أول شيئ ابتدأ به هو النظر في أمر القضاة وأخيار العدل في كل موطن "(38) كما أشار إلى ذلك صهره ورفيق دربه و كاتب سيرته مصطفى بن التهامي. ويجدر التنويه في هذا المقام إلى أن الشواهد التاريخية المتوفرة تتيح لنا بشكل دقيق عند مراجعتها الوقوف على الحرص الشديد في الحكم بالعدل والمساواة عند الأمير عبد القادر طيلة أيام إمارت. في يوم بيعته الأولى (27 نوفمبر1832) أمر الأمير عبد القادر كاتبه بتحرير بلاغ وجهه إلى القبائل ، و قد جاء فيه مايلي:" أيها المحرومون والضعفاء (يقصد عامة الناس) إذا كان أحدكم يشكو من قائد لي أو من رئيس مجموعته ،أو من قاض ، فليأت إلى السلطان عبد القادر نفسه ، و سترد عنه مظلمته ، فإن لم يفعل فإن الله لا يحاسب السلطان عليها يوم الدين والله على ما أقول شهيد..." . ثم وضع الأمير أول ختم له على ذلك البلاغ ، و مر من أمام والده الشيخ الوقور محي الدين ثم قال له دون مجاملة :" إغفر لي يا أبي ، و لكن هذه الأوامر ستطبق عليك أيضا ..." (39)

إن ما نحن بصدد الإستشهاد به على عدل الأمير أورده برونو إيتيين ، و إن أقل ما يمكن التعليق به هو أن مثل هذا التجرد المطلق

في إقامة العدل عند الأمير عبد القادر كرجل دولة يكاد لا يكون له مثيل إلا في مآثر السلف الصالح الذين ساروا على هدي الخلفاء الراشدين في الأيام الزاهرة من التاريخ الإسلامي. لقد أدرك الأمير عبد القادر مقدار الجور والظلم اللذين لحقا بالناس لعقود طويلة من جراء ممارسا ت البايلك والقبائل المخزنية ، فكان يردد دائما :" إن الأتراك كانوا ينفذون أحكامهم على أساس الهوى وحب الإنتقام ، ولكنني لن أسمح بتنفيذ حكم إلا بما يرضي شرع الله " (40) ، و ألزم الأمير نفسه و ذويه وسائر رجال دولته من وزراء و قضاة و قادة جيش و شرطة بإقامة العدل و المساواة بين الناس، وسار في سياسته تجاه رعيته مقتفيا خطى الفاروق رضي الله عنه ، حتى شهد له كاتبه الخاص قدور بن رويلة بشيم السلف الصالح و بالإستقامة المثلى فوصفه بقوله:<..الأمير رجل زهيد بدنياه لا يتعلق بحطامها ، يقوم الليل مصليا مسبحا...طيب مع الجميع لايتكبر عن عباد الله ، يتحاشى إظهار نبله ، أمين ولا يريد أن يأخذ شيئا من أموال الدونة ، يحكم بالعدل و القسطاس وينصف أضعف المسلمين ...لا يتسامح مع من أرتكب كبيرة ، و لا يتورع عن معاقبة إبنه والقصاص منه إن هو اقترف ذنبا...>.(41)

د – البعد الإصلاحي في تجربة الأمير:

تميزت تجربة الأمير في بناء الدولة الوطنية ببعد إصلاحي عميق و متعدد الجوانب ، وشهدت جهود الأمير في تغيير الأوضاع الإجتماعية والسياسية والثقافية مراحل بدأها بالدعوة إلى الوحدة بين القبائل و إحياء روح الجهاد ضد الغزاة ،ثم بسن القوانين وفرض النظام ، إلى أن أتمها بنشر العدل والتعليم وإصلاح الأخلاق العامة .

كان الأمير عبد القادر لا يفتأ يردد على مسامع أتباعه وأفراد رعيته :" أريد أن أصلح ".(42) وجاء في رسالته التي وجهها إلى القبائل ليدعوها للبيعة قوله :<...إن هدفي الأساسي هو الإصلاح وفعل الخير ما دمت حيا ، إن تقتني في الله ومنه أرجو الجزاء و النجاح...> .(43)و كأننا به يتمثل قول نبي الله شعيب عليه السلام " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، و ما توفيقي إلا بالله" .(44)

إن توجهات الأمير الإصلاحية جعلته يعيد النظر في العلاقات الإجتماعية القديمة ، ويقوم بتصفية التمايزات التقليدية ، و في سبيل ذلك حاول إزالة كل العوائق التي كانت تحول دون إقامة مجتمع جديد على أسس المساواة في الحقوق و الواجبات بين القبائل.(45)و الخضوع إلى سلطة مركزية تقوم على الشورى والعدل. كانت أولى خطوات الأمير في إصلاح الوضع و قبل إرساء مؤسسات الدولة ، إلغاء الإمتيازات التي كانت قبائل المخزن تتمتع بها ، و سوى بينها وبين بقية القبائل ، و لم يفهم أعيان المخزن أبعاد سياسة الأمير الإصلاحية و اعتبروها تحيزا لعشيرته(قبيلة الحشم)(46) وأخذتهم العزة بالإثم و الكبر حتى قال أحد وجهائهم :<... إن الذين كانوا بالأمس خدامي ،أصبحوا اليوم يتكلمون ويرفعون أصواتهم فوق صوتي...>(47).

لكن على الرغم من نقمة الأرستقراطية الإقطاعية العسكرية التي فقدت مواقعها التقليدية ، نجح الأمير في سنوات معدودة في إرساء قواعد نظام إداري جديد يختلف جذريا عن التنظيم العثماني ، لأن الأمير لم يكرس فيه الفوارق الجهوية والقبلية والعشائرية، ولم يسند فيه المناصب إلا للعناصر الكفؤة و لو أقتضى ذلك عزل ذويه ، و أسقط فيه الضرائب الكثيرة وألغى الحقوق الإقطاعية ، و ألزم جميع أفراد رعيته بإحالة الخلافات إلى سلطته.(48)

و لم يقتصر الإصلاح عند الأمير في ترتيب شؤون الدولة وفرض النظام وتوحيد القبائل ، وإنما شمل ميدان التعليم والثقافة ورعاية الأخلاق العامة ، و لأنه أدرك سريعا حتى وهو يحارب أن القلاع الحقيقية للصمود والقوة في وجه الإحتلال ، كان يجب تأسيسها في عقول وقلوب الناس ، فقد ربط بين العقيدة الصحيحة والعلم وصرح لأعدائه قائلا :<... لكي تتقد جذوة الدين التي يمكن بها وحدها مجابهتكم في كل مكان ، فقد أقمت المدارس التي يتعلم فيها الأولاد إقامة الصلاة وتعاليم القرآن والقراءة والكتابة...>(49).

كان الأمير عبد القادر يحمل في صدره تقديرا كبيرا للعلم والكتب ، جعله يرسل تلاميذه إلى بلاد الأناضول لنسخ المخطوطات ، و بلغ به الأمر أن يعفو عن طلاب العلم مرات عديدة رغم صرامته الشديدة في عقوبات كانت تستحق الموت ، و لم يكن غريبا عنه أنه كان يكافئ

جنوده الذين يأتونه بكتب و مخطوطات يصادفونها في غزواتهم ، فقد عرف عنه ولعه و عشقه للمؤلفات إلى درجة أنه كان يقول غالبا " أنا مسؤول عن الكتب" .(50) وظل حلم إنشاء مكتبة واسعة يراوده حتى أنه كاد أن يرثي مكتبته الخاصة التي صادرها الفرنسيون عندما استولوا على الزمالة في عام 1843 . و لما منعته ظروف الجهاد من إنجاز ذلك الحلم لجأ الى إيداع الكتب الثمينة التي كان يحصل عليها في المساجد و بين أيدي العلماء.

نجحت جهود الأمير في نشر التعليم وفي العناية بالكتب بالرغم من محدوديتها الزمنية نسبيا ، و على الرغم من أنها لم تستفد إلا من فترتين قصيرتين ساد فيهما الهدوء والسلم، كانت الأولى إثر عقد معاهدة ديميشال ودامت من 1834-1836 ، أما الثانية فقد أعقبت عقد معاهدة التافنة و استمرت من 1837-1839 . و شهد الفرنسيون أنفسهم بالوضعية الثقافية الحسنة في الجزائر في السنوات الأولى للإحتلا ل ، فأشار الجنرال فالازي في تقرير اللجنة الإفريقية عام 1834 إلى أن " العرب(الجزائريين) كلهم تقريبا يعرفون القراءة والكتابة ، و في بعض القرى كانت هناك مدرستان ".(51)
و أقر المؤرخون الفرنسيون بأن عدد المثقفين في الجيش الفرنسي الغازي المعروف بالإفريقي ، كان أقل من عددهم في جيش الأمير عبد القادر.(52)
أما في سياق أخلقة الحياة العامة في دولة الأمير ، فقد فرض الأمير إحترام أوامر ونواهي الشرع الإسلامي ، و أكد لكتاب سيرته من العرب والعجم أنه " حرم الخمر و لعب القمار تحريما شاملا لحرمتهما في الدين " .(53) و ذكر أن " أنماط السلوك تحسنت في البلاد التي كانت تحت سلطته ، و تم القضاء على البغاء ، وتحريم إستخدام الرجال للذهب والفضة في تزيين ثيابهم، ولم يسمح لهم بذلك إلا في السلاح وفي عدة الخيل ". و كان الأمير الزاهد كثيرا ما يردد مقولة أمه " إن من يشرب في كأس من فضة تفرقع في بطنه نار جهنم ".(54)

لقد ترك الأمير في توجهاته الإصلاحية الأخلاقية مآثر شخصية تميز بها أمام رعيته ، فكان نموذجا للقائد الذي يأخذ نفسه بالعزم قبل

غيره ، و تمثل قدوة حسنة لأتباعه . و قبل أن يحرم الزينة بالذهب على رجاله قام بإنتزاع الشرابات الذهبية التي كانت تزين ثوب أخيه الأكبر مصطفى في أول يوم لبيعته و على مرأى أبيه وعشيرته، و قبل أن يأمر العامة من الناس بالزهد والتقشف إستعدادا للجهاد و المقاومة ، بدأ بنفسه و أمر إخوته وأعمامه بخلع البرانس الباذخة و ذكرهم بأن " الجنة تحت ظلال السيوف" .(55)

2.2 – مؤسسات الدولة الوطنية في عهد الأمير:

أ ــ مؤسسة القيادة العليا المركزية :

لم تكن دولة الأميرثمرة لإمارة استيلاء أو لولاية عهد ، فلم يغتصب سلكانا من غيره ولم يرث عرشا من أبيه ، و إنما كانت ثمرة لتفويض شعبي له لقيادة الأمة في الجهاد ضد الغزو الأجنبي ، ولتولي إدارة شؤون الأمة السياسية . و لذلك فإن الدولة التي تمكن من إرساء الكثير من دعائمها بعد مبايعته من طرف العلماء والعامة تعد نموذجا للدولة الوطنية التي تمتلك الشرعية الدينية والسياسية إن الكثير من التوصيفات السياسية والقانونية لدولة الأمير و مؤسساتها تبدو نسبية في الغالب ، فقد ذهب البعض إلى اعتبارها دولة جمهورية إسلامية لأنها جاءت نتيجة لبيعة شعبية نبعت من الإجماع العريض للعلماء و الأشراف والكثير من القبائل في تولية الأمير زمام القيادة ، ولأنها أيضا ثمرة لبيعة استوفت شروطها الشرعية إذ تمت على كتاب الله وسنة نبيه الكريم بصيغة :" بايعنا على السمع والطاعة ، وامتثال الأوامر ولو على أنفسنا ، وقدمنا نفسه (الأمير) على أنفسنا ، وحقه على حقوقنا ...".(56) و اتجه البعض إلى وصف النظام السياسي للأمير بأنه كان شبيها بما يعرف اليوم بالأنظمة الرئاسية المغلقة التي يتزايد فيها دور السلطة التنفيذية قياسا مع تراجع السلطة التشريعية ، لأن موقع الأمير في نظام دولته كان محوريا وفعالا.(57)

أما الكتابات التي إنطلقت من دراستها للنخبة السياسية والعسكرية في دولة الأمير ، و التي كانت في غالبيتها من العلماء والمرابطين والأشراف ، فقد إنتهت إلى وصف النظام السياسي لدولة الأمير بأنه كان نظاما ثيوقراطيا ، و وصفت الأمير نفسه" بالإمام العسكري" أو "بالفارس المتصوف".(58)

و تغفل هذه التوصيفات السياسية والقانونية مسألة هامة فيما يتعلق بتجربة الأمير في بناء الدولة الوطنية عن طريق الحركة الجماهيرية المنظمة ، و هي أن تلك التجربة تميزت بتزامنها مع ظروف إستثنائية بفعل تداعي و إنهيار أركان النظام العثماني و ظهور حركة المد الإستعماري ، و هو ما جعل " النظام السياسي و الإداري لدولة الأمير يقوم على توجهين أو طابعين : الأول سياسي مدني توجه نحو إرساء قواعد و مؤسسات الدولة ، أما الثاني فقد كان عسكريا كانت وجهته الجهاد ضد الغزاة المحتلين .(59) . كان نظام الحكم مركزيا يخضع إلى سلطة عليا موحدة يمثلها كل من الأمير ومجلسي الشورى والديوان ، و قد سبقت الإشارة إلى مجلس الشورى . أما مجلس الديوان فكان يتألف من الوزير والنظراء و الكتاب ، و يشبه الوزير والنظراء كل من رئيس مجلس الوزراء و الوزراء في الصيغة العصرية .(60) و أنشأت كتابة للديوان الخاص وأخرى للديوان الأميري و انتدب الأمير من ذوي الفضل والعلم رجالا لدولته ، و قام بإسناد المناصب لهم ، فعين وزيرا له أبو المكارم محمد بن العربي العريني ، و اتخذ كاتبا له إبن عمه أحمد بن علي بن أبي طالب ، الذي خلفه من بعد قدور بن رويلة . و عين على رأس مجلس الشورى قاضي القضاة أحمد بن الهاشمي .

أما النظراء فقد عين منهم سبعة ثم أوكل إليهم مهام الإشراف على النظارات (الوزارات) وجاء توزيعهم كالآتي:

نظارة الداخلية : الوزير محمد بن العربي .
نظارة الأمور الخارجية : أبو محمد الحاج المولود بن عراش.
نظارة الأوقاف :أبو عبد الرحمن الحاج الطاهر أبو زيد.
نظارة الأعشار وصنوف الزكاة : أبو محمد الجيلاني بن الهادية .
نظارة المالية: أبو عبد الله الحاج الجيلاني بن فريحة.

نظارة الحربية: محمد بن الجيلاني.
نظارة الخزينة الخاصة : أبو سعيد محمد بن فاخة .(61)

ب ــ التقسيم الإداري في الدولة :

مر التكوين السياسي لدولة الأمير بمراحل شهدت من خلالها توسعا كبيرا ، ويمكن أن نعتبر سنة 1837 كمعلم زمني بارز بين مرحلتين ، تمتد الأولى من 1832 إلى 1837 و الثانية من 1837 إلى 1847 . و يجدر توضيح أن دولة المير عبد القادر لم تبلغ أقصى إمتداد لها إلا بعد سنة 1837

و تجمع الكتابات التي تناولت دراسة التطور السياسي لدولة الأمير عبد القادر على أنها أصبحت تضم ثماني مقاطعات إدارية (أقاليم) بعد عقد معاهدة التافنة ، وهذه الأ قاليم هي: إقليم معسكر ، تلمسان ، مليانة ، التيطري(المدية)، مجانة(البيبان بسطيف)، الزيبان و الصحراء الشرقية(بسكرة)، برج حمزة و الجبال (البويرة) ،الصحراء الغربية(الأغواط).(62)

و يجدر الذكر هنا ، أن الأقاليم التي نصب الأمير على رأس كل منها خليفة كان عددها في بداية مقاومة الأمير عبد القادر أربعة فقط في عام 1832 . و ضمت آنذاك تلمسان ومعسكر و مليانة والتيطري . ثم أصبحت في عام 1837 ثمانية بعدما وسع الأمير نفوذ دولته التي غدت بعد التافنة تضم بالإضافة إلى الأقاليم الأربعة المشار إليها مقاطعات جديدة هي : برج حمزة ، مجانة ، الصحراء الغربية، الزيبان .(63) كما قسمت المقاطعات (الأقاليم) بدورها إلى دوائر أو نواحي على رأس كل منها آغا ، و النواحي إلى أعراش وقبائل على رأس كل منها قائد ، و الأعراش إلى فرق على رأس كل منها شيخ.(64) ، وتم توزيع الإختصاصات الإدارية في تنسيق متكامل رعي فيه التسلسل الوظيفي بين الخليفة و الأغا و القائد والشيخ .(65) و كانت الأوامر تصدر من الأمير إلى الخلفاء ومن طرف هؤلاء إلى الآغوات .(66) و يتمتع القياد والشيوخ بميزة الإشراف على شؤون القبائل والأعراش ، والعمل

كوسطاء بين القاعدة والآغا الذي يمثل الشخصية الثالثة في الإدارة المحلية .

ج ــ خلفاء الأمير عبد القادر ورجال دولته :

إعتمد الأمير عبد القادر مقاييس صارمة في تعيين القادة الذين كانت تتم توليتهم المناصب بمراسيم يحررها كتاب الديوان الخاص ، وتختم بختم الإمارة . و يتم بعدها تسليمهم ختما لإعتماد القرارات الإدارية. و في حالة صدور قرار بوضع حد لمهامهم يعاد الختم إلى دار الإمارة للدلالة على إنتهاء العلاقة التي كانت تربطهم بالدولة .(67) و لم يستخدم الأمير في جميع أعماله" إلا من أشتهر بمعرفة الأحكام ، و عرف بالعفاف و الإقدام ، و استخدم في إدارة الأمور من كان ذا حزم ، و قوة شكيمة من ذوي البيوت المشهورة بالعلم والفضل ، وحسن السياسة ، و كان يحلفهم على صحيح البخاري بأن لا يعدلوا عن الحق ، و أن يكونوا صادقين في الخدمة مع الأمير والرعية ".(68) كانت النتيجة في تحديد الأمير لتلك المقاييس ، أن اعتمد بشكل كبير على العلماء والأشراف والمرابطين ، و أستثنى رجال النظام العثماني و أعيان المخزن لسمعتهم السيئة في أوساط القبائل . وبذلك كان أغلب رجال الدولة في مجلس الشورى و مجلس الديوان ، بالإضافة إلى الخلفاء في المقاطعات من العائلات ذات العلم والفضل ، حتى أن بعض الأسر الدينية جادت بالعديد من رجال الدولة على عهد الأمير مثل أسرة آل محي الدين القليعي.(69)

إن تسليط الضوء على خلفاء الأمير الذين تولوا إدارة أقاليم أو مقاطعات الدولة سيسمح لنا دون شك بمعرفة نوعية النخبة السياسية والإدارية والعسكرية التي كان الأمير شديد الإعتماد عليها في بناء الدولة من جهة ، و في مقاومة الإحتلال و الغزو من جهة أخرى . كان خلفاء الأمير من أمثال محمد بن عيسى البركاني في التيطري و محمد بن علال في مليانة ، و الحاج مصطفى بن التهامي في معسكر ، و الحاج محمد البوحميدي في تلمسان من عائلات دينية مؤثرة و متميزة بالثروة ، وكانوا علىقدر كبير من الثقافة والقدرة الإدارية و الشجاعة و التدين والولاء للأمير .(70)

ويجب ألا يفوت القارئ هنا أن يعلم بأن هذه العينة من الخلفاء كانت على رأس المقاطعات الأربعة الأولى في الدولة في فترة التأسيس التي امتدت من 1832 إلى 1837 .
أما في المقاطعات الأربعة الأخرى التي تم إلحاقها بعد توسع نفوذ الأمير ، فإن الخلفاء الجدد لم يكونوا في مستوى نظرائهم الأوائل . و كان أقوى وأتقى خلفاء الأمير من بينهم ، أحمد الطيب بن سالم الدبيسي خليفة مقاطعة برج حمزة (البويرة) . بينما لم يتمكن خلفاء الصحراء الغربية (الأغواط) والزيبان ومجانة من أمثال فرحات بن السعيد و الحاج العربي بن عيسى و محمد المقراني من فرض الإدارة و التحكم في الأوضاع .(71)

و في الواقع لم يقتصر دورهم السلبي على ذلك الفشل الميداني فقط ، بل تجاوزه إلى الخيانة والعمالة . إن ما يمكن إستخلاصه مما سبق ، هو أن أداء خلفاء الأمير كان متباينا من مقاطعة إلى أخرى ، فتميز بالجودة و الإستقرار و الثبات في المقاطعات الرئسية التي شكلها الأمير في المرحاة الأولى لبناء الدولة ، وشهد ذلك الأداء إضطرابا و توترا في أطراف تلك الدولة . و يبدو هنا من الضرورة بمكان التعريف بأشهر خلفاء الأمير الذين تعاقبوا على إدارة مقاطعات الدولة في سياق موجز ومباشر :

1- الحاج محمد البوحميدي الولهاصي في مقاطعة تلمسان (1832-1844) .
2- الحاج مصطفى بن محي الدين (شقيق الأمير) في المدية (1837) ،عزل وتولى بعده الحاج محمد بن عيسى البركاني (1837-1843).
3- الحاج محي الدين القليعي في مليانة (1834-1837) ثم خلفه قريبه محمد بن علال(1837-1843).
4- الحاج علي السعدي في المتيجة (1834-1837) ثم أحمد الطيب بن سالم على مقاطعة برج حمزة (1837-1847).
5- الحاج محمد بن فريحة ثم الحاج مصطفى بن التهامي في معسكر (1832-1844).

6- محمد بن عبد السلام المقراني في مجانة (1837-1840) ثم محمد الخروبي و محمد بن عمر العيساوي .
7- فرحات بن السعيد في الزيبان (1837-1838) ثم الحسن بن عزوز (1838-1840) ومن بعده محمد الصغير بن عبد الرحمن الشهير بأحمد بلحاج (1841-1847).
8-قدور بن عبد الباقي في الصحراء الغربية (الأغواط).(72)

د ـ الجيش النظامي للأمير عبد القادر:

أكتشف الأمير عبد القادر في بداية المواجهة مع جيوش الغزو الفرنسي عدم كفاءة وحدات وكتائب جيشه المشكل في غالبيته من المتطوعين من رجال القبائل والفلاحين أمام جيش منظبط لدولة عسكرية كبرى ، فكان عليه تشكيل جيش نظامي بصعوبة بالغة لأن الجماهير الملتفة حوله لم تعهد التجنيد الإجباري حتى في أيام الدايات ومن قبلهم .(73) لقد كانت محاولة إنشاء ذلك الجيش خطيرة جدا من الناحية السياسية لأن الأوضاع الإجتماعية لم تكن مهيئة للقبول بفكرة اللإحتراف العسكري و الإمتثال لقوانين صارمة ، و لذلك فقد أحتاجت تلك المحاولة إلى حنكة وحذر كبيرين من طرف الأمير عبد القادر ، الذي أدرك أهمية وجود قوة عسكرية منظمة ودائمة التفرغ لمهمة الجهاد .74) من أجل صد حركة الغزو و الدفاع عن حوزة الوطن ، ويرجع البعض توجه الأمير عبد القادر نحو بناء تلك المؤسسة الحيوية إلى تأثره بأعمال التحديث التي أنجزها محمد علي باشا في مصر في العقود الأولى من القرن التاسع عشر .(75)
إن تكوين جيش نظامي و مستقل عن سلطة القبائل التقليدية ، كان رهانا عسيرا بالنسبة إلى الأمير عبد القادر لأنه كان يتطلب إيجاد ميزانية كبيرة و خاصة بالمجهود الحربي من جهة ، و يصطدم بعارضة القبائل الرافضة لإصلاحات الأمير التي حرمتها من الإحتفاظ بإمتيازاتها القديمة في تحصيل الأموال و حفظ النظام . إلا أن الأمير تمكن من تجاوز المعضلة الأولى بسن و فرض ظريبة برسم الجهاد ، بعدما انتهى مجلس الشورى إلى أن مداخيل الزكاة والعشور لم تكن

كافية لتغطية نفقات المجهود الحربي ، وأطلق الأمير على تلك الظريبة إسم " المعونة" .(76)

ثم اتجه الأمير إلى إستخدام القوة العسكرية لإخضاع القبائل المتمردة و كان على رأسها قبائل المخزن الشهيرة بالزمالة والدوابر في القطاع الوهراني ، و فرض عليها الإمتثال إلى أوامره ، و بعدئذ عكف الأمير على صياغة نظام و قوانين الجيش في بنود مفصلة جمعها في قانون شامل أسماه ب" وشاح الكتائب و زينة الجيش المحمدي الغالب".

كان التجنيد في جيش الأمير يقتصر على البالغين من الرجال في سن 15-25 سنة(77) ، و قسم الأمير جيشه إلى ثلاثة أنواع من الوحدات هي : المشاة أو العسكر (الإستعدادات)، الفرسان أو الخيالة ، المدفعية (الطبجية).(78)

و كان لكل قسم من الوحدات الثلاثة ثيابه الخاصة و شاراته الخاصة ، و قسمت الوحدات أيضا إلى فرق و تم تحديد تسلسلها : المشاة أو العسكر ينقسمون إلى مئات و على رأس كل مائة قائد وله مساعدان ، و الخيالة إلى كوكبات كل كوكبة من خمسين فارسا ، أما المدفعية فكانت تضم أفواجا ، كل فوج يضم إثنا عشر مدفعيا و على رأسه جندي (79).

ساد الإنظباط في جيش الأمير و كان النظام شديدا يميزه الحضور المنتظم و تلاوة القانون العسكري مرتين في الشهر ، وإستعراض المعدات و الرجال ، و إجراء التمارين والمناورات ثلاثة مرات في الأسبوع ، و تسجيل جميع الأفراد في السجلات ، و حرص الأمير على منع الخمر والقمار والتدخين في معسكرات الجيش ، و أعطى الجنود الحق في وجبتين من اللحم أسبوعيا و فرض لكل الجنود رواتب شهرية (80).

لم يكن إعداد ذلك الجيش ممكنا للأمير إلا بعد جهود طويلة ومضنية ضد القبائل وضد أقاربه أحيانا ، فقد بدأ الأمير تنظيم جيشه بالإستنجاد بالمتطوعين من القبائل و بالإستعانة بخبرات الجنود الأوروبين الفارين

من الجيش الإفريقي الفرنسي الغازي ، والذين كانوا في غالبيتهم من الألمان الذين ساعدوا الأمير في تطوير سلاح المدفعية في جيشه .ثم تحول بتلك النواة الصغيرة إلى التفكير في إنشاء جيش نظامي محترف تطور بشكل سريع في الفترة الممتدة من أواخر عام 1833 إلى أواخر سنة 1839 . و لعله من قبيل المجازفة بالنسبة لأي باحث أو مؤرخ إلى حد اليوم التجرأ بإعطاء إحصاء أو تعداد محدد أو دقيق للجيش النظامي للأمير عبد القادر على حد تعبير الأستاذ جمال قنان ، و يعود السبب في هذا إلى أن المعطيات المتوفرة في الكتابات التي تناولت الموضوع تبدو على قدر كبير من التباين و التناقض . ولذلك فإن هذه الدراسة لا يسعها الفصل في مسألة ضبط تعداد جيش الأمير بشكل دقيق ، و إن كانت لا تعدم القدرة على تمحيص ونقد التقديرات و الأرقام التي ذهبت إليها بعض الكتابات . تشير بعض المصادر الفرنسية إلى أن الأمير عبد القادر كان يمتلك كتيبة نظامية بلغت قرابة الألف جندي في أواخر عام 1834 أوكل تدريبها إلى عدد من الجنود الألمان الفارين من القوات الفرنسية الغازية ، ثم ذكرت أن تعداد ذلك الجيش وصل إلى أربعة آلاف و خمسمائة من المشاة و ألف فارس و مائة وأربعين مدفعي في عام 1837 .(81)

أما صاحب" تحفة الزائر " فقد أشار إلى أن جيش الأمير بلغ في أقصى تطور عددي له إلى خمسة عشر ألف و ثلاثمئة جندي موزعين على النحو التالي : إثنا عشر ألف من المشاة ، وألفين و خمسمئة من الفرسان ، وخمسون مدفعيا , و خمسمئة من الحرس الخاص بالأمير .(82) لكن الملاحظ أن هذه الأرقام تبدو ضعيفة مقارنة بما أورده برونو إيتيين في دراسة حديثة له عن الأمير عبد القادر ، فقد ذهب إلى القول بأن أرقام تطور الخيالة و المشاة في الفترة الممتدة بين عامي 1833-1840 تشير إلى أن الأمير تمكن من تحقيق جيش ضخم مكون من 14 ألف خيال و 20 ألف جندي من المشاة ، و بلغ أقصى إحتياطي له حوالي 60 ألف جندي .(83)

و يبدو جليا أن برونو إيتيين استعار ما ذكره من أرقام حول جيش الأمير من شارل هنري تشرشل ، الذي ذكر بأن قوات الأمير غير

النظامية (إجمالي الإحتياطي) كانت تبلغ حوالي 60 ألف جندي . لكن تشرشل نفسه أوضح أن الأمير لم يحدث له إلا نادرا أن جمع ثلث ذلك العدد في وقت واحد بغرض القيام بحملة عسكرية .(84) و لعل هذا ما يوضح إيتيين تعمد هنا تقديم أرقاماعامة لعدم توفره على إحصاءات دقيقة . و إذا ما أخذنا بما ذكره تشرشل فإن أقصى ما كان يصل إليه تعداد جيش الأمير لم يكن يتجاوز عشرون ألف جندي ، و لكن أرقاما دون ما أشرنا إليها تبدو غير دقيقة و مبالغ فيها بشكل كبير عند جمال قنان الذي اعتبر ما ذكره الأمير محمد بن عبد القادر في التحفة(15300 جندي) و هو أقل مما ذهب إليه كل من تشرشل و إيتيين ، بأنه كبير و مبالغ فيه لأن موارد الأمير المالية لم تكن تسمح له بتجنيد كل ذلك العدد بالنظر إلى كلفة المرتبات و التجهيز والصيانة التي كانت تقدر بمليوني فرنك.

أعطى جيش الأمير عبد القادر النظامي الذي لم تتح له ظروف الحرب الفرصة للإكتمال ، قوة و دفعا كبيرين للمقاومة ، وسمح لها بالصمود لسنوات عديدة أمام أحد أقوى جيوش العالم في ذلك العصر ، و هو الجيش الفرنسي المتمرس في أعقاب حروب نابوليون في أوروبا و الذي كان تعداده يتجاوز المائة الف جندي . إن مآثر جيش الأمير العسكرية فرضت إحترام الأعداء له (86) لأن ظروف الجهاد العصيبة ضد الغزاة الذين أنتهجوا في مواجهته سياسة الأرض المحروقة لم تمنع الأمير و قادة جيشه من التمسك بالأخلاقيات القتالية الفاضلة في معاملة الأسرى وفي إحترام العهود والمواثيق ، وبلغ ذلك الجيش مستوى رائعا من التكوين المعنوي القائم على الإلتزام و الأخلاق حتى أنه يمكننا القول أنه يعتبر نموذجا لسلوك حربي لم تبلغه الكثير من جيوش الدول المحاربة حتى في النصف الأخير من القرن ال20 .(87)

4- تأملات واستنتاجات :

في ختام هذه الدراسة الموجزة لم أجازف بوضع عنونة لخاتمة إقرارا في نفسي بأن البحث في الإرث السياسي للأمير عبد القادر أكبر من أن تحتويه هذه الصفحات المعدودات . ولكنني توخيت من ورائها توجيه

دعوة إلى إعادة تقييم وتثمين الكثير من التجارب الكبرى في تاريخنا الوطني ، و ذلك من خلال تجاوز القراءة الكلاسيكية الموروثة عن مدرسة التاريخ الإستعماري التي يمكن اليوم إثبات أنها موبوءة بمضامينها الإستشراقية و الإستعمارية الحاقدة حينا و المغرضة المضللة حينا آخر . إن هذا البحث لايسعه أن يوفي الأمير حقه باعتباره مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ، و رائد المقاومة الوطنية للإحتلال ، و لكنه سيتيح بقدر متواضع إعادة إكتشاف جزء من التراث السياسي المشرق للجزائر في القرن التاسع عشر . و نعني به هنا على وجه الخصوص تراث الأمير عبد القادر الذي قدم أول قاعدة للتوحيد الوطني على الرغم من محدوديته في الزمن . قياسا مع تجارب أمم أخرى .(88) لأن الأمير كان موقظا للضمير الوطني بأفعاله وأقواله طيلة عهد جهاده الذي بلغ سبعة عشر عاما ، ولأنه جعل الجهاد في سبيل الله وسيلة ، والوحدة الوطنية هدفا .(89) وقد لا يجد المرء أبلغ ما يمكن به التدليل على الأهمية التاريخية لتجربة الأمير في محاولته لبناء الدولة الوطنية الحديثة إلا في العودة إلى شهادات أعدائه و بعض كتابات الفرنسيين أنفسهم ، و ليس في هذا أي نزوع تفضيلي و لكن تلك الكتابات لم تكن صادقة مع نفسها ومع الواقع التاريخي في كتابة التاريخ الجزائري إلا في تقديرها للأخطار الحقيقية التي كانت تحدق بالوجود الإستعماري في الجزائر من جراء ردود الفعل الوطنية على الإحتلال .

كانت جهود الأمير على رأس الأخطار التي وضعت مصير المد و الغزو الإستعماريين على كف عفريت في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وقد لاحظ الماريشال بيجو في عام 1839 أعمال الأمير في السياسة والحرب فعلق عليها قائلا :<...لم يعد العرب (الجزائريون) يواجهوننا فرادى كما كان الأمر في السابق ، لكن في مجموعة منظمة تحت قيادة موحدة تتمتع بسلطة مزدوجة سياسية و دينية (يقصد الأمير). لقد أصبحوا يتحركون و كأنهم أسياد على أبواب مدينة الجزائر و في مقاطعات وهران والتيطري ، و في جزء من مقاطعة قسنطينة ..>(90)

ثم وقف السياسي الشهير ألكسيس دو توكفيل في الزيارة التي قادته إلى الجزائر في عام 1841 على حقيقة الخطر الذي كان الأمير يشكله على مستقبل الإحتلال و الغزو ، فكتب جملة ملاحظاته في تقرير له رفعه إلى الجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان) ، قام من خلاله بتوجيه ما يشبه صرخة الإستغاثة و الدعوة إلى ضرورة وأد جهود الأمير في مهدها . و قد جاء في ذلك التقرير مايلي:<... نجح عبد القادر في بضع سنوات في تنظيم الجيش ، و إختراق الحساسيات القبلية ، و في تكوين جبهة قوية نسبيا . كان عبد القادر دائما مستعدا للتحذير و لسحق كل أشكال المعارضة ، كان يقهر الأغلبية بالحماس الشديد و الأقلية بالخوف ، وهذا هو سر قوته ....إنه يتصرف كما تصرف ملوكنا تجاه الإقطاع . إنه لا يعلن الحرب ضد الفرنسيين فقط ، بل حتى على الأرستقراطيات الوراثية في بلاده .... إن هذه القوة يجب ألا نتوقع بأنها ستزول كما زالت قوة أخرى ، بل على العكس إنها تبعث على الخوف . إن عبد القادر اليوم بصدد بناء سلطة أكثر مركزية وحركية و قوة كما لم تكن عليه يوما دولة الأتراك ، و يجب عمل كل شيئ من أجل عدم تركته ينهي هذا العمل الخطير .>.(91)

إن قراءة بسيطة وعابرة لتقرير دو توكفيل القاضي و الوزير و المفكر الفرنسي البارز في القرن 19 ، و صاحب المؤلف الشهير " الدمقراطية في أمريكا" . تسمح لنا دون شك بتقدير حجم إستشعار" الإستدمار" أو "الإستكبار" الفرنسي للخطر الذي شكلته جهود الأمير عبد القادر في سعيه نحو تأسيس دولة وطنية حديثة ، لأنه انطلاقا من نص التقرير يمكن أن نقف ضمنيا على تشبيه دو توكفيل للأداء الذي قام به الأمير على مستوى الجبهة الداخلية بما قام به ملوك فرنسا و على رأسهم فرانسوا الأول في القرن 16 . و هو الملك الذي تمكن من فرض النظام المركزي الذي يعد الميزة الأساسية في تطور النظام السياسي الفرنسي إلى يومنا هذا ، كما تضمن التقرير إقرار صاحبه بأن الدولة الجديدة الناشئة على يد الأمير كانت أكثر صلابة و أكثر حداثة مما كانت عليه من قبل .

و أخيرا وليس آخرا ، إن إعادة النظر و الإعتبار للتاريخ الوطني في مختلف مراحله ستسمح لنا بتجاوز العقد الكثيرة التي نفثتها أقلام

الدجالين من سحرة المدرسة الإستعمارية التي يستحسن أن نصطلح على تسميتها بالمدرسة الإنكارية ، لأنها اتخذت من الجحود مبدأ لها في قراءتها للتاريخ الجزائري ، و انتهت إلى إنكار توفر مقومات الأمة و الجماعة و الضمير الوطني و الشعور بالإنتماء و الهوية في التاريخ الوطني . وذلك على الرغم من كثرة الشهادات التاريخية التي جاءت على ألسنة العديد من أعلام السياسة و الحرب الإستعماريين أنفسهم , التي تناقض إلى أقصى درجة طروحات تلك المدرسة التاريخية الإنكارية الإستعمارية. و هاهي إحدى صحوات الضمير تستيقظ في صدر المستشرق الفرنسي المعاصر برونو إيتيين لتلغي ذلك الركام الزائف لتلك المدرسة . فقد وقف هذا الرجل و هو يكتب مؤلفه الجديد والضخم عن الأمير عبد القادر ، و الحيرة تعتري قلمه و جوانحه في محاولة تفسير أسرار صمود مقاومة الأمير عبد القادر لسنوات طويلة أمام أقوى وأعتى الجيوش البرية في العالم آنذاك ، و لم يجد ما يقوله سوى هذه الجملة الحائرة التي لم تكتمل :<... لا يمكن تفسير ذلك الصمود بعبقرية الأمير لوحدها ، ربما كانت الجزائر أغنى بكثير ....>(92)

لكن إيتيين عاد بعد ذلك إلى توقيع تقرير رائع حول الأمير عبد القادر لم أجد له مثيلا في كل ما قرأت ، فقال بلسان قلمه:< ...في عصر كان فيه هيغل يحاول أن يضع الخطوط الأولى لنظريته عن الدولة ، و كانت فيه الأمتان الألمانية و الإيطالية تفتشان عن هويتهما عبر سير الأبطال و الأوبرات . تمكن سلطان شاب في سهل أغريس من أن ينشئ دولة حديثة ،وهو لم يتجاوز الثلاثين من العمر...>(93).

2 – إنجازات حزب الشعب الجزائري (1937–1945) :

لعله من المفيد أن نذكر، بان نجم شمال إفريقيا لم يدخل أرض الجزائر ويستقر بها إلا بعد المؤتمر الإسلامي سنة 1936، ولكنه كان أول من جهر بفكرة استقلال الجزائر عن فرنسا وأعلن أن برنامجه يتمحور حول تحقيق هذا الهدف الكبير، وعندما حل وتأسس على إثره حزب الشعب الجزائري الذي ولد في الجزائر أساسا فإنه ورث عنه هذا

الهدف كما ورث المناضلين الذين كانوا في النجم.(94) ولسنا بمعرض تفصيل ذلك هنا وإنما نريد توضيح إنجازات حزب الشعب الجزائري بين سنتي 1937 و1945، في محاولة بنا ء الدولة الجزائرية من خلال النقاط التالية.

ترسيخ الوطنية الجزائرية عبر مبدأ الاستقلال وتأسيس البرلمان الجزائري:

إنه من اللازم الإشارة إلى أن نجم شمال إفريقيا قد انتقد قرارات المؤتمر الإسلامي وعاتب العلماء على مشاركتهم في هذا المؤتمر وخاصة ذلك القرار الذي يربط الجزائر بالوطن بفرنسا مما يقضي على هوية الجزائر وفكرة استقلالها (95) وهو بهذا لم ينافح عن استقلال الجزائر فحسب، بل إنه نبه العلماء إلى الخطأ السياسي الذي وقعوا فيه دون وعي منهم، وقد اعترف ابن باديس بذلك خاصة بعدما رأى أن الحكومة الفرنسية غير متجاوبة مع مطالب المؤتمر وخاصة ما يتعلق منها باللغة العربية والدين الإسلامي وضرورة المحافظة على قانون الأحوال الشخصية للجزائريين (96)

وعندما طالب النواب من خلال قرارات المؤتمر الإسلامي بضرورة تمثيل المسلمين في البرلمان الفرنسي ومجلس الأمة رفع نجم شمال إفريقيا وبعده حزب الشعب مطلب البرلمان الجزائري الذي يعارضه تماما، وهو يقضي بجعل السلطة التشريعية وكذلك السلطة التنفيذية التي ستنبثق منها في يد الجزائريين وبحكم التفوق العددي فستكون هذه السلطة في يد المسلمين بالطبع ولكنه لم يصل إلى درجة أن يصرح بمبدأ حق تقرير المصير مباشرة (97) . وإذا ما كان النجم مجرد جمعية تمارس السياسة أسست أول الأمر لتدافع عن حقوق العمال المغاربة والجزائريين بعد ذلك، ولا تدل على مستوى التسمية على الوطن الجزائري مباشرة فإن مصالي ومناضلي حركته فكروا طويلا في أمر تسمية الحزب الجديد الذي عزموا على تأسيسه بعد حل النجم و اهتدوا أخيرا إلى تسميته بحزب الشعب الجزائري(98) ، وهي تسمية ذات دلالة وطنية لا غبار عليها وإن أراد بعض المغرضين ربطها

بفرنسا وتشبيهه بالحزب الشـــعبي الفرنســـي لـــدوريو (الحزب الفاشي في فرنسا) (99) .

ومهما يكن من أمر فإن حزب الشعب الجزائري قد أسس ثلاث اتحاديات على رأس كل عمالة جزائرية في حين لم يكن للنجم إلا اتحادية واحدة لكل الجزائر وبمرور الزمن ازداد عدد المناضلين وخاصة في الجزائر العاصمة وضواحيها، وبسبب المضايقات المتتالية في فرنسا أصبح مناضلو الحزب بالجزائر أكثر حرية في التصرف ثم ما فتئ أن انتقلت الإدارة الفعلية للحزب إلى الجزائر منذ جوان 1937. ومع أن مصالي قد تخلى فيما يظهر ظاهريا عن مطلب الاستقلال الكامل وأصبح يصرح بمثل الكلمات التالية "لا اندماج ولا انفصال بل تحرر" (100) ويكتب في جريدة الزهرة التونسية ما يلي: "أنا لست معاديا لفرنسا أنا ضد الإمبريالية، أنا من أجل للحرية الكاملة للجزائر... ومبادئ حزب الشعب الجزائري تتجه لجعل الجزائر دومينيون وإجبار الحكومة الفرنسية على الاعتراف للشعب الجزائري بشخصيته وهويته ومنحه دستورا وبرلمانا تكون فيه الأغلبية للمسلمين (101) .ولكن رغم هذا، فالراجح أن مصالي إنما كان يتخذ البرلمان الجزائري كوسيلة لتحقيق الاستقلال، وليس هناك تنازل عن هذا المطلب الأساسي عنده. ونشير هنا إلى أنه كان يطالب دائما بالقضاء على الإقطاع الكولونيالي، ويطالب بتوزيع الأراضي على الفلاحين الجزائريين.

تنظيم الشعب الجزائري وتأطيره:

إن مطالب وشعارات حزب الشعب الجزائري جذبت إيه الشعب الجزائري الذي كان يعاني من تعسف الإدارة الفرنسية والكولون ويحلم بمن يخلصه من هذا الكابوس، وقد عمل رجال هذا الحزب على تأطير هؤلاء المناضلين والمتأثرين بدعاية الحزب في خلايا سرية وتنظيم هرمي محكم .وعندما استقر مصالي لبعض الوقت بالجزائر ازداد عدد المنخرطين في حركته (102) ، ولعل هذه الشعبية هي التي شجعت مصالي الحاج على قرار مشاركة حزبه في الانتخابات البلدية التي جرت في سنة 1937، ومع أن هذا الحزب لم يفز على قائمة منافسيه

المشكلين من الشيوعيين والأعيان ومنهم العمودي إلا أن الأصوات التي أحرز عليها تدل على مدى سرعة تغلغل هذا الحزب الجديد في الأوساط الجزائرية (103) ، و قد شجعه ذلك على توسيع هذه الشعبية بالخطب والمهرجانات والمشاركة في المظاهرات.

العلم الجزائري:

عندما علم مصالي بأن الحزب الشيوعي الجزائري يحضر لمظاهرات بمناسبة 14 جويلية عيد الاستقلال الفرنسي باسم الجبهة الشعبية الحاكمة وقتها، قرر على الفور المشاركة فيها وحرر منشورا حول الموضوع يدعو الناس للمشاركة ولكنه حرص منذ البداية أن تكون مشاركة الجزائريين المسلمين متميزة عن مشاركة الآخرين، حيث سيسيرون في موكب خاص بهم وتحت علم خاص (104) ولكن أين العلم أو الراية الجزائرية لقد تذكر أن زوجته الإسبانية قد خاطت علما جزائريا منذ سنوات فطلب على الفور بالهاتف إحضاره في الوقت المناسب، ولأول مرة في تاريخ الجزائر في القرن العشرين يرى العلم الجزائري ذي الألوان الإسلامية يرفرف في أيدي المتظاهرين في مسيرة الاحتفال بعيد الحرية الفرنسي في 14 جويلية من سنة1937 بشوارع بلكور.(105) وإلى جانب العلم كان النشيد الرسمي لحزب الشعب الجزائري حاضرا وهو نشيد فداء الجزائر روحي ومالي لمفدي زكريا[).(106) وقد ظهر مصالي خلال هذه المظاهرات والرحلات التي تلتها إلى مختلف جهات الجزائر على أنه زعيم الجزائر ومخلصها الذي كانت تبحث عنه فزاد ذلك من اعتناق الناس لأفكاره ومبادئه البسيطة والواضحة التي تهم كل الجزائريين .ومع أن القمع سيبدأ في ملاحقة رجال حزب الشعب وخصوصا مصالي وأعوانه إلا أن ذلك لم يحد من انتشار حزب الشعب ولا من الاستمرار في تنظيم خلاياه السرية عبر القطر الجزائري(107) .

وجاءت الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من حل حزب الشعب لتزيد من تنظيم الحزب سريا وتزيد من الوعي السياسي والحس التنظيمي لدى أفراده.

3ـ مساهمة جمعية العلماء المسلمين والتيارات الأخرى :

في الميدان السياسي :

رغم أن جمعية العلماء كانت جمعية علمية دينية غير سياسية في ظاهرها كما يظهر ذلك في قانونـــها الأساسي إلا أنها كانت تتدخل في المسائل السياسية بشكل أو بآخر، ولم تلتزم بقانونها حرفيا(108) . كما أن أعمالها الدينية والعلمية هي في حقيقتها ضرب للسياسة الفرنسية في الجزائر ولمصالح الاستعمار بالنظر إلى النتائج التي ستحققها هذه الأعمال في المستقبل القريب والبعيد، ويحفل تاريخ جمعية العلماء بين سنتي 1931 و 1956 بسجل من النشاطات والمواقف السياسية الظاهرة والخفية.ومن هنا نرى أنه من الضروري تبيين مساهمة جمعية العلماء في بناء هياكل وأسس الدولة الجزائرية والعمل على تحقيق استقلالها من الاستعمار الفرنسي .

إن جمعية العلماء بحكم طبيعتها غير السياسية ووقوعها تحت طائلة قانون الجمعيات غير السياسية الفرنسي، وبحكم تسلط الاستعمار والنظرة المريبة للإدارة الفرنسية تجاهها (109) .وتماشيا مع مفهوم الإصلاح الفكري والديني الذي رسخه في العالم الإسلامي محمد عبده ورشيد رضا وأتباعها، الذي يعطي الأولوية للإصلاح الفكـــري قبل النشاط السيـــاسي، فإن جمعية العلماء ورجال الإصلاح قبل تأسيسهاـــ لهذه العوامل التي سبق ذكرها ـــ ركزوا على النشاط الإصلاح الديني والثقافي، ولكن دون إهمال النشاط السياسي المباشر.

من الواضح أن الدين الإسلامي هو أهم مقوم للشخصية الوطنية الجزائرية وهو أهم حاجز بين الجزائريين والأوروبيين حال دون اندماج الجزائريين في الوطن الفرنسي وذوبانهم في المجتمع الفرنسي(110). وقد جاء المصلحون وبعدهم جمعية العلماء ليؤكدوا ويرسخوا ذلك ووقفوا به في وجه رجال النخبة الداعين إلى الاندماج في الوطن الفرنسي للحصول على الجنسية الفرنسية ومزاياها ولعل فتوى ابن باديس بردة المتجنس بالجنسية الفرنسية خير شاهد على ذلك(111) .

وضمن هذا الإطار نسجل أن جمعية العلماء قد رسخت فكرة الاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام لدى عموم الشعب وبالخصوص لدى النخبة المتفرنسة المتخرجة من المدرسة الفرنسية ومن بقية المؤسسات الفرنسية التي تعرضت لغزو فكري وغسيل مخ مركز,وحافظت بذلك على طاقة بشرية مهمة ستتعزز بها الحركة الوطنية الجزائرية.

لقد نظر علماء الإصلاح في الجزائر وخاصة ابن باديس للواقع المزري الذي كانت تعيش فيه الجزائر ووجدوا أن الدين الإسلامي المقوم الأساسي للشخصية الجزائرية في خطر كبير، ليس فقط لكون الحكومة الفرنسية جادة في تنصير وعلمنة الجزائريين ونشر الإلحاد بينهم بل لأن الإدارة الفرنسية التي وضعت يدها على مؤسسات الإسلام وأوقافه تحاول جادة للتدخل في عقائده وشرائعه لصناعة إسلام جزائري خادم للاستعمار الفرنسي(112)،

كما أن الإسلام الذي يعرضه الطرقيون لا يتفق مع إسلام الكتاب والسنة وهو إلى جانب ذلك يعرقل المجتمع الجزائري عن التطور ويبقيه دائما في حالة ركود وخنوع وقبول بالسيطرة الفرنسية ويكرس فكرة التفوق الأوروبي، وعدم صلاحية الإسلام للتطور.ومن هنا ندرك أن نشر الفكر الإصلاحي والسلفي، هو غرس لروح المقاومة والاعتزاز بالدين الإسلامي الذي بنى في الماضي حضارة مجيدة عندما التزم المسلمون به حق الالتزام وقبل أن يقضي الفكر الطرقي على روح المبادرة والعمل ويرسخ مبدأ الزهد بطريقة مغلوطة، كما أن هذا الفكر الإصلاحي كان ثورة على الأمر الواقع الذي تعاون الطرقيون والاستعمار على تكريسه لمصلحة كل منهما (113)

ومن هنا نرى أن انشغال جمعية العلماء بمحاربة الفكر الطرقي والطرقيين، ليس مضيعة للجهود وتبديد للقوة في صراع داخلي لا يستفيد منه إلا الاستعمار كما يريد أن يوهم البعض بذلك، بل هو ضرب للاستعمار في إحدى مقاتله من جهة، وقضاء وإزاحة لصخرة كبيرة كثيرا ما عرقلت الجزائريين خصوصا والمسلمين عموما في مختلف العصور. وبعبارة موجزة يمكن القول أن جمعية العلماء قضت على الإسلام المهادن للاستعمار والمتعاون معه أو الإسلام الجزائري كما يحلو لخبراء الشؤون الأهلية تسميته وأعادت الإسلام إلى طبيعته التحررية النضالية، إسلام الأمير عبد القادر والشيخ الحداد وغيرهما،

إسلام المقاومة والجهاد، الإسلام الذي يرفض الخضوع للمستعمر. ولكنه هذه المرة لم يرفع السيف والبندقية لتحقيق ذلك بل رفع القلم والنشاط الجمعوي والتعليمي والديني لاعتبارات عديدة.

ولم تكتف جمعية العلماء بالتنظير وطرح الأفكار عبر صحافتها ومنابر دعايتها الأخرى بل كان نجاحها الميداني أكثر إقناعا للجزائريين وغيرهم من جدلهم الكلامي مع خصومهم. وقد جسدوا أفكارهم في الميدان وأعطوا نموذجا حيا على إسلام الكتاب والسنة إسلام العلم والتطور والحضارة، إسلام التكاتف الاجتماعي والنقاء الأخلاقي، إسلام البذل والتضحية وليس إسلام الاستغلال والخضوع للأمر الواقع وللأعداء(114) . وإذ ما أردنا إجراء مقارنة أخرى بين نشاط رجال جمعية العلماء في محال الوعظ الديني ونشاط المساجد ونشاط رجال الوظيف الديني الرسمي التابع للإدارة الفرنسية، وهي مقارنة كانت تجرى على الدوام من قبل الجزائريين وقتها فإننا سنلاحظ أن رجال الوظيف الديني كانوا في مجملهم أقل علما وكفاءة وتأثيرا في المستمعين إليهم لاعتبارات عديدة، منها التكوين الذي تلقوه وكذلك غياب الوازع الديني الخلقي لدى أغلبهم فهدفهم هو الراتب وليس الدعوة للدين وحمل همه عكس رجال جمعية العلماء المتشبعين بروح النضال لتحقيق مشروعهم الكبير(115) .

وتكفي الإشارة هنا إلى التأثير الكبير لنشاط ابن باديس بالمسجد الأخضر الصغير المنزوي في قسنطينة وما حولها مقارنة بالتأثير المحدود للمفتي المالكي بها مولود بن الموهوب الذي كان يستأثر بالتدريس والإمامة بالجامع الكبير بوسط المدينة(116) . ولعله من الأساسي هنا التذكير بأن جمعية العلماء لم تفتأ تطالب بضرورة تحقيق استقلال الدين الإسلامي عن الإدارة الفرنسية لتكون تحت إدارة المسلمين وبعبارة أخرى استعادة السيادة على جانب من جوانب الحياة لدى الجزائريين، ولكن الإدارة الفرنسية لم تكن لتحقق ذلك رغم أن قانونها يحتم عليها ذلك ورغم حرصـــها على الظهور بمظهر الدولة العلمانية والعصرية لأن ذلك يشكل خطرا كبيرا على مستقبلها في الجزائر (117) ، .ونلاحظ أيضا أن جمعية العلماء كانت حريصة على بقاء المحاكم الإسلامية رغم ما فيه من عيوب، ووقفت ضد محاولات

إلغاء القضاء ليتحاكم المسلمون في أمورهم الشخصية التي كانت تنظر فيها هذه المحاكم أمام المحاكم المدنية الفرنسية، وكانت تطالب بتطوير القضاء الإسلامي بتحسين تكوين القضاة وفتح المجال أمام خريجي المعاهد الإسلامية لتولي هذه المناصب(118) . وقد أفتت جمعية العلماء بردة من يستأنف حكما صدر من محكمة القضاء الإسلامي أمام محكمة مدنية لأنه استبدال حكم الإسلام بحكم من وضع البشر(119) . وهي بهذا تريد أن يحافظ المسلمون الجزائريون على وضعهم القضائي المتميز بذل الذوبان في المجتمع الفرنسي عبر القضاء.وبهذا يمكن القول بأن جمعية العلماء أصبحت هي المرجعية الدينية للشعب الجزائري يرجع إليها ويستمع لآرائها وخصوصا لأتباع الحركات الوطنية(120) واستعادت السلطة الدينية التي أممها الاستعمار عن طريق تحكمه المباشر في رجال الوظيف الديني وتحكمه غير المباشر ولكنه فعال ــ على أية حال ــ على رجال الطرق الصوفية.

ومن هنا أدركت الإدارة الفرنسية حجم الخطر الذي يمثله العلماء الإصلاحيون فسعت لعرقلتهم بتشجيع رجال الوظيف الديني والطرقيين من جهة ونفخ روح المقاومة والقوة فيهم، ولكن لما وجدهم أعجز من أن يحدوا من التأثير المتزايد للعلماء المصلحين فضلا عن القضاء عليهم(121) لجأت إلي القرارات الإدارية والملاحقات الأمنية والسياسية وإلى تدبير المؤامرات لتفتيت جمعية العلماء وتلطيخ صورة زعمائها وحمل بعضهم على التنازل عن بعض مبادئ الجمعية الأساسية (122) . وإذا نظرنا إلى النشاط الديني في المساجد وعبر الصحافة أو عبر اللقاءات المباشرة الذي كانت تمارسه جمعية العلماء نجد أنها كانت تقوم بمهام وزارة الشؤون الدينية ميدانيا لا ينقصها إلا الاعتراف القانوني بذلك وهي لم تكن بحاجة إليه ولا تريده، بحكم الاعتراف الشعبي الكبير من جهة، و كونه سيصدر من دولة مستعمرة غير مسلمة (123) .

في المجال العلمي والثقافي:

إن من أهم وظائف الحكومات والدول الإشراف على التعليم والتكوين وعلى مختلف مظاهر النشاط الثقافي والفكري،ونحن إذا تتبعنا نشاط جمعية العلماء في هذا الميدان نجد أنه يشكل ظاهرة بارزة اتسمت

بالتنظيم المحكم والهدف الواضح مما يؤكد أنه ليس عملا عفويا معزولا بل عملا لغاية أكبر من التي تذكر عادة في طلبات تأسيس المدارس وقتها،ولسنا هنا في معرض الحديث عن هذا التعليم من حيث مشاريعه ووسائله والصعوبات التي واجهته ولكم ما يهمنا هنا هو مدى دلالة هذا النشاط التعليمي على تمايز المسلمين الجزائريين على المجتمع الفرنسي ودولته وترسيخه لفكرة الدولة الجزائرية المغايرة والمستقلة عن الدولة الفرنسية (124) ، ومن جهة أخرى كيف كان هذا التعليم من خلال الهيئات المشرفة عليه ومن خلال اتساع الرقعة الجغرافية التي يشملها وحسن تنظيمه يوحي بأن هذه الهيئات كأنها دولة داخل دولة (125) .

.فقبيل الثورة التحريرية كانت جمعية العلماء تسير أكثر من أربعمائة مدرسة بين ابتدائية وإعدادية ومعهد ثانوي هو معهد ابن باديس في قسنطينة. وإلى جانب ذلك كانت جمعية العلماء ترسل طلبتها إلى الجامعات في المشرق العربي لإكمال دراساتهم العليا، وكانت هذه المدارس تخضع لنظام مضبوط وتدرس برنامجا موحدا وامتحانات موحدة، بل كانت خلال الخمسينات تعطي شهادات باسم الشعب الجزائري(126) وليس باسم الدولة الفرنسية وفي هذا دلالة كبيرة ولا شك، وكانت مدارس جمعية العلماء تسير من قبل لجنة التعليم التي كانت بمثابة وزارة تربية أو أكاديمية للتربية والتعليم. إن حجم هذا النشاط التعليمي الكبير الذي شمل جميع أنحاء القطر ووحد بذلك الشعور عبر هذا التعليم الموحد، وطبيعة هذا التعليم الذي لم يكتف بالعلوم الدينية واللغوية بل اهتم حتى بالعلوم العصرية من طب وفيزياء وكيمياء وتقنيات حديثة، وحرص على إرسال الطلبة للتكوين العالي خارج الوطن في انتظار تحقيق إنشاء جامعات تابعة لجمعية العلماء داخل الوطن، كل هذا يوحي بأن الذين كانوا وراء هذه المشاريع لا يفكرون بمنطق أفراد في جمعية دينية وعلمية مهما كبرت بل بمنطق من يريد تحقيق مشروع كبير من حجم تحقيق الاستقلال للجزائر وإرجاع السيادة عليها للجزائريين وتقوية هذه الدولة المستقلة حتى لا تقع مرة أخرى في مخالب استعمار جديد (127)

لقد صرح ابن باديس بأنه يعمل لتحقيق الاستقلال بطريقته الخاصة لما قال بأن الاستقلال حق طبيعي لكل الشعوب وتسعى إليه حتى الحيوانات (128) ، ومن هنا ندرك أن التعليم عند العلماء كان

من حيث الشكل والمضمون شكلا من أشكال ممارسة الجزائريين للسيادة على أنفسهم ولم يعد منصب مدير مدرسة أو مفتش حكرا على الفرنسيين، ويوحي النجاح الكبير للعملية التعليمية عند العلماء وغيرهم بأن المناصب العلـــيا أيضا سوف لن تكـــون حكـــرا على الفرنسيين الذين كانوا وحدهم المستفيدين من التعليم العمومي الفرنسي(129) ونستخلص من هذا أن الشعب الجزائري بدأ يخضع لتنظيم جديد من خلال المدرسة والمسجد الحر والجمعية المحلية والجمعية الرياضية والثقافية وهي كلها تنظيمات موازية ومنافسة للتنظيمات الفرنسية التي تريد التحكم في الشعب من خلال ذلك، وأصبح أيضا يكون نفسه من خلال نشاطات جمعية العلماء وصحافتها وأحس بشكل واضح وجلي بأنه بغير حاجة إلى السلطة الفرنسية في هذه الأمور كما أطلع على حجم الظلم الذي كان يمارس عليه من خلال حرمانه من حقوقه بحكم انتمائه للوطن الفرنسي سياسيا وأدى هذا إلى تعزيز الاعتداد بالنفس وعدم الشعور بالدونية أمام الفرنسي المتكون والمتعلم ، ومن جهة أخرى غرس فيه روح التحدي والانتقام من هذا المستعمر والعمل للخروج من سيطرته التي لم تقدم له إلا المعاناة .

أما من الناحية الثقافية والحضارية، فإن حركة التعليم التي باشرتها جمعية العلماء رافقتها حركة ثقافية نشطة، حيث ظهر من صلب جمعية العلماء شعراء كبار شهد لهم أقرانهم في المشرق بقدراتهم فلم يعد الجزائريون مشدوهين بروائع فكتور هيقو ولامارتين، وإنما بروائع الشعر العربي مع المتنبي وأحمد شوقي ومحمد العيد آل خليفة وغيرهم وبخطب ابن باديس والإبراهيمي والعقبي وغيرهم (130) وبرز منهم من مثل الجزائر— أي الشعب الجزائري — في المحافل الدولية الأدبية مثل الروائي رضا حوحو(131) . وقد ركزت جمعية العلماء بالخصوص على إبراز المجد التاريخي والحضاري للمسلمين وحظ الجزائر منه الذي لم يكن قليلا أو معدوما كما تدعي الدعاية الفرنسية الرسمية وغير الرسمية والتركيز على أن الجزائر كانت دولة مستقلة أو ضمن الخلافة الإسلامية منذ دخول الإسلام إليها إلى أن احتلتها فرنسا (132) .

في الميدان الاجتماعي والسياسي:اهتمت جمعية العلماء بالأمور الاجتماعية وبوضعية المرأة والشباب، حيث حاولت ربط الشباب بأمته

وتحصينه من الآفات الاجتماعية التي تفقده قوته وإحساسه بمسؤولياته تجاه مجتمعه، وضمن هذا الإطار يمكن فهم ربط الشباب بالجمعية وبأمتهم من خلال الجمعيات الرياضية والثقافية والعلمية والكشفية والمسرحية ليخدموا أمتهم من جهة ولا يحسوا بدونيتهم أمام الفرنسيين ولا يصيبهم اليأس القاتل فيكونوا عرضة للضياع(133) وقد أولت الجمعيـــة من جهة أخرى اهتماما خاصا بالمرأة وخاصة مسألة تعليم البنت المسلمة، وأدخلتها بذلك في الحياة العامـــة بعد أن كـــانت لا تعنى إلا بالحياة المنزلية وبشكل قاصر نظرا لجهلها. غير أن أهم خدمة قدمتها جمعية العلماء وغيرها من الجمعيات الأخرى ورجال الإصلاح هي إعادة صياغة العلاقات الاجتماعية، فبعد أن كان المجتمع الجزائري مهيكلا ومؤطرا شعبيا من طرف الطرق الصوفية وجماعة القياد والأسر الكبيرة بتقاليدهم الراسخة وسلبيتهم الاجتماعية مما أدخل المجتمع في عطالة كبيرة، فإن جمعية العلماء ومن كان على شاكلتها، بشعبها وجمعياتها المحلية والجمعيات الثقافية التابعة لها وبمساجدها الحرة ومدارسها ونواديها وصحافتها، أصبحت هي التي تؤطر المجتمع الجزائري بأطر جديدة أكثر تفهما لمطالب الشعب الراغب في الأحسن وأكثر قدرة على تحقيقها ميدانيا(134) ، وقد أدخلت الجمعية فكرة الاجتماع الشعبي العام لكل أفراد الشعب من مختلف جهات القطر بدل الاجتماعات الطرقية الخاصة بأتباع كل طريقة أو الاجتماعات الأسرية والجهوية وجسدت ميدانيا فكرة وحدة الشعب الجزائري وأمست تلمسان وتيزي وزو وتبسة والجزائر العاصمة قريبة من قسنطينة قرب مدينة ميلة المجاورة(135) ، وعملت بفكرة الانتخاب التي يشترطها القانون الفرنسي ودعمته وأصبغت عليها الشرعية الدينية كطريقة لاختيار الأكفأ لتسيير أمور الناس، وكان الانتخاب في هذه الجمعيات العلمية والدينية والخيرية يمكن من أراد من الجزائريين من اختيار من يراه مناسبا ويمكنه من الترشح لذلك إن وجد نفسه قادرا على تحمل المسؤولية، وأن يسقط من أساء التصرف ولم يعمل للصالح العام (136) ، وقد ساهم ذلك في تطور الوعي السياسي لدى الجزائريين .

وبإسقاط ذلك على الجانب السياسي بدأ الشعب يفكر في محاسبة حكامه الفرنسيين والنواب الأهالي الذين يمثلونه، ويطالب بحقه في تسيير أمور بلاده ومحاسبة من يسيئون إدارتها. لعل نقطة الضعف الكبيرة في إسهامات الجمعية هي إهمال الجانب المالي والاقتصادي

حيث لم تفكر جديا في بناء قوة اقتصادية ومالية كبيرة وبقية رهينة صدقات المحسنين الجزائريين، رغم أن هناك دعوة محتشمة لذلك، مع أن المال هو عصب الحياة وقوام الدول والمجتمعات (137) .

مساهماتها في الميدان السياسي:

يحاول بعض الدارسين التقليل من أهمية جهود جمعية العلماء في هذا الميدان، بل هناك من يذهب حتى إلى نفي ذلك تماما، متذرعين في هذا المجال بكونها هي نفسها قد نصت في قانونها الأساسي أنها جمعية غير سياسية. ولكن الذي ينظر إلى نشاطاتها ومواقفها ويضعها في إطارها الصحيح سيجد أنها لعبت دورا كبيرا في هذا الميدان بالذات، فنشاطاتها الثقافية والدينية والاجتماعية وجهودها التنظيمية كلها عبارة عن نضال مستميت ضد الاستعمار وسياسته الثقافية والاجتماعية والإدارية(138) ، ففي الوقت الذي كانت فيه الإدارة الفرنسية تعمل على مسح أو مسخ أي مظهر من مظاهر الوطنية الجزائرية والشخصية الجزائرية المتميزة عن الوطنية الفرنسية،كانت جمعية العلماء بـــواسطة أعمـــالها المختلفة تعمل على ترسيـــخ هذه المظاهر وتفعيلها لتؤدي دورها . وهي بهذا قد ساهمت في تحصين الجزائريين من الذوبان في الوطنية الفرنسية، وأكدت مرة أخرى على تمايز الجزائريين عن الفرنسيين ودولتهم، ووقفت بالخصوص ضد مشاريع الإدماج والدعاة إليه من الجزائريين والفرنسيين على حد سواء (139) .

ولهذا يكتسي التعليم عند العلماء طابعا نضاليا سياسيا ضد الاستعمار وسياسته، وهذا ما جعل فرنسا تحاول عرقلته بشتى الطرق لكونه يشكل خطرا حقيقيا على مستقبلها في الجزائر(140)

وإذا ما كانت تونس والمغرب مثلا، مازالت بها مؤسسات تمثل بشكل ما مظهرا من مظاهر السيادة للتونسيين والمغاربة، وأقصد بذلك الباي وإدارته في تونس والسلطان ومخزنه في المغرب من جهة، والسلطة الدينية والمرجعية التي تمثلها المؤسسات الدينية على وجه الخصوص مثل الزيتونة والقرويين(141) ، فإن الجزائر قد أفقدها

الاستعمار هذا منذ أمد بعيد، ولهذا بدت جمعية العلماء عند ظهورها واتساع نشاطها وشعبيتها وثقة الأمة فيها كأنها سلطة دينية موازية للسلطة الفرنسية، وقد مارست جمعية العلماء هذه السلطة من خلال الفتاوى التي كانت تصدرها حول قضايا كثيرة منها القضايا السياسية الصريحة والإدارية مثل التجنس بالجنسية الفرنسية والتحاكم إلى المحاكم المدنية الفرنسية في المسائل الشخصية. وعدم جواز الصلاة وراء الأئمة الذين تعينهم سلطة غـير إسلاميـة، وعدم صحـة إتباع لجنة الأهلـة الرسمية التابعة للإدارة الفرنسية في مسألتي الصوم والإفطار(142) .

وإلى جانب ذلك فإن جمعية العلماء بنشاطاتها ودعايتها وحركة شيوخها واتصالاتهم المباشرة والمستمرة بالطبقات الشعبية تكون قد بثت روح النضال والاهتمام بشؤون البلاد. وساعد ذلك على تشجيع الناس للالتفاف حول المنظمات السياسية المطالبة بحقوق الجزائريين. وقد كانت لجمعية العلماء قدرة كبيرة على تحريك الشارع وراء مطالبها وظهر ذلك جليا في أحداث قسنطينة عام1934 والمؤتمر الإسلامي عام 1936 وحركة أحباب البيان وغير ذلك(143) . ومن بين الأعمال الأكثر دلالة في هذا الميدان نذكر رد ابن باديس على مقال فرحات عباس الداعي للإدماج حيث بين له ولفرنسا بكلمات نارية أن تحقيق الإدماج مستحيل حسب ما تنطق به كلمات ابن باديس التالية "الجزائـر ليست فـرنسا ولا تريـد أن تكـون فرنسا ولا تستطيع أن تكون فرنسا ولو أرادت"(144) .

وقد أحدث هذا التصريح دويا كبيرا في أوساط الإدارة الفرنسية،(145) ونذكر أيضا دعوة ابن باديس الجزائريين لمقاطعة الاحتفالات القرنية التي كانت تقيمها الإدارة في كل مرة معبرا بذلك على رفضه للسيادة الفرنسية وكذلك رفض إرسال برقية تأييد لفرنسا عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، وقد أصر ابن باديس وأغلب أعضاء مكتب الجمعية على هذا الرفض رغم تلويح المطالبين بإرسال البرقية بالانفصال من الجمعية إذا رفض هذا الطلب(146) ، وقد بين الإبراهيمي فيما بعد عندما أعلن رفض جمعية العلماء للدستور الجزائري الذي أصدرته الحكومة الفرنسية، أنه رفض ذلك لأنه لم

يصدر من الشعب الجزائري ولم يستشر فيه(147) ، أي لأنه يكرس الوضع القائم ويرفض الاعتراف بسيادة الشعب الجزائري على بلاده . ونجد من جهة أخرى أن بعثات جمعية العلماء في المشرق العربي وخاصة في عهد الإبراهيمي كانت بمثابة البعثات الدبلوماسية التي تمثل بلادها(148) .

مساهمات الهيئات الأخرى:

كثيرا ما ينظر إلى دور النواب و المنتخبين الجزائريين في مختلف المجالس الفرنسية في الجزائر وفرنسا، من زاوية السلبيات فقط دون الإشارة إلى الدور الإيجابي الظاهر والخفي في مسار الحركة الوطنية والعمل على تحقيق السيادة ولو بشكل منقوص للجزائريين، (149) ومن هنا نرى من الأهمية إبراز هذا الدور وفق العناصر التالية :

الدور الخفي للمنتخبين وخاصة المستقلين عن الإدارة الفرنسية:

مند ظهور النخبة الجزائرية وما يسمى بالشبان الجزائريين، وخاصة قبيل الحرب الأولى وما بعدها وهم يطالبون الإدارة الفرنسية بالعناية بالأهالي، وتحقيق المساواة مع الأوروبيين وإلغاء القوانين الزاجرة الخاصة بالأهالي والإقلاع عن معاملة الأهالي بازدراء(150) .ولكن يجب التذكير بأن منهم من كان يطالب بذلك دون التخلي عن الشخصية الجزائرية وقانون الأحوال الشخصية الإسلامي المميز للمسلمين، ومن أبرز هؤلاء نجد الأمير خالد ومن كانوا معه،(151) ومنهم من كان يقبل بالتخلي عن الخصوصية الإسلامية والمطالبة بالاندماج الكلي في المجتمع الفرنسي واعتبار فرنسا هي وطنه الحقيقي والأبدي.(152) وقد كانت الإدارة الفرنسية تساند هذا الأخير ضد تيار الأمير خالد.إن هؤلاء النواب سواء في البلديات أو حتى في الجماعات في القرى والدواوير، أو في المجالس المالية والعمالية بعد إنشائها كانوا بمثابة الأمل للجزائريين على اعتبار أنهم ممثلوهم والمدافعون عنهم أمام السلطات الفرنسية، وأمام الكولون بالخصوص.

وهذا ما كان يخيف بعض النبهاء من الساسة والمفكرين الفرنسيين(153) .

ومهما يكن من أمر فإن بعض النواب في المجالس البلدية من شاكلة الأمير خالد وبن رحال وابن سماية، بكفاءتهم ومواقفهم الجريئة، أصبحوا في نظر الجزائريين دليلا على كفاءة الجزائري إذا تلقى تعليما مناسبا ووجد ظروفا طبيعية,واقتنع الأهالي أن الجزائري بإمكانه أن يسير أمور بلاده بمفرده أو يشارك في ذلك بشكل يتناسب مع نسبته لمجموع سكان الجزائر(154) .وهي دعوى مبطنة لإرجاع السيادة للجزائريين. قد تكون هذه الفكرة لم تخطر ببال الكثيرين في ذلك الوقت ولكنها كانت موجودة على أية حال ولا نعجب أن يظهر نجم شمال إفريقيا متأثرا بحركة الأمير خالد ،هذا الحزب الذي طالب منذ بدايته باستقلال الجزائر، فمن أين جاءته هذه الفكرة، هل من التيارات الشيوعية الفرنسية التي لم تؤمن يوما بالوطن الجزائري حتى بعد أن استقل الحزب الشيوعي الجزائري الفرنسي عن الحزب الشيوعي الفرنسي في الوطن الأم؟(155)

وبغض النظر عن دور النواب والنخبة الجزائرية وخاصة المتأثرين منهم بالتيار الإصلاحي والثقافي وبتجربة الأمير خالد في فضح ومقاومة أطماع الكولون المتزايدة وتعرية سلبية نواب بني وي وي ومن يدعمهم من قياد ورجال الطرق وأصحاب المصالح، وفضح الإدارة الفرنسية وسياستها التي لم تكن تعر الأهالي أدنى اهتمام،(156) بل كان كل همها أن تلبي رغبات الكولون خوفا منهم وتملقا لهم. وبغض النظر أيضا عن نشاطات بعضهم الثقافية والاجتماعية من إنشاء النوادي والمدارس الحرة وإصدار الصحف والمجلات وهي خدمات جليلة للمجتمع الأهلي لأنه كون الإطارات التي ستؤطر الحركة الوطنية والثورة الجزائرية (157) . بغض النظر عن كل هذا فمجرد وجود هؤلاء في مواقع المسؤولية وهزم النواب الذين تدعمهم الإدارة الفرنسية في الانتخابات، كان كافيا ليؤكد أنهم كانوا في نظر الجزائريين النخبة التي يعولون عليها للحصول على حقوقهم البسيطة والكبيرة من حجم الاستقلال نفسه. ورغم ما آل إليه أمر الدكتور بن جلول ومسيرته المرتبكة فإن دوره كان كبيرا وخاصة في عمالة قسنطينة بجمعية المنتخبين المسلمين الجزائريين، وظهر في بداية

الثلاثينات كأنه هو المدافع الأول عن الجزائريين ضد تعسف الإدارة والكولون، مما شجع الجزائريين على رفع رؤوسهم والجهر بمطالبهم(158) ،

وجاء حزب الشعب ليرفع سقف هذه المطالب ويزيد من تحميس الجزائريين للدفاع عن مصالحهم وأنفسهم.ويمكن أن نورد نموذجين من النواب كان لهما دور فعال في الحركة الوطنية الجزائرية، أحدها توفي قبل أن يرى جميع نتائج أعماله وهو الدكتور سعدان(159) ، والآخر هو فرحات عباس الذي سيصبح رئيسا لأول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية.وقبل تفصيل ذلك نوضح مسألة مهمة متعلقة بالمؤتمر الإسلامي ودلالاته، حيث أظهر هذا المؤتمر بشكل جلي مدى الوعي السياسي الذي أصبح عليه الجزائريون ورغبتهم في تقرير مصير بلادهم بأنفسهم كما أشار إلى ذلك البشير الإبراهيمي أحد أهم الشخصيات التي شاركت في المؤتمر(160) ، ولعل هذا ما أخاف الفرنسيين فدبروا المكائد لتحطيم هذا النشاط الكبير وهذا الطموح الأكبر.ورغم ما أخذ على مطالب هذا المؤتمر وخاصة مطلب ربط الجزائر بفرنسا وهو مطلب مناقض لدور النواب في المساهمة في تكوين الدول الجزائرية الذي نحن بصدد الحديث عنه، فإن هذا لا يحجب الدلالات الأخرى الموجودة في هذا المؤتمر. ونلاحظ هنا أن تجربة المؤتمر كتجمع للتيارات الجزائرية تتكرر مع تجربة أحباب البيان والحرية وتتحسن بالتخلص من سلبيات المؤتمر الإسلامي حيث ركزت على مطلب الاستقلال(161) . ولهذه الدلالة دلالة تقرير الجزائريين مصيرهم بأنفسهم وأيضا للشعبية الكبيرة التي كانت لهذه الحركة دبرت السلطة الفرنسية مؤامرة أقسى تمثلت في مجازر 8 ماي1945 وما تلاها من حل أحباب البيان وملاحقة زعمائه والزج بهم في السجون.لقد كانت الضربة جد موجعة ولعل أكثر ما يوجع فيها أنها قضت على روح الوحدة التي كانت لدى التيارات الوطنية الجزائرية، فعندما عاد هؤلاء إلى النشاط أسس كل طرف منهم حزبا خاصا به فالنواب من جماعة فرحات عباس أسسوا الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، أما أتباع مصالي فقد أسسوا حركة الانتصار للحريات الديمقراطية كواجهة شرعية مع الإبقاء على تنظيمات حزب الشعب السري الذي تعزز فيما بعد بجناح عسكري هو المنظمة الخاصة، و

أصبحت مهمة توحيد الحركة الوطنية في تيار واحد مهمة جد صعبة بل أصبح مجرد تنسيق الجهود فيما بين التيارات المشاركة في حركة أحباب البيان والحرية صعب المنال، وقد حاولت جمعية العلماء التوسط لتحقيق ذلك ولكن الفتق كان قد اتسع على الراتق وذلك بسبب عدم الثقة في الطرف الآخر وما خلفته حوادث ماي وتجربة أحباب البيان.

ومن البديهي التذكير هنا بأن فرحات عباس وحزبه الاتحاد الديموقراطي كان يطالب خلال الأربعينات والخمسينات بالاستقلال ولكنه كان يرى أن تحقيقه يكون بالطرق السياسية السلمية وليس بالثورة كما كان يرى حزب الشعب(162) . ولتحقيق ذلك فإن الحزب كان يشارك في الحياة السياسية بفعالية وخاصة في الانتخابات التي كان يعول عليها كثيرا وبغض النظر عن مدى جدوى هذه الطريقة في تحقيق الاستقلال فإنها من جهة لم تترك الساحة فارغة لأعوان الإدارة الفرنسية بل استغلتها أحس لصالح القضية الوطنية(163) .

وقد اقتنع حتى التيار الثوري بهذه الطريقة ودخل أيضا اللعبة الانتخابية. وهي من جهة أخرى وهي الأهم في نظرنا قد سمحت بتكوين إطارات كبيرة عرفوا كيف تسير دواليب الإدارة، وكيف تسير الحكومات والمجالس العمالية والوطنية وغيرها من المجالس. وتأتي تجربة المجالس البلدية كنموذج حي لهذه الإطارات.ولعله من المفيد هنا التذكير بأن نواب فرحات عباس لم ينبهروا بأجواء هذه الهيئات كما

انبهر نواب حركة الانتصار الذين كانوا بعيدين عنها كلي(164) . وقد وجدت الثورة الجزائرية في هذه الإطارات سندا قويا لها خاصة في الميدان القانوني والديبلوماسي والتسيير المالي، مثل المحامي أحمد بومنجل(165) والدكتور أحمد فرنسيس الذي كان مسيرا لمالية الثورة والحكومة المؤقتة لفترة طويلة(166) . فتكوين الإطار نظريا وميدانيا هو تكوين للدولة في حد ذاتها.أما بالنسبة للحزب الشيوعي الجزائري الذي كان يملأ الجزائر ضجيجا وصخبا، فإنه لم يكن يؤمن بوجود أمة جزائرية بل كان يقول أنها في طور التكوين بتمازج العناصر المتساكنة في الجزائر، مما يوحي بالرغبة في تذويب الجزائريين في المجتمع الأوروبي، ولم يكن حتى بعد أن انفصل عن الحزب الشيوعي الفرنسي

يرى إمكانية حل المشكل الجزائري بعيدا عن الصراع الدائر بين البروليتاريا العمالية في فرنسا ذاتها مع الرأسماليين، وما يهمه إذن هو استغلال المسألة الجزائرية لتحقيق أهدافه في فرنسا أو في الجزائر وليس تحقيق مطالب الجزائريين وخاصة مطلب تحقيق السيادة الجزائرية التي لا يؤمنون بها أصلا ولعل هذا ما يفسر وقوفهم ضد الثورة الجزائرية وتنكرهم لمبدأ الثورة ومبدأ مناصرة الطبقات الدنيا العزيزين عليهم فيما يظهر من خلال كتاباتهم على الأقل.(167)

هوامش الفصل الثالث :

(1)- محمد عبد الباقي الهر ماسي، المجتمع والدولة في المغرب العربي،ط3 ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،1999 ،ص:29 .

(2)- نفسه ،ص:30 .

(3)- نزار أباظة ، الأمير عبد القادر العالم المجاهد، ط1 ،(دار الفكر المعاصر- دار الفكر)، بيروت - دمشق، 1994 ،ص:5 .

(4)- يمكن حصر صفة الكاريزمية في الأنبياء عليهم السلام وفي الملوك والأباطرة والرؤساء العظام، و في العباقرة من القادة العسكريين ، و في العلماء المؤثرين في الجماهير. ويعد هؤلاء بالمئات والآلاف في التاريخ الإنساني بصورة عامة ، و بأصابع اليد في تاريخ الأمم والشعوب . و يعتبر كتاب توماس كار ليل الذي يحمل عنوان " عباقرة خالدون" أول محاولة لحصر وإحصاء الشخصيات الأكثر كاريزمية في التاريخ.

(5)-مارسيل إيغريتو، حقيقة الأمة الجزائرية، منشورات سوسيال ، باريس، 1961 ،ص:58 (6)- نفسه ، ص:72 .

(7)- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ،ط1،ج1 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، 1992 ،ص:157 .

(8)- محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954 ، ط3 ، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر ،2000 ،ص:48 .

(9)- نزار أباظة ، المرجع السابق ،ص:10 .

(10)برونو إيتيين، عبد القادر الجزائري ،ترجمة ميشيل خوري، ط2 ، المؤسسة الوطنية للنشر والاتصال ، الجزائر ،2001 ،ص:160 .

(11)- ينتمي الأمير عبد القادر إلى بيت شريف يعرف بآل سيدي قادة بن المختار ، و قد أثبت الكثير من المؤرخين اتصال نسبه بالبيت العلوي الشريف.

(12)- شارل هنري تشر شل ، حياة الأمير عبد القادر ،ترجمة أبو القاسم سعد الله، ط3 ،الجزائر، 1982 ،ص:59 .

(13)- جاء على لسان الأمير قوله:<...لم اقبض فلسا من النفقات العامة ... ثيابي تعدها نسائي، و غذائي من أراضي عائلتي التي تدر علي ما يكفيني ويكفي لمساعدة الفقراء ورفاقي المصابين في الحرب ...في عام 1839 بعت حلي عائلتي في ساحة معسكر العامة لأقدم ثمنها لبيت المال...>. أنظر :برونو إيتيين ،المرجع السابق، ص:160 .

(14)- الهرماسي، المرجع السابق،ص:29 .

(15)- الهرماسي ، نفسه، ص:30 .

(16)- محمد غانم ،" مقاومة الأمير عبد القادر من خلال الكتابات المغربية" ، مجلة الدراسات التاريخية،العدد 08 ،1993-1994 ،ص:42 .

(17)-نفسه ،ص:40 .

(18)- فوزي أوصديق،النظام الدستوري الجزائري: دولة الأمير عبد القادر (دراسة تحليلية مقارنة)، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1995 ،ص:15-17 .

(19)- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر،شرح وتعليق ممدوح حقي، ط2 ،دار اليقظة العربية، 1963 ،ص:166 .

(20)-محمد غانم ،المرجع السابق، ص:43 .

(21)-شارل هنري تشر شل،المصدر السابق،ص:99

(22)- فوزي أوصديق، المرجع السابق،ص:28 .

(23)- نفسه ،ص:29 .

(24)- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ص:175 .

(25)- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري،المصدر السابق،ص:166

(26)- نزار أباظة ،المرجع السابق،ص:11 .

(27)- برونو إيتيين، المرجع السابق،ص:162 .

(28)- نفسه ،ص:160 .

(29)- يعرف الدستور الذي أعده الأمير عبد القادر لتنظيم شؤون دولته ب" وشائح الكتائب و زينة الجيش المحمدي الغالب" ، وقد طبعه أحد أحفاده . أنظر : نزار أباظة ،المرجع السابق ،ص: 10 .

(30)-سعد الله، المرجع السابق،ص:174 .

(31)- فوزي أوصديق، المرجع السابق،ص:79 .

(32)- نفسه ،ص:81-82 .

(33)- أحمد مطاطة، "نظام الإدارة والقضاء في عهد الأمير عبد القادر" ، الذاكرة ،عدد04 ،1996 ،المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر ،ص:185-186 .

(34)- نفسه،ص:184 .

(35)-برونو إيتيين ، المرجع السابق،ص:164 .

(36)- 10 دورو كانت تعادل 40 فرنكا ذهبيا في عام 1840 .أنظر :إيتيين، نفسه، ص:158

(37)- إيتيين ،نفسه،ص:164 .

(38)- الحاج مصطفى بن التهامي ، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتعليق يحي بوعزيز، ط1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1995 ،ص:131 .

(39)- برونو إيتيين، المرجع السابق،ص:152 .

(40)- أوصديق، المرجع السابق،ص:92 .

(41)- محفوظ قداش، الأمير عبد القادر ،سلسلة عالم الفن والثقافة ،وزارة الإعلام والثقافة، ماي، 1974 ،ص:50-51 .

(42)- إيتيين، المرجع السابق،ص:164 .

(43)- ش،تشر شل،المصدر السابق،ص:59 .

(44)- سورة هود، الآية 88 .

(45)- محمد غانم ،المرجع السابق، ص:42 .

(46)- نفسه، ص:42 .

(47)- صاحب هذه المقولة هو زعيم قبائل الزمالة مصطفى بن إسماعيل الذي ارتمى بعد سنة 1834 في حماً الخيانة وتحالف مع الفرنسيين ضد الأمير .

(48)- محمد غانم ، نفسه،ص:42-43 .

(49)- برونو إيتيين، المرجع السابق،ص:162 .

(50)- نفسه،ص:163 .

(51)- نفسه،ص:163 .

(52)- نفسه،ص:164 .

(53)- محفوظ قداش،المرجع السابق،ص:60 .

(54)- إيتيين، المرجع السابق،ص:166 .

(55)- نفسه ،ص:152 .

(56)- محمد الطيب العلوي، المرجع السابق،ص:45 .

(57)- فوزي أوصديق، المرجع السابق،ص:53 .

(58)- نفسه،ص:84-85 .

(59)- أحمد مطاطة ،المرجع السابق،ص:171 .

(60)- نفسه ،ص :171 .

(61)- أوصديق ،الرجع السابق،ص:63-64 ؛ يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ص:83-84 .

(62)- أحمد مطاطة ،المرجع السابق،ص:173 .

(63)- أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ص:197 .

(64)- يحي بوعزيز ،الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري،ص:86

(65)- فوزي أوصديق ،المرجع السابق،ص:21 .

(66)- أحمد مطاطة ،المرجع السابق،ص:173 .
(67)- أوصديق، المرجع السابق،ص:20 .
(68)- الأمير محمد ،المصدر السابق،ص:307-308 .
(69)- أنجبت هذه الأسرة قادة وخلفاء في دولة الأمير مثل: الحاج محي الدين القليعي و محمد بن علال و الحاج محمد بن عيسى البركاني.
(70)- سعد الله، المرجع السابق،ص:198 .
(71)- نفسه ،ص: 198
(72)- حول خلفاء الأمير عبد القادر أنظر : يحي بوعزيز ،المرجع السابق،ص:85-86 ؛ أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق،ص:197-198 .و أنظر أيضا: مجلة الأصالة ،العدد 48 ,أوت 1977 ،ص:4-25 .
(73)- شارل هنري تشر شل ،المصدر السابق،ص:140 .
(74)- جمال قنان ، الجيش النظامي للأمير عبد القادر، مجلة الذاكرة، العدد01 ،1994 ، ص:80 .
(75)- برونو إيتيين ،المرجع السابق ،ص: 154 .
(76)- جمال قنان، المرجع السابق،ص:80 .
(77)- الحاج مصطفى بن التهامي، المصدر السابق،ص:135 .
(78)- جمال قنان ،المرجع السابق،ص:80-81 .
(79)- نفسه،ص:84-87 ؛ برونو إيتيين، المرجع السابق،ص:154 .
(80)- برونو إيتيين، نفسه ،ص:155 .
(81)- جمال قنان، المرجع السابق، ص:87-88 .
(82)- اعتمد الكثير من المؤرخين الجزائريين في دراساتهم على التعداد الذي أورده الأمير محمد بن عبد القادر في تحفة الزائر .أنظر يحي بوعزيز ،المرجع السابق،ص:87 ؛ جمال قنان ،المرجع السابق،ص:88 .
(83)- برونو إيتيين، المرجع السابق،ص159 .
(84)- شارل هنري تشر شل ،المصدر السابق،ص:140 .
(85)- جمال قنان ،المرجع السابق،ص: 88 .
(86)- من الشواهد على هذا تشييع جنازة محمد بن علال بمراسيم عسكرية فرنسية احتراما وتقديرا له إثر سقوط الزمالة في عام 1843 .
(87)- علي بن عيسى ، الأخلاقيات القتالية عند الأمير عبد القادر، مجلة الأصالة،العدد 23 ،ص:41 .
(88)- محمد عبد الباقي الهرماسي، المرجع السابق،ص:30 .
(89)- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق،ص:273 .
(90)- مارسيل إيغريتو،المرجع السابق،ص:59 .
(91)- الهرماسي ،المرجع السابق،ص:30-31 .
(92)- برونو إيتيين، المرجع السابق ،ص:159 .

(93)- نفسه،ص:167 .
-(94) هذا من الأمور التي أصبحت متداولة، أنظر، بن جامين سطورا، مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية ترجمة مصطفى ماضي ومحمد عماري، وسعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3دار الغرب الإسلامي، 1992 ،ص: 144.
(95) سطورة، المرجع السابق، ص: 140. وعبد الرحمان بن العقون، الكفاح القومي، ج2، ص: 186، وبوقجاني، دور جمعية العلماء، ص106، وسعد الله الحركة الوطنية المرجع السابق، ج3، ص: 166.
(96) سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص: 170.
(97)- سعد الله، المرجع السابق، ص813
Agéron charles robert histoire de l'Algérie contemporaine t 2 p354
(98) Agéron hist op. cit, p 357
(99)-idem, p357
(100)
idem, p355
(101) وسعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، ص: 144 وص: 145.
(102)- نفسه ص 145
(103)- Agéron, op cit,pp 356 -358 وسعد الله المرجع السابق، ج3، ص،144-147
(104)- سطورا، المرجع السابق، ص169- 170.
(105)- نفس المرجع والصفحات، وحول العلم الجزائري أنظر الدراسة التي نشرها الأستاذ شاوش حباسي بعنوان "أصول العلم الوطني الجزائري المعاصر، تطوره الشكلي وتحليل مضمونه الإيديولوجي والسياسي(1518-1945)، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر عدد 9، 1995، ص ص103-127.
(106)- Agéron , op, cit, p 358
(107) idem, p360
(108) أنظر مذكرات محمد خير الدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، ص: 123 ورابح تركي التعليم القومي، ص: 399.
(109) لقد نبه إلى ذلك منذ البداية جوزيف ديبارمي، أنظر سلسلة مقالاته في مجلة إفريقيا الفرنسية، جانفي 1933 ، ص11، مارس 1933، ص: 149 وغيرها.
(110)يركز على ذلك الكتاب والمؤرخون الفرنسيون كذلك بعض رجال السياسة منهم كما يركز على ذلك الجزائريون وهو أمر ظاهر.
(111) عن أهمية هذه الفتوى وسلاح الفتوى عموما في النشاط السياسي للحركة الوطنية

أنظر:
Agéron histoire.. t 2 op cit p346.

(112)- شاع هذا المصطلح منذ بداية القرن العشرين في كتابات الفرنسيين وهو يهدف إلى عزل المسلمين الجزائريين عن الإسلام الحقيق وعن إخوانهم في المشرق والمغرب، ويعتبر كتاب Edmonde Doutté ، الإسلام الجزائري 1900، l Islam algérien أحسن نموذج لتلك الكتابات.

(113) يشير إلى هذا التعاون كل من الكتاب الجزائريين والفرنسيين، وكل حسب غرضه من ذلك. أنظر فرحات عباس في كتابه le jeune algérien, op cit, p 113.

(114)- بوقجاني، المرجع السابق، ص: 18 وما بعدها.

(115) Merad op. cit p 139

(116) لعل خوف ابن الموهوب هذا هو الذي جعله يسعى لدى الإدارة لمنع عبد الحميد بن باديس من التدريس بالمسجد الكبير بقسنطينة ورغم تدخلات والد ابن باديس إلا أنه لم يتمكن من التدريس بهذا المسجد الكبير واكتفى بالتدريس بالمسجد الأخضر الأقل أهمية منه في البداية، أنظر عن ذلك ، سعد الله ؛ الحركة الوطنية، ج 2، ص: 155

(117) - لقد بقي الدين الإسلامي تحت يد الإدارة الفرنسية رغم مطالبة الجزائريين بذلك ولم تفكر في إعطائه الإستقلالية التي يضمنها القانون الفرنسي والتي كان يتمتع بها كل من الدين المسيحي بمذاهبه وكذا الدين اليهودي.

(118) - كان ذلك من خلال عدة مطالب قدمتها الجمعية في المؤتمر الإسلامي سنة1936 وفي عدة مذكرات رفعتها للسلطات الفرنسية في عدة مناسبات منها مذكرة سنة 1944 وأخرى سنة 1950.

(119) أنظر تعليق المؤرخ الفرنسي آجرون على ذلك في كتابه تاريخ الجزائر، ج2 ، ص: 346.

(120) - ذكر لي الأستاذ محمد الصالح الصديق حادثة معبرة عن المجاهد بازوران وذلك قبل الثورة حيث التقى الإثنان يوم الجمعة قبيل صلاة الجمعة بمدينة الجزائر ورغم قرب موعد الصلاة إلا أن بازوران أصر أن يصليا الجمعة خلف أحمد سحنون بمسجد سان توجين (بولوغين حاليا) البعيد ولم يستسغ الصلاة خلف الأئمة الرسميين بمساجد العاصمة القريبة منه.

(121) - لقد أشار إلي ذلك مدير الشؤون الأهلية أوقستين بارك في مقال مشهور بعنوان "أسارى القداسة" بالمجلة المتوسطية سنة 1951. ولكن آجرون يريد أن يعطي انطباعا بأن الإدارة كانت على الحياد ولكنه يعارض نفسه عندما يذكر مساندة الإدارة للطرقيين في زردتهم في قسنطينة عام 1937، أنظر كتابه تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، ص:331.

(122)- مثل منشور ميشال عام 1933 وقرار رينيه سنة 1935، زيادة إلى اتهام جمعية العلماء في شخص الطيب العقبي بمقتل الشيخ كحول لبث الفتنة داخل الجمعية وحملها على الابتعاد عن النشاط السياسي.

(123) - يصفها آجرون وغيره بأنها كانت دولة داخل دولة أنظر تاريخ الجزائر المعاصر مرجع سابق ج2، ص: 346.

(124) - وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان ولولا هذا الهدف لما كلفت فرنسا نفسها عناء محاربة جهود الجزائريين التعليمية وخاصة جهود جمعية العلماء.

(125)

يرى ذلك آجرون، تاريخ الجزائر المعاصر ج2، ص: 346، وغيره من المؤرخين والسياسيين الفرنسيين.

(126) الاهتمام بالشعارات والبروتوكولات هنا أمر في غاية الدلالة وليس أمرا ثانويا.

(127) يمكن الاستناد هنا إلى المقالة المعبرة التي كتبها الإبراهيمي في البصائر بعنوان المطبعة والمدفع وذلك سنة 1954.

(128) Agéron op.cit, t 2 p334

(129) - تعمدت الإدارة الفرنسية هذه السياسة حتى يبقى الكولون وهم أقلية عددية هم الأقوى وهم المسيطرون بحكم المناصب والكفاءة والمال أيضا.

(130) لقد أصبح لهم شأن كبير في المشرق العربي وخاصة الإبراهيمي والشاعر محمد العيد آل خليفة.

(131) كان ذلك في عدة مؤتمرات دولية خلال الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي.

(132)يلاحظ ذلك بالخصوص في كتابات توفيق المدني ومبارك الميلي وفي المقالات التاريخية لابن باديس والإبراهيمي.

(133)- بوقجاني، المرجع السابق، ص:65.

(134) نفسه،ص 28 و ص 31.

(135) وكان يتجلى ذلك بالخصوص في الاجتماعات التي كانت تعقدها جمعية العلماء في مختلف أنحاء القطر بمناسبة تدشين مدرسة أو مسجد حر مثل تدشين مدرسة دار الحديث بتلمسان التي حضر مراسيم تدشينها الجزائريون من مختلف الجهات وكذا ما حدث أثناء فتح معهد ابن باديس في قسنطينة عام 1947 وقبله في الحفل المقام بمناسبة ختم ابن باديس لتفسير القرآن الكريم بقسنطينة في أواخر حياته.

(136)بوقجاني، ص: 31.

(137)- نفسه، ص: 30.

(138)يشير إلى هذا الدارسون الفرنسيون وكذلك السياسيون الفرنسيون المعاصرون لنشاط الجمعية.

(139)من خلال الفتاوى والنشاطات السياسية المختلفة.

(140) لعل أخطر ما عرقل تعليم الحر لجمعية العلماء وغيرها من المدارس الحرة هو ذلك المرسوم الذي يقضي بكون اللغة العربية لغة أجنبية ومن ثم يتحتم على كل من يريد فتح مدرسة تدرس بالعربية أن يطلب رخصة مسبقا من الإدارة ونفس الأمر بالنسبة للصحافة العربية، وهو المعروف بمنشور 8 مارس 1938.

(141)- سعد الله، أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص: 25.

(142) لقد تجلى ذلك بالخصوص على صفحات جريدة البصائر في سلسلتها الثانية خلال الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي وخاصة مقالات البشير الإبراهيمي.

(143) - بوقجاني، المرجع السابق، ص: 98، 101، 102.

(144) لقد أصبحت هذه الكلمة هي الدليل الذي يسوقه الفرنسيون إبراز عداء ابن باديس لفرنسا وعمله من أجل استقلال بلاده في صمت.

(145) لعل هذا التصريح وغيره من التصريحات التي أدلى بها ابن باديس خلال سنة 1937 من أن الاستقلال حق طبيعي لكل شعب ومقولته أن أوان اليأس من فرنسا، هي التي جعلت الإدارة الفرنسية تفكر في حل جمعية العلماء في سنة 1937، ولكنها رأت بناء على مشورة بعض حكام العمالات وخاصة عامل قسنطينة أن ضرر هذا الحل أعظم من نفعه لتغلغل العلماء في الأوساط الجزائرية ولعله من هنا جاءت فكرة العرقلة الخفية والفعالة من خلال منشور 8مارس 1938 الذي كاد أن يشل حركة جمعية العلماء.

(146) - بوقجاني، ص: 83.

(147) - نفسه، ص: 84.

(148) - رغم أنها كانت بعثات علمية في ظاهرها (سفر الإبراهيمي وبعثة جمعية العلماء الطلابية) ولكنها كانت تقوم بنشاط سياسي ودبلوماسي كبير لصالح القضية الجزائرية وخاصة من قبل الإبراهيمي الذي أصبح يحظى بمكانة معتبرة سوار لدى الهيئات الرسمية أو الشعبية في المشرق العربي والعالم الإسلامي على العموم.

(149) - نقصد بذلك المساهمة في تعليم الجزائريين وتحريك الشارع الجزائري لنيل الحقوق والمساواة مع الفرنسيين.

(150) - سواء منهم الداعين للاندماج والجنسية الفرنسية أو الرافضين لذلك الذين يطالبون بالحصول على الحقوق مع المحافظة على قانون الأحوال الشخصية باعتبارهم من المسلمين لا يجوز استبدال حكم القرآن في هذه الأمور بحكم القانون الفرنسي.

(151) Agéron,
op, cit, p 282

(152) منهم على الخصوص بن التهامي وبوضربة وغيرهما أنظر، آجرون، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص: 282 وما بعدها.

(153) ومن هنا نجد خوف بعض السياسيين الفرنسيين من ازدياد نفوذ هؤلاء النواب ،أنظر نشرية الجمعية الجغرافية لعمالة وهران ، 1903،ص:207. وانظر ما صرح به الحاكم العام تريمان في هذا الشأن في الحركة الوطنية ، ج2، ص141.

(154) - لقد ظهر هذا المطلب بقوة خلال المؤتمر الإسلامي.

(155) Agéron, histoire, t 2, p384 – 385

(156) - كان كل من الأمير خالد وفرحات عباس وابن جلول من أبرز المطالبين بذلك. أنظر، سعد الله، الحركة الوطنية، الجزء الثاني.

(157) - وذلك عبر كامل التراب الوطني، أنظر نموذجا عن ذلك في منطقة الأوراس فيما كتبه عبد الحميد زوزو في أطروحته حول الأوراس، ص:951.

(158) بوقجاني، المرجع السابق، ص:97- 98.

(159) - لقد كان شخصية مرضية لدى تيارات الحركة الوطنية بما في ذلك حركة الانتصار بل إنه حاز حتى على رضى مالك بن نبي الذي عرف بنقد الدقيق، بوقجاني، المرجع السابق، ص: 99

(160) - محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الشهاب، جويلية 1936، ص: 198.

(161) بوقجاني، ص: 101.

(162) محمد الميلي، مجلة الحدث الدولي، عدد 24، ص: 46 ولكنه يختلف هذا الاستقلال في طبيعته بعض الشيء عن الاستقلال الذي كان ينشده حزب الشعب.

(163) - لقد اقتنع بجدوى ذلك حزب الشعب (حركة الانتصار للحريات الديمقراطية) فدخل المعترك الانتخابي بقوة خلال الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي

(164) - يذكر جاك شوفالي الذي كان يسعى لتقريب نواب حركة الانتصار منه بأن تصلبهم سيزول بالتدريج بمخالطتهم للطبقة السياسية الفرنسية.

(165) - هو محامي مصالي الحاج منذ الثلاثينات وقد نافح خلال الثورة الجزائرية عن جبهة التحرير وقياداتها ودفع حياته ثمنا لذلك.

(166) كان أولا ضمن الوفد الخارجي لجبهة التحرير الذي بعثه عبان بعد مؤتمر الصومام، وهو من قيادات حزب البيان، وقد تقلد في الحكومة المؤقتة منصب وزير المالية إلى الاستقلال.

(167) - عدم مشاركة الحزب الشيوعي الجزائري بصفة رسمية في الثورة التحريرية من الأمور الظاهرة، أما عناصره الجزائرية التي تخطت موقف الحزب وشاركت في الثورة فقد فعلت ذلك بصفة شخ

خاتمة : حوصلة واستنتاجات عامة :

إن هذه الدراسة في جوهرها لا تعدو أن تكون مجرد دعوة موجهة إلى جمهور الباحثين والمؤرخين الجزائريين للتأسيس لمرجعيات ثابتة في كتابة التاريخ الوطني، لأنه من غير المعقول اليوم كل هذا الحديث عن مدرسة تاريخية جزائرية أصيلة، وجل كتاباتنا لا تزال تغترف بصورة غير واعية من الكتابات الاستعمارية وترتكز عليها كمصادر أساسية عند البحث في مختلف تجارب الحركة الوطنية، والأدهى من ذلك الاستمرار في توظيف مفاهيم تلك المدرسة الاستعمارية و في استعارة مصطلحاتها.

وقد يتبادر إلى أذهان البعض أن هذا الطرح عدمي في ظل التباين الشديد من الناحية الكمية للمصادر و الكتابات التاريخية التي دونتها الأقلام الفرنسية وتلك التي كتبت بأيدي جزائرية، ولكن المتوخى في الحقيقة لا يعبر عن النزوع إلى التخلي عن ركام المدرسة التاريخية الاستعمارية ورفضها دون كشف مكامن الشطط و التلفيق فيها، ودون التعامل بموضوعية علمية مع مضمونها الذي يحوي على كم كبير جدا من المعطيات التاريخية التي لا مناص من الاعتراف بصحتها و صدقيتها .

إن أبرز القضايا الجدلية في تجربة الحركة الوطنية بمفهومها الشامل، هي القضايا ذات الارتباط الوثيق بأسس و منطلقات الحركة الوطنية، و نعني بذلك كل ما يتعلق بالأساس الديني (الإسلام) وما تعلق بالمنطلق الثقافي (الانتماء الحضاري العربي الإسلامي)، وأيضا بجملة المنطلقات السياسية التي تحددت من خلالها ردود الفعل الجزائرية في كل من تجربتي المقاومة المسلحة في القرن التاسع عشر و المقاومة السياسية في النصف الأول من القرن العشرين.

إن متون المصادر الفرنسية لا غنى عنها بالنسبة للباحث الجزائري في تاريخ الحركة الوطنية، لأنها تزخر بالمعطيات التاريخية الهامة، ولكن هذه الحاجة الملحة لا تقتضي الرؤية بمنظارها و التدليل بحججها، ومسايرة مقارباتها ونتائجها التي ارتكزت على انكار الشعور الوطني و الهوية و الانتماء و شككت في الثوابت، و أضفت سلبية مطلقة على ردود الفعل الجزائرية على السياسة الاستعمارية، و ليس

من الصعب اليوم القيام بحشد الكثير من الشواهد من الكتابات الإستعمارية التي وصمت المقاومة الشعبية بالتطرف الديني و بالتعصب العرقي، والتي اعتبرت الالتزام الديني عند الجزائريين بالعائق أمام التطور الحضاري، كما"أبدعت" تلك المصادر و الدراسات و"تفننت" في تصنيف الإسلام إلى أصناف شتى كأنه كان عقيدة طبقية شبيهة بالوثنية في تعدد أوجهها.

وأسست تلك المصادر أيضا لنظريات مضللة حول أصول و منابع الفكرة الوطنية في تجربة النضال السياسي في الفترة التي امتدت من مطلع القرن المنصرم إلى بداية الثورة التحريرية. فجعلت من الشعور الوطني " منتوجا مستوردا من الخارج " إمعانا في نظرتها الدونية للمجتمع و للنخبة الجزائرية برمجتها. حتى أنه بالإمكان اليوم الجزم بأن مجمل الكتابات الفرنسية حول تاريخ الجزائر كانت تتقاطع مع التصور الاستعماري الذي كان يحرص على النظر إلى المجتمع الجزائري باعتباره مجموعة هامشية عاجزة عن الارتقاء خارج الإطار الفرنسي، دون أن يعطيها ذلك الإطار أدنى فرصة لإثبات الذات من جهة، ودون أن يسمح للمجتمع الجزائري بالبحث عن طرق للخلاص من ربقة القبضة الكولونيالية من الخارج، وهذا ما يفسر استمرار القبضة الحديدية لعقود طويلة في داخل البلاد من جهة، و فرض ما يشبه السدود المكهربة على التأثيرات الفكرية و الثقافية الخارجية من جهة أخرى. ولذلك لم يكن من الغرابة في شيء أن توجه الكتابات الاستعمارية فيما بعد سيلا جارفا من الانتقادات المغرضة لأداء الشخصيات الجزائرية البارزة ومن ورائها مجموع التيارات السياسية الوطنية إلى درجة تقرير أحكاما خطيرة من الناحية التاريخية مثل الزعم بانعدام وغياب المحتوى الأيديولوجي للحركة الوطنية بسبب فشل كل تيارات الحركة الوطنية في الانتقال من مستوى المطالبة السياسية إلى مستوى امتلاك التصورات و النظريات الكاملة المتعلقة بشكل و طبيعة الدولة الوطنية المستقلة، والتوجيهات الاقتصادية لتلك الدولة، وتحديد الضوابط و الأسس التي تعبر عن مستوى ارتقاء حركات المقاومة إلى حركات تحرر ثورية ناضجة.

إن هذا الطرح الذي انساقت خلفه الكتابات الجزائرية أدى إلى تبرير الفكرة القائلة بأن الحركة الوطنية الجزائرية كانت حركة سياسية تقوم على المقاومة فقط بصورة قطعية، وهو ما قاد بصورة حتمية إلى التشكيك في مستويات النضج الفكري و السياسي للنخب الوطنية على اختلاف مشاربها وأفكارها. دون الأخذ بعين الاعتبار ثقل وطأة السياسة الاستعمارية والهامش الضيق الذي كانت تتيحه في وجه كل المحاولات الوطنية للخلاص والتحرر.

و يجدر بنا التنبيه في هذا السياق أن مهمة المؤرخ لا تتمثل في البحث عن الشواهد و الدلائل بهدف السعي نحو إثبات الأبوة الإيديولوجية التاريخية لأي توجه من توجهات الحركة الوطنية. لأنه شبيه المسعى الذي اعتمده المؤرخون اليساريون في الجزائر في السنوات القليلة بعد الاستقلال، والذي أثبتت الدراسات التاريخية الأخيرة بطلان صحته في الكثير من الجوانب المتعلقة بالروافد الفكرية التي أثرت في توجهات الحركة الوطنية في الفترة التي تمتد من مطلع القرن العشرين إلى انطلاقة الثورة، وأثرت في تنوع الانتماءات الأيديولوجية للعناصر النخبة الثورية فيما بعد، بالنظر إلى طبيعة العمل الجبهوي الذي أتاحته تجربة الثورة لمختلف نخب التيارات السياسية الوطنية.

يتفق قطاع عريض من الباحثين في الأصول الفكرية و الأيديولوجية للحركة الوطنية الجزائرية على تعدد التيارات السياسية التي أثرت في النخب الجزائرية المختلفة، وتكاد تجمع على حصرها تيارات فكرية كبيرة هي:الاتجاه الإسلامي والحركة الإشتراكية و الأيديولوجية التقدمية الفرنسية. من منطلق أن هذه التيارات شكلت المدارس الأساسية التي تخرجت منها معظم فئات النخبة الجزائرية التي تولت قيادة فصائل الحركة الوطنية كنجم شمال أفريقيا و الحزب الشيوعي الجزائري و جمعية العلماء المسلمين و تنظيمات النخبة اللبرالية و غيرها من الأحزاب في الفترة الممتدة من 1919-1954.

ولما كانت هذه الدراسة تعنى بتسليط الضوء على أهم الدعائم و المرتكزات التي قامت عليها تجربة الحركة الوطنية 1830-1954، فإن مسألة البحث في المنطلقات و المرتكزات الأيديولوجية للكثير من أدبياتها و مبادئها السياسية وفي الخلفيات الفكية التي تحكمت في الأداء النظري و العملي للعديد من قادتها، تفرض بشكل ملح مناقشة و دحض

القراءة الاستعمارية من خلال التأسيس لمعالم جديدة في كتابة التاريخ الوطني.

و بالرغم من أن حيز هذه الدراسة لم يكن كافيا لإتاحة قدرا كافيا للإحاطة بمدى تأثير التيارات الإسلامية و الاشتراكية والتقدمية الفرنسية في تجربة الحركة الوطنية بشكل عام، إلا أن توظيف جملة من الشواهد من الكتابات الفرنسية ذاتها سيكون مفيدا جدا في الرد على مزاعم التاريخ الكولونيالي، و سوف يتيح موطىء قدم للوقوف على زيف أطروحاته و تفسيراته.

تتقاطع من الدراسات الفرنسية المعاصرة في إضفاء أهمية كبيرة على الدور الذي لعبه الإسلام في التأثير على توجهات الحركة الوطنية، و يمكننا اليوم حشد الكثير من القراءات الفرنسية لذلك الدور تختلف كثيرا مع مثيلتها التي كتبت قبل عقد الثمانينات و بصورة جذرية مع تلك التي كتبت في القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن المنصرم.

ومن النماذج الجيدة في هذا السياق، ما كتبته المؤرخة الاجتماعية الفرنسية فاني كولونا حول التأثير السياسي لظاهرة النهضة في الجزائر في العقود الأولى من القرن المنصرم، فقد اعتبرت :"أن حركة النهضة المعبرة في مضمونها عن الفكر الديني الإسلامي تحولت إلى فكر ذي نزعة جدلية مع الغرب، و إلى تيار يسعى لتنقية و تطهير العقيدة. ثم انطلق الإصلاح الذي أصبح تعبيرا جزائريا للنهضة في حركة كبرى من أجل بعث اللغة العربية و بناء مدرسة تاريخية وطنية، وفي تنظيم حركة دعوة نشيطة في المناطق البربرية ".

و لاحظت كولونا أيضا أن "حركة الإصلاح في الجزائر كانت أكثر "يعقوبية "منها في تونس و المغرب، لأنها تحولت إلى المصدر الأول للمفاهيم و الأفكار الوطنية".

وفي سياق نفس المقالة انتهت الباحثة إلى نتيجة صريحة لا تمتلك الأقلام الجزائرية الجرأة على الجهر بها اعتبرت:"إن رجال سنة 1954يعتبرون الورثة والمكملون لأمور ذات أهمية كبرى تربطهم بالماضي السابق لهم، فعلى الرغم من تعارضهم مع الإصلاحيين من العلماء، إلا أن رجال نوفمبر 1954كانوا في الواقع نتاجا لمدارسهم،

وكانوا يتوجهون إلى مجتمع متأثر بشكل عميق في الفترة 1931-1954بالتصور العربي والإسلامي". ثم ختمت مقالها بتقرير حول دور الإسلام في التأثير على التيار الثوري في الجزائر لا يقل أهمية في دلالته عما سبقت الإشارة إليه، ففي الحالة الجزائرية:"كان الدين يمثل نموذجا، لأن التوحيد الديني كان يعطي الثورة صورتها المتجانسة، و لأنه كان يقوم دائما على الفصل بين مرحلة ما قبل و ما بعد، و هو ما كان يتلاءم بشكل عميق مع الفعل الثوري".

و توصل جون لوكا إلى النتيجة ذاتها في مقالة له حول انفصام الشخصية الثقافية في الجزائر المستعمرة فكتب قائلا:"إن الإسلام الذي شكل من قبل تاريخ المجموعة الجزائرية كلها، أصبح فيما بعد خلال الفترة الفرنسية البديل المقترح للشرعية السياسية الحديثة، باعتباره رمزا للوحدة و الانسجام الوطني".

و ذهب بنيامين سطورا إلى طرح مسائل في إبراز تأثير الأفكار الإسلامية في الكثير من المبادئ السياسية للتيار الاستقلالي الذي تبوأ قيادة الثورة، لأن" مطلب التمايز عن الآخر والانتماء إلى ثقافة وريثة لماضي طويل ومجيد، أعطى الحركة الاستقلالية إلهاما تاريخيا لإضفاء الشرعية على مطالبها، وهنا ظهر البعد العربي الإسلامي بمثابة عودة إلى الصول، خاصة في ظل التصورات الموحدة التي لا تسمح بالتباين و التفكك، و إنما تدعو إلى التوحيد و الترابط".

إن هذه الكتابات الفرنسية التي تناولت التأثير الإسلامي في الحركة الوطنية لا تمثل في الواقع سوى أمثلة و نماذج قليلة يمكن وضعها في سياق كتابات فرنسية أخرى اهتمت بتتبع تجربة جمعية العلماء المسلمين التي كانت في جوهرها الممثل الأبرز للتيار الإسلامي في العقدين السابقين لانطلاقة الثورة.

و نقصد بهذا كتابات كل من جاك كاري و جولييت بيسس و فيليب تريبي وجون غلوري و غيرها من القراءات التي لم تتوقف عند حدود البحث في تأثير الاتجاه الإسلامي في تيارات الحركة الوطنية في الفترة 1903-1931. و إنما تجاوزته إلى تقييم نتائج جهود العلماء الإصلاحية وحجم الدور السياسي الذي قاموا به في تجربة لم تستمر سوى لعقدين ونصف العقد من الزمن.

أما بالنسبة للتيار الاشتراكي أو اليساري بشكل عام. فإن العديد من المصادر التاريخية الجزائرية والفرنسية على حد سواء، تحرص بإصرار شديد على إثبات علاقة التيار اليساري الأممي بالتوجه الاستقلالي في الحركة الوطنية في المرحلة الجنينية التي سبقت ميلاد هذا الأخير في البيئة العمالية المهجرية في فرنسا من أمثال أحمد مصالي الحاج و بشير حاج علي. كما تستدل تلك المصادر على البصمات اليسارية في النمط السياسي و الهيكلي الذي اعتمده التيار الاستقلالي في تأسيس تنظيماته السياسية المتعاقبة من نجم شمال إفريقيا في 1926و حزب الشعب الجزائري في 1937 ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية في 1946 وصولا إلى تأسيس جبهة التحرير الوطني في 1954.

إن التصميم الفرنسي الإنكاري للحقائق التاريخية التي ميزت حقبة طويلة من جهاد الشعب الجزائري في الفترة 1830-1954 لا يزال يحاول التأسيس لأساطير تجاوزها الزمن، و تسويق خرافات بالية من خلال التشكيك المستمر في المنابع الحقيقية للموروث الضخم من المقاومة و الصمود، و في عناصر الهوية و الانتماء. و لهذا فإن الاستمرار في إصدار صرخات الاستغاثة و الشعب من طرف المؤرخين و الغيارى على ذاكرة الأمة لا يعد مسلكا قويما بعد أكثر من أربعة عقود من استعادة السيادة الوطنية. و لا يجب أن يستمر السبق الفرنسي في تدوين التاريخ الوطني بصورة مهينة كعائق في وجه محاولة إعادة النظر في ذلك الموروث بصورة تنطلق أساسا من هدم جميع الأساطير المؤسسة للمدرسة الاستعمارية.

لأنه من المستهجن أن تستمر أمة حرة في إرادتها و ممسكة بزمام سيادتها في تلقي الدروس حول ماضيها القريب من مدرسة تاريخية كان أبرز أعلامها من منظري السياسة الكولونيالية ذاتها، ومن الغريب أيضا الاستمرار في الاعتماد على ركام تلك المدرسة الذي يعد من أشد معال الهدم خطورة لمقومات الشعب الجزائري، و هذا ما يمكن إسقاطه حتى على الكثير من الدراسات الفرنسية المتأخرة التي تضع

على وجهها أقنعة متعددة لإخفاء جوهرها الإستشراقي في طبيعته الجديدة.

إن أفضل أسلوب وأقصر الطرق لمعرفة الذات يتمثل في مباشرة المرآة و ممارسة النقد الذاتي بدل البقاء في حالة تبعية مقيتة تستورد من خصومها صورا مفككة و ذميمة للهوية و للذاكرة و الانتماء الحضاري. وهذا ما يعد من أكبر الآفات و العلل التي أصابت التاريخ الوطني الحديث والمعاصر.

ولكي لا تتهم هذه الدراسة بالشطط والعدول عن سياقها وجب توضيح مسألة جوهرية تتعلق بجوانب مهمة في صلب هذا الموضوع، و تتمثل في مسألة كيفية تأصيل الكتابة في التاريخ الوطني خلال الحقبة الاستعمارية عموما و الثورة التحريرية على وجه الخصوص. لأنه بعدم تنقيتها من الشوائب التي علقت بها من جهة، و بعدم تخليصها من المعايير و المقدمات الخاطئة التي صيغت بها على أيدي الكتابات الأجنبية، فإن كل الجهود سوف تنتهي لا محالة إلى استنتاجات هجينة وغير موضوعية.

ذلك أن إخضاع تجارب المقاومة و الحركة الوطنية لمعايير تنطلق من التصورات و القوالب الاستعمارية حول التوجه الأيديولوجي و الدافع الديني و غيرها تجعل منها في نهاية المطاف مجرد ردود فعل رجعية تنتمي لعصور سابقة. وهذا يعود أساسا لمنظور المركزية الغربية الذي تم اعتماده في تدوين تاريخ الشعوب الإسلامية و هو المنظور الذي يقوم على النزعة التبريرية للاستعمار وعلى السادية والاستكبار، والذي ينتهي دوما إلى توصيف الشعور الوطني عند الشعوب المستعمرة بأنه تطرفا و النص الديني بأنه تعصبا، و يعتبر كل حركة تحرير، عنفا وسلوكا بربريا وعنصريا.

و قد يكون من الموضوعية في هذا السياق الاعتراف بأن هذه الدراسة لن تزعم التوصل إلى تحقيق أبحاث كاملة حول أسس ومنطلقات الحركة الوطنية، لأن هذا الموضوع أكبر من تحويه بضع مئات من الصفحات، ولعله دون شك يستدعي جهودا جماعية و متواصلة من قبل الباحثين و المؤرخين الجزائريين بالنظر إلى الحجم

الكبير من التزييف والتحريف والذي أشرفت عليه مدرسة التاريخ الاستعماري بشكل منهجي و منظم بدءا بجهود دوساسي و بيربروجر منذ عام 1830 وصولا إلى جون كلود فاتان و ايف كوريار في سبعينيات القرن المنصرم، و جيلبرت ميني و بن جامان سطورا في السنوات القليلة الماضية.. ولا يعود السبب في هذا إلى الصعوبة و المخاطرة اللتين تنطوي عليهما كل محاولة في هذا السعي فحسب، و إنما لأن هذا الأمر تنقصه في المرحلة الراهنة توفر المدرسة التاريخية الجزائرية-مجازا- على الإجماع حول أسس و منطلقات الحركة الوطنية الجزائرية في الفترة الممتدة من بداية الاحتلال إلى بداية الثورة التحريرية.

كما تعوقه من ناحية أخرى القراءات الأجنبية و الفرنسية منها على وجه التدقيق لتاريخ الثورة، و التي لا مناص من تجاوز معاييرها الغربية من أجل التوصل إلى الفهم الأنسب لتلك التجربة التاريخية، لأنها جاءت في سياق يفتقد إلى مراعاة الخصوصيات التاريخية و الحضارية لأمم تختلف عن الأمم الغربية، وليس هذا بالأمر الجديد في كتابة المستعمر لتاريخ المستعمر في التاريخ البشري، فقد وصف المؤرخ الإغريقي القديم ثيوديسيس في تعليقه حول حروب البولوبونيز الصراع بين الأمم و الدول بأنه يفتقد للعدالة و للحقيقة إلا بين الأطراف الندية فقط.

لقد كانت السياسة الاستعمارية في الجزائر قائمة على مبادئ الهدم و التدمير المنهجي و المنظم لكل مكتسبات المجتمع الجزائري التقليدي في الميادين الثقافية و الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية، و استحالت الشعارات الاستعمارية عند تطبيقها على أرض الواقع إلى نقائض مطلقة للتسميات التي عرفت بها، فكانت التهدئة تعني الإبادة و الأرض المحروقة و التهجير و مصادرة الأراضي و نفي الأحرار دون رجعة، و كانت المهمة الحضارية في الجزائر مرادفة للتنصير و المسخ و الفرنسة القصرية و العلمنة، أما شعار ترقية الأهالي فقد كان غطاءا لسياسة تجنيس قلة من الخدم و العملاء مقابل تهميش و تجهيل السواد الأعظم من المجتمع الجزائري الريفي آنذاك.

ولما كان التحصيل الثقافي بمثابة أحد الشروط الأساسية في حدوث أي ارتقاء اجتماعي في أي أمة أو مجتمع كان، فإن الوضعية الثقافية التي أحدثها الواقع الاستعماري منعت كل الشرائح الاجتماعية البعيدة عن مدارات الإدارة الكولونيالية من تحقيق قفزة تتجاوز حدود السياج المفروض على"الأهالي"، الذين لم تتمكن سوى عناصر قليلة منهم من الوصول إلى مستويات عالمية من التكوين الثقافي داخل المدرسة الفرنسية في الجزائر بفعل عوامل النبوغ و الإرادة الشخصية، و هكذا استمرت الصورة الثابتة لأمة تتراجع وأفراد قلائل يتقدمون ملازمة للحالة الثقافية بالنسبة للمجتمع الجزائري الذي لم يتمكن من امتلاك نخبة عريضة تعبر عن طموحاته و مطالبه إلا في فترة متأخرة من العهد الاستعماري.

كما انعكست تلك الوضعية فيما بعد بشكل كبير على نوعية النخبة السياسية الجزائرية وعلى طبيعتها ومستوى تكوينها. وأبقت على التلازم الوثيق بين المستوى الثقافي المتواضع وبين الوضعية الاجتماعية الصعبة والمتدهورة لقطاع عريض من الجزائريين.وقد لا يعد هذا مهما مقارنة بأعراض "انفصام الشخصية الثقافية" التي أصابت النخبة الجزائرية لفترة طويلة من جراء تأثرها بالمدرسة الفرنسية على حد تعبير المؤرخ الفرنسي جون لوكا. لأن تلك الأعراض انتهت بشريحة معتبرة من النخبة الجزائرية إلى حالة شديدة من التنكر للذات، حتى وصفها فرانز فانون بأنها من النمط الشبيه بما أسماه بـــ"أصحاب البشرة السوداء والأقنعة البيضاء"للدلالة على حجم الانسلاخ وفقدان معالم الانتماء الحضاري والثقافي لدى العديد من نخب المستعمرات.

ولكن، ألا يجدر بنا التساؤل هنا: كيف تمكن لمجتمع متفكك يحوي نخبة هجينة تنتمي في أغلبها إلى المدرسة الاستعمارية، أن ينتج عشية الثورة نخبة ثورية تتبنى خيار المواجهة المسلحة مع الاستعمار، وتعلن عن مطالب تحررية راديكالية وتزعم امتلاكها لتصور نظري للدولة الوطنية المستقلة؟.

إن الإجابة على مثل هذا التساؤل يكشف لنا مدى أهمية دراسة رد فالفعل الجزائري على السياسة الثقافية الاستعمارية في الجزائر بشكل دقيق، على الأقل في العقود القليلة التي سبقت انطلاق الثورة،

ونقصد بذلك تجربة الحركة الوطنية في الفترة الممتدة ما بين 1920-1954.

لأن تجربة الحركة الوطنية في فترة مابين الحربين شكلت تحولا تاريخيا في أساليب النضال وفي نوعية المطالب السياسية التي لم تعد محصورة في قضايا آنية تعنى بمصالح مجموعات معينة، وإنما ارتقت إلى مستوى المطالبة بإعادة النظر في السياسة الاستعمارية ذاتها، وباستعادة الحق في الإشراف على المؤسسات الثقافية الجزائرية، وبإعادة الاعتبار الموروث الوطني وبالاعتراف بالمقومات الأساسية للشخصية الجزائرية. وقد بلغت تلك المطالب حدود الإعلان عن الرغبة الصريحة في تحقيق الاستقلال وبناء الدولة الوطنية مما شكل تهديدا مباشرا للوجود الاستعماري ذاته.

لقد عوض الجزائريون تحت نير الاحتلال غياب المؤسسات الثقافية وانعدام الحقوق السياسية والمدنية، بالتعلق الشديد بجملة من المقومات الأساسية كالدين واللغة والأرض والشرف، وتحولت الحركة الوطنية بذلك إلى الطبيعة المميزة لها كحركة سياسية تقوم على مبدأ المقاومة المدافعة عن جملة الحقوق السليبة. وليس غريبا في ذلك السياق التاريخي أن تتحول العديد من ردود الفعل الجزائرية إلى أشكال متعددة للمقاومة كرفض التجنس والتعليم الفرنسي على الرغم من حجم الإغراء الذي كان يحيط بهما على سبيل المثال، حتى أن أبو القاسم سعد الله اعتبر تجربة التعليم العربي الحر في الجزائر بأنها كانت ملحمة لأن التعليم العربي كان مقاومة. لأنه لم يكن نشاطا ثقافيا مجردا من الاعتبارات السياسية المناهضة للاستعمار.

ولاحظ عدد من المؤرخين الفرنسيين أن التغييب المنهجي والصارم للجزائر التاريخية مقارنة بالجزائر الجغرافية في مقررات المدرسة الفرنسية في الجزائر، لم يستطع أن يقف حائلا لمدة طويلة أمام الجزائريين لإعادة اكتشاف هويتهم وتاريخهم.

لقد تحولت ظاهرة "النهضة" في عقود قليلة إلى تيار يسعى إلى تنقية وتطهير العقيدة الإسلامية، وإلى فكر ذي نزعة جدالية مع الغرب وإلى نزعة وطنية تحمل فكرا موحدا للأمة. حتى إن الإصلاح أصبح المرادف الجزائري لمفهوم النهضة المشرقي. وأصبح أيضا المصدر الأول للمفاهيم الوطنية، والدافع إلى القيام بحركة كبرى لإعادة بعث اللغة العربية، ونحو بناء مدرسة تاريخية وطنية جزائرية.

تمت هذه الدراسة بحمد الله وعونه. رئيس فرقة البحث: أ. عبد النور خيثر المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة –بتاريخ: 07 جويلية 2004.

بيبليوغرافيا
عامة

1 – باللغة العربية :

- **ابن العابد الجيلالي**، التقويم الجزائري، المطبطة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة،1927.
- **أحمد الخطيب**، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985.
- **أحمد الخطيب**، حزب الشعب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- **أحمد الخطيب**، الطريق الدامية، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982.
- **أحمد بن الشريف**، فجر المشاتي أو لمحات عن الثورة الجزائرية في معركة التحرير، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1977.
- **أحمد أمين**، زعماء الإصلاح في العصر الحديث،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1965.
- **أحمد بن عليوه**، كتاب المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية، مطبعة التقدم، تونس، 1929.
- **أحمد الشقيري**، قصة الثورة الجزائرية ، دار العودة، بيروت.
- **أنور الجندي**، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.
- **اسكوت**، مذكرات الكولونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر1841، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1983.
- **ابراهيم احمد عدوى**، بلاد الجزائر: تكوينها الإسلامي و العربي،مكتبة لأنجلو-المصرية، القاهرة،1970.
- **الجيلالي صاري، محفوظ قدا ش**، المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري.
- **الصديق محمد الصالح**، صفحات من جهاد الجزائر، شركة الشهاب، الجزائر.
- **الطاهر سعيد وني**، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، مذكرات الرائد الطاهر سعيدوني، دار الأمة، الجزائر، 2001.
- **بشير بلاح**، موجز تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830-1989، دار المعرفة، الجزائر، 2000.
- **بنيامين سطورا**، مصالحي الحاج 1898-1974، تر. صادق عماري؛ مصطفي ماضي دار القصبة للنشر، الجزائر، 1998.
- **جمال قنان**، بدايات الحركة العمالية في المغرب:1919-1939، الجزائر، 1975.

- **جمال قنان**، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.
- **جمال قنان**، العلاقات الفرنسية الجزائرية1790-1830، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.
- **جمال قنان**، دراسات في المقاومة و الاستعمار، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.
- **جمال قنان**، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، الجزائر، 1987.
- **جمال قنان**، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر:1830-1914، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- **جمال قنان**،نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1994.
- **حسين تريكي**، هذه هي الجزائر؟ دار القاهرة للطباعة، القاهرة، 1958.
- **حمدان بن عثمان خوجة** ،المرآة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1975.
- **خالد نزار**، مذكرات خالد نزار، منشورات الخبر، الجزائر.
- **رابح تركي**، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح والتربية في الجزائر.
- **رابح تركي**، التعليم القومي والشخصية الوطنية (1931-1956)، دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ، الجزائر، 1975.
- **رابح تركي**، الشيخ عبد الحميد بن باديس: فلسفة وجوده في التربية والتعليم: 1900-1940، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969.
- **رابح تركي**، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية:1931-1956، دارموفم للنشر، 2004.
- **رشيد بن يوب**، دليل الجزائر السياسي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1999.
- **رضوان عيناد ثابت**،8 ماي 1945 في الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1987.
- **زبير سيف الإسلام**، تاريخ الصحافة في الجزائر(ج4)، نشأتها و تطورها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- **زبير سيف الإسلام**: صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر، 1988.
- **زبير سيف الإسلام**، سجل تاريخ الاستعمار في الجزائر،الجزائر،1988.
- **زكريا مفدى**، اللهب المقدس، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973.
- **زهير إحددان**، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

- **زهير إحددان**، إعلام الصحافة الجزائرية(4أجزاء)، دار التراث للنشر والتوزيع،الجزائر،2002.
- **صالح عباد**، الجزائر بين فرنسا و المستوطنين،د.م.ج، الجزائر.
-**صالح العقاد**، المغرب العربي، الجزائر تونس المغرب الأقصى، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1970.
- **صالح خرفي**، صفحات من الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1972.
- **عبد الحميد زوزو**، ثورة الأوراس1879، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- **عبد الحميد زوزو**، دور المهاجرين الجزائريين بفرنسا في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين1919-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- **عبد الحميد زوزو**، مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشال، دار هومة، الجزائر، 2003.
- **عبد الحميد زوزو**،ثورة بوعمامة (1881-1908)،م.و.ن.ت،الجزائر،1981.
- **عبد الحميد زوزو**،محطات في تاريخ الجزائر،دار هومة،الجزائر،2004.
- **عبد الحميد زوزو**، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830-1900، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- **عبد الحميد بن باديس**، تفسير ابن باديس،جمع وترتيب محمد الصالح رمضان و توفيق شاهين،دار الكتاب الجزائري،الجزائر،1964.
- **عبد الرحمان ا بن العقون** ، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة، الفترة الثالثة 1947-1954،المؤسسة الوطنية للكتاب،1986.
- **عبد الرحمن بن محمد الجيلالي**، محمد أبي شنب،حياته وأثاره ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- **عبد الرحمن بن محمد الجيلالي**،تاريخ الجزائر العام،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1995.
- **عبد الله حمادي**، الحركة الطلابية الجزائرية1871-1962،مشارب ثقافية وإيديولوجية،ط 2 ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،1995.
- **عبد الملك مرتاض**،أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962،ج1 وج2،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر54،2003.
- **عبد الملك مرتاض**، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر1925-1962، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1983.
- **عثمان الطاهر علية**، الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.
- **عمار طالبي**، ابن باديس حياته وأثاره(4أجزاء)، الشركة الوطنية للكتاب،1998.

- **عباس كبير بن يوسف**، تاريخ الجزائر من العهد القديم إلى 1954، دار موفم للنشر، الجزائر،1994.
- **فهمي سعد**، حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في يقظة الجزائر، دار الرحاب،بيروت،1983.
- **فرحات عباس**، حرب الجزائر و ثورتها، ليل الاستعمار، ترجمة أبوبكر رحال، ط1، مطبعة نضالية المحمدية المغرب.
- **محمد الطاهر فضلاء**، الطيب العقبى، رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر.
- **محمد زروال**، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
- **محمد سي يوسف**، مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي،ثورة بوبغلة،دار الأمل،2000.
- **محمد قنانش**، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين:1919-1939، الشركة الوطنية للنشر،الجزائر،1982.
- **محمد الطاهر وعلي**، التعليم التبشيري في الجزائر1830-1904، دحلب، الجزائر، 1998.
- **محمد مبارك الميلي**،بن باديس وعروبة الجزائر،دار الثقافة، بيروت، 1979.
- **مصطفى التهامي**، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
- **مقران يسلي**، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل.
- **احميدة أعميراوي** ، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي،دار البعث،قسنطينة،الجزائر.
- **ممدوح حقي**، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري1807-1883، دار اليقضة العربية، بيروت، 1965.
-**أحميدة أعميراوي**، دراسات في تاريخ الجزائر،مطبوعات جامعة منتو ري،قسنطينة،1999.
- **عبد القادر جغلول**، الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر،تر سليم قسطون، دار الحداثة،بيروت، ط1، 1984.
-**أ.ف.دينيزن**، الأمير عبد القادر و العلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، ترجمة و تقديم أبو العيد دودو، دار هومة، ، الجزائر.
-**ابن عبدالقادر**، محمد (الأمير) باشا، تحفة الزائر في ذكر مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر، الإسكندرية، جزأن في مجلد، المطبعة التجارية.
-**أبو العيد دودو**، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، 1830-1955، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975.
-**أبو القاسم سعد الله**، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ج1،ج2.بيروت، 1990.

-**أبو القاسم سعد الله**، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945 ج3 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
-**أبو القاسم سعد الله**، الحركة الوطنية الجزائرية1830-1900، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
-**أبو القاسم سعد الله**، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930ج2 دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
-**أبو القاسم سعد الله**، الطبيب الرحالة ابن حماد وش الجزائري، حياته وأثاره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
-**أبو القاسم سعد الله**، تاريخ الجزائر الثقافي1500-1954، دار الغرب الإسلامي،بيروت،1998.
-**أبو القاسم سعد الله**، تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، القاهرة، 1970، الجزائر، 1982.
-**أبو القاسم سعد الله**، منطلقات فكرية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1976.
-**أبو القاسم سعد الله**، أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1988.
-**أبو المجد صبري**، ثورة إفريقيا، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1960.
-**أبو عمران الشيخ وآخرون**، معجم مشاهير المغاربة،دحلب،الجزائر،2000.
-**أبو عمران الشيخ**، الكشافة الإسلامية الجزائرية، 1935-1955، دار الأمة، الجزائر 1999.
-**أحسن بومالي**، استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى:1954-1956، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ، الجزائر، 1994.
-**أحمد الجزائري**، كيف دخل الفرنسيون الجزائر:وصف شاهد عيان،دار الكتاب الجديد،بيروت،1962.
-**أحمد بن نعمان**، جهاد الجزائر: حقائق التاريخ ومغالطات الإديو جغرافيا، دار الأمة، الجزائر، 1997.
-**أحمد توفيق المدني**،حياة الكفاح(مذكرات)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.
-**أحمد توفيق المدني**، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ، الجزائر، 1980.
-**أحمد توفيق المدنّي**، كتاب الجزائر، دار المعارف،مصر،1963.
-**أحمد توفيق المدني**، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة،1956.
-**أحمد حمدي**، الثورة الجزائر والاعلام دراسة في الإعلام الثوري، ط 2 مزيدة ومنقحة، المؤسسة الوطنية الاتصال والنشر والإشهار، ، الجزائر، 1995.
-**أحمد حمدي**،ديوان الشعر الشعبي شعر الثورة المسلحة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.

-**أحمد طالب الإبراهيمي**، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، 1997.
-**أحمد طالب الإبراهيمي**، رسائل من السجن، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973..
- **أحمد محمود الجزار**، الإمام المجدد ابن باديس و التصوف، ط1، منشأة المعارف، مصر، 1999.
- **أنور الجندي**، الفكر و الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.
- **ساطع الحصري**، حولية الثقافة العربية، السنة الثانية، 1950-1951، جامعة الدول العربية، دار الرياض للطباعة و النشر.
- **سليمان الشيخ**، الجزائر تحمل السلاح، ترجمة محمد فاضل الجمالي، منشورات وزارة المجاهدين.
-**إسماعيل العربي**، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
-**إسماعيل العربي**، الأمير عبد القادر مؤسس دولة و قائد جيش، وزارة السياحة و الثقافة، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، 1984.
-**إسماعيل العربي**، العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، الجزائر،د.م.ج، 1982.
-**الحسيني عبد الحفيظ أمقران**، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، دار الأديب، الجزائر، 1958.
-**الزبير سيف الإسلام** ر، تاريخ الصحافة في الجزائر(ج4): نشأتها و تطورها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- **الربيع بوشامة**، ديوان الربيع بوشامة، جمع و تقديم جمال قنان، ننشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،1994.
-**الطاهر زر هوني**، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبيعة، الجزائر، 1994.
-**الفضل الورتلاني**، الجزائر الثائرة، دار الهدى،الجزائر، 1992.
-**المركز الوطني للدراسات التاريخية**، الأمير خالد: يوم دراسي حول الأمير خالد الجزائري بمناسبة الذكرى الخمسين لوفاته، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر، 1988.
-**الهادي إبراهيم المشير قي**، قصتي مع ثورة مليون.....شهيد، دار الأمة، الجزائر، 2000.
-**أنيسة بركات**، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائرر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995.
-**أديب حرب**، التاريخ العسكري و الإداري: الأمير عبد القادر الجزائري:1808-1847، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983.

- **الهوا ري عدي**، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والإجتماعي1830-1960، بيروت.
-**أنيسة درار بركات**، أدب النضال في الجزائر من سنة 1954 حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1984.
-**بن أحمد عبد الرحمن الطالب التجاني**، الكاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.
-**بن عودة المزاري الأغا**،طاوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر،بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2001.
-**بن يوسف عباس كبير**، تاريخ الجزائر من العهد القديم إلى 1954،ط2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1980.
- **بسام العسلي**، الأمير عبد القادر الجزائري،ط3، دار النفاش،بيروت،1986.
- **بسام العسلي**، محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية، دار النفائس، بيروت، 1981.
- **بسام العسلي**، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار النفائس، بيروت، 1986.
- **بسام العسلي**، عبد الحميد الجزائري وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، 1982.
- **بسام العسلي**، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي1830-1838، دار النفائس، بيروت، 1983.
- **برونو إتيين**، عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري،ط2، المؤسسة الوطنية للنشر و الاتصال، الجزائر،2001.
-**بنو ملحمة الغوثي**، القانون القضائي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
-**جودي الأخضر بو الطمين**،لمحات من ثورة الجزائر،دارا لبعث،قسنطينة،1981.
-**جوليان أندري شارل**: إفريقيا الشمالية تسير: القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية الكتب الخاصة بالحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
-**جون ب.وولف**،الجزائر وأروبا1500-1830،ترجمة وتعليق د/أبوا لقاسم سعد الله،الجزائر،1986.
- **جودي الأخضر بو الطمين**، لمحات من ثورة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،ط2،الجزائر،1987.
-**حرب أديب**، التاريخ العسكري و الإداري: الأمير عبد القادر الجزائري:1808-1847: ش.و.ن.ت، الجزائر، 1983.
-**حمدان بن عثمان خوجة**، إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1968.
-**حواس بري**، شعر مفدي زكريا: دراسة وتقديم- الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- **حسين مؤنس**، الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000.
-**خديجة بقطاش**، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر: 1830-1871، مطبعة دحلب، 1992.
-**سعد العمامرة** ، معارك و حوادث: حزب التحرير بمنطقة وادي سوف، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1988.
-**سعد العمامرة**: شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، مطبعة النخلة.
-**سليمان الصيد**، رد شبهات حول موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
-**سليمان الصيد**، تاريخ الشيخ علي بن عمر، شيخ زاوية طولقة الرحمانية،دار هومة،الجزائر،1998.
-**سمير أمين**، المغرب العربي الحديث،ترجمة كميل ق. داغر، دار الحنانة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1981.
-**شارل روبيرآجرون**، السياسة الاستعمارية في المغرب، باريس 1972.
-**شارل هنري تشرشل**، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.
-**شاو ش حبا سي**، العلم الوطني الجزائري المعاصر تطوره الشكلي وتحليل لمضمونه الإيديولوجي والسياسي- 1518-1945، موفم للنشر، الجزائر، 1996.
-**شاو ش حبا سي**، من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر1830-1962، دار هومة، الجزائر،1999.
-**شوقي الجمل**،المغرب العربي الكبير ، من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر،ط2: 1997، ،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1997.
-**صالح خرفي**، الجزائر والأصالة الثورية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
-**صالح خرفي**، صفحات من الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972..
-**صالح خرفي**، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، ش،و،ش،ن،ت، الجزائر،1975.
-**صالح عباد**، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر1870-1900، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1984.
-**صالح عباد**، الجزائريين بين فرنسا و المستوطنين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
-**صالح فركوس**، الحاج أحمد باي قسنطينة1826-1850،د.م.ج،الجزائر،1985.
-**صالح فركوس**،المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين(814ق.م-1962)،دار العلوم للنشر والتوزيع،عنابة،الجزائر،2002.
- **صالح عوض**، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من 1830 إلى1962، دحلب، 1992.

- **صلاح العقاد**، الجزائر المعاصرة، معهد الدراسات العربية،القاهرة،1960.
- **صلاح العقاد**، محاضرات عن تطور السياسة الفرنسية في الجزائر، مطبعة الرسالة، القاهرة،1960.
-**عامر رخيلة**، التطور السياسي والتنظيمي لحزب جبهة التحرير الوطني 1962-1980، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993.
-**عباس كبير بن يوسف**،تاريخ الجزائر من العهد القديم إلى 1954،مو فم للنشر، الجزائر، 1994.
-**عبد الجليل التميمي**:بحوث ووثائق في التاريخ المغربي:الجزائر وتونس وليبيا: 1816-1871، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1985.
-**عبد الرحمان ابراهيم بن العقون**، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر(1920-1936) ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
-**عبد الرحمان ابراهيم بن العقون**، من وراء القضبان،ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر.
-**عبد القادر حلوش**، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر،دار الأمة،الجزائر،1999.
-**عبد الرحمان الكواكبي**،طبائع الاستبداد،در موفم للنشر،الجزائر،1988.
-**عبد القادر حميدا**، عباس فرحات رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر.
-**عبد القادر فضيل**، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة،الجزائر ،1998.
-**عبد الكريم بو صفصاف**، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996.
-**عبد الكريم بوالصفصاف**: جهاد المرأة الجزائرية في ولاية سطيف وتضحياتها الكبرى 1954- 1962، الجزائر، وزارة المجاهدين، 1997.
-**عبد الله شريط، مبارك الميلي**، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة النهضة، قسنطينة، 1965.
-**عبد الله شريط،مبارك الميلي**،مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985.
- **عبد الله حمادي**، أصوات من الأدب الجزائري الحديث، قسنطينة، دار البعث، 2001.
-**عثمان سعدي بن الحاج**، مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج: دار الأمة، الجزائر، 2000.
-**عثمان الكعاك**، موجز التاريخ العام للجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- **عثمان سعدى**، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982.

-**علي خنوف**، السلطة في الأرياف الشمالية لبا يلك الشرق، الميزان للنشر والطباعة، الجزائر.
- **علي مراد**، الإصلاح الإسلامي في الجزائر(1925-1940)، الطبعة الثانية، منشورات الحكمة، الجزائر،1999.
-**عمار بوحوش**، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
عمار هلال، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1962، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
-**عمار هلال**، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1962، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
-**عمار هلال**، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 1986.
-**عمار هلال**، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين 19-20، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
-**عمار هلال**، ثورة الأوراس1916، منشورات جامعة الجزائر، 1995.
- **عمار الطالبي**، ابن باديس، حياته وآثاره،4ج،ط.أولى، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968.
-**عمر بن فينة**، الريف و الثورة في الرواية الجزائرية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988.
-**عمر بن فينة**، المشكلة الثقافية في الجزائر: التفاعلات و النتائج، دار أسامة للنشرو التوزيع،الأردن،ط1، 2000.
-**علال الفاسي**، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، القاهرة، 1949.
- **علي المحافظة**، الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798-1914) الدار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت،1983.
-**فؤاد صالح**، الأمير عبد القادر، متصوفا و شاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
-**فتحي دردار**، الأمير عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الجزائرية(1832-1847)، الجزائر، 2001.
-**فهمي سعد**، حركة عبد الحميد بن باديس و دوروهافي يقظة الجزائر، دار الرحاب، بيروت، 1983.
-**فوزي أوصديق**، النظام الدستوري الجزائري دولة الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
-**كاتب ياسين**، الأمير عبد القادر و استقلال الجزائر، ترجمة محمد هناد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
- **كارل بيرتن يومان**، الأمير عبد القادر، دار هومة، الجزائر، 1997.

- **كوليت وفرنسيس جونسون**،الجزائر الثائرة،ترجمة محمد علوي شريف خليل، وهنري يوسف سردار،وزارة الإرشاد القومي، القاهرة، 1957.
-**لمين شريط**، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية1919-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1998.
-**لورثروب ستودارد**، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، المطبعة السلفية، القاهرة، 1925.
- **لاندو روم**، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة،نقولا زيادة، بيروت،1963.
- **لحسن جاكر**، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران،2003.
-**محفوظ قداش**، الأمير خالد.، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1976.
-**محفوظ قداش**، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية،د.م.ج،الجزائر،1987.
-**محمد الأمين بلغيث**، تاريخ الجزائر المعاصر، دار البلاغ، 2001.
-**محمد البجاوي**، الثورة الجزائرية والقانون، دار اليقضة العربية، الجزائر.
-**محمد البجاوي**،حقائق عن ثورة الجزائر،1971.
-**محمد البشير الإبراهيمي**، عيون البصائر،ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
-**محمد البشير الإبراهيمي**، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها الإصلاحية، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، 1935.
-**محمد الصالح الصديق**، الجزائر بلد التحدي و الصمود، الجزائر، موفم للنشر، 1999.
-**محمد الصالح الصديق**، أيام خالدة في حياة الجزائر، الجزائر، موفم للنشر، 1999.
- **محمد الصالح الصديق**، الإمام الشيخ بن باديس، مطبعة البعث، قسنطينة.
-**محمد الصغير بناني**:مذكرات الأمير عبد القادر:سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849،دار الأمة، الجزائر، 1995.
- **محمد الصالح الجابري**، النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962،ط1، الدار العربية للكتاب،1983.
-**محمد الطاهر فضلاء**، قال الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس،دار البعث،قسنطينة،1968.
-**محمد الطاهر فضلاء**، الإمام الرائد الشيخ البشير الإبراهيمي في دكراه الأولى، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر،1967.
-**محمد الطاهر فضلاء**، الطيب العقبي ، رائد حركة الإصلاح في الجزائر،وزارة الثقافة و السياحة، مديرية الدراسات التاريخية و إحياء التراث،1985.

-**محمد الطاهر وعلي**، التعليم التبشيري في الجزائر1830-1904،دحلب،الجزائر،1998.
-**محمد الطيب العلوي**، مظاهر المقاومة الجزائرية: 1830-1954،ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
- **محمد الطيب عقاب**، حمدان خوجة: رائد التجديد الإسلامي، وزارة الثقافة و السياحة: مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، 1985.
-**محمد بن إسماعيل الجزائري**، من بطولات الشعب الجزائري، مطبعة الكاهنة، 1996.
-**محمد بن عبد الكريم**، حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته،ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1972.
-**محمد حربي**، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، المؤسسة الوطنية لفنون المطبعية، 1994.
-**محمد ديب**، الحريق، مكتبة الأطلس، الجزائر، 1965.
- **محمد مالكي**، الحركات الوطنية و الاستعمار في المغرب العربي، مركز الدراسات للوحدة العربية، 1994.
-**محمد رفاعي**، على الجامعة العربية وقضايا التحرير- القاهرة: الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1971.
-**محمد زروال**، العلاقة الجزائرية الفرنسية:1791-1830، دحلب، الجزائر، 1994.
-**محمد طاهروعلي**،التعليم التبشيري في الجزائر1830-1904،دحلب،الجزائر،1998.
-**محمد قنانش محفوظ قداش**، نجم الشمال الإفريقي1926-1937،ديوان المطبوعات الجامعية،ط2 ،1994.
-**محمد قنانش**، الحركة الاستقلابية في الجزائر بين الحربين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
-**محمد قنانش**، المسيرة الوطنية وأحداث8 ماي 1945، ط1، منشورات دحلب، الجزائر، 1991.
-**محمد مبارك الميلي**، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
-**محمدالحسن فضلاء**،الشندرات من مواقف الإمام عبد الحميد بن باديس،دار الأمة، الجزائر،1998.
-**محمدالحسن فضلاء**، من أعلام الإصلاح في الجزائر،ج3،وزارة الاتصال والثقافة،الجزائر،2002.
-**محمدالعربي الزبيري**، الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البحث ،الجزائر، 1984.

-**محمدالعربي الزبيري**، المثقفون الجزائريون و الثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.
-**محمد العربي الزبيري**، الكفاح المسلح **في** عهد الأمير عبد القادر.
-**محمد العربي الزبيري**، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1972.
- **محمد ناصر وآخرون**، الموسوعة الصحفية العربية، الجزء الرابع، تونس، 1995.
-**محمدمبارك الميلي**، بن باديس وعروبة الجزائر، بيروت،دار الثقافة، 1979.
-**محمد علي دبوز**، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، المطبعة العربية، الجزائر، 1971،وج3، المطبعة التعاونية، دمشق،1965.
-**محمد علي دبوز**، أعلام الإصلاح في الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974.
- **محمد عبد الباقي الهرماسي**، المجتمع و الدولة في المغرب العربي،ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1999.
-**محمد حسنين**، الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- **محمد المنوني**، مظاهر يقظة المغرب الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
- **محمد طمار**، الروابط الثقافية بين الجزائر و فرنسا، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983.
- **محمد ناصر**، الصحف العربية الجزائرية من 1847إلى 1939،ش،و،ن،ت، الجزائر، 1980.
- **محمد ناصر**، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903إلى1931،ش و ن ت، الجزائر،1978.
- **محمد سهيل طقوش**، العثمانيون من قيام الدولة حتى الإنقلاب، ط1، دار بيروت المحروسة، لبنان، 1995.
-**محمود السيد**،تاريخ دول المغرب العربي، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، 2000.
- **محمود احسان الهندي**، الحوليات الجزائرية: تاريخ المؤسسات **في** الجزائر،العربي للإعلان و النشر والطباعة، دمشق،1977.
-**مزهود الصادق**، تاريخ القضاء في الجزائر من العهد البربري إلى حرب التحرير الوطنية دار البعث، قسنطينة، 2001.
-**مزهود الصادق**، هياكل العدو الفرنسي بولاية ميلة، دار البعث، الجزائر.
-**مسعود مجاهد**، الأمير عبد القادر
-**مسعود مجاهد**، الجزائر عبر الأجيال، الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر.
-**مسعود مجاهد**، تاريخ الجزائر، ج1.
-**مصطفي الاشرف**، الجزائر: الأمة و المجتمع ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983.

-**مصطفي خالد وعمر فروخ**، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العلمية ومطبعتها، بيروت،1953.
- **مفدي زكريا**، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع و تحقيق أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر،2003.
-**مقران يسلي**، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل(1920-1945)، الجزائر، 1983.
-**مكي الشباح** مذكرات مناضل اوراسي، مطبعة الكاتب، الجزائر، 1976.
-**مالك بن نبي**، وجهة العالم الاسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار العروبة، القاهرة، 1959.
-**مالك بن نبي**، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي، دار العروبة، القاهرة، 1961.
-**ممدوح حقي**، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ،ط3، بيروت، دار اليقظة العربية.
-**مارسيل إيغريتو**، حقيقة الأمة الجزائرية، منشورات سوسيال، باريس،1961.
-**ناصر الدين سعيدوني**، الجزائر منطلقات وأفاق، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
-**ناصر الدين سعيدوني**، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر:الفترة الحديثة والمعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988.
-**ناصر الدين سعيدوني**، عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة البابطين، الكويت، 2000.
-**ناصر الدين سعيدوني**،الجزائر منطلقات وأفاق،مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية،دار الغرب الإسلامي،بيروت،2001.
- **نزار أباظة**، الأمير عبد القادر العالم المجاهد،ط1،دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، 1994.
-**ياسين كاتب**، الأمير عبد القادر و استقلال الجزائر، ترجمة محمد هناد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
-**يحي بوعزيز**، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ط2،دار الكتاب الجزائري، 1964.
-**يحي بوعزيز**، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995.
-**يحي بوعزيز**، الموجز في تاريخ الجزائر: الجزائر الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
-**يحي بوعزيز**، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، منشورات المتحف الوطني المجاهد، 1996.
-**يحي بوعزيز**، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا:1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.

-**يحي بوعزيز**، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.
-**يحي بوعزيز**، التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، الجزائر، 1985.
-**يحي بوعزيز**، سيرة الأمير عبد القادر و جهاده في دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1995.
يحي بوعزيز، مراسلات الأمير عبد القادر مع اسبانيا و حكامها العسكريين بمليلية، ط2، الجزائر-قسنطينة، د.م.ج ،1985.
-**يحي بوعزيز**، حروب المقاومة الجزائرية كما صورتها الكتابات الغربية الفرنسية، جامعة وهران، 1982.
-**يحي بوعزيز**،كفاح الجزائر من خلال الوثائق،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1986.
-**يحي بوعزيز**، مواقف العائلات الأوروستقراطية من الباشاغا محمد المقراني ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
-**يحي بوعزيز**، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية من خلال وثائق جزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.
-**يحي جلال**، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1959، دار المعرفة، القاهرة، 1959.
-يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

2 - باللغة الفرنسية :

ABD -EL- KADER- Lettres aux Français , traduit par René KHAWAM- Paris : Phébus : 1977, 274 p.

ABD -EL- KADER- Poésies d'Abdelkader, ses règlements militaires. – Paris : hachette ; 1848.
– 8p. 60 p.

ABD -EL- KADER- (Mohamed, fils aîné de l'émir)et de l 'Algérie – Alexandrie ; 1903.
- 2 Tome (ouvrage en arabe).

ABD-EL-KADER- 1808-1883.- Encyclopaedia Universalis, vol, I. 12-13p biographies très sommaires, photo de l'Emir en 1867 en compagnie notamment de Mac Mabon.

ABDERRAHIM (Taleb). – Particularité de la résistance de l'Emir Abdelkader, Achaab (hebdomadaire),n° 49, 3juillet, 1976, 4-5 p. Article en arabe.

AGERON (Charles- Robert) AbdelKader, souverain d'un état arabe d'Orient, Cahiers d'histoire, Tome 13, n° 1-2. 1968, 19-26 p.

AGERON (Charles- Robert) AbdElKader et al première résistance algérienne, Les africains, Tome I, 21-49 p.

AGERON (Charles- Robert) AbdElKader, souverain d'un royaume arabe d'Orient. Revue de l'occident musulman et de la méditerranée, n° spécial 1970, 15-30 p.

Al. Amir 'Abd- al –Qadir al-Jazaira ,- Beyrout : Dar Al-éAwdah; 1975.- 156 p (ouvrage en arbe).

ARNAUD (M-A, interprète militaire).- Siège d'Ain–Mâdi par El- Hadj Abdelkader **Ben –Mahi- Eddine** . Revue africaine, Tome8, 1864, p 354-371. 435-453p.

AUBIER (lieutenant-colonel A). – La bataille de la Sikkak (6 juillet 1836).- Revue de cavalerie, 1905.

AUMALE (Henri d'Orléans, duc d'). – Nouvelles d'Afrique, grande victoire remportée par l'armée française en Afrique sous les ordres de S. A. R le duc d'Aumale. Rapport… sur la prise … de la smala d'Abdelkader. Paris ; Dupont ; 1843- 4 p.

AVEZAC (d') – Abdelkader et sa nouvelle capitale… Paris : A, Bertrand ; 1840.- 56 p carte.

Extrait des Nouvelles Annales des voyages, juin 1840. Généalogie de l'Emir, renseignement sur Takdempt ; extraits d'ouvrages notamment de celui de l'enseigne de vaisseau de France : « les prisonniers d'Abdelkader ».

AYANDELE (E.A). – Abdelkader and french occupation of algeria 1830-1847.- Tarikh, 1965.
53-63 p.

AYRAL (J.L) histoire de la guerre d'Afrique, ou conquête de l'Algérie par les français, contenant le détail des expéditions depuis 1830 jusqu'à 1843…- Alès : p. veirun ; 1843.- 132 p.
Tableau chronologique et détaillé des expéditions ; bataille et principaux événements.

AZAN (Paul, lieutenant détaché à l'Etat-major de l'armée : section historique). Récits d'Afrique : Sidi Brahim.- Paris : Lavauzelle ; 1906. 81 p.

AZAN (lieutenant colonel Paul).- Les débuts d'Abdelkader …-Oran : L. fouque ; 1921, 36 p.
Paru dans le bulletin de la société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran en 1921, 197-232 p.
Famille et enfance d'Abdelkader ; négociations de Clauzel avec le Bey de Tunis et le sultan du Maroc, Mah - Eddin et la guerre sainte ; Abdelkader proclamé leur chef par les tribus ; Tlemcen, le Cheliff et Mostaganem ; l'Emir et Desmichels ; traité du 26 février 1834 et ses conséquences.

AZAN (Paul). Abdelkader. La Macta et Mascara
- Alger : imprimerie algérienne ; 1922,- 39 p.
Paru dans le bulletin de la société de géographie d'Alger en 1922, 303-339 p.

AZAN (Paul). L'Emir Abdelkader (1808-1883) Du fanatisme musulman au patriotisme français- Paris : Hachette ; 1925. – 310 p carte portr.
Biographie complète d'Abdelkader, qui de 1832 à 1847, a personnifié la cause de l'indépendance algérienne , les débuts ; d'Abdelkader proclamé sultan ; la France reconnaît l'Emir ; à la conquête du sultanat ; la Macta ; expéditions de Mascara et de Tlemcen ; le traité de la Tafna ; Abdelkader unifie son sultanat ; le gouvernement de l'Emir ; la reprise des hostilités ; la chute des villes de

l'Emir, la défaite de ses khalifats , la prise de la smala ; Sidi Brahim ; la reddition, la captivité ; Brousse, Damas.

AZAN (Paul). – Les prisonniers de Sidi Brahim au Maroc – Bulletin de la société de géographie d'Alger, 1925, p 400-420 ; 1926 ; 38-58 p.

AZAN (Paul). – La reddition d'Abdelkader – Annales politique et littéraires 15 avril 1930.

BALLESTROS (Luis). – l'Emir Abdelkader et l'Algérie...- Paris : Retaux frères ; 1865.- 30 p.

Il serait imprudent de confier à Abdelkader une vice-royauté sur les Arabes d'Algérie ; mais la France pourrait d'honneurs faire de lui auprès des tribus du sud une sorte de représentant de la France. « Un propagateur des institutions libérales et civilisatrices de la France », amenant les Arabes du sud à se soumettre.

BANTOK. – Through the Metidja with Abdelkader. S.I.; 1912. partition musicale

BARESTE (Eugène).- Abdelkader.- Paris : Martinon; 1848-52 p. prtr.

BARKAT (Anissa).- La personnalité de l'Emir Abdelkader.- Majallat- et- Tarikh 1er semestre 1983, 105- 114 p. Article en arabe.

BEAUREGARD (E.E).- Abdelkader : héros Algérien – African historian, 1966 ; 34-36 p. Paru en anglais sous le titre « Abdelkader : Algerian hero ».

BELGRADE (Mohamed). - L'aspect mystique et culturel dans la vie de l'Emir Abdelkader. – Majallat et Tarikh, 1er semestre 1983. 49-80 p. Article en arabe.

BELL (Georges, pseudonyme de HOUNAU Joachim) – Abdelkader.- Paris : impr. Vallée ; 1861 ; 16 p.

Traite surtout de la reddition de l'Emir à laquelle l'auteur semble avoir assisté.

BELLEMAR (Alexandre, ancien secrétaire interprète, commis principal au ministère de la guerre) ; - Abdelkader. Sa vie politique et militaire.- Paris : Hachette ; 1854 (2ème Ed 1863). –462 p.

L'auteur montre par quelle fautes de la part des Français et par quelle qualités chez lui Abdelkader arriva à établir

sa puissance, sa domination, son prestige : science piété, constance, esprit organisateur (il créa une administration que la France copiera et une armée là ou il n'y avait rien. Abdelkader en guerre, en prison , en exil. Nombreux documents.

BENACHENHOU (A).- l'Etat algérien en 1830. Ses institutions sous l'Emir Abdelkader – Alger : Sned ; 1969.

BENHARAT (Abdelkader). – Le diwan de l'Emir Abdelkader.- Alger : D.E.S. d'histoire; 1966.

BENTOUHAMI (Mustapha). – La vie de l'Emir Abdelkader. – Manuscrit en arabe déposé à la bibliothèque nationale d'Alger.

BERBRUGGER (Louis -Adrien) : Négociations entre Monseigneur l'évêque d'Alger et Abdelkader, pour l'échange des prisonniers – Paris : J Delahaye ; 1844 ; 59p.
Monseigneur Dupuch avait été autorisé par Bugeaud à traiter avec Abdelkader de l'échange des prisonniers Algériens contre les Français enlevés le 4 octobre 1840 par les Hadjout entre Douera et Delly Ibrahim. L'évêque d'Alger envoie à l'Emir ses délégués, parmi lesquels Berbrugger. Relation de cette mission. Les délégués ne furent pas reçus par Abdelkader mécontent de ce qu'ils vinssent négocier seulement l'échange des prisonniers et non traiter de la paix. Ce fut le bey de Miliana qui échangea avec eux les signatures.

BONGRAIN (Maurice de) – Les captifs de la deïra, Sidi-Brahim et Sidi Moussa. 1845-1846. souvenirs de la vie militaire en Afrique ….- Lille : J. Lefort ; 1864, p.

BOUAZIZ (Yahia).- l'Emir Abdelkader, commandant de la résistance algérienne – Alger : Dar El Kitab ; 1964- 2 volumes (2ème Ed Alger Ouvrage en arabe.

DELACROIX (A). – Histoire privée et politique d'Abdelkader. – Paris ; 1848. Dépêche télégraphique. Prise d'Abdelkader.- Paris ; impr, Stahl ; 1847.

DJEHAD (Le) ou la guerre sainte des musulmans. – La sentinelle de l'armée 1842. 46-48 p. Abdelkader et la guerre sainte.

DJILALI (A.) – Quelques considérations sur la monnaie de l'Emir Abdelkader. Alger ; sned ; 1966.

DOLLOT (René). – Ferdinand de lesseps et Abdelkader, d'après une étude de Fr. Charles- Roux.- Paris : A. Pédone ; 1956 ; 5 p.

Paru dans la revue d'histoire diplomatique, n°3, juillet – septembre 1956.

El –ARABI (Ismaïl). – La résistance algérienne sous le commandement de l'Emir Abdelkader. – Alger, Sned ; 1982 ; 324 p. Ouvrage en arabe.

ESTAILLEUR- CHANTERAINE (Philippe d'). – Abdelkader.- Paris ; librairie de France ; 1931.

ESTAILLEUR- CHANTERAINE (Philippe d'). – l'Emir Abdelkader.- L'illustration, mai 1930.

ESTAILLEUR- CHANTERAINE (Philippe d'). – Abdelkader, la France, l'Europe et l'Islam au XIXème siècle.- Paris : Fayard ; 1947.

ESTAILLEUR- CHANTERAINE (Philippe d'). – l'Emir magnanime. Abdelkader le croyant.- Paris : Fayard ; 1959.- 213 p.

Biographie de l'Emir avec bibliographie. L'auteur donne la généalogie d'Abdelkader.

FELINE (Adrien). – De l'Algérie et des moyens d'assurer son avenir. Paris ; Le neveu ; 1842. 81 p.

FOURIE (commandant). – Sidi Brahim à propos du 2ème régiment de zouaves.- Nemours ; 1901.- 38 p.

GLISSOT (René). – La guerre d'Abdelkader ou la ruine de la nationalité algérienne (1839-1847).- Hespéris - Tamuda, 1864, 119-141 p.

HASSEN (Maître Mohamed Kamel).- l'Emir Abdelkader l'Algérien.- Beyrouth ; presses universitaires ; 1982, 106 p.

KATEB (Yacine). – Abdelkader et l'indépendance algérienne. – Alger : En- Nahda ; 1948, 47 p.

KHOPELEVA. – l'Etat d'Abdelkader l'Algérien Moscou : Ed scientifiques, 1973, 127 p.

KLOCK (Elie). – Portrait- légende sur Abdelkader…- Paris : Fiquet ; 1847, 35 p.

LAMENAIRE. - Vie aventures, combats, amours et prise de Abdelkader ...- Paris : Peccatti ; 1848 ; 48 p, portr.
-ABDESSALAM Taleb, A propos du statut Algérien .In, Vh, Alger, n°176-177, janv-fevr, 1937, p 11-15.
-ABID Ahmed, La crise viticole et ses répercussions socio politiques, 1929-1936.
-AMIN Samir, L'économie du Maghreb, Ed de Minuit, Paris, 1966.
-AMIN Samir, Gospodarka, Maghrebu, Kolonizacja i dekolonizacja, algerii, tunezji i Maroka, 1969.
-AMIN Samir, The Maghreb in the modern world, Algeria, Tunisia, Morocco.
-AMIN Samir, Le Maghreb moderne, Ed de minuit, 1972.
-AROUBI, Esquise de politiques maghrébine In, Renseign.colon, Paris, n°10, oct, 1930, p 619-634.
-A Faouzi, Islam, réformisme et nationalisme, In, Social compass, p 419-432.
-AMRANI al Duktûr 'Abd ul majîd, Al nukhba l firansiyya l mu thaqqafa wa thawra l jazâ-iriyya, 1954-1962, matabi' dâr ul chihab Batna, 272 p.
-ABDOUN Mahmoud, Témoignage d'un militant du mouvement nationaliste, Ed Dahleb, Alger, 1990,141p.
-ADDI Lahouari, L'impasse du populisme, Alger, ENAL, 1906-242 p.
-AKKACHE Ahmed, La résistance Algérienne de 1845 à 1945 Alger, S.N.E.D, 1972, 40 P.
-AIT AHMED Hocine, Mémoires d'un combattant, L'esprit d'indépendance, 1942-1952, Sylvie Messinger, 1983,236 p.
-ABID Ahmed, La crise viticole et ses répercutions socio-politiques.
-AIT AHMED Hocine, Mémoires d'un combattant, l'esprit d'indépendance, 1942-1952, Sylvie Messinger, 1983,236 p.
-AIT AHMED Hocine, Sur le Maghreb et le mouvement national Algérie, In Sou'al, Paris, p 110-133.
-AINAD Tabet Redouane, Le 8 mai 1945 en Algérie, OPU, Alger, 1985, 246p,
Front de libération nationale/ jabhat ul tahrïr il wataniyy, Textes fondamentaux du Front de Libération Nationale, 1954-

1962, Ministère de l'Information et de la Culture, Alger, 1976, 87 p.
-**AINAD Tabet Redouane**, Le 8 mai 1945 dans le nord Constantinois, In, Rev, civilis, Maghreb, Alger, 1969, p 45-47.
-**AINAD Tabet Redouane**, Le mouvement du 8 mai 1945 en Algérie, Alger, O.P.U, 1985.
-**ABDI Noureddine**, Algérie 200 hommes de pouvoir, Indigo Publications, 1992, 128 p. et Algérie Presse Service, Eclats de novembre, Des hommes de la révolution, ENAL, 1987, 248 p. à aussi la revue Parcours, l'Algérie, les hommes et l'histoire, publiée par l'Association pour un Dictionnaire Biographique de l'Algérie, 18 numéros parus.
-**AL Sadïq Muhammad Salah**, amirûch wa qiçaç thawriyya, Manchurât Dahlab, Alger, 1989, 152 p.
-**Azzedine, Chaïeb Aïssa Khaled**, Boudiaf, l'homme des ruptures, Edit. Chihab, Alger, 1993, 429 p, sur Ben Bella, Boisson Jean, Ben Bella est arrêté... le 22 octobre 1956, Etudes et Recherches historiques, 1978, 442 p.
-**ABBAS Ferhat**, Autopsie d'une guerre, Garnier, 1980, 346 p.
-**AMOKRANE 'Abd ul Hafiz il Husnï**, Mudhakkirât 17 min masïrat il nidal wa l jihad, Charika dâr il umma, 1997, 198 p. Les Mémoires accusateurs contre les "assassins de la révolution" du commandant Buraq' a Lakhdar, Mudhakkirât ul raid sï Lakhdar Bûraq' a, châhid 'alâ ightiyâl il thawra, Dâr ul Hikma, 1990, 276 p.
ABDOUN Mohammed, Témoignage d'un militant du mouvement nationaliste, Ed Dahlab, 1990, 141 p.
-**ADDI Lahouari,** L'impasse du populisme, ENAL, 1990, 242 p, sociologue tunisien Hermassi Elbaki, Etat et société au Maghreb, Anthropos, 1975, 236 p.
-**AÏT AHMED Hocine**, L'affaire Mecili, La Découverte, 1989, 261 p.
-**ABD -EL- KADER**, Lettres aux Français, traduit par René KHAWAM- Paris, Phébus, 1977, 274 p.
-**ABD -EL- KADER**, Poésies d'Abdelkader, ses règlements militaires, Paris, hachette, 1848. 60 p.

-**ABD -EL- KADER,** Mohamed, fils aîné de l'émir et de l 'Algérie – Alexandrie, 1903.- 2 Tome.
-**ABD-EL-KADER**, 1808-1883.- Encyclopaedia Universalis, vol, I, 12-13p, biographies très sommaires, photo de l'Emir en 1867 en compagnie notamment de Mac Mabon.
-**ABDERRAHIM Taleb**, Particularité de la résistance de l'Emir Abdelkader, Achaab (hebdomadaire),n° 49, 3juillet, 1976, 4-5 p, Article en arabe.
-**Al. Amir 'Abd- al –Qadir al-Jazaira** , Beyrout , Dar Al-Éawdah; 1975 - 156 p.
-**ABDELGHANI**, Le problème Algérien de l'émigration en France, Paris, Ed, Cahiers Algériens M.T.L.D, 1950.
-**ADDA Djelloul**, Rôle des élus musulmans au sein des délégations financières en Oranie entre les deux guerres.
-**ABBAS Ferhat,** Pourquoi nous avons créé l'Union Populaire Algérienne, Alger, 1938.
-**ABBAS Farhat**, La nuit coloniale, Paris, 1962.
-**ABBAS Farhat**, Pourquoi nous créons l'union populaire Algérienne, 1938.
-**ABBAS Farhat**, Assimilation et émancipation,In, V.H, Constatine, n° 138-139,1er et 15 mars 1934, p 14 -15.
-**ABBAS Farhat**, Le service militaire des indigènes Algériens, In, Le jeune Algérien, Paris, Ed, Garnier frères, 1981, p 35 – 46.
-**ABBAS Farhat**, Exode des ouvriers Algériens en France, In, De la colonie vers la province, le jeune Algérien…Paris, Ed, Garnier, 1981, p 47-61.
-**ABBAS Farhat**, L'intellectuel musulman, In, De la colonie vers la province, le jeune Algérien, Ed Garnier, paris, 1981, p 66-75.
-**ABBAS Farhat**, Ce que veulent les Algériens musulmans, In, Fr-obs, Paris, p 8-9.
-**AKROUF Daoud**, Aux origines du front de libération nationale, Alger, 1965.
-**BENHADJI O**,In,V.H,Alger,1938,n° 186,juil,p 4 -7,n° 187,août,p,3-9,n° 188,oct,p 3-9.
-**BENSALAH Ahmed**, Significations et perspectives de la décolonisation, In, Esprit, Paris, p 891-894.

-**BITATE Rabah**, Comment nous avons préparé le 1er Novembre 1954, In express, Paris, P 68-69.
-**BITATE Rabah**, Les trois enseignements de l'évolution du mouvement nationaliste,
In, Moudj, Alger, 1er nov 1979, p 2.
-**BENRIBA**, Accession de l'élite musulmane aux droits politiques de citoyens,In, V.H, Constantine, n° 152,15 déc, 1934, 1er janv, 1935, p 335 -338.
-**BENSALEM Mohamed**, Justice, oû es-tu?, In, V.H, Alger, 1937, n° 183, août - sept – oct, p 24-25, n° 184, nov, p 19-20.
-**BOUTALEB Abdelkader**.L'emir Abdelkader BOUTALEB et la formation de la nation Algérienne Ed Dahlab, 1990.
-**BENHADJ O**, 1936-1939, In, V.H, Alger, p 1-7.
-**BACHETARZI Mahieddine**, Mémoires..., Alger, SNED, ENAL, 1968 et 1984.
-**BOUMENDJEL Ahmed**, L'armée d'un an pour les européens, l'armée de deux ans pour les indigènes,In, V.H, Alger, n°94,15 déc 1930, p 6-8, n° 95,15 janv 1931, p 4 -7.
-**BOUMENDJEL Ahmed**, L'Algerie unanime, In, Esprit, Paris, n°183, oct, 1951, p 508-527.
-**BOUMENDJEL Ahmed**, Chez nos camarades de Paris, In, V.H, Constantine, n° 154, mars 1935, p 404-408.
-**BENNABI Malek**, Mémoire d'un témoin du siècle, Alger S.N.E.D. 1965, 239 p.
-**BENNABI Malek,** Le Phénomène coranique, Alger En-Nahda, 1946, 179 p.
-**BEN AZZEDDINE Ghouar Abdelkader**, 5 fidayine ouvrent le feu à Constantine.
-**BENNOUNE Mahfoud, El Kenz Ali**, Le hasard et l'histoire,Entretiens avec Belaïd Abdesselam, ENAL, Alger, 1990, 2 vol., 471 et 408 p.
-**BARAKKA Darrar Anissa**, Adab ul nidal fi l jazâ-ir min sana 1945 hatta l istiqlal, Alger, al mu-assassa l wataniyya lil kitab, 1985, 127 p.
-**BEN BELLA Ahmed**, Itinéraires, Edit. Maintenant, Alger, 1990, 143 p.
-**BENYAHIA Mohammed**, La conjuration au pouvoir Récits d'un maquisard, Arcantère, Paris, 1988, 155 p.

-**BOUNEMEUR Azzedine**, Les bandits de l'Atlas, Gallimar 1983, 330 p.
-**BOUKORT Benali Mazouni,** Le souffle du Dahra, ENAL Alger, 1986, 177 p.
-**BOUZAR Nadir**, Abus de confiance, ENAL, Alger, 1989, 256 p.
-**BOUDIAF Mohamed**, La préparation du 1er novembre, coll. El jarida, 1976, 94 p.
-**BACHTARZI Mahieddine**, Mémoires, t 2, 1939-1951, ENAL 1984, 317 p.
-**BENNABI Malek**, Mémoires d'un témoin du siècle, ENAL, 2 vol., t. 1 : 239 p, 1970, 233 p.
-**BENNABI Malek**, perspectives Algériennes, de la civilisation, de la culture, de l'idéologie, Ed, Algériennes En Nahdha, Alger, 1964.
-**BENHASSINE M**, Réflexions sur les conditions économiques de la formation de la classe ouvrière en Algérie,In, Travaux sur la classe ouvrière dans le monde arabe, Alger; n° 3, mai 1981, p 57-74.
-**BENKHEDDA Benyoucef**, Les origines du 1er novembre 1954, Dahlab, Alger, 1989, 361 p.
-**BENNOUNE Mahfoud**, Socio-economic changes in rural Algeria 1830-1954, In, Peas, stud, newsl…1973, p 11-18.
-**BANOUNE Akli et Amar Khider**, publiés dans Bouayed Mahmoud, L'histoire par la bande, SNED, Alger, 1974, 68 p. (Français), 12 p. (arabe).
-**BOUCHAIB Belhadj,** De l'Oranie à l'Algérois, recueilli par Boucif Boukorra et Karim Rouina (OPU, Alger, 1986, 86 p).
-**BOUGUESSA Kamel,** Emigration et politique, Essai sur la formation et la politisation de la communauté Algérienne en France à l'entre-deux guerres mondiales, thèse 3e cycle, université Paris V, 1979, 2 vol.
-**BEDJAOUI Mohamed,** La révolution Algérienne et le droit, Association des Juristes Démocrates, Bruxelles, 1961, 264 p.
BEKKAR Abdelkader, La grotte de l'araignée, Edit Hermé, 1990, 430, p.

-**BENRABAH Mohamed,** Langue et pouvoir en Algérie, Histoire d'un traumatisme linguistique, Les colonnes d'Hercule, Séguier, 350 p.
-**BENATIA Farouk,** Le travail féminin en Algérie, S.N.E.D., 1970, 272 p.
-**BARAKAT Darrar Anîssa**, Nidal ul mar-a l jazâiriyya khilal il thawra l jazâ-iriyya, Alger, al ma-assassa l wataniyya lil kitab, 1985, 127 p.
-**BOUNEMEUR Azzedine,** Les bandits de l'Atlas, Gallimard 1983, 330 p.
-**BENDJELIL A. et AL.**, Nedroma (Algérie), 1954-1984, Actes de la Table Ronde, Oran, 1983, C.R.I.D.S.S.H, 1986, 202 p.
-**BOUTEFNOUCHET Mostefa**, La famille Algérienne, SNED, Alger,
1982, 316 p.
-**BOUDJEDRA Rachid**, La vie quotidienne en Algérie, Hachette, 1971.
-**BOUZAR Wadi,** La mouvance et la pause, Regards sur la société Algérienne, SNED Alger, 1983, 2 vol., 465 et 354 p.
-**BENNOUNE Mahfoud,** Impact of colonialism and migration on an Algerian peasant community: a study in socioeconomic change, 2 vol., thèse, University of Michigan, 1976, 471 p.
-**BEDIYA Bachir**, L'oued en crue, Edit. Du Centenaire, 1979, 147 p.
-**BENZINE ABDELHAMID**, Le camp, Edit. Soc., 1962, 94 p.
-**BOUMAZA Bachir et AL**, La gangrène, Edit. De Minuit, 1959.
-**BENCHERIF Ahmed**, L'aurore des mechtas, quelques épisodes de la guerre d'Algérie, SNED, Alger, 1969.
-**BENALLEGUE Nora**, Militants du mouvement ouvrier en Algérie dans les années trente, In, Mouvements sociaux Maghrébins, travailleurs, militants, idéologies par le groupe de recherche sur le Maghreb et le monde arabo-musulman, p 83-104.

-**BENALLEGUE Nora**, Le Mouvement syndical en Algérie 1830-1942, Paris, 1981.
-**BENZINE Abdelhamid,** journal de marche, SNED, Alger, 1965, 143 p.
-**BOUROUIBA Boualem**, Les syndicalistes Algériens, leur combat, de l'éveil à la libération, L'Harmattan, 1998, 456 p.
-**BOUROUIBA Boualem**, Les syndicalistes Algériens, leur combat, de l'éveil à la libération, L'Harmattan, 1998, 456 p.
BENFARS Djamel, Saadallah Rabah, La glorieuse équipe du FLN,ENAL/GAM, Alger Bruxelles, 1985, 371 p.
-**BENSALEM Djamel Eddine,** Voyez nos armes, voyez nos médecins, chronique de la zone l, wilaya 3, ENAL, Alger, 1984, 289 p.
-**BENABDALLAH Saïd**, La justice du FLN pendant la guerre de libération, SNED, Alger, 1982, 142 p.
-**BENHABYLES Cherif,** L'Algérie française vue par indigène, Librairie Orientale, Alger, 1914, 195 p.
-**BOU KABOUYA** Lieutenant El Hadj, L'Islam dans l'armée française, Constantinople, 1915, 40 p.
-**BENBADIS Cheikh,** "Notice sur l'émir Khaled" in Ach-Chihab, n° de février 1936, p 622-630.
-**BOUKORT Ali,** Union du peuple de France et des colonies, Paris 1938, 16 p.
-**BENNOUNE Mahfoud**, Une analyse socio-économique de l'expérience coloniale Algérienne.
-**BENAMRANE Djilali**, L'émigration Algérienne en France, passé, présent et avenir, SNED, Alger, 1983-410 p.
-**BENAZZEDINE Ghouar Abdelkader**, Cinq fidayines ouvrent le feu à Constantine, ENAL, Alger, 1986-213 p.
-**BEN BELLA Ahmed,** Ben Bella revient, Ed J. Picollec R. Gaucher, Paris, 1982-255 p.
-**BEN BELLA AHMED**, Itinéraires, Ed. Maintenant ,Alger, 1990.
-**BENCHERIF Ahmed,** L'aurore des mechtas, quelques épisodes de la guerre d'Algérie, SNED Alger, 1968-199 p.
-**BENFARS Djamel, SAADALLAH Rabah,** La glorieuse équipe du FLN
Alger/Bruxelles, ENAL-GAM, 1985-371 p.

-**BENKHEDDA Benyoucef,** Les Accords d'Evian, Alger, OPU, 1986-120 p.
-**BENKHEDDA Benyoucef**, Les origines du 1er novembre 1954, Ed Dahlab, Alger, 1989-361 p.
-**BENSALEM Djamel Eddine**, Voyez nos armes, Voyez nos médecins, chronique de la zone 1, wilaya 3, ENAL, Alger, 1984-289 p.
-**BENZINE Abdelhamid,** Le camp, Ed. Sociales, Paris, 1962-94 p.
-**BENZINE Abdelhamid,** Journal de marche, ENAL, Alger, 1965-143 p.
-**BENZINE Abdelhamid,** La montagne et la plaine, Ed, à compte d'auteur, Alger, 1980.
-**BESSAOUD Mohammed-Arab**, Heureux les martyrs qui n'ont rien vu, Paris,Ed. Berbères, 1991-157 p.
-**BITAM Boukhalfa**, Rue de la liberté, Alger, ENAL, 1984-172 p.
-**BOUAZIZ Y,** Le combat de l'Algérie à travers ses archives Alger, ENAL, 1986-390
-**BOUDIAF Mohamed,** La préparation du 1er novembre suivie de lettre ouverte aux Algériens Paris, Coll. El Jarida, 1976-94 p.
-**BOUDIAF Mohamed,** L'organisation spéciale dans la préparation du 1er novembre,
In, Jarida, Paris, 1970, p 6.
-**BOUDIAF Mohamed,** la préparation du 1er novembre, In, Jarida, Paris, nov-déc 1974, p 4-14, mars 1977, p 4-5.
-**BELLOULA Tayeb**, Les Algériens en France, Ed, Nationale Algérienne, Alger, 1964.
-**BOUDJEDRA Rachid,** Naissance du cinéma Algérien, Paris, Maspero, 1971-101 p.
-**BOUDJEDRA Rachid,** Le vainqueur de coupe, Paris, Denoël, 1981-264 p.
-**BOUDJEDRA Rachid**, Le démantèlement, Paris, Denoël, 1982-308 p.
-**BOUKORT Bénali,** Le souffle du Dahra, ENAL, Alger, 1986-177 p.

-**BOUZAHER Hocine,** Des voix dans la Casbah, Paris, Ed. Maspero, 1960-130, p.
-**BOUZAR Nadir,** Abus de confiance, Alger, ENAL, 1989-256 p.
-**BOUZAR Wadi,** La mouvance et la pause, Regards sur la société Algérienne
SNED, Alger, 1983, 2 volumes- 465 et 354 p.
-**BAITAR Abdelhamid**, Je suis un Algérien. Chants et récits d'un Moudjahid d'Alger, SNED, Alger, 1982.
-**BELLOULA Tayeb**, Les Algériens en France, leur passé, leur participation à la lutte de libération nationale, leurs perspectives, Ed. Nationales Algériennes, Alger, 1965-255 p.
-**BENABDALLAH Saïd**, La Justice du FLN pendant la guerre de libération
Nuremberg pour l'Algérie tome 1, Paris, Maspero, 1961-32 p.
BARKAT Anissa, La personnalité de l'Emir Abdelkader, Majallat- et- Tarikh 1er semestre 1983, 105- 114 p.
BENACHENHOU, l'Etat Algérien en 1830, Ses institutions sous l'Emir Abdelkader, Alger, Sned ,1969.
-**BENHARAT Abdelkader**, Le diwan de l'Emir Abdelkader, Alger, D.E.S. d'histoire, 1966.
-**BENTOUHAMI Mustapha,** La vie de l'Emir Abdelkader, Manuscrit en arabe déposé à la bibliothèque nationale d'Alger.
-**BOUAZIZ Yahia,** l'Emir Abdelkader, commandant de la résistance Algérienne, Alger , Dar El Kitab , 1964- 2 volumes ,2ème-CHALABI Al Hadi, L'Algérie l'Etat et le droit, Arcantère, 1989-306 p.
-**BELLEMARE A,** Abdelkader, Sa vie politique et militaire, Paris, 1854.
-**BENNACHENOU Abdelhamid,** L'état Algérienne en 1930, ses institutions sous l'Emir, Alger, 1969.
-**BENNACHENOU Abdellatif**, Formation du sous développement en Algérie, essai sur les limites du développement du capitalisme en Algérie 1830-1962.
-**BENNACHENOU Abdelhamid,** La longue lutte, In, Alger, act, 1974, p 11-13.
-**BENATTIG Rachid**, 8 mai 1945, In, Alger, act, 1970, p 5.

-**BADJADJA Abdelkrim, MIMOUNI Omar**, La vie politique dans le constantinois, Alger, p 37-40.
-**BAOUABIA A**, Les États-Unis et la libération du Maghreb.
-**BEN KHEDDA Benyoucef**, Les origines du 1er Novembre 1954, Ed Dahlab, Alger, 1989.
-**BEN NAOUM Ahmed,** Les loi foncières coloniales et leurs effets en Algérie 1830-1930.In, R.A.S.J.E.P, Alger, vol x, n° 1, mars 1973, p 7-31.
-**BOUAZZOUNI Ramdane**, Du réformisme au nationalisme en Algérie à travers Ferhat Abbas, 1963.
-**BOUKORRA Boucif**, L'évolution nationaliste de Ferhat Abbas, Alger, 1975.
-**BENBADIS Abdellah. BENMANSOUR Mustapha**, Etude de recherches en histoire des idées politiques, Alger, 1970.
-**BOUHALI Larbi**, L'Algerie veut un statut démocratique, In Democr, nouv, Paris, p 357-361.
-**BOUHALI Larbi**, La guerre de libération et la lutte pour la paix, Alger.
-**BOUHALI Larbi**, La révolution socialiste d'octobre et le mouvement national Algérien, In, Cah, communisme, Paris, p 1709-1737.
-**CHAIB Mohamed**, La dernière épreuve, ENAL, Alger, 1983-280 p.
-**CHAID Hamoud, dit Abderrahmane**, Sans haine ni passion Contribution à l'écriture de l'histoire de l'Algérie, Ed Dahlab, Alger, 1992. 345 p.
-**CHIKH Slimane** L'Algérie en armes, ou le temps des certitudes, Paris Alger, OPU, Economica, 1981-511 p.
-**CHERGOU Abderrahmane,** Demain reste toujours à faire, ENAL, Alger, 1986, 289 p.
-**CHABUKÏ Muhammad**, Diwân ul chaykh il chabûkï, Manchûrât ul mathaf il wataniyy l mujâhid, Alger, 1995,212 p.
-**Chaykh Keireddine, Khayr Ul Dïn Muhammad,** Mudhakkirât ul chaykh Muhammad Khayr il Dïn wa mucharakatuhu fi jam'ïa l'ulama wa jabhat il tahrïr il wataniyy wa majlis il thawra, l jazâ-iriyya, Matba 'a Dahlab, 1985, 447 p.

-**CHERIET Al Duktûr 'Abdallah,** Al Thawra l jazâiriyya fi Sihafa l dawliya, Al mu-assassa l wataniyya lil itisal wa l nachr wa l ichhar, Alger, s.d., volume 1955, 840 p. et volume 1956, 896 p.

-**CHIKH Slimane**, fils du poète patriotique Algérien Mufdï Zakariyya, L'Algérie en armes ou le temps des certitudes, OPU/Economica, Alger Paris, 1981, 511 p.

-**CHAOUCHE Ramdane Zoubir**, L'Algérie à travers la pesse française et algérienne de gauche de 1945 à 1955, thèse, université Paris II, 1979, 962 p.

-**CHERIET Al Duktûr 'Abdallah,** Al Thawra l jazâiriyya fi Sihafa l dawliya, Al mu-assassa l wataniyya lil itisal wa l nachr wa l ichhar, Alger, s.d., volume 1955, 840 p. et volume 1956, 896 p.

-**Chaykh Keireddine, Khayr Ul Dïn Muhammad**, Mudhakkirât ul chaykh Muhammad Khayr il Dïn wa mucharakatuhu fi jam'ïa l'ulama wa jabhat il tahrïr il wataniyy wa majlis il thawra, l jazâ-iriyya, Matba 'a Dahab, 1985, 447 p.

-**CHABUKÏ Muhammad,** Diwân ul chaykh il chabûkï, Manchûrât ul mathaf il wataniyy l mujâhid, Alger, 1995,212 p.

-**CHERGOU Abderrahmane**, Demain reste toujours à faire, ENAL, Alger, 1986, 289 p.

-**CHEIKH Bouamrane et L. GARDET**. Panorama de la pensée islamique, Sindbad, 1985.

-**CHAOUCHE RAMDANE, Zoubir**. L'Algérie à travers la presse Française et Algérienne de gauche de 1945 à 1955/Zoubir CHAOUCHE RAMDANE,Paris, université de droit, d'économie et de sciences sociales de paris, 1979.Th.Doct. 3e cycle, science de l'information, université paris 2 : 1979 Bibliogr.

-**CHENNTOUF Tayeb**, Remarques sur la naissance des politiques en Algérie,
In, R.A.S.J.E.P, Alger, p 221-227.

-**CHERIF Rachid**, Ecrits sur le nationalisme, In, Afrique-Asie, Paris, p 82-84.

DJILALI A, Quelques considérations sur la monnaie de l'Emir Abdelkader, SNED, Alger, 1966.
-DAHO Al'Arabï, al chi'r ul cha'bï wa l thawra l tahrïriyya bi daira Marwana min 1955 a 1962, Alger, 1984, 139 p.

-DAHLAB Saad, Pour l'Indépendance de l'Algérie. Mission accomplie, Edit. Dahlab, Alger, 1990, 347 p.
-DJEGHLOUL Abdelkader, dans ses Eléments d'histoire culturelle Algérienne, ENAL, Alger, 1984, 244 p.
-DEROUICHE Mohamed, Le scoutisme, école du patriotisme, OPU, Alger, 1985, 267 p.
-DJEBBAR Abdelhamid, La question nationale et coloniale et le mouvement communiste, le cas de l'Algérie. Le parti communiste et le mouvement nationaliste 1935-1956, thèse Sc. Po, Grenoble, 1975, 360 p.
DJEGHLOUL Abdelkader, Eléments d'histoire culturelle algérienne, ENAL, Alger, 1984, 244 p.
DJEGHLOUL Abdelkader, Les Revendications de l'indépendance au début du 20e siècle, In, Alger, act, p 28-29.
-DJEGHLOUL Abdelkader, Les Algériens et la première guerre mondiale, In, Alg, act, p 16-17.
-DJEGHLOUL Abdelkader, Rétrospective sur le mouvement syndical Algérien, In, Eléments de Sociologie de l'histoire Algériennes XIX-XX, 1978-1979.
-DAHLAB Saad, Mission accomplie pour l'indépendance de l'Algérie, Ed. Dahlab, Alger, 1990-347 p.
-DAHMANI Mohamed, L'Algérie légitimité historique et continuité politique, Ed. L'Harmattan, Paris, 1979-302 p.
-DAOUD A, La poésie populaire et son rôle dans la grande révolution de libération dans les Aurès, Alger, ENAL, 1988-418 p.
-DEBECHE Djamila, Aziza, Alger, Imprimerie Imbert, 1955-182 p.
-DJEBAR Assia, L'amour, la fantasia, Paris, Jean-Claude Lattès, 1985-256 p. -
DJENDER Mahieddine, Introduction à l'histoire de l'Algérie, Systèmes historiques,Conception générale de l'histoire nationale, SNED, Alger, 1968- 211p.

-**ETTEBANI Salah**, Considérations générales sur la justice telle qu'elle est appliquée en Algérie ,In,V.H,Alger,n° 113,nov 1932,p 8-12.
-**EL MAADI Mohamed**, L'Afrique du Nord, terre d'histoire/Mohamed el Maadi, éd France Empire, Paris, 1945.
-**EL MILI Mohamed .MAMMERI Mouloud .KADDACHE Mahfoud**, Des chercheurs pour décoloniser l'histoire,In, Moudj,cult,Alger,n° 58,1972,p 12-13.
-**EL KOUACHET Messaoud**, Le projet Blum-Violette et les réactions de l'opinion musulmane et principalement des Oulémas, Alger, 1976.
-**FARHI Mohammed,** Le rêve et le testament, Alger, ENAL, 1988, 233 p.
-**FERRAT A,** "Le mouvement révolutionnaire en Algérie", in Cahiers du Bolchevisme, n° 6 et 7 des mars, p 336-342 et I avril 1935, p 403-408.
-**FERRAT A**, "Les questions de la révolution en Algérie et l'idéologie colonialiste, Pour un véritable parti communiste d'Algérie", in Cahiers du Bolchevisme, juillet, 1935.
-**FARES Abderrahmane**, La cruelle vérité, L'Algérie de 1945 à L'Indépendance, Plon, 1982, 251 p.
-**FRANCOS Ania, SERINI Jean-Pierre**, Un Algérien nommé Boumediene, Stock, 1976, 416 p.
-**FARES Mohamed, Aïssat Idir**, Documents et témoignages sur le syndicalisme Algérien, préfacé de Mahfoud Kaddache, E.N.A.P, E.N.A.L,éditions Andalouses, S.I.N.D, 180 p.
-**FLICI Laadi,** L'envers des tribunes, Chronique du temps qui passe, Alger, ENAL, 1984, 148 p.
-**FASSI Allal** al,Independence movements of North-Africa, American Council of Learned Societies,Washington, 1951, 414 p.
-**FARES Nabil,** Un passager de l'occident, Seuil, 1971, 158 p.
-**FLICI Laadi,** L'envers des tribunes,Chronique du temps qui passe, Alger, ENAL, 1984, 148 p.
-**FASSI Allal** al,Independence movements of North-Africa, American Council of Learned Societies,Washington, 1951, 414 p.

-**FASSI Allal** al, "Al Harakat a! istiqlaliya fil Maghreb al Arabi. (Les mouvements de l'indépendance en Afrique du Nord). Le Caire 1948, et Independence movements of Nord-Africa, Washington, Americain.
-**FARES Zahir**, Le syndicalisme étudiant Algérien, 1966.
GAÏD Malika, A été écrit par Mohamed Bouchemla, L'ange de lumière, ENAL, Alger, 1984.
-**GUENANECHE Mohamed,** Kaddache Mahfoud, Najim ul chimal, Ifrïqiyy 1926-1937/L'Etoile Nord-Africaine, 1923-1937, OPU, Alger, 1984, 130 p. en arabe, 155 p. en français, Le Parti du Peuple Algérien (1937-1939), Hizb ul cha'b il jazâ-iriyy, OPU, Alger, 1985, 286 p.
-**GHOZALI Nasser-Eddine**, Le mouvement national Algérien de Messali Hadj, Paris, 1971.
GHOZALI Nasser-Eddine, Opposition explicite, collaboration implicite, In, R.A.S.J.E.P, Alger, p 1017-1042.
-**HARCHAOUI Souad**, Évolution des thèmes de revendication des mouvements politiques Algériens entre les deux guerres mondiales, Paris, 1974.
-**HADJ KADI L**, Les conditions du relèvement des indigènes musulmans,
In, V, H, Oran, n°65, Nov 1928, p 11-13.
HADJERES Saddek, Culture, indépendance et révolution en Algérie, Temps Actuels, 1981,128 p.
-**HAFFAF Abderrahmann ben al,** Introduction à l'étude de l'Islam Alger, 1927,
152 p.
-**HANNACHE Ahmed**, La longue marche de l'Algérie combattante, 1830-1962, Dahleb, Alger, 1990.
-**HELLAL Amar**, Les Intellectuels arabophones algériens entre l'identité, le modernisme, le nationalisme et l'indépendance (1918, 1962), thèse d'Etat dactyl. Nancy, 1990, 1051 p.
-**HAROUN Ali,** La septième wilaya, la guerre du FLN en France, Seuil, 1986, 523 p.
-**HILAL al duktur 'Amar**, Al hijra l jazâ-iriyya nahwa bilad il châm (1847-1918), Laphomic, Alger, 1986, 384 p.

-**HASBI Aziz**, Les mouvements de libération nationale et le droit international, Edit. Stouky, Rabat, 1981, 540 p
-**HARBI** ,Les Archives... GRIMAUD Nicole, La politique extérieure de l'Algérie, Kharthala, 1984, 380 p.
-**HADRI Mahieddine**, L'U.R.S.S. et le Maghreb. De la révolution d'octobre à L'indépendance de l'Algérie, 1917-1962, L'Harmattan, 1985, 211 p
-**HARBI Mohammed,** Aux Origines du FLN, Le populisme révolutionnaire en Algérie, Christian Bourgois, 1975, 320 p.
-**HARBI Mohammed,** Une crise chronique, Paris-Vincennes, 1977.
-**HARBI Mohammed,** La scission du M.T.L.D, 1974.
-**HADJ ALI Bachir,** arrêté été torturé sous Boumediene, L'arbitraire, Edit. De Minuit, 1966, 85 p.
-**HAMDANI Amar, Krim Belkacem,** Le lion des djebels, Balland, Paris, 1973, 255 p.
-**HAMDI M**, De Abdelkader au Front de Libération nationale, In, Moudj, Alger,
p 3-4.
-**HACHI Omar**, Le problème de l'union des mouvements nationaux Algériens à travers la presse, Alger, 1980.
-**IOUALALEN**, Les droits politiques des indigènes, en marge du projet Cuttoli,
In, V.H, Oran, n°161, Oct 1935, p 162-165.
IBRAHIMI Bachir, Athar el Ibrahimi, S.N.E.D, Alger.3Vol .1979.
-**IBN BADIS Athar**,Abdoulhamid Ibn Badis 4.v,1985.
-**IBN BADIS Abdelhamid**, En marge du nationalisme Algérien l'émir Khaled, In, R.O.M.M, p 21-35.
-**IHADDADENE Zahir**, Contribution à la connaissance de l'émir Khaled, In, Rev, his, civilis, Maghreb, p 101-107.
-**ILLOUL Mohammed Tayeb, AROUA Ali**, Le groupe Emir Khaled de Belcourt , un maillon des S.M.A. (1946-1962), Dahlab, Alger, 1991, 345
-**JILALI Abd ul Rahman, Muhammad Bin Abï Chanab**, haiyyâtuhu wa athâruhu, al muassassa l wataniyya lil kitab, 1983, 181 p.

-**JILALI Abderrahmane**, Tarik al Djazaïr al am, (Histoire générale de l'Algérie). Alger. Imprimerie arabe 1953, tome I, 411 p. et 1955, tom. 2, 413 p.
-**KHALDI Dr Abd-el-aziz**, Le problème Algérien devant la conscience démocratique.
-**KHIDDER Mohammed**, Le nationalisme est né de la classe ouvrière, In, Moudj, Alger, p 13.
-**KAID Hammoud**, la Reforme des assemblées Algériennes, Alger, 1921. -**KADDACHE Mahfoud**,- "La question nationale et le parti communiste entre 1919 et 1939" in Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb. Janvier 1967, n° 2, p 95-104.
-**KOUBY A**, "Un plaidoyer ! Un réquisitoire! Les massacres de Constantine, Alger 1934.
KHADDACHE Mahfoud, Les chemins de la vérité, entretien avec l'historien,
In, Moudj, Alger, 9 nov, 1981, p 11.
KHADDACHE Mahfoud, Nous retrouver pour nous définir, écrire l'histoire,
In, Moudj, Alger ,1er nov.1981, p 4.
-**KOURIBAA Nabhani**, L'Algérie, la terre et les hommes,In, Confl, Rabat, n° 32-33, juin-juil, 1963, p 508-520.
KHADDACHE Mahfoud, L'Emir Khaled, l'Hamattan, paris.
KHADDACHE Mahfoud, La vie politique à Alger (1919-1936), Alger, 1970.
-**KHADDACHE Mahfoud**, L'Algérie dans l'histoire/Mahfoud Kaddache, Djilali Sari.-Alger, Office des Publications Universitaires, Entreprise Nationale du livre, cop.1989.5 ,La résistance politique (1900-1954), bouleversement Socio-économiques.283p.
-**KHADDACHE Mahfoud**, L'opinion politique musulmans en Algérie et l'administration française, 1939-1942, In, Rev, his, civilis, Maghreb, Alger, n°2, jan 1967, p 95-104.
-**KHADDACHE Mahfoud**, L'utilisation du fait berbère comme facteur politique dans l'Algérie coloniale, In, Actes du Premier Congrès d'études des cultures méditerranéennes d'influence arabo - berbère, Alger, SNED, 1973, p 276-284.

-**KESSOUS Mohamed el Aziz**, La vérité sur le malaise Algérien.
-**KHALED Emir**, Réflexions sur le rapprochement franco-arabe en Algérie, par l'Emir Khaled, petit-fils d'Abd-el-Kader, Alger, Imprimerie Gojosso, déc. 1913.
-**KHALED Emir**, Lettre programme à M.herricot, In, V.H, Alger, p 264-265.
KHABAILI Moussa, SOUAMI Benaissa, et deux autres Algériens non nommés : La gangrène, Paris, Ed. De Minuit, 1959-90 p, Alger, SNED, 1982-142 p.
-**KADDACHE Mahfoud,** "La question nationale et le parti communiste entre 1919 et 1939" in Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb. Janvier 1967, n° 2, pp. 95-104.
-**KADDACHE Mahfoud**, "L'activité politique de l'Emir Khaled de 1919 à 1925, n° 4, in Revue d'Histoire et civilisation du Maghreb, janvier 1968. (En arabe).
-**KADDACHE Mahfoud,** "L'Emir Khaled, jeune étudiant et officier" in Revue d'Histoire et civilisation du Maghreb, n° 10, oct. 1973 (en arabe), pp. 101-102.
-**KADDACHE Mahfoud,** L'Emir Khaled,(1875-1936). Un maillon de la résistance Algérienne dans les Africains (Collection sous la direction de Ch. A.).
-**KHALED Emir, Benthami et Bouderba**, Interpellation sur la politique ndigène en Algérie, Alger 1914.
-**KHALED Emir,** La situation des musulmans d'Algérie. Alger, Impr. Du prolétariat 1924, 31 p. (Conférences faites à Paris les 12 et 19 juillet 1924).
-**KHALED Emir,** Réflexions sur le rapprochement franco-arabe en Algérie, par l'Emir Khaled, petit-fils d'AbdelKader, Alger, imprimerie du prolétariat.
KHELLIL Mohammed, La Kabylie ou l'ancêtre sacrifié, L'Harmattan, 1984, 176 p.
KHADDA Naget, Représentation de la féminité dans le roman Algérien de langue française, OPU, Alger, 1991, 174 p
-**KHELLIL Mohand**, L'exil kabyle, L'Harmattan, 1992, 207 p.

-**KHANDRICHE Mohamed,** Développement et réinsertion.L'exemple, de l'émigration algérienne, OPU, Alger, 1982, 350 p.
-**KADDACHE Mahfoud**, Histoire du nationalisme Agérien. Question national et politique Algérienne, 1919-1951, 2 vol, S.N.E.D., Alger, 1980-1981, 1113 p. Une vie politique à Alger de 1919 à 1939, ibid., loc. cit. , 1970, 390 p.6
KADDACHE Mahfoud, L'Emir Khaled/Al Amïr Khalid, O.P.U. / Entreprise Algérienne de Presse, 1987, 218 p.
-**KADDACHE Mahfoud**, Il y a trente ans, le 8 mars 1945, Edit. Du Centenaire, 1975, 40 p.
-.**KOULAKSSIS Ahmed**, MEYNIER Gilbert, "Sur le mouvement ouvrier et les communistes d'Algérie au lendemain de la Première Guerre mondiale", Mouvement Social, n°130, 1985, p 3-33.
-**KHATIB Hafid,** 1er juillet 1956. L'accord FLN-PCA, OPU, Alger, 1991, 148 p.
-**KHELIFA Laroussi**, Manuel du militant Algérien, Edit de la Cité, Lausanne, 1963, 298 p.
KATEB Yacine, Abdelkader et l'indépendance Algérienne, Alger : En Nahda, 1948, 47 p.
KATEB Yacine, Setif, Guelma et Dien-Bien-Phu, In, Alger, act, 1968, p 12-13.
KATEB Yacine, Vingt ans après, In, Révol, afr, Alger, 1965, p 21-22.
-**KHELLOUT Abdelhafid**, Histoire de l'enseignement en Algérie coloniale p 45-68.
-**LACHERAF Mostefa**.L'Algérie, nation et société/ Mostafa Lacheraf.- Paris : François Maspéro, 1976.
LACHERAF Mostefa, L'Algérie dans l'histoire de la civilisation, In, reflets, Alger,
n° 2,1968,p 33-39,n° 3,1969,p 13-17.
LACHERAF Mostefa, Algeria, nacion y socieded/Mostefa Lacheraf, 479 p.
-**LACHERAF Mostefa**, Constantes politiques et militaires dans les guerres coloniales d'Algérie.1830-1960, In, Temps mod, Paris, n° 177,1961, p 727-800.

LACHERAF Mostefa, Introduction ou bilan d'une histoire, In, Révol, afr, Alger,
n° 236, sept, 1965, p 22-23.
LACHERAF Mostefa, Paysannerie, colonisation et révolution,In, Révol afr, Alger, 1970, n° 330, p 25-41, n°332, p 41-55.
-LECHANI Mohamed, Les droits politiques des indigènes, projet Cuttoli, In, V.H, Constantine, 1935, n° 158, juil, p 70-74, n° 159, août, p 102-106.
-LECHANI Mohamed, Le gouvernement du front populaire et les réformes indigènes, In, V.H, Alger, n° 173, oct, 1936, p 1-4.
-LECHANI Mohamed, Il faut comprendre, In V.H, Alger n° 187, août 1938, p 10-13.
-LECHANI Mohamed, La solidarité prolétarienne doit jouer aussi en faveur des indigènes, In V.H, Alger n° 186, juil 1938, p 12-15.
-Les Mémoires de MESSALI Hadj, 1898-1938,texte établi par Renaud de Rochebrune, préf de Ahmed Ben Bella, postfaces de Charles André Julien, Charles Robert Ageron, Mohamed Harbi,Paris: J-C, Lattés, cop,1982.
-LEBJAOUI Mohammed, Bataille d'Alger ou bataille d'Algérie, Gallimard, 1972, 301 p.
-LACHERAF Mostefa, <<Les intellectuels, la politique et le pouvoir; Généralités et cas spécifiques dans les pays du Tiers-monde et en Algérie>>, in Algérie et Tiers-monde, Agressions, Résistances et Solidarités intercontinentales, Bouchene, Alger, 1989, 229 p.
-LACHERAF Mostefa, Algérie, nation et société, Maspero, 1965, 351 p.
-LACHERAF Mostefa, L'Algérie, nation et société, Paris Maspéro, 1965, 350 p.2ème éd. 1969.
-LACHERAF Mostéfa, "Notre glorieux contemporain A. Ben Badis entre le nationalisme algérien et la renaissance arabe", Ed. Ach-Chaâb, Alger, avril 1970.
-LACHERAF Mostefa, "Le nationalisme Algérien", in Les Temps modernes, sept – oct, 1956.

-**LACHERAF Mostefa,** "Réflexion socio-logique sur le nationalisme et la culture en Algérie, in Les Temps modernes, mars 1964, p 1629-1660,Essai d'étude sur le parti communiste algérien de 1943 à 1947 à travers l'hebdomadaire "Liberté", Mémoire de DEA,Alger, Institut des Sciences Sociales 1977,76 p.

LACHERAF Mostefa, Des noms et des lieux, mémoires d'une Algérie oubliée, Casbah Editions, Alger, 1998, 335 p.

-**LEBJAOUI Mohamed**, Vérités sur la révolution Algérienne, Gallimard, 1970, 249 p.

-**LOUANCHI Anne-Marie**, sœur de Pierre Chaulet et épouse de Salah Louanchi, qui fut responsable de la Fédération de France, Salah Louanchi, Parcours d'un militant Algérien,... éditions Dahleb, Alger, 1999, 204 p.

-**LACHERAF Mostefa,** L'Algérie nation et société, Paris Maspéro 1965,349 p, (reproduction d'articles de journaux et de revues parus d'avril 1954 à mars 1964).

-**LACHERAF Mostéfa**, "Notre glorieux contemporain A. Ben Badis entre le nationalisme Algérien et la renaissance arabe", Ed. Ach-Chaâb, Alger, avril 1970, (Texte en langue arabe).

-**LARBI Hachemi**, Le Mouvement nationaliste en Algérie, In, Algérie act, p 16-17.

-**MILI Embarek-al,** Tarih al Djazaïr Fil quadim wa hadith (Histoire de l'Algérie dans l'antiquité et la période moderne, T.I Constantine 1347- 1938, T. II, Constantine 1350-1936.

-**MAHBOUB Ali**, Le problème de la naturalisation individuelle, In, V.H, Alger, n° 162, nov 1935, p 202-205.

-**MADANI Ahmed Tawfik,** Kitab al Djezair (Le livre de l'Algérie) ,1931.

-**MADANI Ahmed Tawfiq**, Hayat Kifah (Vie Combat), Alger, SNED 1977, 435 P.

-**MERAD Ali**, "L'Enseignement religieux de Mohamed Abduh aux Algérien" in Orient (28), 4ème trimestre 1963, p 75-124.

-**MERAD Ali**, "L'enseignement politique de Mohamed Abduh aux Algériens (1903)", in Confluent (42-43), juin juillet 1964, p 643-689.

-**MERAD Ali**, Islam et nationalisme arabe en Algérie, In, Orient mod, p 312-222.
-**MAHSAS Ahmed**, Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie, de la 1ère guerre mondiale à 1954, Ahmed Mahsas, Paris, L'Harmattan, 1979.
-**MILI Mubarak Muhammad**, Ibn Badïs wa 'urubat ul jazâ-ir, Dâr Al Adab, Beyrouth, 1973, 248 p.
-**MAHBOUB Ali**, Le droit musulman n'est pas immuable, In, V.H, Alger, n° 164, p 314-319.
-**MERAD Ali**, Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, Essai d'histoire religieuse et sociale, Mouton, Paris-La Haye, 1967, 472 p.
-**MEGHERBI Abdelghani**, Les SAHLI Mohamed Chérif, Décoloniser l'histoire, introduction à l'histoire du Maghreb, Maspero, 1965.
-**MOUSSA Belkacem**, Les chemins de l'indépendance, Sindbad, 1981, 321 p.
-**MOKDAD Souad**, Domination coloniale et rupture nationaliste, OPU, Alger, 1984, 190 p.
-**MILI Mubarak Muhammad al**, Frantz Fanun wa l thawrat ul jazâ-iriyya, Dâr ul Adab, Beyrouth, 1973, 197 p,EL KENZ Ali, Au fil de la crise, cinq études sur l'Algérie et le monde arabe,Bouchene,ENAL, Alger, 1993, 165 p.
-**MAMERI Khalfa, Abane Ramdane**, Héros de la guerred'Algérie,L'Harmattan,1998,334p.
-**MEKHALED Boucif**, Chronique d'un massacre, 8 mai 1945, Sétif, Guelma, Kherrata, Syros, Au Nom de la Mémoire, 1995, 250 p.
-**Mouloud Qasim Naït Belkacem**, Révolution, Algérienne et décolonisation , les premières réactions sur les plans interne et externe et leur impact après le 1er novembre, El Baath, Constantine, 1984, 250 p.
-**MAHSAS Ahmed,** Le mouvement révolutionnaire en Algérie de la première guerre mondiale à 1954, Essai sur la formation du mouvement national, L'Harmattan, 1979, 367 p.
-**MESSALI Hadj**, (1898-1974) Le Sycomore, 1982, réédit,L'Harmattan, 1986, 301 p.

MESSALI Hadj, Les mémoires de Messali Hadj 1898-1939, Ed JC lattés, 1982.
-**MEKHALED Boucif,** Chronique d'un massacre, 8 mai 1945, Sétif, Guelma, Kherrata, Syros, Au Nom de la Mémoire, 1995, 250 p.
-**MAMERI Khalfa, Abane Ramdane**, Héros de la guerre d'Algérie, L'Harmattan, 1998, 334 p.
-**MILI Mubarak Muhammad al**, Frantz Fanun wa l thawrat ul jazâ-iriyya, Dâr ul Adab, Beyrouth, 1973, 197 p.
-**MILI Mubarak Muhammad,** Ibn Badïs wa 'urubat ul jazâ-ir, Dâr Al Adab, Beyrouth, 1973, 248 p.
.
-**MEGHERBI Abdelghani,** Les SAHLI Mohamed Chérif, Décoloniser l'histoire, introduction à l'histoire du Maghreb, Maspero, 1965.
-**MOKDAD Souad,** Domination coloniale et rupture nationaliste, OPU, Alger, 1984, 190 p.
-**MIMOUNI Rachid**, Le Fleuve détourné, Robert Laffont, 1982, 224 p,L'honneur de la tribu, ibid., 1989, 218p.
-**M'HAMSADJI Kaddour,** La dévoilée, Subervie, Rodez, 101 p.
-**MADANI Ahmed,** Tawfiq ala Haiyyat kifah, Mudhakkirât, Tunis, 1905- 1925, Al muassassa l wataniyya lil Kitab, Alger, 1988, 351 p.
-**MAHBOUB Ali**, "Le problème des réformes Algériennes", In, Renseignements coloniaux du Comité de l'Afrique française, 1935, p 25-30.
-**MERAD Ali**, L'Emir Khaled (1875-1936) vu Ibn Badis (1889-1940), In Revue de l'Occident Musulman (9), 1er semestre 1971, p 21-36.
-**MAKACI Kaddour**, La faillite de la naturalisation individuelle en Algérie et l'octroi des droits politiques aux musulmans dans le statut personnel, Mostaganem, Imp, De l'Aïn Sefra, 1936, 40 p.
-**MAKACI Kaddour**, Droit des citoyens français d'origine indigènes,In,V.H,Alger,n° 164,jan 1936, p 290-294.
-**MAKACI Kaddour**, Droits économiques et sociaux et droits politiques, In, V.H, Alger, n° 173, oct, 1936, p 5-6.

-**MAKACI Kaddour**, Les droits politiques des indigènes, un projet de loi Algérien,
In, V.H, Constantine, n° 160, sept 1935, p 126-133.
-**MAKACI Kaddour**, La Naturalisation individuelle sur demande et les Européens Algériens, In, V.H, Alger, n° 175, dec 1936, p 12-14.
-**MESSALI Hadj**, Si l'Algérie était la France, In, Fr, obs, Paris, p 12-13.
-**MOKDAD-KHODJA Souad**, Domination coloniale et rupture nationaliste 1979, 257p.
-**MAZOUNI Abdellah**, Culture et enseignement en Algérie et au Maghreb, Paris, Maspéro, 1969.
-**NADIR Ahmed,** Le mouvement réformiste Algérien, Son rôle dans la formation de l'idéologie nationale, Thèse 3me cycle Sc. Politiques, Paris, 1968, 274 p.
-**NACEUR Abderrahmane**, Les enfants des frontières, ENAL, 1983, 227 p.
-**NAROUN Amar**, Ferhat Abbas ou les chemins de la souveraineté, Denoël, 1961, 183 p.
-**NAEGELEN M.E**, Mission en Algérie, Paris Flammarion Laffont, 1965, 347 p.
-**NADIR Ahmed**, Le mouvement réformiste Algérien et la guerre de libération nationale, In, Rev, his, Maghreb, p 174-183.
-**OUZEGANE Amar**, Le Parti communiste au service des populations Algériennes, Ed, Liberté, Alger, Vers 1946.
Parti Communiste Algérien- Le Parti Communiste Algérien, Ecole élémentaire du Parti, Cours n° 1, Alger 1947, 16 p.
Parti Communiste Algérien- Le Parti Communiste et l'avenir de l'Algérie, Série, Ecole Elémentaire du Parti. Alger, 1947. 24 p.
Parti Communiste Algérien- Pour une Algérie, unie et démocratique, Le bilan d'un an d'activité au service du peuple, mars 1946-avril 1947.
Parti Communiste Algérien- La campagne électorale, Alger, 1948, 15 p.
Parti Communiste Algérien- L'Assemblée Algérienne, Alger, 1948,15 p.

Parti Communiste Algérien- Conseils pour la préparation et la tenue des conférences de sections et de régions, janvier 1949, 16 p.
Parti Communiste Algérien- Le Congrès de 1951. Dans l'action et les réalisations, Alger 1951, 13 p.
Parti Communiste Algérien- En avant vers le VI^{ème} Congrès national de notre Parti, Alger, Imp. Koechlin, 1951, 12 p.
-**OUZEGANE Amar**, Le meilleur combat, Paris Julliard 1962, 309 p.
-**OUZEGANE Amar**, Le Meilleur combat, Paris Julliard, 1962, 312 p.
-**OUZEGANE Amar**, Notes sur la situation politique en Algérie, In, Cah, comminisme, Paris, p 75-82.
-**OUZEGANE Amar**, Le parti communiste au service des populations Algériennes, Ed Liberté, Alger, 1949.
-**OUHAIOUNE Chaâbane**, Parmi les collines invaincues, ENAL, 1984, 251 P.
-**OUARY Malek**, Par les chemins d'émigration, Société Algérienne de Publications, Alger, 1955, 175 p.
-**OUASTI Abdelmalek,** Le démineur, SNED-Publisud, Alger-Paris, 1983, 110 p.
-**OUHAIOUNE Chaâbane**, Parmi les collines invaincues, ENAL, 1984, 251 P.
-**OUARY Malek**, Par les chemins d'émigration, Société Algérienne de Publications, Alger, 1955, 175 p.
-**OUGOUAG Abdelkader**, Les grands procès, Organisation Secrète, Oran, 6 mars 1951, Politique, Alger, 29 octobre 1955, Alger, Ed Dahlab,1992, 217 p.
-**OUAMARA Achour**, "Analyse du discours nationalitaire Algérien (1930-1954)", Mots (13), 1986, p 131-159.
-**QANANACH Muhammad,** Al masira l wataniyya wa ahdâth 8 mayo 1945, manchurât Dahlab, Alger, 1991, 96 p.
-**OULD MOUSSA Belkacem**, Les chemins de l'indépendance, Sindbad, 1981, 321 p.
-**REKIBI Abdallah**, Qadâyât arabiya fi-l-nathr al-djazaïri al mo'asir. (Cause arabes dans la prose Algérienne contemporaine), Le Caire 1970, 175 p.

-**RAZAK Abd El Kader,** Le monde arabe à la veille d'un tournant, Maspero, 1966, 198 p, Maspero, 1966, 198 p, Maspero, 1966, 198 p.

ROUINA Karim Miloud, Essai d'étude comparative de la guerre d'indépendance de l'Algérie de 1954-1962 à travers deux villes,Oran, Sidi Bel Abbès, thèse 3e cycle, université Paul Valéry, Montpellier, 1980, 490 p .

-**RAHMANI Abdelkader**, L'affaire des officiers Algériens, Seuil, 1959,173 p.

-**RAKIBI Abdullah**,Dhikriat min il thawra l jazâ-iriyya 1954-1958, Alger, al mu-assassa l wataniyya lil kitab, 1985, 243 p,Al munazama l wataniyya lil mujâhidïn, Min ma'arik il thawra l jazâ-iriyya, Al Thaqâfa, Alger, 1983, 360 p,Min chuhada l thawra l jazâïriyya, 1983, 306 p.

-**SOUFI Fouad**, Le Parti du Peuple Algérien en Oranie, In, R.A.S.J.E.P, Alger, p 169-195.

-**SOUFI Fouad**, Le Parti du Peuple Algérien en Oranie, In, Arch.nat, Alger, p 51-58.

-**SOUDANI Zahia**, La vie politique dans Djidjelli et sa région, 1977.

-**SAHLI Mohamed**, De l'assimilation à l'intégration. In, Temps mod, Paris, n°119,1955, p 591-615.

-**SAHLI Mohamed Cherif,** Le message de Yougourtha Mohamed-Chérif Sahli, Alger.

-**SALHI Mohamed Cherif, Abdelkader**, chevalier de la foi, En- Nahda, Alger, 1933, rééd. "L'Algérien en Europe", 1967, 110 p.

-**SAHLI Mohamed Cherif**, Décoloniser l'Histoire, Introduction à l'histoire du Maghreb. Paris Maspéro 1965, 150 p.

-**SAADALLAH Belkacem**, The rise of Algerian Nationalism, Thèse University of Minnesota, 1965, éditée en langue arabe sous le titre, Le mouvement du nationalisme Algérien 1900-1930, Dar Al Adab, Beyrouth,1969, 556 p.

-**SADALLAH Belkacem**, La montée du nationalisme en Algérie, 1983.

-**SAADI Yacef**, La bataille d'Alger, Casbah Editions, 1997, 3 vol. T.1 , L'embrassement, 407 p, T.2 , L'affrontament, 255 p,

T.3 , Le démantèlement, 292 p 24 Yacef Saadi avait publié auparavant Souvenirs de la bataille d'Alger, décembre 1956-septembre 1962, Julliard, 1962, 127 p. Et la bataille d'Alger, l'embrasement, ENAL, Alger, 1984, 406 p.

-**SAI Fatima-Zohra**, Mouvement national et question féminine.

SAYAD Abdelmalek et Pierre Bourdieu, Le déracinement, la crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie, Minuit, 1964, 228 p.

SAYAD Abdelmalek, <<Elghorba , le mécanisme de reproduction de l'émigration>>, Actes de la Recherche en Sciences Sociales, 1975, n°2, p 50-66.

Sa'adallah Abûl Qâsim Abhâth wa ara' Târikh il jazâ-ïr, al Charika l Wataniyya lilnachr wa l, tawzï', Alger, T. l, 1981, 411 p, T. 2, 1986.

-**SAADALLAH Belkacem**, The Algerian ulamas, In, Rev, his, Maghreb, 1974, p 138-150.

-**TALEB BENDIAB Abderrahim**, Chronologie des faits et mouvements sociaux et politiques en Algérie, 1830-1954, Alger.

TAZEROUT Mohand, Histoire politique de l'Afrique du Nord, Ed. Subervie, 1961. 175 p.

-**TALBI Ammar**, Athar ibn Badis (l'dad a wa tasnif Ammar Talbi), (Oeuvres d'Ibn Badis Présentées et classées par Ammar Talbi), Alger Librairie de la Société Algérienne 1968, 4 tomes, 507, 533, 575 et 263 p.

-**TALEB Bendiab A,-** "Précisions structurelles sur le Congrès musulman Algérien, in R.A.S.J.E.P., vol XI, n° 14, déc. 1934, p 163-174.

-**TEMIMI Abdeljali**. Recherche et documents d'histoire maghrébine, Tunis 1980.

-**TALEB Ibrahimi Ahmed**, De la décolonisation à la révolution culturelle, 1962-1972, Sa 'adallah Abûl Qâsim, Abhâth.

-**TRIMA Mohammed Bachir,** Le FLN algérien à travers son organe central"El Moudjahid", 1956-1962, thèse 3^{e} cycle histoire, université Paris V, 1973.

-**TRODI El Hachemi**, Larbi Ben M'hidi. L'homme des grands rendez-vous, ENAG...éditions, collection Témoignages, Alger, 1991, 190 p.
-**TEGUIA Mohamed**, L'Algérie en guerre, OPU, Alger, s.d. (vers 1980), 786 p.
-**TALEB Ibrahimi Khaoula**, Les Algériens et leurs langues, Edit. El Hikma, Alger, 2e édit. 1997, 331 p.
-**TRIDI Rachid**, L'Algérie en quelques maux, autopsie d'une anomie, L'Harmattan, 1992, 280 p.
TALEB Ibrahimi Ahmed, Lettres de prison, S.N.E.D., Alger, 1966, 135 p.
-**TALEB BENDIAD Abderrahim**, Tlemcen dans les années cinquante, In, R.A.S.J.E.P, Alger, p 23-30.
-**TALEB BENDIAD Abderrahim**, Le congrés musulmans Algérien et les zones d'influence des Oulémas ,In Arch,nat,Alger, p 31-36.
-**TAMINE Fatiha .AINAD TABET Redouane**, Permanence de la résistance Algérienne, p 23-30.
-**TLILI Bachir**, L'Algerie au lendemain de la grande guerre, In, cah, Tunisie.p 93-153.
-**TAMZALI DR**, Le malaise Algérien, In, V.H, Constantine, p 415-416.
-**TEGUIA Mohamed**, L'Algérie en guerre, Alger, 1980.
-**YOUSFI M'Hamed**, L'O.A.S. et la fin de la guerre d'Algérie, ENAL, Alger, 1985, 223 p.Un combat de femmes pour le FLN.
-**YOUSFI M'HAmed,** Le complot (Algérie 1950-1954), ENAL, Alger, 1986, 234, p.
YOUSFI M'HAmed, L'Algerie en mache, ENAL, Alger, 1985.
-**ZUBAYRI Muhammad al 'Arabï**, Al thawra l jazâ-iriyya fi' amihalawal,
Alger, al mu-assassa l wataniyya lil kitab, 1985, 262 p.
-**ZEHRAOUI Ahsène,** Les travailleurs Algériens en France, Maspero, 1971, 174 p.
-**ZERARI Rabah**, Dit Azzedine, Commandant, On nous appelait fellaghas, Stock, 1976.

-**ZOUZOU Abdelhamid**, Le rôle des émigrants Algériens dans le mouvement nationaliste Algérien en France, Mémoire de D.E.A. Fac des lettres Alger.
-**ZAHOUANE Hocine**, Interview sur le nationalisme, In, Sou'al, Paris, p 93-118.
LAMUNIERE (MARC). Histoire de l'Algérie illustrée de 1830 à nos jours.
Préf. De max pol Fouchet. Paris, Ed Gauthier 1962.
MARTIN (CLAUDE). Histoire de l'Algérie française. 1830-1962. Paris, Ed des 4 fils Ayman 1963.
JUIN (MARECHAL ALPHONSE) ET NAROUN (AMAR). Histoire paralléte: la France en Algérie 1830-1962. Paris, Perrin 1963.
DJENDER (MAHIEDDINE).Introduction à l'histoire de l'Algerie, systèmes historiques, conception général de l'histoire nationale. Alger. SNED, 1968.
AGERRON (CHARLES ROBERT). Les Algériens musulmans et la France (1871-1919). Paris, (P.V.F) 1968.
KADDACHE (MAHFOUD). Histoire du nationalisme Algérien. Question nationale et politique: 1919-1951. Alger, SNED, 1980. 2 volumes.
NOUSHI (ANDRE): La Naissance du Nationalisme Algérien: 1914-1954. Paris, Ed Minuit, 1962.
PERVILLE (GUY): L'Europe et L'Afrique de 1914 à 1974, Gap, Ophoys, 1994.
SAAD ALLAH (ABOU LKASSEM): la Montée du Nationalisme en Algérie. Alger, ENAL, 1983.
STORA (BENJAMIN): Histoire de l'Algérie coloniale: 18300-1954.Paris, la Découverte, collection "Repères", 1991.
-**ALAZARD J, BEN CHENEB S, BOYER P**, etc....- Initiation à l'Algérie. Alger. A. Maisonneuve 1957, XII- 422 p., pl. carte.
-**AQAAD AL SALAH AL DIN**, -Muhadarat 'an al Djazaïr al mu'asira. Conférence sur l'Algérie moderne. Le Caire 1963, 216 p.
-**ABU-NASR JAMIL M**, -A history of the Maghreb, Cambridge University Press, 1971, 426 p.

-**ALEXANDRE François**, -"Le Parti communiste algérien de 1919 à 1939 Données en vue d'éclairer son action et son rôle", R.A.S.J.E.P., Vol XI, n° 4, décembre 1974, pp. 175-214.
-**ANGELELLI Jean-Paul**, -"L'opinion française et l'Afrique. De 1930 à travers la presse et le livre, Thèse de 3me cycle Histoire, Paris X (Nanterre), 1972, 392 feuilles.
-AGERON Charles Robert, -"Brève histoire de la politique d'assimilation en Algérie," in Revue socialiste, 1956, n° 95, pp. 225-236.
-ABABSA,- Le Congrès Musulman Algérien, 7 juin 1936. Le cri du poète. Alger (s.d.) 4 p.
-ABBAS Ferhat,- Pourquoi nous avons créé l'Union Populaire Algérienne. Alger 1938.
-A. D. - "Le Progrès su réformisme musulman dans l'Aurès", in La France méditerranéenne et africaine, 1938, facs. I, pp. 87-98.
-AGERON Charles Robert,- "Le nationalisme algérien: de l'Islam à la révolution" in Revue Historique, juillet 1958, pp. 126-134.
-AGERON Charles Robert,- "Du nouveau sur l'histoire de l'Algérie, in l'Information historique, mai juin 1970.
-BERTHAULT,- L'Algérie et l'évolution de la crise agricole algérienne, s.d, (1933), 12 p.
-BENNABI Malek,- Mémoire d'un témoin du siècle, Alger S.N.E.D. 1965, 239 p.
-BENNABI Malek,- Le Phénomène coranique. Alger En-Nahda, 1946, 179 p.
-BOUVREUIL A.G.,- "Agitation politique et religieuse chez les musulmans d'Algérie", in Bulletin du Comité de l'Afrique Française, nov.1936, pp. 580-590.
-BADIS Cheikh Ben, -Principaux articles politiques parus dans Ach-Chihab.
-"Déclaration nette (en réponse à Ferhat Abbas), n° d'avril 1936, pp. 42-45.
-"A propos des remous par la "Déclaration nette", n° de juin 1936, pp. 141-146.

-"Le Congrès Musulman réalise un des objectifs du Chihab, n° de juillet 1936, pp. 214-215.
-"Quelle est ma raison d'être?..."L'Algérie et l'Islam" n° de janvier 1937, pp. 423-428.
-"Nationalité ethnique et nationalité politique", n° de mai 1937, pp. 159-166.
-Qu'est-ce que le projet Viollette?" n° de mai 1937, pp. 159-166.
-"La vérité au-dessus de quiconque, la patrie d'abord", n° de septembre 1937, pp. 304-307.
-"Appel au peuple musulman algérien et à ses élus" (à la suite des échecs des revendications), n° de sept. 1937, pp. 325-326.
-"Nous sommes l'Algérie. Si la France veut la sauvegarder, qu'elle cherche à sauvegarder notre amitié", n° de novembre 1937, pp. 401-402.
-"Parole amère ou la pure vérité", n° de novembre 1937, pp. 403-407.
-"Nous et le Front Populaire", n° de novembre 1937, pp. 405-406. Editorial du 1er n° de février mars 1938 sur la Jeunesse, la Patrie, l'Administration, la France, le peuple, les oulamas, les élus....
-BETBEDER,-Le réformisme algérien et l'association des Oulémas d'Algérie, Mémoire présenté pour le Brevet des hautes études musulmanes, compte-rendu,in l'Afrique et l'Asie 1948, (1) pp. 40-41.
-BONNAFOUS J.P,- "Petite histoire du Parti Communiste Algérien" , in Défense de l'Occident, 10 janvier 1962, pp. 43-51.
-CORDON David C, -The Passing of French Algéria. London New York, Toronto, Oxford, Universitf press. 1926, 265 p.
-CAMUS Albert,- Chroniques algériennes. Actuelles III 1939-1958. Paris Gallimard 1967,212 p.
-COLONNA F, -"Les élites par la culture et les villes en Algérie, de la réforme Ferry à la veille de la deuxième guerre mondiale dans Etudes Méditerranéennes, n° 2.
-COLONNA F,- "Les Instituteurs algériens 1883-1939". Alger. Office des Publications Universitaires 1975, 239 p.

-CONFER Vincent, - "France and Algeria. The problème uf civil and political reform 1870-1920. Syracuse N.Y., Univ. Press, 1966 XI, 148 p.
-CAMUS Albert,- "Le progrès du nationalisme algérien", in Revue Méditerranée, Afrique du Nord, juin 1939.
-COLLOT Claude,- "Le Congrès Musulman Algérien", in R.A.S.J.E.P. 1974, pp. 71-161.
-COLLOT Claude,- "L'Union Populaire Algérienne", (1937-1939)", in R.A..S.J.E.P. 1972, n° 4, p. 967.
-COLLOT Claude,- "Le Parti du Peuple Algérien", in R.A.S.J.E.P. 1971, 133 p.
-DEMONTES V,- I. VI. Un siècle de colonisation, évaluation historique de la colonisation de l'Algérie. Alger 1930, 408 p.
-DJILALI Abderrahmane, - Tarik al Djazaïr al am, (Histoire générale de l'Algérie). Alger. Imprimerie arabe 1953, tome I, 411 p. et 1955, tom. 2-413 p.
-DE LEONE Enrico,- La colonisation d'ell Africa del Nord (Algéria,Tunisia, Marocco, Libya), Padoue, Cedam, 1957. I 447 p. II 1960, 627 p.
-DEMONTES V,- Renseignements sur l'Algérie économique, Paris 1922, 176 p.
-DEMONTES V,- l'Algérie économique. T. II. Les populations algériennes 1923, 498 p.
-DESPARMET J,- "Contribution à l'histoire contemporaine de l'Algérie. La politique des oulémas algériens (1911-1937)", in Bulletin du Comité de l'Afrique Française, 1937, pp. 352-358, 423-428, 523-527, 557-561.
-DESPARMET J,- "Naissance d'une histoire nationale de l'Algérie", in Bulletin du Comité de l'Afrique Française, juillet 1933, pp. 387-392.
-DESPARMET J,- "L'histoire des Arabes et les Oulémas algériens", in Bulletin du Comité de l'Afrique Française, mai 1934, pp. 274-281.
-DESPARMET J,- "Les manifestations en Algérie (1933-1934)", in Bulletin du Comité de l'Afrique Française, 1934, pp. 537-547.
-DESPARMET J,- "Contribution à l'histoire contemporaine de l'Algérie (1911-1937), La politique des Oulémas

algériens", in Bulletin du Comité de l'Afrique française, 1936, pp. 352 et s. 423 et s. 557 et s.
-DESPARMET J,- "Les Oulémas algériens et la propagande italienne (1931-1938)", in Bulletin du Comité de l'Afrique française, mai 1938, pp. 210- 214.
-DESPARMET J,- "Les réformistes et l'éducation nationale en arabe en Algérie", in Entretiens (1938) sur l'évolution des pays de civilisation arabe, Tome III, pp. 174-182. Paris, Hartmann, 1939, 189 p.-D'ORIENT N, et LOEW M,-La question algérienne, Paris Bureau d'Ed. 1936, 248 p.
-DRESCH J,- "Islam et nation algérienne", in Démocratie nouvelle, juin 1936, n° 6.
-D.A,- "Chez le Cheikh el Okbi", in En Terre d'Islam, mars avril 1936, pp. 75-77.
-EGRETAUD Marcel,- Réalité de la nation algérienne, Paris, Ed. Sociales, 1961,319 p.
-FAVROD Charles Henri,- Le F.L.N. et l'Algérie, Paris, Plon, 1962, 349 p. 2me éd. De la révolution algérienne, Paris, Plon, 1959, 325 p.
-FERRAT A,- "Le mouvement révolutionnaire en Algérie", in Cahiers du Bolchevisme, n° 6 et 7 des mars, pp. 336-342 et I avril 1935, pp. 403-408.
-FERRAT A,- "Les questions de la révolution en Algérie et l'idéologie colonialiste. Pour un véritable parti communiste d'Algérie", in Cahiers du Bolchevisme, juillet, 1935.
-GAUTIER Emile-Félix,- L'Algérie et la métropole. Paris, Payot, 1920, 254 p.
-GSELL, Marcais et Yver,- Histoire de l'Algérie, Paris 1929, 327 p.
-GAUTIER Emile-Félix,- Un siècle de colonisation. Etudes au microscope. Paris, F. Alcan, 1930, 331 p.
-GANIAGE Jean,- "Les Affaires d'Afrique du Nord de 1930 à 1958, Paris, C.D.U., 1972, 115 p.
-GUERIN Daniel,- Au service des colonisés 1930-1953. Paris, Ed. De Minuit, 1954, 320 p.
-GORDON David C,- The passing of French Algéria London, Oxford University Press, 1966, 226 p.

-HAFFAF Abderrahmann ben al,- Introduction à l'étude de l'Islam Alger. (1927?), 152 p.
-JULIEN Charles André,- L'Afrique du Nord en marche. Nationalismes musulmans et souveraineté française. Paris Julliard. 1952, 417 p. 2ème éd 1953, 3ème éd. PUF 1972, 439 p. avec une bibliographie critique (pp. 357-394), une orientation des travaux cités (pp. 357-394) et une liste alphabétique (pp. 395-420).
-JULIEN Charles André,- Histoire de l'Afrique du Nord. Tunisie, Algérie, Maroc. Paris Payot 1931, XVI-865 p. Ill., cartes, réédité en 2 volumes, t. 1 revu et mis à jour par Courtois Christian, t. 2 par Letourneur Roger, Paris Payot 1961, 333 p. 267 p.
-JALABERT Louis,- "La turbulence de l'Islam arabe. Du panarabisme aux nationalismes", in Esprit, janvier 1938, pp. 170-184.
-KADDACHE Mahfoud,- "La question nationale et le parti communiste entre 1919 et 1939" in Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb. Janvier 1967, n° 2, pp. 95-104.
-KOUBY A,- "Un plaidoyer! Un réquisitoire! Les massacres de Constantine. Alger 1934.
-LAMUNIERE Marc,- Histoire de l'Algérie illustrée de 1830 à nos jours. Préf. De Max Pol Fouchet Paris, Ed. Gonthier 1962 218 p. ill., cartes, pl.
-LESEAUX.- Histoire de l'Algérie, Paris 1962, 454 p.
-LAROUI Abdallah,- L'histoire du Maghreb. Un essai de synthèse. Paris Maspéro 1970, 393 p.
-LARCHER Emile et Rectenwalt Georges,- Traité élémentaire de législation algérienne, t. I, L'Algérie, organisation politique et administrative, t. II, Justice. Les personnes. Paris A. Rousseau, 1923, I 447 p.
-LACHERAF Mostefa,- L'Algérie, nation et société, Paris Maspéro, 1965, 350 p.2ème éd. 1969.
-LACHERAF IMostefaJ... L'Algérie nation et société. Paris Maspéro 1965, 349 p.
-LACHERAF Mostéfa,- "Notre glorieux contemporain A. Ben Badis entre le nationalisme algérien et la renaissance

arabe", Alger, Ed. Ach-Chaâb, avril 1970, (Texte en langue arabe).
-LAMBERT Gabriel Abbé,- L'Algérie et le projet Viollette, Oran, Impr. F. Plazza, s.d. (1937), 155 p.
-LACHERAF Mostefa,- "Le nationalisme algérien", in Les Temps modernes, sept. - oct. 1956.
-LACHERAF Mostefa,- "Réflexion sociologique sur le nationalisme et la culture en Algérie, in Les Temps modernes, mars 1964, pp. 1629-1660.
-LAIDI Mohamed,- Essai d'étude sur le parti communiste algérien de 1943 à 1947 à travers l'hebdomadaire "Liberté". Mémoire de DEA. Alger, Institut des Sciences Sociales 1977, 76 p.
-LADREIT DE LACHARRIERE J,- "Les partis politiques indigènes dans l'Afrique Française du Nord", in Recueil Prenant, janvier 1949.
-LEHURAUX Léon,- Islam et chrétienté en Algérie. Alger, Baconnier, sd, 149 p.
-MILI Embarek-al,- Tarih al Djazaïr
Fil quadim wa hadith (Histoire de l'Algérie dans l'antiquité et la période moderne, t.I Constantine 1347- 1938, t. II, Constantine 1350-1936.
-MADANI Ahmed Tawfik,- Kitab al Djezair (Le livre de l'Algérie). 1931.
-MADANI Ahmed Tawfiq,- Hayat Kifah (Vie Combat).- Alger SNED 1977? 435 P.
-MOREL Jacques,- "L'élite moderne algérienne entre les deux guerres, Mémoire de maîtrise, Histoire, Aix-en-Provence, Institut d'histoire des pays d'outre mer, 1968.
-MILLIOT Louis,- Notre politique musulmane. Paris Gamber, 1926, 43 p.
-MERAD Ali,- "LEnseignement religieux de Mohamed Abduh aux Algérien" in Orient (28). 4ème trimestre 1963, pp. 75-124.
-MERAD Ali,- "L'enseignement politique de Mohamed Abduh aux Algériens (1903)", in Confluent (42-43), juin juillet 1964, pp. 643-689.

-MOHENDIS L,- "L'évolution religieuse à Mila (Algérie)", in Renseignements coloniaux du Comité de l'Afrique française, 1938, pp. 32-34.
-MESSUD G,- Le problème de l'Algérie et son statut, Ed. Du Monde, 1947, 24 p.
-MERCIER André,- Contribution à l'étude des réformes politiques, sociales et économiques en faveur des musulmans français d'Algérie (déc. 1943- mai 1944). Alger Imprimerie Officielle, 1944, 72 p.
-NAEGELEN M.E,- Mission en Algérie, Paris Flammarion Laffont, 1965, 347 p.
-NADIR Ahmed,- Le mouvement réformiste algérien. Son rôle dans la formation de l'idéologie nationale. Thèse 3me cycle Sc. Politiques, Paris, 1968, 274 p.
-OUZEGANE Amar,- Le Parti communiste au service des populations algériennes, Alger, Ed. Liberté, Vers 1946.
Parti Communiste Algérien- Le Parti Communiste algérien. Ecole élémentaire du Parti. Cours n° 1, Alger 1947, 16 p.
Parti Communiste Algérien- Le Parti Communiste et l'avenir de l'Algérie. Série, Ecole Elémentaire du Parti. Alger, 1947. 24 p.
Parti Communiste Algérien- Pour une Algérie, unie et démocratique. Le bilan d'un an d'activité au service du peuple, mars 1946-avril 1947.
Parti Communiste Algérien- La campagne électorale, Alger, 1948, 15 p.
Parti Communiste Algérien- L'Assemblée algérienne, Alger, 1948,15 p.
Parti Communiste Algérien- Conseils pour la préparation et la tenue des conférences de sections et de régions, janvier 1949, 16 p.
Parti Communiste Algérien- Le Congrès de 1951. Dans l'action et les réalisations, Alger 1951, 13 p.
Parti Communiste Algérien- En avant vers le VIème Congrès national de notre Parti, Alger, Imp. Koechlin, 1951, 12 p.
-OUZEGANE Amar,- Le meilleur combat, Paris Julliard 1962, 309 p.

-PIQUET Victor,- L'Algérie française, un siècle de colonisation, 1830-1930. Paris 1930, 413 p.
-PAILLARD Jean,- Faut-il faire de l'Algérie un dominion, Paris Sorlot, s.d. 1939, 112 p.
-PEYROUTON M,- Histoire générale du Maghreb, Maroc. Algérie. Tunisie des origines à nos jours. Préf. De Jérôme Carcopino. Paris A. Michel 1966, 284 p.
-REKIBI Abdallah,- Qadâyât arabiya fi-l-nathr al-djazaïri al mo'asir. (Cause arabes dans la prose algérienne contemporaine). Le Caire 1970, 175 p.
-ROSSIGNOL P,- Les partis politiques musulmans en Algérie de leur origine au 1er novembre 1954. (Thèse de droit. Paris 15 juin 1962, 306-XXVI p. dactyl.
-REY COEDEZEIGUER Annie,- "Quelques témoignages pour une étude du parti communiste algérien dans la Méditerranée de 1919 à 1939, 1er trim. 1969, pp. 31-34 (Publication de la Fac. Lettres de Nice).
-SURDON Georges,- La France en Afrique du Nord. Alger, Ed. Alger Républicain, 1946, XV-890 p.
-SALHI Mohamed Cherif,- Abdelkader, chevalier de la foi. Alger. En- Nahda, 1933; rééd. "L'Algérien en Europe", 1967, 110 p.
-SAHLI Mohamed Cherif,- Décoloniser l'Histoire. Introduction à l'histoire du Maghreb. Paris Maspéro 1965, 150 p.
-SERVIER André,- L'Islam et la psychologie du musulman, préface de L. Bertrand, Paris, Challamel, 1923, 480 p.
-SIVAN Emmanuel,- "Communisme et nationalisme en Algérie 1920-1962. Paris, Fondation Nationale des Sciences Politiques 1976, 262 p.
-SPIELMANN Victor,- "Les événements de Constantine et le problème indigène algérien, Alger, Ed. Trait d'Union, 1935, 56 p.
-SERRIER René,- "Le Front populaire et les Indigènes", in En Terre d'Islam. Juillet août 1936, pp. 241-247.
-TAZEROUT Mohand,- Histoire politique de l'Afrique du Nord. Ed. Subervie, 1961. 175 p.

-TALBI Ammar,- Athar ibn Badis (I'dad a wa tasnif Ammar Talbi), (Oeuvres d'Ibn Badis
Présentées et classées par Ammar Talbi), Alger Librairie de la Société algérienne 1968, 4 tonnes, 507, 533, 575 et 263 p.
-TALEB Bendiab A,- "Précisions structurelles sur le Congrès musulman algérien, in R.A.S.J.E.P., vol XI, n° 14, déc. 1934, pp. 163-174.
-VATIN Jean Claude,- L'Algérie politique. Histoire et société. Fondation des Sciences politiques, Paris Colin, 1974, 311 p.
-YACONO Xavier,- "L'Algérie depuis 1930", in Revue Africaine, 1956, tome 100, pp. 145 à 190 (porte sur la période 1931-1956). Centenaire de la société historique algérienne 1856-1956 ou Gouvernement général de l'Algérie. Sous direction des Beaux Arts. - Vingt cinq ans d'histoire algérienne. Recherches et publications 1931-1956 IV. L'Algérie depuis 1830, 46 p.
-ZOUZOU Abdelhamid,- Le rôle des émigrants algériens dans le mouvement nationaliste algérien en France. Mémoire de D.E.A. Fac des lettres Alger.

Bibliographie générale sur l'histoire de l'Algerie de 1830 à 1962

AMRANI al Duktûr 'Abd ul majîd, Al nukhba l firansiyya l mu thaqqafa wa thawra l jazâ-iriyya, 1954-1962, matabi' dâr ul chihab Batna, 272 p.

-ADES Lucien, L'aventure algérienne (1940-1944)ED. Belfond, 1979, 252 p.

-ABDOUN Mahmoud,Témoignage d'un militant du mouvement nationaliste.,Ed. Dahleb, Alger,1990,141p.

-ADDI Lahouari, L'impasse du populisme, ENAL, Alger, 1906, 242 p.

-AGERON Charles Robert, Politiques Coloniales au Maghreb Paris, Belfond,1979-252p.

-AGERON Charles-Robert, Les Algériens musulmans et la France (1871- 1919) Paris, (P.U.F.). 1968, 2 vol. 1928- X p., 1996.

-AKKACHE Ahmed, La résistance algérienne de 1845 à 1945 Alger, S.N.E.D, 1972, 40 P.

-ANSKY Michel, Les Juifs d'Algérie, du décret Crémieux à la Libération, Paris, 1950, 375 p.

-ARON Robert, LAVAGNE François, FELLER Janine, Les origines de la guerre d'Algérie, Paris, Fayard, 1962, 333 p, Ed Dahlab, Alger, 1990-141 p.

-ACHOUR Christiane, Abécédaire de devenir. Idéologie coloniale et langue française en Algérie, ALGER, Entreprise algérienne de presse, 1985-Préface de Mostefa Lacheraf, 607 p.

.**-AMRANE Danièle Djamila,** Des Femmes dans la guerre, Karthala, 1994,218p.

-ALLEG Henri, La question, Ed De Minuit, 1958, 112 p., puis du même, Prisonniers de guerre, Ed De Minuit, 1961, 251 p

-AUGARDE Jacques, La migration algérienne, Ed Hommes et migrations, 1970, 168 p.

ALLOUCHE Jean-Luc , Les Juifs d'Algérie, images et textes, Ed. Du Scribe, 1987.

-**ARNAUD Georges**, Vergès Jacques, Pour Djamila Bouhired, Ed.de Minuit, 1957, 112 p.
-**AIT AHMED Hocine**, Mémoires d'un combattant. L'esprit d'indépendance, 1942-1952, Sylvie Messinger, 1983,236 p.
-**AINAD Tabet Redouane**, Le 8 mai 1945 en Algérie; OPU, Alger, 1985, 246p .
'-**AWATIF Abd ul Rahman**, al Sihafa ul 'arabiyya fi l jazâ-ir : dirasa tahliliyya li Sihafa l thawra l jazâiriyya, 1954-1962, al munazza l'arabiyya, par al mu-assassa l wataniyya lil kitab, Alger, 1985,222 p.
-**ABDI Noureddine** . Algérie: 200 hommes de pouvoir, Indigo Publications, 1992, 128 p. et Algérie Presse Service, Eclats de novembre. Des hommes de la révolution, ENAL, 1987, 248 p. à aussi la revue Parcours, l'Algérie, les hommes et l'histoire, publiée par l'Association pour un Dictionnaire Biographique de l'Algérie, 18 numéros parus.
-**AL Sadïq Muhammad Salâh**,, 'amirûch wa qiçaç thawriyya,Manchurât,Ed.Dahlab, Alger, 1989, 152 p.
-**Azzedine, Chaïeb Aïssa Khaled**, Boudiaf, l'homme des ruptures, Ed. Chihab, Alger, 1993, 429 p.; sur Ben Bella, Boisson Jean, Ben Bella est arrêté... le 22 octobre 1956, Etudes et Recherches historiques, 1978, 442 p.
-**ABBAS Ferhat**, Autopsie d'une guerre,Ed. Garnier, 1980, 346 p.
-**AMOKRANE 'Abd ul Hafiz il Husnï**, Mudhakkirât 17 min masïrat il nidal wa l jihad, Charika dâr il umma, 1997, 198 p. Les Mémoires accusateurs contre les "assassins de la révolution" du commandant Buraq' a Lakhdar, Mudhakkirât ul raid sï Lakhdar Bûraq' a, châhid 'alâ ightiyâl il thawra, Dâr ul Hikma, 1990, 276 p..
ABDOUN Mohammed, Témoignage d'un militant du mouvement nationaliste,Ed. .Dahlab, 1990, 141 p.
-**ADDI Lahouari,** L'impasse du populisme, ENAL,Alger, 1990, 242 p.
Hermassi Elbaki, Etat et société au Maghreb, Anthropos, 1975, 236 p.
AÏT AHMED Hocine, L'affaire Mecili, La Découverte, 1989, 261 p.

-ABD -EL- KADER, Lettres aux Français , traduit par René KHAWAM, Phébus Paris, 1977, 274 p.
-ABD -EL- KADER, Poésies d'Abdelkader, ses règlements militaires, hachette, Paris, 1848. 60 p.
-ABD -EL- KADER, Mohamed, fils aîné de l'émir)et de l 'Algérie, Alexandrie , 1903.- 2 Tome (ouvrage en arabe).
-ABD-EL-KADER, 1808-1883.- Encyclopaedia Universalis, vol, I. 12-13p biographies très sommaires, photo de l'Emir en 1867 en compagnie notamment de Mac Mabon.
-ABDERRAHIM Taleb, Particularité de la résistance de l'Emir Abdelkader, Achaab (hebdomadaire),n° 49, 3juillet, 1976, 4-5 p. Article en arabe.
AGERON Charles- Robert, AbdelKader, souverain d'un état arabe d'Orient, Cahiers d'histoire, Tome 13, n° 1-2. 1968, 19-26 p.
AGERON Charles- Robert, AbdElKader première résistance algérienne, Les africains, Tome I, 21-49 p.
AGERON Charles- Robert, AbdElKader, souverain d'un royaume arabe d'Orient. Revue de l'occident musulman et de la méditerranée, n° spécial 1970, 15-30 p.
-Al. Amir 'Abd- al –Qadir al-Jazaira ,- Beyrout : Dar Al-éAwdah; 1975.- 156 p (ouvrage en arbe).
-ARNAUD , Siège d'Ain–Mâdi par El- Hadj Abdelkader Ben –Mahi- Eddine . Revue africaine, Tome8, 1864, p 354-371. 435-453 p.
-AUBIER , La bataille de la Sikkak (6 juillet 1836).- Revue de cavalerie, 1905.
-AUMALE Henri d'Orléans, Nouvelles d'Afrique, grande victoire remportée par l'armée française en Afrique sous les ordres de S. A. R le duc d'Aumale. Rapport… sur la prise … de la smala d'Abdelkader. Paris ; Dupont ; 1843 - 4 p.
-AVEZAC , Abdelkader et sa nouvelle capitale… Paris : A, Bertrand ; 1840.- 56 p e.
Extrait des Nouvelles Annales des voyages, juin 1840. Généalogie de l'Emir, renseignement sur Takdempt ; extraits d'ouvrages notamment de celui de l'enseigne de vaisseau de France : « les prisonniers d'Abdelkader ».

-**AYANDELE,** Abdelkader and french occupation of algeria 1830-1847.- Tarikh, 1965. 53-63 p.

-**AYRAL**, Histoire de la guerre d'Afrique, ou conquête de l'Algérie par les français, contenant le détail des expéditions depuis 1830 jusqu'à 1843…- Alès : p. 1843.- 132 p. Tableau chronologique et détaillé des expéditions ; bataille et principaux événements.

AZAN Paul, lieutenant détaché à l'Etat-major de l'armée : section historique

. Récits d'Afrique : Sidi Brahim.- Paris : Lavauzelle ; 1906. 81 p.

AZAN Paul, Les débuts d'Abdelkader …-Oran : L. fouque ; 1921, 36 p.

Paru dans le bulletin de la société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran en 1921, 197-232 p

Famille et enfance d'Abdelkader ; négociations de Clauzel avec le Bey de Tunis et le sultan du Maroc, Mah - Eddin et la guerre sainte ; Abdelkader proclamé leur chef parles tribus ; Tlemcen, le Cheliff et Mostaganem ; l'Emir et Desmichels ; traité du 26 février 1834 et ses conséquences.

-**AZAn Paul,**. Abdelkader. La Macta et Mascara… - Alger : imprimerie algérienne ; 1922,- 39 p.

Paru dans le bulletin de la société de géographie d'Alger en 1922, 303-339 p.

AZAN Paul , L'Emir Abdelkader (1808-1883) Du fanatisme musulman au patriotisme français- Paris : Hachette ; 1925. – 310 p.

Biographie complète d'Abdelkader, qui de 1832 à 1847, a personnifié la cause de l'indépendance algérienne , les débuts ; d'Abdelkader proclamé sultan ; la France reconnaît l'Emir ; à la conquête du sultanat ; la Macta ; expéditions de Mascara et de Tlemcen ; le traité de la Tafna ; Abdelkader unifie son sultanat le gouvernement de l'Emir ; la reprise des hostilités ; la chute des villes de l'Emir, la défaite de ses khalifats , la prise de la smala ; Sidi Brahim ; la reddition, la captivité ; Brousse, Damas.

-**AZAn Paul,.** – Les prisonniers de Sidi Brahim au Maroc – Bulletin de la société de géographie d'Alger, 1925, p 400-420 ; 1926 ; 38-58 p.
-**AZAn Paul,** La reddition d'Abdelkader – Annales politique et littéraires 15 avril 1930.
-**ALAZARD J, Ben Cheneb S,** BOYER P, etc.…-Initiation à l'Algérie. Alger. A. Maisonneuve 1957, XII- 422 p., pl. carte.
-**AQAAD al Salah al DIN**, -Muhadarat 'an al Djazaïr al mu'asira. Conférence sur l'Algérie moderne, Le Caire 1963, 216 p.
-**ABU-Nasr Jamil M,** -A history of the Maghreb, Cambridge University Press, 1971, 426 p.
-**ALEXANDRE François**, -"Le Parti communiste algérien de 1919 à 1939 Données en vue d'éclairer son action et son rôle", R.A.S.J.E.P., Vol XI, n° 4, décembre 1974, pp. 175-214.
-**ANGELELLI Jean-Paul,** -"L'opinion française et l'Afrique, De 1930 à travers la presse et le livre, Thèse de 3me cycle Histoire, Paris X (Nanterre), 1972, 392 feuilles.
-**AGERON Charles Robert**, -"Brève histoire de la politique d'assimilation en Algérie," in Revue socialiste, 1956, n° 95, pp. 225-236.
-**ABABSA,-** Le Congrès Musulman Algérien, 7 juin 1936. Le cri du poète. Alger (s.d.) 4 p.
-**ABBAS Ferhat,-** Pourquoi nous avons créé l'Union Populaire Algérienne, Alger 1938.
-A. D. - "Le Progrès su réformisme musulman dans l'Aurès", in La France méditerranéenne et africaine, 1938, facs. I, pp. 87-98.
-**AGERON Charles Robert,-** "Le nationalisme algérien: de l'Islam à la révolution" in Revue Historique, juillet 1958, pp. 126-134.
-**AGERON Charles Robert,-** "Du nouveau sur l'histoire de l'Algérie, in l'Information historique, mai juin 1970.
-**ABBAS Farhat**.La nuit coloniale, Paris, 1962.
-**AUBIER Lieut Col. A**. La bataille de Sikkak 6 juillet 1836.Rev. De cavalerie (à part, Berger levrault.1905).
BOUTALEb Abdelkader, L'emir Abdelkade et la formation de la nation Algérienne Ed. Dahlab, 1990.

-**Annia REY GOLDSEIGNER**.Le royaume arabe, S N E D, Alger, 1977.
-**Alexandre BENNINGSER et CH. L.Quelquejay**, le soufi et le commissaire, confréries musulmans en U.R.S.S, seuil, 1986.
-**ARON Rober** et **AL**. Les origines de la guerre d'Algérie, Paris, 1962.
-**AGERON Charles Robert**, Histoire de l'Algérie contemporaine : 1830-19.....
Ed.Paris : presses universitaires de France .cop.1964.
-**ABU-NASR Jamil M**, a history of the Maghrib, Cambridge, University press, 1971.
-**AKKACHE Ahmed**, La résistance Algérienne de 1845 à 1945, S.N.E.D. Alger, 1972.
-**AMIN Samir**, Le Maghreb moderne ,Ed.de Minuit ,.Paris 1970.
AGERON Charles Robert, Brève histoire de la politique d'assimilation en Algérie, in Revue Socialiste, 1956.

AGERON Charles Robert, La France a-t-elle eû une politique Kabyle, in Revue Historique, 1960.
AGERON Charles Robert, L'histoire de l'Algérie, in Inf.Historique, 1970.
AGERON Charles Robert, Le nationalisme Algérien : de L'Islam à la révolution, in Revue Historique, juillet 1956.
AGERON Charles Robert, Du nouveau sur l'histoire de l'Algérie, in Information historique, mai - juin 1970.
AGERON Charles Robert, Une politique Algérienne sous la IIIé République 1912-1919, in Revue d'Histoire Moderne, 1959, avril-juin.
-**AKKAD Salah el**, L'idée de panarabisme dans le Maghreb, in Méditerranée de 1939 à 1939,1969.
-**AMROUCHE Jean**, L'idée de nation et l'Algérie, in la voix des humbles, n°189, 190, 191, 193, déc.1938-avril 1939.
-**ARNAULT J**, Notes sur le patriotisme Algérien, in Nouvelle Critique, n° 85
-**BERTHAULT**, L'Algérie et l'évolution de la crise agricole algérienne, s.d, (1933), 12 p.

-**BENNABI Malek**, Mémoire d'un témoin du siècle, S.N.E.D. Alger 1965, 239 p.
-**BENNABI Malek,** Le Phénomène coranique, En-Nahda, Alger 1946, 179 p.
-**BOUVREUIL A.G.,** "Agitation politique et religieuse chez les musulmans d'Algérie", in Bulletin du Comité de l'Afrique Française, nov.1936, pp. 580-590.
-**BADIS Cheikh Ben,** -Principaux articles politiques parus dans Ach-Chihab.
-"Déclaration nette (en réponse à Ferhat Abbas), n° d'avril 1936, pp. 42-45.
-"A propos des remous par la "Déclaration nette", n° de juin 1936, pp. 141-146.
-"Le Congrès Musulman réalise un des objectifs du Chihab, n° de juillet 1936, pp. 214-215.
-"Quelle est ma raison d'être?..."L'Algérie et l'Islam" n° de janvier 1937, pp. 423-428.
-"Nationalité ethnique et nationalité politique", n° de mai 1937, pp. 159-166.
-Qu'est-ce que le projet Viollette?" n° de mai 1937, pp. 159-166.
-"La vérité au-dessus de quiconque, la patrie d'abord", n° de septembre 1937, pp. 304-307.
-"Appel au peuple musulman algérien et à ses élus" (à la suite des échecs des revendications), n° de sept. 1937, pp. 325-326.
-"Nous sommes l'Algérie. Si la France veut la sauvegarder, qu'elle cherche à sauvegarder notre amitié", n° de novembre 1937, pp. 401-402.
-"Parole amère ou la pure vérité", n° de novembre 1937, pp. 403-407.
-"Nous et le Front Populaire", n° de novembre 1937, pp. 405-406. Editorial du 1er n° de février mars 1938 sur la Jeunesse, la Patrie, l'Administration, la France, le peuple, les oulamas, les élus....
-**BETBEDER**,Le réformisme algérien et l'association des Oulémas d'Algérie, Mémoire présenté pour le Brevet des hautes études musulmanes, compte-rendu,in l'Afrique et l'Asie 1948, 40-41p.

-**BONNAFOUS J.P,-** "Petite histoire du Parti Communiste Algérien" , in Défense de l'Occident, 10 janvier 1962,.43-51p.
-**BEN AZZEDDINE Ghouar Abd El Kader**, 5 fidayine ouvrent le feu à Constantine.
-**BENNOUNE Mahfoud, El Kenz Ali**, Le hasard et l'histoire, Entretiens avec Belaïd Abdesselam, ENAL, Alger, 1990, 2 vol., 471 et 408 p.
-**BARAKKA Darrar Anissa**, Adab ul nidal fi l jazâ-ir min sana 1945 hatta l istiqlal, Alger, al mu-assassa l wataniyya lil kitab, 1985, 127 p.
-**Ben Bella Ahmed**, Itinéraires, Ed. Maintenant, Alger, 1990, 143 p. -**BENYAHIA Mohammed**, La conjuration au pouvoir Récits d'un maquisard, Arcantère, Paris, 1988, 155 p.
-**BOUNEMEUR Azzedine**, Les bandits de l'Atlas, Gallimard, 1983, 330 p. -**BOUKORT Benali Mazouni,** Le souffle du Dahra, ENAL Alger, 1986, 177 p.
- **BOUZAR Nadir**, Abus de confiance, ENAL, Alger, 1989, 256 p.
- **BOUDIAF Mohamed**, La préparation du 1er novembre, coll. El jarida, 1976, 94 p.
- **BACHTARZI Mahieddine**, Mémoires, t. 2, 1939-1951, ENAL 1984,t. 3
317 p.
-**BENNABI Malek**, Mémoires d'un témoin du siècle, ENAL, 2 vol., t. 1 : 239 p.; 1970, 233 p.
-
-**BENKHEDDA Benyoucef**, Les origines du 1er novembre 1954,Ed. Dahlab, Alger, 1989, 361 p.
-**BANOUNE Akli et Amar Khider**, publiés dans Bouayed Mahmoud, L'histoire par la bande, SNED, Alger, 1974, 68 p. (Français), 12 p. (arabe.).
-**BOUCHAIB Belhadj,** de l'Oranie à l'Algérois, recueilli par Boucif Boukorra et Karim Rouin OPU, Alger, 1986, 86 p.
-**BOUGUESSA Kamel,** Emigration et politique. Essai sur la formation et la politisation de la communauté algérienne en France à l'entre-deux guerres mondiales, thèse 3e cycle, université Paris V,1979, 2 vol.

-**BEDJAOUI Mohamed,** La révolution algérienne et le droit, Association des Juristes Démocrates, Bruxelles, 1961, 264 p.
-**BARDIN Pierre,** Algériens et Tunisiens dans l'Empire ottoman, de 1848 à 1914, C.N.R.S. , 1979, 276 p.
BEKKAR Abdelkader, La grotte de l'araignée, Ed. Hermé, 1990, 430, p.
-**BENRABAH Mohamed,** Langue et pouvoir en Algérie, Histoire d'un traumatisme linguistique, Les colonnes d'Hercule, Séguier, 350 p.
-**BENATIA Farouk,** Le travail féminin en Algérie, S.N.E.D, Alger, 1970, 272p.
BARAKAT Darrar Anîssa, Nidal ul mar-a l jazâiriyya khilal il thawra , al mouassassa el wataniyya lil kitab, Alger, 1985, 127 p.
--**BOUNEMEUR Azzedine,** Les bandits de l'Atlas,Ed. Gallimard, 1983, 330 p.
BENDJELIL A. et al., Nedroma (Algérie), 1954-1984, Actes de la Table Ronde, Oran, 1983, C.R.I.D.S.S.H. , 1986, 202 p.
-**BORRMANS Maurice**, Statut personnel et famille au Maghreb de1940 à nos jours, Mouton, 1977, 708 p.
BOUTEFNOUCHET Mostefa, La famille algérienne, SNED, Alger, 1982, 316 p.
-**BOUDJEDRA Rachid**, La vie quotidienne en Algérie, Hachette, 1971, 253p.
BOUZAR Wadi, La mouvance et la pause. Regards sur la société algérienne, SNED Alger, 1983, 2 vol., 465 et 354 p.
-**BENNOUNE Mahfoud,** Impact of colonialism and migration on an Algerian peasant community: a study in socioeconomic change, 2 vol., thèse, University of Michigan, 1976, 471 p.
-**BEDIYA Bachir**, L'oued en crue, Ed. Du Centenaire, 1979, 147 p.
BENZINE ABDELHAMID, Le camp, Ed. Soc., 1962, 94 p.
-**BOUMAZA Bachir**, La gangrène, Ed. De Minuit, 1959;
-**BEAUVOIR Simone de, Halimi Gisèle**, Boupacha Djamila,Ed. Gallimard, 1962,
282 p.

-**Bencherif Ahmed**, L'aurore des mechtas: quelques épisodes de la guerre d'Algérie, SNED, Alger, 1969.
-**Benzine Abdelhamid,** journal de marche, SNED, Alger, 1965, 143 p.
-**BOUROUIBA Boualem**, Les syndicalistes algériens: leur combat, de l'éveil à la libération, L'Harmattan,Paris, 1998, 456 p.
BOUROUIBA Boualem, Les syndicalistes algériens: leur combat, de l'éveil à la libération, L'Harmattan, Paris,1998, 456 p.
BENFARS Djamel, Saadallah Rabah, La glorieuse équipe du FLN, ENAL/GAM, Alger, Bruxelles, 1985, 371 p.
-**BENABDALLAH Saïd**, La justice du FLN pendant la guerre de libération, SNED, Alger, 1982, 142 p.
-**BOYER Pierre,** L'Evolution de l'Algérie médiane (Ancien département d'Alger) de 1830 à 1956. Alger Maison neuve, 1960, 427 p.
-**BOUJET.** - Les élections en Algérie de 1945 à 1954. Mémoire. I.E.P. Aix en Provence, 1962, 116 p.
-**BROCHIER Jeanne et André,** Livre d'or de l'Algérie. Alger, 1937,305 p.
-**BERQUE Jacques**, "L'Afrique du Nord entre les deux guerres mondiales", in Cahiers internationaux de sociologie, 1961, vol. 30, pp. 3-22.
BERQUE Jacques, Maghreb, Histoire et société. De l'impérialisme à la décolonisation S.N.E.D., Alger 1974,232 p.
BENHABYLES Cherif, L'Algérie française vue par un indigène, Librairie Orientale, Alger, 1914, 195 p.
-**BIDET André**, "Du colonialisme aux indépendances: l'action socialiste de 1919 à 1939", in Revue Socialiste, 1961, n° 143, pp. 449-460.
-**BOU KABOUYA Lieutenant El Hadj**, L'Islam dans l'armée française, Constantinople, 1915, 40 p.
-**BENBADIS Cheikh,** "Notice sur l'émir Khaled" in Ach-Chihab, n° de février 1936, pp. 622-630.
-**BOUKORT Ali,** Union du peuple de France et des colonies, Paris,1938, 16 p.

-**BLANCHARD J**, Le problème algérien, réalités et perspectives, Paris. **BENAMRANE Djilali**, L'émigration algérienne en France: passé, présent et devenir, SNED, Alger ,1983,410 p.
-**BENAZZEDINE Ghouar Abdelkader**, Cinq fidayines ouvrent le feu à Constantine, ENAL, Alger ,1986,213 p.
-**BEN BELLA Ahmed**, Ben Bella revient, Ed. J. Picollec R. Gaucher,Paris 1982-255 p.
-**BEN BELLA Ahmed**, Itinéraires, Ed. Maintenant, Alger 1990.
-**BENCHERIF Ahmed,** L'aurore des mechtas: quelques épisodes de la guerre d'Algérie, SNED, Alger,1968,199 p.
-**BENKHEDDA Benyoucef,** Les Accords d'Evian, OPU, Alger 1986,120 p.
-**BENKHEDDA Benyoucef**, Les origines du 1er novembre 1954, Alger, Ed. Dahlab, 1989,361 p.
-**BENSALEM Djamel Eddine**, Voyez nos armes, Voyez nos médecins: chronique de la zone 1, wilaya 3, Alger, ENAL, 1984,289 p.
-**BENZINE Abdelhamid,** Le camp, Ed. Sociales, Paris 1962,94 p.
-**BENZINE Abdelhamid,** Journal de marche, ENAL, Alger, 1965,143 p.
-**BENZINE Abdelhamid,** La montagne et la plaine, Ed. à compte d'auteur, Alger,1980.
-**BESSAOUD Mohammed-Arab**, Heureux les martyrs qui n'ont rien vu, Ed. Berbères, Paris, 1991,157 p.
-**BEUVE-MERY Hubert**, Onze ans de règne (1958-1969), Flammarion, Paris, 1974,414 p.
-**BIGNON Alain, VIDAL Guy**, Une éducation algérienne, Ed. Dargaud, Paris, 1990,56 p.
-**BITAM Boukhalfa**, Rue de la liberté,ENAL, Alger,1984,172 p.
-**BIYYERLIN Lucien**, Nous étions tous des terroristes, l'histoire des barbouzes contre l'O.A.S en Algérie, Préface de Louis Terre noire, poste face de Georges Montaron,. Paris, Témoignage Chrétien, 1983,333 p.

-**BLANCHARD Jean,** Le problème algérien, réalités et perspectives Paris, Presses universitaires de France, 1955,79 p.
-**BOISSIEU Alain,** Pour servir le général: 1946-1970, Plon, Paris 1982, 276 p.
-**BOISSON Jean**, Ben Bella est arrêté. Le 22 octobre 1956, Paris, Etudes et Recherches historiques, 1978,442 p.
-**BOLLARDIERE Jacques**, Paris de la Bataille d'Alger, bataille de l'homme, Desclée de Brouwer, Paris, 1972,167 p.
-**BONNECARRERE Paul**, La Guerre cruelle, Légionnaires en Algérie, Fayard, Paris,1972,430 p.
-**BOUAZIZ Yahya,** Le combat de l'Algérie à travers ses archives, Enal, Alger, 1986,390 p.
-**BOUCHER Jean-François**, Insignes de l'armée française, Bobigny, Sogico, 1982,90 p.
-**BOUDIAF Mohamed,** La préparation du 1er novembre suivie de lettre ouverte aux Algériens, Coll. El Jarida, Paris ,1976,94 p.
-**BOUDJEDRA Rachid,** Naissance du cinéma algérien, Maspero, Paris, 1971,101 p.
-**BOUDJEDRA Rachid,** Le vainqueur de coupe, Denoël, Paris,1981,264 p.
-**BOUDJEDRA Rachid**, Le démantèlement, Denoël, Paris 1982,308 p.
-**BOUKORT Bénali,** Le souffle du Dahra, Enal, Alger 1986,177 p.
-**BOUDIEU Pierre**, Sociologie de l'Algérie, Presses Universitaires de France, "Que sais-je ?", Paris 1962,128 p.
-**BOURDIEU Pierre,** Algérie 60. Structures économiques et structures temporelle, Ed. De Minuit, 1977, coll. "Grands documents",Paris, 128 p.
-**BOUZAHER Hocine,** Des voix dans la Casbah, Ed. Maspero, Paris, 1960-130, p.
-**BOUZAR Nadir,** Abus de confiance, Enal, Alger 1989,256 p.
-**BOUZAR Wadi,** La mouvance et la pause,Regards sur la société algérienne,
Sned, Alger,1983, 2 volumes- 465 et 354 p.

-**BOYER DE LA TOUR Pierre**, Vérités sur l'Afrique du Nord, Préface d'Emile Roche, Plon, Paris,1956-204 p.
-**BOYER DE LA TOUR Pierre**, L'évolution de l'Algérie médiane de 1830 à 1956, Adrien Maisonneuve, Paris 1960,419 p.
-**BRAC DE LA PERRIERE Caroline,** Derrière les héros, Les employées de la maison musulmanes en service chez les européens à Alger(1954-1962),L'Harmattan, Paris,1987,320 p.
-**BRANCIARD Michel**, Un syndicat dans la guerre d'Algérie,Ed. Syros, Paris 1984,324 p.
-**BROMBERGER Serge**, Les rebelles algériens, Plon, Paris 1958,275 p.
-**BRUNETTI Maurice,** Les voleurs de soleil, Au bled algérien vers 1950
Paris, Balland, 1992-306 p.
-**BRUNON Jean,** Le livre de la Légion étrangère, Paris, Charles-Lavauzelle, 1976,507 p.
-**BUCHARD Robert**, Organisation armée secrète, tome 1 : Février- 14 décembre 1961, Albin Michel, Paris, 1963,205 p
-**BUISSON Patrick, GAUCHON Pascal**, OAS, Histoire de la résistance, française en Algérie, Bièvres, Ed. Jeune Pied-noir, 1984,168 p.
-**BUSCIA Gilles** française en Algérie, Bièvres, Ed. Jeune Pied-noir, 1984,168 p U.F., 79 p.
-**BOISSENOT Alfred,** L'Islam et la guerre d'Algérie, C.E.L, Cannes, 1977,124 p.
-**BAIL René**, Hélicoptères et commandos marines en Algérie: 1954-1962, Limoges, Charles Lavauzelle, Paris 1983,152 p.
-**BAIL René**, L'Oranie: 1954-1962, Ed. Heimdal, Bayeux, 1987,96 p.
-**BAITAR Abdelhamid**, De l'amour à la mort Dans l'arène algérienne,Imprimerie nord-africaine, Rabat,1959,100 p.
-**BAITAR Abdelhamid**, Je suis un Algérien, Chants et récits d'un Moudjahid d'Alger, SNED, Alger 1982,120 P.
-**BALTA Paul**, sous la direction de L'Algérie, Ed. Nathan, Paris,1989,206 p.

-**BARRAT Robert,** Les maquis de la liberté- Un journaliste au cœur de la guerre d'Algérie, Enal, Alger, 1988,238 p.
-**BATTY Peter**, La guerre d'Algérie, Ed. Barrault, Paris, 1989,174 p (album photos).
-**BELLOULA Tayeb**, Les Algériens en France: leur passé, leur participation à la lutte de libération nationale, leurs perspectives, Ed. Nationales algériennes, Alger 1965,255 p.
-**BENABDALLAH Abdessamad**, **COURREGE Maurice**, **OUSSEDIK Mourad, VERGES Jacques, ZAVRIAN Michel**, Défense politique, Maspero, Paris, 1961,114 p.
-**BENABDALLAH Saïd**, La Justice du FLN pendant la guerre de libération
Nuremberg pour l'Algérie tome 1, Maspero, Paris,1961,32 p.
BALLESTROS (Luis). – l'Emir Abdelkader et l'Algérie : Retaux frères ; Paris 1865, 30 p.
BANTOK, Through the Metidja with Abdelkader. S.I.; 1912. Partition musicale
BARESTE Eugène, Abdelkader, Martinon; Paris ,1848, 52 p.
BARKAT Anissa, La personnalité de l'Emir Abdelkader. Majallat- et- Tarikh 1er semestre 1983, 105- 114 p. Article en arabe.
BEAUREGARD ,Abdelkader : héros Algérien , African historian, 1966, 34-36 p. Paru en anglais sous le titre « Abdelkader : Algerian hero ».
BELGRADE Mohamed, L'aspect mystique et culturel dans la vie de l'Emir Abdelkader, Majallat et Tarikh, 1er semestre 1983. 49-80 p. Article en arabe.
BELL Georges,pseudonyme de HOUNAU Joachim)– Abdelkader, impr, Paris Vallée, 1861,16 p.
(Traite surtout de la reddition de l'Emir à laquelle l'auteur semble avoir assisté.)
BELLEMAR Alexandre, ancien secrétaire interprète, commis principal au ministère de la guerre, Abdelkader. Sa vie politique et militaire, Hachette, Paris, 1854 (2ème Ed 1863),462 p.
(L'auteur montre par quelle fautes de la part des Français et par quelle qualitéAbdelkader arriva à établir sa puissance, sa

domination, son prestige : science piété, constance, esprit organisateur (il créa une administration que la France copiera et une armée là ou il n'y avait rien. Abdelkader en guerre, en prison , en exil. Nombreux documents.)
BENACHENHOU , l'Etat algérien en 1830. Ses institutions sous l'Emir Abdelkader, Sned, Alge1969.
BENHARAT Abdelkader, Le diwan de l'Emir Abdelkader, Alger, D.E.S., d'histoire, 1966.
BENTOUHAMI Mustapha , La vie de l'Emir Abdelkader, Manuscrit en arabe déposé à la bibliothèque nationale d'Alger.
BERBRUGGER Louis –Adrien, Négociations entre Monseigneur l'évêque d'Alger et Abdelkader, pour l'échange des prisonniers, Paris , J. Delahaye , 1844 , 59p.
Monseigneur Dupuch avait été autorisé par Bugeaud à traiter avec Abdelkader de l'échange des prisonniers Algériens contre les Français enlevés le 4 octobre 1840 à Hadjout entre Douera et Delly Ibrahim. L'évêque d'Alger envoie à l'Emir ses délégués, parmi lesquels Berbrugger. Relation de cette mission. Les délégués ne furent pas reçus par Abdelkader mécontent de ce qu'ils vinssent négocier seulement l'échange des prisonniers et non traiter de la paix. Ce fut le bey de Miliana qui échangea avec eux les signatures.
BONGRAIN Maurice de Les captifs de la deïra, Sidi-Brahim et Sidi Moussa. 1845-1846. souvenirs de la vie militaire en Afrique …. Lille : J. Lefort ; 1864, p.
BOUAZIZ Yahia, l'Emir Abdelkader, commandant de la résistance algérienne, Dar El Kitab, Alger 1964, 2 volumes .
-Bachir IBRAHIMI,. Athar el Ibrahimi,.S.N.E.D.Alger.3Vol .1979.
-BELLEMARE A., Abdelkader: Sa vie politique et militaire. Paris. 1854.
-BENNACHENOU Abdelhamid, L'état Algérienneen1930,ses institutions sous l'Emir .Alger, 1969.
-BERBRUGER Adrien, Échange des prisonniers, Discours prononcé à la chambre des Députés. (8 juin 1838). Paris, 1844.
-BRUNO Etienne, Abdelkader, Hachette, 1994.

-**BUGEAUD Le Maréchal**, Le traité de la Tafina, Paris, 1925.
-**BENAZET Henry,** L'Afrique Française en danger, Paris, Fayard, 1947.
-**BENNABI Malek**, Mémoires d'un témoin du siècle,Ed. Nationales Algériennes, Alger, 1965.
-**BERQUE Jacques**, Le Maghreb entre deux guerres, 1965.
-**BLANCHARD J,** Le problème Algérien, réalités et perspectives, P, U, F. Paris.
-**BUHRER J et ANDRE P.J**, Ce que devient L'islam devant le monde moderne, Berger-Levrault, Paris, 1952.

-**BENCHENEB Saadeddine**, Quelques historiens arabes modernes de l'Algérie, in Revue Africaine.T.C.1956.
-**CORDON David C**, The Passing of French Algeria, London New York, Toronto, Oxford, University press. 1926, 265 p.
-**CAMUS Albert,** Chroniques algériennes. Actuelles III 1939-1958. Gallimard ,Paris 1967,212 p.
-**COLONNA F**, "Les élites par la culture et les villes en Algérie, de la réforme Ferry à la veille de la deuxième guerre mondiale dans Etudes Méditerranéennes, n° 2.
-**COLONNA F**, "Les Instituteurs algériens 1883-1939", Office des Publications Universitaires,Alger, 1975, 239 p.
-**CONFER Vincent**, "France and Algeria. The problem of civil and political reform 1870-1920. Syracuse N.Y., Univ. Press, 1966 XI, 148 p.
-**CAMUS Albert,** "Le progrès du nationalisme algérien", in Revue Méditerranée, Afrique du Nord, juin, 1939.
-**COLLOT Claude**, "Le Congrès Musulman Algérien", in R.A.S.J.E.P. 1974, pp. 71-161.
-**COLLOT Claude,** "L'Union Populaire Algérienne", (1937-1939)", in R.A..S.J.E.P. 1972, n° 4, p. 967.
COLLOT Claude, "Le Parti du Peuple Algérien", in R.A.S.J.E.P. 1971, 133 p.
-**CHALABI Al Hadi,** L'Algérie l'Etat et le droit, Arcantère, 1989,306 p.
-**DEMONTES V**, I. VI. Un siècle de colonisation, évaluation historique de la

colonisation de l'Algérie, Alger 1930, 408 p.
-**DJENDER Mahieddine**, Introduction à l'histoire de l'Algérie Systèmes historiques.Conception générale de l'histoire nationale, S.N.E.D, Alger, 1968.
-Domination coloniale et mouvements nationalitaires, n° spécial de la revue Algérienne, 1972.
-**DORIENT N et LOEW M**, La question Algérienne, Paris Bureau d'Ed, 1936.
-**DUCLOS, DUVIGNAUD, LEGA,** Les nationalismes maghrébins, Paris, A.Colin, Coll. Etudes Maghrébines, n°7,1966.
-**DJILALI Abderrahmane**, Tarikh al Djazaïr al am, (Histoire générale de l'Algérie). Alger. Imprimerie arabe 1953, tome I, 411 p. et 1955, tom. 2-413 p.
-**DE LEONE Enrico**, La colonisation d'ell Africa del Nord (Algéria,Tunisia, Marocco, Libya), Padoue, Cedam, 1957. I 447 p. II 1960, 627 p.
-**DEMONTES V,** Renseignements sur l'Algérie économique, Paris 1922, 176 p.
-**DEMONTES V**, l'Algérie économique. T. II, Les populations algériennes 1923, 498 p.
-**DESPARMET J**, "Contribution à l'histoire contemporaine de l'Algérie, La politique des oulémas algériens (1911-1937)", in Bulletin du Comité de l'Afrique Française, 1937, pp. 352-358, 423-428, 523-527, 557-561.
-**DESPARMET J**, "Naissance d'une histoire nationale de l'Algérie", in Bulletin du Comité de l'Afrique Française, juillet 1933, pp. 387-392.
-**DESPARMET J**, "L'histoire des Arabes et les Oulémas algériens", in Bulletin du Comité de l'Afrique Française, mai 1934, pp. 274-281.
-**DESPARMET J,** "Les manifestations en Algérie (1933-1934)", in Bulletin du Comité de l'Afrique Française, 1934, pp. 537-547.
-**DESPARMET J**,- "Contribution à l'histoire contemporaine de l'Algérie (1911-1937), La politique des Oulémas algériens", in Bulletin du Comité de l'Afrique française, 1936, pp. 352 et s. 423 et s. 557 et s.

-**DESPARMET J**,- "Les Oulémas algériens et la propagande italienne (1931-1938)", in Bulletin du Comité de l'Afrique française, mai 1938, pp. 210- 214.
-**DESPARMET J,** "Les réformistes et l'éducation nationale en arabe en Algérie", in Entretiens (1938) sur l'évolution des pays de civilisation arabe, Tome III, pp. 174-182. Paris, Hartmann, 1939, 189 p.-D'ORIENT N, et LOEW M,-La question algérienne, Paris Bureau d'Ed. 1936, 248 p.
-**DRESCH J,**"Islam et nation algérienne", in Démocratie nouvelle, juin 1936, n° 6.
-D.A,- "Chez le Cheikh el Okbi", in En Terre d'Islam, mars avril 1936, pp. 75-77.
-**DEMONTES V**, Un siècle de colonisation, évaluation historique de la colonisation de l'Algérie, Alger, 1930, 408 p.
-**CAMUS Albert**, Actuelles III, chroniques algériennes 1929-1958, Gallimard,Paris, 1958-216 p.
-**CAMUS Albert, GRENIER Jean**, Correspondance, 1932-1960, Gallimard, Paris, 1982-286 p.
-**CAMUS Albert,** Carnets III, mars 1951-décembre 1959, Paris, Gallimard, 1989-301 p.
-**CAMUS Albert**, Le premier homme, Gallimard, Paris, 1994. 334 p.
-**CANTEAU Jacques**, Le feu et la pluie de l'Atlas. Vie quotidienne d'une
Famille de colons français, L'Harmattan, Paris, 1992-255 p.
-**CARLIER Omar**, Entre Nation et Djihad, Paris, Presses de la Fondation Nationale des Sciences Politiques. 1995. 409 p.
-**CARRET Jacques**, Différents aspects de l'Islam algérien, imprimerie officielle, Alger, 1959-95 p.
-**CARRIERE Jean-Claude**, La paix des braves, Ed. Le Pré aux clercs, Paris 1989-220 p.
-**CASTANAVO José**, Le drame de l'Algérie française Montpellier, Compte d'auteur, 1988.
-**CASTEL Robert**, Inoubliable Algérie, Pierre Horay, Paris, 1965-265 p.
-**CHAIB Mohamed**, La dernière épreuve, Enal, Alger 1983-280 p.

-**CHAID Hamoud,** Sans haine ni passion Contribution à l'écriture de l'histoire de l'Algérie, Ed Dahlab, Alger 1992. 345 p.
-**CHALLAND Gérard, MINCES Juliette** ,L'Algérie indépendante. Bilan d'une révolution nationale, Maspero, Paris 1972-175 p.
-**CHALLE Maurice**, Notre révolte, Presses de la citer, Paris, 1968-448 p.
-**CHAMSKI Thadée**, La harka, Ed. Robert Laffont, Paris 1961-304 p.
-**CHARBONNEAU Claude,** Fors l'honneur, ou le respect de la parole d'un Breton. Algérie, 1954-1962 ,Plougrescant, Ed. Confrérie, 1991-208 p.
-**CHARBONNIERES Louis,** Toujours et quand même. Combats pour une autre France: 1957-1958, Ed. Yves Michelet, Paris 1987-293 p.
-**CHARBY Jacques,** L'Algérie en prison, Minuit, Paris 1961-105 p.
-**CHARNAY Jean-Paul**, La vie musulmane en Algérie d'après la jurisprudence de la première moitié du XXe siècle, Presses universitaires de France, Paris, 1965-393 p.
-**CHARNAY Jean-Paul,** Sociologie religieuse de l'Islam, Mutations des sociétés musulmanes, Sindbad, , Paris 1977-478 p.
-**CHIKH Slimane** L'Algérie en armes, ou le temps des certitudes, OPU, Economica, Alger, Paris, 1981-511 p.
-**CHOMBART DE LAUWE Jacques Louis,** L'évolution de la situation algérienne, Nantes, Imprimerie de Guérande, 1962-30 p.
-**CLAVEL Maurice**, Les jardins de Djamila, Ed. Julliard, Paris 1958-240 p.
-**CLAYTON Anthony**,Histoire de l'armée française en Afrique 1830-1962,Albin Michel Paris,1994-545 p.
-**COLLOT Claude, HENRY Jean- Robert**, Le Mouvement National Algérien, textes, 1912-1954 Préface de Ahmed Mahiou, L'Harmattan, OPU Paris,Alger, 1978-383 p.

-**COLLOT Claude,** Les institutions de l'Algérie pendant la période coloniale (1830-1962), CNRS/OPU, Paris/Alger,1987-339 p.
-**COLONA Fanny**, Aurès, Algérie 1954, Ed Autrement, Paris, 1994-174 p.
-**CONGAR Y., FOLLIET** J, Armée et vie nationale, Lyon, Chronique de France, 1962-144 p
-**CONTE Arthur, Bandoeng**, tournant de l'histoire, Robert Laffont, Paris ,1965, coll. "Ce jour-là", 322 p.
-**CORNEVIN Marianne**, Histoire de l'Afrique contemporaine de la deuxième guerre mondiale à nos jours, Payot, Paris, 1972, coll. "Petite bibliothèque",426 p.
-**CORREZE F**, Femmes des mechtas, témoignages sur l'Etat algérien, Paris, Ed. Français réunis, 1976.
-**COURRIERE Yves,** La guerre d'Algérie, Paris, Robert Laffont, coll"Bouquins", 1990, deux volumes: 950 pages et 1202 p.
-**COURRIERE Yves,** La guerre d'Algérie en images, Fayard, Paris, 1972-200 p.
-**COUVE DE MURVILLE Maurice,** Une politique étrangère: 1958-1963, Plon, Paris,1971-505 p.
-**CHERGOU Abderrahmane,** Demain reste toujours à faire, Enal, Alger, 1986, 289 p.
-**CHABUKÏ Muhammad**, Diwân ul chaykh il chabûkï, Manchûrât ul mathaf il wataniyy l mujâhid, Alger, 1995,212 p.
-**Chaykh Keireddine, Khayr Ul Dïn Muhammad,** Mudhakkirât ul chaykh Muhammad Khayr il Dïn wa mucharakatuhu fi jam'ïa l'ulama wa jabhat il tahrïr il wataniyy wa majlis il thawra, l jazâ-iriyya, Matba 'a Dahlab, 1985, 447 p.
-**CHERIET Al Duktûr 'Abdallah,** Al Thawra l jazâiriyya fi Sihafa l dawliya, Al mu-assassa l wataniyya lil itisal wa l nachr wa l ichhar, Alger, s.d., volume 1955, 840 p. et volume 1956, 896 p.
-**CHIKH Slimane**, fils du poète patriotique algérien Mufdï Zakariyya, L'Algérie en armes ou le temps des certitudes, OPU,Economica, Alger, Paris, 1981, 511 p.

-**CARLIER Omar**, sous le titre Nation et Djihad, P.F.N.S.P., 1995, 409 p.
-**CARLIER Omar**, Modèles centraux et terrains périphériques : la relationville campagne et le cas de la mobilisation politique dans le Nord-est constantinois (1930-1950), U.R.A..S.C., Oran,
-**CHAOUCHE Ramdane Zoubir**, L'Algérie à travers la pesse française et algérienne de gauche de 1945 à 1955, thèse, université Paris II, 1979, 962 p.
-**CHOURAQUI André**, Les Juifs d'Afrique du Nord, P.U.F., 1952,
-**CLAUDE Martin,** Les Israélites algériens, Ed . Héraklès, 1936, 390
-**CHIKH Slimane**, fils du poète patriotique algérien Mufdi Zakariyya,L'Algérie en armes ou le temps des certitudes, OPU/Economica, Alger Paris, 1981, 511p.
-**CHERIET Al Duktûr 'Abdallah,** Al Thawra l jazâiriyya fi Sihafa l dawliya, Al mu-assassa l wataniyya lil itisal wa l nachr wa l ichhar, Alger, s.d., volume 1955, 840 p. et volume 1956, 896 p.
-**Chaykh Keireddine, Khayr Ul Dïn Muhammad,** Mudhakkirât ul chaykh Muhammad Khayr il Dïn wa mucharakatuhu fi jam'ïa l'ulama wa jabhat il tahrïr il wataniyy wa majlis il thawra, l jazâ-iriyya, Matba 'a Dahab, 1985, 447 p.
-**CHABUKÏ Muhammad,** Diwân ul chaykh il chabûkï, Manchûrât ul mathaf il wataniyy l mujâhid, Alger, 1995,212 p.
-**CHERGOU Abderrahmane**, Demain reste toujours à faire, Enal, Alger, 1986, 289 p.
-**CHRISTIAN P.** Pseudonyme de pitios, l'Afrique Française, l'empire du Maroc et le désert du Sahara. Histoire nationale des conquêtes, victoire, et nouvelles découvertes des français depuis la prise d'Alger jusqu'à nos jours. Paris, 1846.
-**CIVRY Contre Eugène**, de.Napoléon III et Abdelkader.Charlemagne et witkind. Étude historique et politique. Biographie de l'émir contenant un grand nombre de

lettre et de documents inédits avec un fac-similé et un portrait sur acier. Paris, 1853.
-**CHURCHILL Charles Henri**,.La vie d'Abdelkader, S N E D, Alger, 1977.
-**CHEIKH Bouamrane et L. GARDET**, Panorama de la pensée islamique, Sindbad, 1985.
-**CHAOUCHE RAMDANE, Zoubir**. L'Algérie à travers la presse Française et Algérienne de gauche de 1945 à 1955 : université de droit, d'économie et de sciences sociales de paris, 1979.
Th.Doct. 3e cycle : science de l'information : université paris 2 : 1979 Bibliogr.
DELACROIX A , Histoire privée et politique d'Abdelkader, Paris , 1848. Dépêche télégraphique. Prise d'Abdelkader, Paris ; impr, Stahl ; 1847.
DJEHAD (Le) ou la guerre sainte des musulmans. – La sentinelle de l'armée 1842. 46-48 p. Abdelkader et la guerre sainte.
DJILALI (A.) – Quelques considérations sur la monnaie de l'Emir Abdelkader. Alger , sned ,Alger ,1966.
DOLLOT René ,Ferdinand de lesseps et Abdelkader, d'après une étude de Fr. Charles- Roux.- Paris : A. Pédone ; 1956 ; 5 p.Paru dans la revue d'histoire diplomatique, n°3, juillet – septembre 1956.
revue Al Açala, 1971-1981, Edit. Du C.N.R.S., 1991, 311 p.
-**DAHO Al'Arabï,** al chi'r ul cha'bï wa l thawra l tahrïriyya bi daira Marwana min 1955 ila 1962, Alger, 1984, 139 p.

-**DAHLAB Saad**, Pour l'Indépendance de l'Algérie. Mission accomplie, Ed. Dahlab, Alger, 1990, 347 p.
-**DJEGHLOUL Abd El Kader**, dans ses Eléments d'histoire culturelle algérienne, ENAL, Alger, 1984, 244 p.
-**DEROUICHE Mohamed**, Le scoutisme, école du patriotisme, OPU, Alger, 1985, 267 p.
-**DJEBBAR Abdelhamid**, La question nationale et coloniale et le mouvement communiste, le cas de l'Algérie. Le parti communiste et le mouvement nationaliste 1935-1956, thèse Sc. Po., Grenoble, 1975, 360 p.

DJEGHLOUL Abdelkader, Eléments d'histoire culturelle algérienne, ENAL, Alger, 1984, 244 p.
-DAHLAB Saad, Mission accomplie pour l'indépendance de l'Algérie, Alger, Ed. Dahlab, 1990-347 p.
-DAHMANI Mohamed, L'Algérie légitimité historique et continuité politique, Paris, Ed. L'Harmattan, 1979-302 p.
-DAOUD A., La poésie populaire et son rôle dans la grande révolution de libération dans les Aurès, ENAL, Alger, 1988-418 p.

-DAZY René, La partie et le tout. Le PCF et la guerre franco-algérienne, Ed. Syllepse, Paris,1990-106 p.
-DEBECHE Djamila, Aziza,Imprimerie Imbert, Alger,1955-182 p.
-DEBONIS Jacques, La guerre d'Algérie, des promesses de paix à la guerre ouverte, tome II , Ed. Temps Actuels, ? Paris.
-DELMAS Claude , HAUDIQUET Pierre, La guerre révolutionnaire, Presses universitaires de France, coll. "Que sais-je?", Paris, 1960-128 p.
-DENOYER François, Quatre ans de guerre en Algérie .Lettres d'un jeune officier, Flammarion, Paris Paris 1962-220 p.
-DEON Michel, L'ARME D'Algérie et la pacisication, Plon, Paris 1959-257 p.
-DESVALLOIS Pierre, La guerre d'Algérie et les instituteurs"Les Cahiers du Centre Fédéral", FEN, 1994.
-DJEBAR Assia, Femmes d'Alger dans leur appartement , Ed. Des Femmes, Paris 1980-189 p .
-DJEBAR Assia, L'amour, la fantasia, Jean-Claude Lattès, Paris 1985-256 p.
DJENDER Mahieddine, Introduction à l'histoire de l'Algérie. Systèmes historiques. Conception générale de l'histoire nationale, SNED, Alger ,1968- 211p.
-DRESCH Jean. La question Algérienne/jean dresch, Charles André Julien, Henri Marron, Alfred Sauvy, Pierre Stibbe.paris: Ed.De minuit, cop. 1958.
-DEEMER,Lee Robert.Regional politics in a unitary system : colonial Algeria:1920-

1954/Lee Robert Deemer.Columbia: Columbia University, 1972.
Th.:Ph.D.: Columbia university: 1972.
-**DERMENGHEIM E**. Les souvenirs de L'Emir dans la région de Mascara. Synthèse de l'activité Algérienne.1849.Alger, 1950.
-**DUMAS Alexandre**. Impression de voyage.Paris.1868.
-**EGRETAUD Marcel,** Réalité de la nation algérienne, Ed. Sociales, Paris, 1961,319 p.
-**EISENBETH Maurice**, Les Juifs de l'Afrique du Nord. Démographie et onomastique, Imprimerie du Lycée, Alger, 1936, 189 p. -**ETCHERELLI Claire,** Elise ou la vraie vie, Gallimard, 1967, 276 p.
El –ARABI Ismaïl,La résistance algérienne sous le commandement de l'Emir Abdelkader, Sned ,Alger ,1982 , 324 p. Ouvrage en arabe.
ESTAILLEUR- CHANTERAINE ,Abdelkader, Paris librairie de France , Paris 1931.
ESTAILLEUR- CHANTERAINE , l'Emir Abdelkader, L'illustration, mai 1930.
ESTAILLEUR- CHANTERAINE,Abdelkader, la France, l'Europe et l'Islam au XIXème siècle, Fayard, Paris, 1947.
ESTAILLEUR- CHANTERAINE , l'Emir magnanime Abdelkader le croyant.- Paris : Fayard ; 1959.- 213 p
-**ESQUER GABRIEL**, histoire de l'Algérie, P.U.F, Paris, 1957.
-**EGRETAUD Marcel**, réalité de la nation Algérienne, Paris, Ed.Sociales, 1961.
-France et l'Afrique du nord, article de M Thorez, J.Duclos, F.Billoux, Paris, Ed.Sociales, 1955.
-**EL KENZ Ali,** Au fil de la crise, cinq études sur l'Algérie et le monde arabe,Bouchene/ENAL,Alger,1993,165p.
-**ENFANTIN,**Colonisation de l'Algérie, Bertrand, Paris 1843.
-**FRANCE NAPOLEON MAURICE Pseud A de.** Les prisonniers d'Abdelkader ou cinq mois de captivité chez les Arabes. Paris, 1837.
-**FAVROD Charles Henri**.La révolution Algérienne, Paris, 1962

-**FAVROD Charles Henri**,- Le F.L.N. et l'Algérie, Plon,Paris, 1962, 349 p. 2me éd. De la révolution algérienne, Plon, Paris 1959, 325 p.
-**FERRAT A,**- "Le mouvement révolutionnaire en Algérie", in Cahiers du Bolchevisme, n° 6 et 7 des mars, pp. 336-342 et I avril 1935, pp. 403-408.
-**FERRAT A**,- "Les questions de la révolution en Algérie et l'idéologie colonialiste. Pour un véritable parti communiste d'Algérie", in Cahiers du Bolchevisme, juillet, 1935.
-**FARES Abderrahmane**, La cruelle vérité. L'Algérie de 1945 à l'Indépendance, Plon,Paris,1982, 251 p.
-FRANCOS Ania, Serini Jean-Pierre, Un Algérien nommé Boumediene, Stock, 1976, 416 p.
-**FRANCOS Ania, Serini Jean-Pierre**, Un Algérien nommé Boumediene, Stock, 1976, 416 p.
-**FARES Mohamed,** Aïssat Idir, Documents et témoignages sur le syndicalisme algérien,préfacé de Mahfoud Kaddache,, E.N.A.P.-E.N.A.L.-...Ed.Andalouses, 180 p.
-**FLICI Laadi,** L'envers des tribunes,Chronique du temps qui passe, ENAL, Alger, 1984, 148 p.
-**FASSI Allal** al,Independence movements of North-Africa, American Council of Learned Societies,Washington, 1951, 414 p.
-**FARES Nabil,** Un passager de l'occident,Ed. Seuil, 1971, 158 p.
-**FLICI Laadi,** L'envers des tribunes. Chronique du temps qui passe, ENAL, Alger, 1984, 148 p.
-**FASSI Allal** al,Independence movements of North-Africa, American Council of Learned Societies,Washington, 1951, 414 p.
FATHI al-Dib, Abdel Nasser et la révolution algérienne, L'Harmattan, 1985, 442 p.
-**FAVROD Charles Henri**, Le F.L.N. et l'Algérie, Plon, , Paris 1962, 349 p. 2me éd. De la révolution algérienne, Paris, Plon, 1959, 325 p.
-**FAVROD Charles Henri**, La Révolution algérienne Paris, Plon 1959, 237 p. (Coll. Documents de Tribune libre). Nouv. Edit. Et mise à jour, 1962, 348 p.

-**FASSI Allal** al, "Al Harakat al istiqlaliya fil Maghreb al Arabi. (Les mouvements de l'indépendance en Afrique du Nord). Le Caire 1948, et Independence movements of Nord-Africa, Washington, Americain .

FELINE Adrien. – De l'Algérie et des moyens d'assurer son avenir, Paris , Le neveu,1842. 81 p.

FOURIE Commandant , Sidi Brahim à propos du 2ème régiment de zouaves, Nemours , 1901,38 p.

-**FARHI Mohammed,** Le rêve et le testament, ENAL, Alger, 1988, 233 p.

-**Front de libération nationale**,jabhat ul tahrïr il wataniyy, Textes fondamentaux du Front de Libération Nationale, 1954-1962, Ministère de l'Information et de la Culture, Alger, 1976, 87 p.

GAUTIER Emile-Félix,, L'Algérie et la métropole, Payot, Paris ,1920, 254 p.

-**GSELL, Marcais et Yver,,** Histoire de l'Algérie, Paris ,1929, 327 p.

-**GAUTIER Emile-Félix,,** Un siècle de colonisation. Etudes au microscope, F. Alcan, . Paris ,1930, 331 p.

-**GANIAGE Jean**, "Les Affaires d'Afrique du Nord de 1930 à 1958, Paris, C.D.U., 1972, 115 p.

-**GUERIN Daniel,** Au service des colonisés 1930-1953, Ed. De Minuit,, Paris 1954, 320 p.

-**GORDON David C**, The passing of French Algéria London, Oxford University Press, 1966, 226 p.

-**GOSSET Pierre R**. Conspiracy in Algeria (1952-1943), New York, 1945.

-**GILLESPIE Jean**, Algeria rebelion and revolution, New York

-**GONTOR Jagues R**. Algeria and France (1930-1963), Indiana, 1965.

-**GLIBERT Léon**.Histoire de l'Algérie ancienne et moderne depuis les premiers
établissements des carthaginoise Jusques et y compris les dernières campagnes du général Bugeaud avec une introduction sur les divers systèmes de colonisation qui ont

précédé la conquête Française/par Léon Galibert,...-Paris : furne et Cie, 1843.
GLISSOT René, La guerre d'Abdelkader ou la ruine de la nationalité algérienne (1839-1847).- Hespéris - Tamuda, 1864, 119-141 p.
GAÏD Malika, a été écrit par Mohamed Bouchemla, L'ange de lumière, ENAL, Alger, 1984.
-**GUENANECHE Mohamed,** Kaddache Mahfoud, Najim ul chimal , Ifrïqiyy 1926-1937/L'Etoile Nord-Africaine, 1923-1937, OPU,Alger, 1984, 130 p. en arabe, 155 p. en français-Le Parti du Peuple algérien (1937-1939) ; Hizb ul cha'b il jazâ-iriyy, OPU, Alger, 1985, 286 p.
-**GALLAGHER Charles,** The United States and North-Africa, Harvard Univ.Press, New York, 1963, 276 p.
-**GUVAN G,** Etude de quelques motivations et comportements du nationalisme musulman d'Algérie, Memoire CHEAM 3614, Paris, 1961.
HADJERES Saddek, Culture, indépendance et révolution en Algérie, Temps Actuels, 1981,128 p.
-**HAFFAF Abderrahmann ben al,** Introduction à l'étude de l'Islam Alger,. 1927, 152 p.
-**HERZEN Alexandrer,** Du développement des idées révolutionnaires en Russie. Paris, 1851.
-**HOMMAIRE de Hell Xavier,**. Voyage dans les steppes du midi de la Russie.3 vol.Paris.1844.
-**HUGONNET Fed.**, Français et Arabes en Algérie.Larmoricière, Bugeaud, Dumas, Abdelkader Paris, 1860.
-**HANNACHE Ahmed**, La longue marche de l'Algérie combattante , 1830-1962,.Alger, Dahleb, 1990.
-**HELLAL Amar**, Les Intellectuels arabophones algériens entre l'identité, le modernisme, le nationalisme et l'indépendance (1918, 1962), thèse d'Etat dactyl. Nancy, 1990, 1051 p.
-**HAROUN Ali,** La septième wilaya, la guerre du FLN en France, Seuil, 1986, 523 p.
-**HILAL al duktur 'Amar**, Al hijra l jazâ-iriyya nahwa bilad il châm (1847-1918), Laphomic, Alger, 1986, 384 p.

-**HASBI Aziz**, Les mouvements de libération nationale et le droit international, Edit. Stouky, Rabat, 1981, 540 p
-**HARBI** (Les Archives... GRIMAUD Nicole, La politique extérieure de l'Algérie, Kharthala, 1984, 380 p.
-**HADRI Mahieddine**, L'U.R.S.S. et le Maghreb. De la révolution d'octobre à L'indépendance de l'Algérie, 1917-1962, L'Harmattan, 1985, 211 p
-**HARBI Mohammed,** Aux Origines du FLN, Le populisme révolutionnaire en Algérie, Christian Bourgois, 1975, 320 p .
HADJ ALI Bachir, arrêté été torturé sous Boumediene, L'Arbitraire, Ed. De Minuit, 1966, 85 p.
-**HAMDANI Amar, Krim Belkacem,** le lion des djebels, Balland, Paris, 1973, 255 p.
-**HASSEN (Maître Mohamed Kamel,** l'Emir Abdelkader l'Algérien.- Beyrouth ;
presses universitaires ; 1982, 106 p.
-**HABN Lorna**, North Africa: nationalism to nationhood, Washington, public Affairs press, 1960.
-**HARDY Georges,** Esquisse d'une histoire politique de l'Algérie, in Revue de la défense nationale, 1953.
-**ISNARD II**, l'Algérie, Paris Arthaud, 1954.
I-IMACHE Amar,"L'Algérie au carrefour. La marche vers l'inconnu. Paris, mpr. Centrale, 24 p.
-**IBA ZIZEN** , Les réalités algériennes, Alger, 1948, 23 p.
-**IBN BADIS Athar**, Abdoulhamid Ibn Badis 4.v.1985.
-**ILLOUL Mohammed Tayeb AROUA Ali**, Le groupe Emir Khaled de Belcourt: un maillon des S.M.A. (1946-1962), Dahlab, Alger, 1991, 345
-**JEANSON Colette et Françis**, l'Algérie hors la loi, Paris Le Seuil, 1955.
-**JULIEN Charles André**, L'histoire de l'Afrique blanche, Paris, P.U.F.1966.
-**JILALI Abd ul Rahman, Muhammad Bin Abï Chanab**, haiyyâtuhu wa athâruhu, al muassassa l wataniyya lil kitab, 1983, 181 p.
JAMMES René,"Cheikh Ben Badis et la France", in L'Afrique et l'Asie, 57, 1er trim. 1962, pp. 40-42.

--**JULIEN Charles André,** L'Afrique du Nord en marche, Nationalismes musulmans et souveraineté française,Ed. Julliard ,Paris. 1952, 417 p. 2ème éd 1953, 3ème éd. PUF 1972, 439 p. avec une bibliographie critique (pp. 357-394), une orientation des travaux cités (pp. 357-394) et une liste alphabétique (pp. 395-420).

-**JULIEN Charles André**, Histoire de l'Afrique du Nord. Tunisie, Algérie, Maroc. Paris Payot 1931, XVI-865 p. Ill., cartes, réédité en 2 volumes, t. 1 revu et mis à jour par Courtois Christian, t. 2 par Letourneur Roger, Paris Payot 1961, 333 p. 267 p.

-JALABERT Louis,- "La turbulence de l'Islam arabe. Du panarabisme aux nationalismes", in Esprit, janvier 1938, pp. 170-184.

-**JULIEN Ch. André**, Histoire de l'Algérie contemporaine.T.I : La conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871.Paris, 1964.

JULIEN Charles André, .L'Afrique du nord en marche, Paris, 1952.

JULIEN Charles André, Une pensée anticoloniale : positions 1914-1979/Charles André Julien, avec la collaboration de Magali Morsy.Paris : Sindbad, cop.1979.

-**JACQUES Berque**,.L'islam au temps du monde, Paris, Sindbad, 1984.

-**JUIN Alphonse**, Histoire parallèle : la France en Algérie : 1830-1962/Alphonse Juin, Amar Naroun.-librairie académique Perrin, cop.1963.

.-**JULIEN Charles André**, L'Afrique du Nord en marche. Nationalismes musulmans et souveraineté française. Paris Julliard. 417 p. 2ème éd. 1953, 3ème éd. PUF 1972,439p. avec une bibliographie critique (pp. 357-394), une orientation des travaux cités (pp. 357-394) une liste alphabétique (pp.395-420).

KADDACHE Mahfoud,- "La question nationale et le parti communiste entre 1919 et 1939" in Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb. Janvier 1967, n° 2, pp. 95-104.

-**KOUBY A**,- "Un plaidoyer! Un réquisitoire! Les massacres de Constantine. Alger

1934.
-**LAMUNIERE Marc**, Histoire de l'Algérie illustrée de 1830 à nos jours. Préf. De Max Pol Fouchet Paris, Ed. Gonthier 1962 218 p. ill., cartes, pl.
-**LESEAUX.-** Histoire de l'Algérie, Paris 1962, 454 p.
-**LAROUI Abdallah**, L'histoire du Maghreb,Un essai de synthèse, Maspéro,Paris, 1970, 393 p.
-**LARCHER Emile et Rectenwalt Georges**, Traité élémentaire de législation algérienne, t. I, L'Algérie, organisation politique et administrative, t. II, Justice. Les personnes. Paris A. Rousseau, 1923, I 447 p.
-**LACHERAF Mostefa,** L'Algérie, nation et société, Maspéro, Paris 1965, 350 p.2ème éd. 1969.
-**LACHERAF IMostefaJ**, L'Algérie nation et société, Maspéro, Paris 1965, 349 p.
-**LACHERAF Mostéfa**, "Notre glorieux contemporain A. Ben Badis entre le nationalisme algérien et la renaissance arabe", Alger, Ed. Ach-Chaâb, avril 1970, (Texte en langue arabe).
-**LAMBERT Gabriel Abbé**, L'Algérie et le projet Viollette, Oran, Impr. F. Plazza, s.d.1937, 155 p.
-**LACHERAF Mostefa,** "Le nationalisme algérien", in Les Temps modernes, sept. - oct. 1956.
-**LACHERAF Mostefa,-** "Réflexion sociologique sur le nationalisme et la culture en Algérie, in Les Temps modernes, mars 1964, pp. 1629-1660.
Essai d'étude sur le parti communiste algérien de 1943 à 1947 à travers l'hebdomadaire "Liberté". Mémoire de DEA. Alger, Institut des Sciences Sociales 1977, 76 p.
-**LADREIT DE LACHARRIERE** , "Les partis politiques indigènes dans l'Afrique Française du Nord", in Recueil Prenant, janvier 1949.
-**LEHURAUX Léon**, Islam et chrétienté en Algérie. Alger, Baconnier, sd, 149 p.
KHADDACHE Mahfoud. L'Emir Khaled.l'Hamattan, paris.
KHADDACHE Mahfoud .La vie politique à Alger (1919-1936), Alger, 1970.

-KHADDACHE Mahfoud. L'Algerie dans l'histoire/Mahfoud Kaddache, Djilali Sari.-Alger : Office des Publications Universitaires : Entreprise Nationale du livre, cop.1989.5 : La résistance politique (1900-1954), bouleversement Socio-économiques.283p.

-KHALED Emir, Réflexions sur le rapprochement franco-arabe en Algérie, par l'Emir Khaled, petit-fils d'Abd-el-Kader, Imprimerie Gojosso, Alger, déc. 1913.

KHABAILI Moussa, SOUAMI Benaissa, et deux autres Algériens non nommés: La gangrène, Paris, Ed. De Minuit, 1959-90 p. Alger, SNED, 1982-142 p.

-KADDACHE Mahfoud, "La question nationale et le parti communiste entre 1919 et 1939" in Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb. Janvier 1967, n° 2, pp. 95-104.

-KADDACHE Mahfoud, "L'activité politique de l'Emir Khaled de 1919 à 1925, n° 4, in Revue d'Histoire et civilisation du Maghreb, janvier 1968. (En arabe).

-KADDACHE Mahfoud, "L'Emir Khaled, jeune étudiant et officier" in Revue d'Histoire et civilisation du Maghreb, n° 10, oct. 1973 (en arabe), pp. 101-102.

-KADDACHE Mahfoud, L'Emir Khaled. (1875-1936). Un maillon de la résistance algérienne dans les Africains (Collection sous la direction de Ch. A.

-KHALED Emir, Benthami et Bouderba. Interpellation sur la politique indigène en Algérie, Alger 1914.

-KHALED Emir, La situation des musulmans d'Algérie, Impr. Du prolétariat ,Alger, 1924, 31 p. (Conférences faites à Paris les 12 et 19 juillet 1924).

-KHALED Emir, Réflexions sur le rapprochement franco-arabe en Algérie, par l'Emir Khaled, petit-fils d'Abd-el-Kader, Alger, imprimerie du prolétariat.

KHELLIL Mohammed, La Kabylie ou l'ancêtre sacrifié, L'Harmattan,Paris, 1984, 176 p.

KHADDA Naget, Représentation de la féminité dans le roman algérien de langue française, OPU, Alger, 1991, 174 p.

-KHELLIL Mohand, L'exil kabyle, L'Harmattan, Paris,1992, 207 p.

-**KHANDRICHE Mohamed,** Développement et réinsertion.L'exemple, de l'émigration algérienne, OPU, Alger, 1982, 350 p.
-**KADDACHE Mahfoud**, Histoire du nationalisme algérien. Question national et politique algérienne, 1919-1951, 2 vol, S.N.E.D., Alger, 1980-1981, 1113 p. Une vie politique à Alger de 1919 à 1939, ibid., 1970, 390 p.
KADDACHE Mahfoud, L'Emir Khaled/Al Amïr Khalid, O.P.U./ Entreprise Algérienne de Presse, 1987, 218 p.
-**KADDACHE Mahfoud**, Il y a trente ans, le 8 mars 1945, Ed. Du Centenaire, 1975, 40 p.
-.**KOULAKSSIS Ahmed**, MEYNIER Gilbert, "Sur le mouvement ouvrier et les communistes d'Algérie au lendemain de la Première Guerre mondiale", Mouvement Social, n°130, 1985, pp. 3-33.
-**KHATIB Hafid,** 1er juillet 1956. L'accord FLN-PCA, OPU, Alger, 1991, 148 p.
-**KHELIFA Laroussi,** Manuel du militant algérien, Ed. de la Cité, Lausanne, 1963, 298 p.
KATEB Yacine, Abdelkader et l'indépendance algérienne, En- Nahda ,Alger ,1948, 47 p.
KHOPELEVA., l'Etat d'Abdelkader l'Algérien Moscou : Ed. scientifiques, 1973, 127 p.
KLOCK Elie, Portrait- légende sur Abdelkader...- Paris : Fiquet ; 1847, 35 p.
LACROIX P. Histoire de la voie et du règne de Nicolas 1er.Paris, 1865.
LOUIS Lataillade, Abdelkader adversaire et ami de la France. Ed. Pygmalion,Paris, 1984.
-**LACHERAF Mostefa**. L'Algérie nation et société/ Mostafa Lacheraf, Paris ,: François Maspéro, 1976.
-**Les Mémoires de MESSALI Hadj**.1898-1938/texte établi par Renaud de Rochebrune; préf.de Ahmed Ben Bella; postfaces de Charles André Julien, Charles Robert Ageron, Mohamed Harbi.-Paris: J-C. Lattés, cop.1982.
-**LESLY Blanch**.Les sabres du paradis, éd. Latès, 1990.
-**LE Tourneau, Roger,** évolution politique de l'Afrique du nord musulman (1920-1961), Paris, 1962.

LAMENAIRE, Vie aventures, combats, amours et prise de Abdelkader, Paris ,Peccatti , 1848 , 48 p, portr.
-LEBJAOUI Mohammed, Bataille d'Alger ou bataille d'Algérie, Gallimard, 1972, 301 p.
Lacoste Dujardin Camille, Opération oiseau bleu, des Kabyles, des ethnologues et la guerre d'Algérie, La Découverte, 1997, 308 p.,
FANNY -LESMINE Aîcha, La chrysalide: chroniques algériennes, Ed. Des femmes, 1976, 278 p.
-LACHERAF Mostefa, <<Les intellectuels, la politique et le pouvoir; Généralités et cas spécifiques dans les pays du Tiers-monde et en Algérie>>, in Algérie et Tiers-monde, agressions, Résistances et solidarités intercontinentales, Bouchene, Alger, 1989, 229 p.
-LEVINE Michel, Les ratonnades d'octobre, Ramsay, 1985, 311 p. **LEHURAUX Léon**, Islam et chrétienté en Algérie. Alger, Baconnier, sd, 149 p.
-LACHERAF Mostefa, Algérie, nation et société, Maspero, 1965, 351 p. **LACHERAF Mostefa**, Des noms et des lieux, mémoires d'une Algérie oubliée, Casbah Editions, Alger, 1998, 335 p.
-LEBJAOUI Mohamed, Vérités sur la révolution algérienne, Gallimard, 1970, 249 p.
-LOUANCHI Anne-Marie, sœur de Pierre Chaulet et épouse de Salah Louanchi, qui fut responsable de la Fédération de France, Salah Louanchi. Parcours d'un militant algérien,... éditions Dahleb, Alger, 1999, 204 p.
-LACOSTE Yves, NOUSHI André, Prenant.- L'Algérie, passé et présent. Le cadre et les étapes de la constitution de l'Algérie actuelle. Préf. De J. Dresch., Paris 1961, 462 p.
-LAMUNIERE Marc, Histoire de l'Algérie illustrée de 1830 à nos jours. Préf. De Max Pol Fouchet. Paris, Ed. Gonthier 1962, 218 p.
-LACHERAF I Mostefa, L'Algérie nation et société, Maspéro ,Paris ,1965,349 p. (reproduction d'articles de journaux et de revues parus d'avril 1954 à mars 1964).
-LECHANI. "L'esprit nouveau chez les jeunes indigènes" in La voix de Humbles, février 1929 et mars 1929.

LAMENAIRE, Vie aventures, combats, amours et prise de Abdelkader, Paris ,Peccatti , 1848 , 48 p, portr.
-LEBJAOUI Mohammed, Bataille d'Alger ou bataille d'Algérie, Gallimard, 1972, 301 p.
Lacoste Dujardin Camille, Opération oiseau bleu, des Kabyles, des ethnologues et la guerre d'Algérie, La Découverte, 1997, 308 p.,
FANNY -LESMINE Aîcha, La chrysalide: chroniques algériennes, Ed. Des femmes, 1976, 278 p.
-LACHERAF Mostefa, <<Les intellectuels, la politique et le pouvoir; Généralités et cas spécifiques dans les pays du Tiers-monde et en Algérie>>, in Algérie et Tiers-monde, agressions, Résistances et solidarités intercontinentales, Bouchene, Alger, 1989, 229 p.
-LEVINE Michel, Les ratonnades d'octobre, Ramsay, 1985, 311 p. **LEHURAUX Léon**, Islam et chrétienté en Algérie. Alger, Baconnier, sd, 149 p.
-LACHERAF Mostefa, Algérie, nation et société, Maspero, 1965, 351 p. **LACHERAF Mostefa**, Des noms et des lieux, mémoires d'une Algérie oubliée, Casbah Editions, Alger, 1998, 335 p.
-LEBJAOUI Mohamed, Vérités sur la révolution algérienne, Gallimard, 1970, 249 p.
-LOUANCHI Anne-Marie, sœur de Pierre Chaulet et épouse de Salah Louanchi, qui fut responsable de la Fédération de France, Salah Louanchi. Parcours d'un militant algérien,... éditions Dahleb, Alger, 1999, 204 p.
-LACOSTE Yves, NOUSHI André, Prenant.- L'Algérie, passé et présent. Le cadre et les étapes de la constitution de l'Algérie actuelle. Préf. De J. Dresch., Paris 1961, 462 p.
-LAMUNIERE Marc, Histoire de l'Algérie illustrée de 1830 à nos jours. Préf. De Max Pol Fouchet. Paris, Ed. Gonthier 1962, 218 p.
-LACHERAF I Mostefa, L'Algérie nation et société, Maspéro ,Paris ,1965,349 p. (reproduction d'articles de journaux et de revues parus d'avril 1954 à mars 1964).
-LECHANI. "L'esprit nouveau chez les jeunes indigènes" in La voix de Humbles, février 1929 et mars 1929.

-**LACHERAF Mostéfa**, "Notre glorieux contemporain A. Ben Badis entre le nationalisme algérien et la renaissance arabe", Alger, Ed. Ach-Chaâb, avril 1970, (Texte en langue arabe).
-**LACROSILLIERE Joseph**, Le Parti et la question nationale.
-**LAMBERT Gabriel**, Abbé, L'Algérie et le projet Viollette, Oran, Impr. F. Plaza,
s.d, (1937), 155 p.
-**LACOSTE Yves, NOUSCHI André, PRENANT André**, L'Algérie passé et présent .le cadre et les étapes de la constitution de l'Algérie actuelle.,Paris, ed.sociales.1960
-**LAMUNIERE Marc**, Histoire de L'Algérie illustrée de 1830 à nos jours, Ed.D'art Gauthier, Paris ,1962.
-**LARNAUD Marcel**, Algérie, Berger-Levrault, Paris ,1950.
-**LAROUI A**, Histoire du Maghreb, Essai de synthèse , Maspero, .Paris, 1970.
-**LAROUSSI Khelifa**, Manuel du militant Algérien.Lausanne.La cité, 1962.

-**LEBJAOUI Mohamed**, Vérités sur la révolution Algérienne, Gallimard., Paris 1970.
-**LEHURAUX Léon**, Islam et chrétienté en Algérie, Alger, Baconnier, sd.
MILI Embarek-al,-Tarih al Djazaïr Fil quadim wa hadith (Histoire de l'Algérie dans l'antiquité et la période moderne, t.I Constantine 1347- 1938, t. II, Constantine 1350-1936.
-**MADANI Ahmed Tawfik,,** Kitab al Djezair (Le livre de l'Algérie). 1931.
-**MADANI Ahmed Tawfiq,,** Hayat Kifah (Vie Combat),SNED, Alger, 1977, 435 P.
-**MOREL Jacques**, "L'élite moderne algérienne entre les deux guerres, Mémoire de maîtrise, Histoire, Aix-en-Provence, Institut d'histoire des pays d'outre mer, 1968.
-**MILLIOT Louis**, Notre politique musulmane. Paris Gamber, 1926, 43 p.

-**MERAD Ali**, "LEnseignement religieux de Mohamed Abduh aux Algérien" in Orient (28). 4ème trimestre 1963, pp. 75-124.
-**MERAD Ali**, "L'enseignement politique de Mohamed Abduh aux Algériens (1903)", in Confluent (42-43), juin juillet 1964, pp. 643-689.
-**MOHENDIS L**, "L'évolution religieuse à Mila (Algérie)", in Renseignements coloniaux du Comité de l'Afrique française, 1938, pp. 32-34.
-**MESSUD G**, Le problème de l'Algérie et son statut, Ed. Du Monde, 1947, 24 p.
-**MERCIER André**, Contribution à l'étude des réformes politiques, sociales et économiques en faveur des musulmans français d'Algérie (déc. 1943- mai 1944). Alger Imprimerie Officielle, 1944, 72 p.
-**MARTIMPREY Le général compte E. CH. De**. Souvenirs d'un officier d'état-major. Histoire de l'établissement de la domination française dans la province d'Oran, 1830 à 1847,Paris, 1886.
-**MERLIEUX Edouard**.Souvenirs d'une Française captive de Chamyl, Paris, 1857.
-**MONIN (F)**.Abdelkader, littérateur et philosophe.Lyon, 1896.
-**MONTPEREUX F Dubois de**.Voyage autour du Caucase, chez les Tchétchènes Abkhases, et en Arménie, Géorgie et Crimée, Paris, 1839.
-**Michel CHODKIEWICZ**.L'Emir Abdelkader- écrits spirituels, Seuil, , Paris, 1982.
-**MAHSAS Ahmed**.Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie,de la 1ère guerre mondiale à 1954/Ahmed Mahsas, L'Harmattan, Paris ,1979.
-**MERAD Ali**.Le réformisme musulman en Algérie (1925-1940), Paris, 1967.
-**MARTIN Claude,**.Histoire de l'Algérie Française (1830-1962), Paris, 1963.
-**MELLA Jean**.Histoire et la guerre 1914-1918/Jean Melia.- Paris : Plon, 1918.

-**MIMOUNI Rachid,** Le Fleuve détourné, Robert Laffont, 1982, 224 p.;
L'honneur de la tribu, 1989, 218p.
-**MILI Mubarak Muhammad**, Ibn Badïs wa 'urubat ul jazâ-ir, Dâr Al Adab, Beyrouth, 1973, 248 p.
-**MERAD Ali**, Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940. Essai d'histoire religieuse et sociale, Mouton, La Haye, Paris, 1967, 472 p.
-**MEGHERBI Abdelghani**, Les -SAHLI Mohamed Chérif, Décoloniser l'histoire, introduction à l'histoire du Maghreb, Maspero, 1965, 15
-**OULD MOUSSA Belkacem**, Les chemins de l'indépendance, Sindbad, 1981, 321 p.
-**MOKDAD Souad**, Domination coloniale et rupture nationaliste, OPU, Alger, 1984, 190 p.
-**MILI Mubarak Muhammad al**, Frantz Fanun wa l thawrat ul jazâ-iriyya, Dâr ul Adab, Beyrouth, 1973, 197 p.
-EL KENZ Ali, Au fil de la crise, cinq études sur l'Algérie et le monde arabe,Bouchene/ENAL, Alger, 1993, 165 p.
-**MAMERI Khalfa, Abane Ramdane**, héros de la guerre d'Algérie, L'Harmattan, 1998, 334 p.
-**MEKHALED Boucif**, Chronique d'un massacre, 8 mai 1945, Sétif, Guelma, Kherrata, Syros/Au Nom de la Mémoire, 1995, 250 p.
-**Mouloud Qâsim Naït Belkacem** , Révolution , algérienne et décolonisation: les premières réactions sur les plans interne et externe et leur impact après le 1er novembre, El Baath, Constantine, 1984, 250 p.
-**MAHSAS Ahmed,** Le mouvement révolutionnaire en Algérie de la première guerre mondiale à 1954. Essai sur la formation du mouvement national, L'Harmattan, 1979, 367 p.
-**MESSALI hadj** (1898-1974), Le Sycomore, 1982, réédit.L'Harmattan,1986,301p.
-**MEKHALED Boucif,** Chronique d'un massacre, 8 mai 1945, Sétif, Guelma, Kherrata, Syros/Au Nom de la Mémoire, 1995, 250 p.
-**MAMERI Khalfa, Abane Ramdane**, héros de la guerre d'Algérie, L'Harmattan, 1998, 334 p.

-**MILI Mubarak Muhammad al**, Frantz Fanun wa l thawrat ul jazâ-iriyya, Dâr ul Adab, Beyrouth, 1973, 197 p.
-**MILI Mubarak Muhammad,** Ibn Badïs wa 'urubat ul jazâ-ir, Dâr Al Adab, Beyrouth, 1973, 248 p.
-**MONETA Jacob**, Le P.C.F et la question coloniale, 1920-1965.Paris, Maspéro, 1971.
-**MORINAUD,** Mes mémoires. Alger, Baconnier, 1941.
-**MERAD Ali,** Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940. Essai d'histoire religieuse et sociale, Mouton, Paris-La Haye, 1967, 472 p. -**MEGHERBI Abdelghani,** Les - SAHLI Mohamed Chérif, Décoloniser l'histoire, introduction à l'histoire du Maghreb, Maspero, 1965, 15
-**OULD MOUSSA Belkacem**, Les chemins de l'indépendance, Sindbad, 1981, 321 p.
-**MOKDAD Souad,** Domination coloniale et rupture nationaliste, OPU, Alger, 1984, 190 p.
-**MIMOUNI Rachid**, Le Fleuve détourné, Robert Laffont, 1982, 224 p.;
L'honneur de la tribu, ibid., 1989, 218p.
-**M'HAMSADJI Kaddour** La dévoilée, Subervie, Rodez, 101 p.
-**MADANI Ahmed** Tawfiq ala Haiyyat kifah, Mudhakkirât, t.l: fi, Tunis, 1905- 1925, Al muassassa l wataniyya lil Kitab, Alger, 1988, 351 p. ; fi l jazâ-ïr, 1925-1954, 435 p. (Mémoires); seul le premier volume a été traduit en français sous le titre Mémoires de combat, co-édition E.A.P. , OFUP, ENAL, Alger, 1989, 366 p.
MURACCIOLE L.,L'émigration algérienne. Aspects économiques, sociaux et juridiques, Ferraris, Alger, 1950, 207 p., I.N.E.D., Les
-**MURACCIOLE L.**, L'émigration algérienne. Aspects économiques, sociaux et juridiques, Ferraris, Alger, 1950, 207 p., I.N.E.D., Les Alériens en France, Etude démographique et sociale. Travaux et Documents n° 24, P.U.F., 1955, 166 p.
-**MAHBOUB Ali**, "Le problème des réformes algériennes", in Renseignements coloniaux du Comité de l'Afrique française, 1935, pp. 25-30.

-**MERAD Ali**, "L'Emir Khaled (1875-1936) vu Ibn Badis (1889-1940)", in Revue de l'Occident Musulman (9), 1er semestre 1971, pp.21-36.
-**MAKACI Kaddour**, La faillite de la naturalisation individuelle en Algérie et l'octroi des droits politiques aux musulmans dans le statut personnel, Mostaganem, Imp. De l'Aïn Sefra, 1936, 40 p.
-**MOUTON Marie-Renée**, "L'Algérie devant le parlement français de 1935 à 1938", in Revue française de science politique, XXII, mars 1952, pp. 93-128.
-**MESSUD G,** Autour du statut de l'Algérie, Ed. "Monde". Paris ,1947, 24 p.
-**NETTEMENT Alfred François**, Histoire de la conquête d'Alger, écrite sur des documents inédits et authentiques,Paris , 1856.
-**Nina BACHKATOV et Andrew WILSON** .Tchétchènie.Histoire d'un conflit ,1985.
-**NAEGELEN M.E**, Mission en Algérie, Flammarion Laffont, Paris 1965, 347 p.
-**NADIR Ahmed,** Le mouvement réformiste algérien. Son rôle dans la formation de l'idéologie nationale. Thèse 3me cycle Sc. Politiques, Paris, 1968, 274 p.
-**NACEUR Abderrahmane**, Les enfants des frontières, ENAL, 1983, 227 p.
-**NOUSCHI André**, "Le sens de certains chiffres : croissance urbaine et vie politique en Algérie (1926-1936)", in Etudes Maghrébines. Mélanges Ch. A. Julien, Paris, P.U.F. 1964, PP. 199-210.
-**NAROUN Amar**, Ferhat Abbas ou les chemins de la souveraineté, Denoël, 1961, 183 p.
-**NOUSCHI André**, La naissance du nationalisme algérien, 1914-1954 Paris. Ed. De Minuit 1962, 164 p.
-**NAEGELEN M.E**, Mission en Algérie, Flammarion Laffont, Paris, 1965, 347 p.
-**NAROUN A et JUIN Maréchal A**, Histoire parallèle, La France en Algérie 1830-1962, Paris, librairie académique Perrin, 1963.

-**NORA Pierre**, Les Français d'Algérie, Préface de CH.A.Julien.Paris, Julliard, 1961.252p.
OUZEGANE Amar, Le Parti communiste au service des populations algériennes, Ed. Liberté, Alger Vers 1946.
Parti Communiste Algérien- Le Parti Communiste algérien. Ecole élémentaire du Parti. Cours n° 1, Alger 1947, 16 p.
Parti Communiste Algérien- Le Parti Communiste et l'avenir de l'Algérie. Série, Ecole Elémentaire du Parti. Alger, 1947. 24 p.
Parti Communiste Algérien- Pour une Algérie, unie et démocratique. Le bilan d'un an d'activité au service du peuple, mars 1946-avril 1947.
Parti Communiste Algérien- La campagne électorale, Alger, 1948, 15 p.
Parti Communiste Algérien- L'Assemblée algérienne, Alger, 1948,15 p.
Parti Communiste Algérien- Conseils pour la préparation et la tenue des conférences de sections et de régions, janvier 1949, 16 p.
Parti Communiste Algérien- Le Congrès de 1951. Dans l'action et les réalisations, Alger 1951, 13 p.
Parti Communiste Algérien- En avant vers le VIème Congrès national de notre Parti, Alger, Imp. Koechlin, 1951, 12 p.
-**OUZEGANE Amar**, Le meilleur combat, Julliard ,Paris 1962, 309 p.
OUZEGANE Amar, Le Meilleur combat, Julliard, Paris ,1962, 312 p.
-**OHNECK Wolgang**, Die franzosische Algerian politik don 1919-1939, Cologne, Westdeutscher Verlag, 1967, 191 p.952, pp. 93-128.
-**ORIENT N.d, et Loew M**, "La question algérienne", Préf. De Francis **OUHAIOUNE Chaâbane,** Parmi les collines invaincues, ENAL, 1984, 251 P.
OUARY Malek, Par les chemins d'émigration, Société Algérienne de Publications, Alger, 1955, 175 p.
-**OPPERMAN Thomas**, Le problème algérien (données historiques, juridiques, politiques), traduit de l'allemand par Jean Lecerf, Paris Maspéro 1961, 317 p.

-**OUASTI Abdelmalek,** le démineur, SNED-Publisud, Alger-Paris, 1983, 110 p.
-OU**HAIOUNE Chaâbane**, Parmi les collines invaincues, ENAL, 1984, 251 P.
.- **OUARY Malek**, Par les chemins d'émigration, Société Algérienne de Publications, Alger, 1955, 175 p.
-**OUGOUAG Abdelkader**, Les grands procès. Organisation Secrète: Oran, 6 mars 1951. Politique: Alger, 29 octobre 1955, Dahlab, Alger,
1992, 217 p.
-**OHNECK Wolgang**, Die franzosische Algerien Politik von 1919-1939,Cologue,westdeutscher Verlag,1967.
-**OUAMARA Achour**, "Analyse du discours nationalitaire algérien (1930-1954)", Mots (13), 1986: 10, pp. 131-159.
-**PELLISSIER de Reynaud**. Annales Algériennes nouvelles ed .revue corrigée et continuée jusqu'à la chute d'Abdelkader. Paris. 1854. 3 vol.
-**PIERRE Laffont**. Histoire personnelle de la France au XIX^{é} siecle.Laffont, 1986.
-**PIQUET Victor**, L'Algérie française, un siècle de colonisation, 1830-1930. Paris 1930, 413 p.
-**PAILLARD Jean**, Faut-il faire de l'Algérie un dominion, Sorlot, Paris, 1939, 112 p.
-**PEYROUTON M**, Histoire générale du Maghreb, Maroc. Algérie. Tunisie des origines à nos jours. Préf. De Jérôme Carcopino. Paris A. Michel 1966, 284 p.
-**PAPON Maurice**, Les chevaux du pouvoir, le préfet de police du général De Gaulle ouvre ses dossiers, Plon, 1988, 539 p.
PEYROUTON Marcel,Histoire générale du Maghreb,Paris,A Michel,1966.
-**PICKLES Dorothy**, Algeria and France,London,1963.
-**PIERRE BLOCH**,Algérie ,terre des occasions perdues,Paris,Ed.des deux rives.1961.
-**PODHORSKA REKLAJLIS Elzbieta**, Etre une nation, problèmes de la culture en Algérie contemporaine.En polonais, avec un condensé français, Varsovie, Ed.scientif.de l'état, 1971.

-**QANANACH Muhammad,** A l masira l wataniyya wa ahdâth 8 mayo 1945, manchurât Dahlab, Alger, 1991, 96 p.
-**QUANDT William B**, Revolution and political leadership.Algeria, 1954-1968, Cambridg, M.I.T.Press, 1969.
-Quelques éléments bibliographiques pour servir d'approche à l'étude du parti communistes Algérien de 1919 à 1954, in Revue Algérienne, 1972.
-Question Algérienne, Ed.de Minuit, Paris 1958.
-**ROSSANO Fawzi Didar**, Mémoires d'une militante communiste du Caire à Alger, Paris et Genève,lettre aux miens, L'Harmattan, 1997, 287 p.
-**RENE R Khawam**. Abdelkader. Lettre aux français Phébus.1984.
-**REKIBI Abdallah**, Qadâyât arabiya fi-l-nathr al-djazaïri al mo'asir. (Cause arabes dans la prose algérienne contemporaine). Le Caire 1970, 175 p.
-**ROSSIGNOL P**, Les partis politiques musulmans en Algérie de leur origine au 1er novembre 1954. (Thèse de droit. Paris 15 juin 1962, 306-XXVI p. dactyl.
-**REY COEDEZEIGUER Annie**, "Quelques témoignages pour une étude du parti communiste algérien dans la Méditerranée de 1919 à 1939, 1er trim. 1969, pp. 31-34 (Publication de la Fac. Lettres de Nice).
-**RAZAK Abd El Kader,** Le monde arabe à la veille d'un tournant, Maspero, 1966, 198 p. Maspero, 1966, 198 p.
-**RAGER Jean-Jacques**, L'émigration en France des Musulmans d'Algérie, Imprimerie du Gouvernement Général, "Documents algériens", Alger, 1956, 126 p.
ROUINA Karim Miloud, Essai d'étude comparative de la guerre d'indépendance de l'Algérie de 1954-1962 à travers deux villes: Oran, Sidi Bel Abbès, thèse 3e cycle, université Paul Valéry, Montpellier, 1980, 490 p
RAHMANI Abdelkader, L'affaire des officiers algériens, Ed.Seuil, 1959,173 p
RAKIBI ' Abdullah,Dhikriat min il thawra l jazâ-iriyya 1954-1958, Alger, al mu-assassa l wataniyya lil kitab, 1985, 243 p.

-**Al munazama l wataniyya lil mujâhidïn**, Min ma'arik il thawra l jazâ-iriyya, Al Thaqâfa, Alger, 1983, 360 p. Min chuhada l thawra l jazâïriyya, 1983, 306 p.
-**REBOUX Paul**, Notre Afrique du Nord. Maroc, Algérie, Tunisie.La valise ou le cercueil, Bruxelles, Chabassol, 1946.
-**ROSSIGNOL Pierre**, Les partis politiques musulmans en Algérie de leur origine au 1er novembre 1954, thèse, Paris, Faculté de droit, 1962
-**SURDON Georges,** La France en Afrique du Nord, Ed. Alger Républicain, Alger 1946, XV-890 p.
-**SALHI Mohamed Cherif, Abdelkader**, chevalier de la foi. Alger. En- Nahda, 1933; réé. "L'ALGÉRIEN en Europe", 1967, 110 p.
-**SAHLI Mohamed Cherif**, Décoloniser l'Histoire. Introduction à l'histoire du Maghreb. Paris Maspero 1965, 150 p.
-**SERVIER André,** L'Islam et la psychologie du musulman, préface de L. Bertrand, , Challamel, Paris 1923, 480 p.
-**SIVAN Emmanuel,** "Communisme et nationalisme en Algérie 1920-1962. Paris, Fondation Nationale des Sciences Politiques,1976, 262 p.
-**SPIELMANN Victor,** "Les événements de Constantine et le problème indigène algérien, Alger, Ed. Trait d'Union, 1935, 56 p.
-**SERRIER René**, "Le Front populaire et les Indigènes", in En Terre d'Islam. Juillet août 1936, pp. 241-247.
-**SPIELMANN Victor**, La colonisation et question indigène, Alger, Ed. Du Trait d'Union, 1922.
SPIELMANN Victor, L'Emir Khaled. Son action politique et sociale en Algérie de 1920 à 1933. Un aspect de la question indigène algérienne, Ed. Du Trait d'Union, Alger 1938.
-**SAADALLAH Belkacem**, The rise of Algerian Nationalism, Thèse University of Minnesota, 1965, éditée en langue arabe sous le titre: Le mouvement du nationalisme algérien 1900-1930, Beyrouth, Dar Al Adab,1969, 556 p. (bibliographie).

-**SERVIER André**, Le péril de l'avenir, le nationalisme musulman en Egypte, en Tunisie et en Algérie. Constantine Boët, 1913, II-239 p.
-**SIVAN Emmanuel**, "Communisme et nationalisme en Algérie 1920-1962. Paris, Fondation Nationale des Sciences Politiques 1976, 262 p.
-**SOULIE J.L.**, "Abd-el-Hamid ben Badis (1889-1940): Sa prédiction dans le sud Constantinois", in L'Afrique et l'Asie (1966), n° 75, p.
-**SARRASIN P.E.**, La crise algérienne, Ed. Du Cerf, Paris, 1949, 248 p.
-**SAVARY Alain**, Nationalisme algérien et grandeur française,Plon, Paris 1959, 224 p. (Collection Tribune libre).
-**SAADI Yacef**, La bataille d'Alger, Ed. Casbah 1997, 3 vol.: t.l:L'embrassement, 407 p.; t.2 : L'affrontament, 255 p.; t.3: Le démantèlement, 292 p.24 Yacef Saadi avait publié auparavant Souvenirs de la bataille d'Alger, décembre 1956-septembre 1962, Julliard, 1962, 127 p. Et la bataille d'Alger, l'embrasement, ENAL, Alger, 1984, 406 p.
- **SIMON Pierre-Henri**, Contre la torture, Seuil, 1957, 125 p.
.,
- **SAYAD Abdelmalek et Pierre Bourdieu**, Le déracinement, la crise l'agriculture traditionnelle en Algérie, Minuit, 1964, 228 p.
SAYAD Abdelmalek, <<Elghorba : le mécanisme de reproduction de l'émigration>>, Actes de la Recherche en Sciences Sociales, 1975, n°2, pp. 50-66.
-**SERAY Hedi**, La trahison; le roman d'une porteuse de valises du FLN, Ed. Pierre Marcel Favre, 1984, 234 p.
Sa'adallah Abûl Qâsim Abhâth wa ara' Târikh il jazâ-ïr, al Charika 1 Wataniyya lilnachr wa l, tawzï', Alger, t. I 1981, 411 p.; t. 2, 1986, 3.
-**STORA Benjamin**, Les sources du nationalisme algérien. Parcours idéologiques, origines des acteurs, L'Harmattan, 1988, 195 p.
. -**SIMON Jacques**, Messali Hadj, (1898-1974), La Passion de l'Algérie libre, Tirésias, 1998,250p.9.

-STORA Dictionnaire biographique de militants nationalistes algériens, 1926-1954,
L'Harmattan, 1985, 404 p.
SOURIAU HOEBRECHTS Christiane, La presse Maghrébine. Libye, Tunisie, Maroc, Algérie, Paris, C, N, R, S.
-SPILLMANN Georges, L'Afrique du Nord et la France, Paris, Boursiac, 1947.
TAZEROUT Mohand,- Histoire politique de l'Afrique du Nord, Ed. Subervie, 1961. 175 p.
-TALBI Ammar,Athar ibn Badis (I'dad a wa tasnif Ammar Talbi), (Oeuvres d'Ibn Badis Présentées et classées par Ammar Talbi), Alger Librairie de la Société algérienne 1968, 4 tonnes, 507, 533, 575 et 263 p.
-TALEB Bendiab A,- "Précisions structurelles sur le Congrès musulman algérien, in R.A.S.J.E.P., vol XI, n° 14, déc. 1934, pp. 163-174.
-TEMIMI Abdeljali. Recherche et documents d'histoire maghrébine. Tunis 1980.
-TALEB Ibrahimi Ahmed, De la décolonisation à la révolution culturelle, 1962-197.
-TRIMA Mohammed Bachir, Le FLN algérien à travers son organe central"El Moudjahid", 1956-1962, thèse 3^{e} cycle histoire, université Paris V, 1973.
-TRODI El Hachemi, Larbi Ben M'hidi, L'homme des grands rendez-vous, ENAG, collection Témoignages, Alger, 1991, 190 p.
-TEGUIA Mohamed, L'Algérie en guerre, OPU, Alger, s.d. (vers 1980), 786 p.
-TALEB Ibrahimi Khaoula, Les Algériens et leurs langues, Edit. El Hikma, Alger, 2^{e} édit. 1997, 331 p.
-TRIDI Rachid, L'Algérie en quelques maux, autopsie d'une anomie, L'Harmattan, 1992, 280 p.
TALEB Ibrahimi Ahmed, Lettres de prison, S.N.E.D., Alger, 1966, 135 p.
-THOREZ Maurice, Choix de textes sur l'Algérie, Paris, Editions Sociales, 1962.

-**VROLIK F,** Mémoire sur l'évolution de la jeunesse musulmane d'Algérie de 1930 à 1937. 148 p. ronéotées.
-**VALEE Maréchal**.Correspondant du maréchal Valée, publiée par G.Yver.paris.1949-1958. 5 vol.
-**VATIN Jean Claude**,- L'Algérie politique. Histoire et société. Fondation des Sciences politiques, Paris Colin, 1974, 311 p.
-**VALLET Eugène**, Les événements de Constantine, 5 août 1934.
-**VATIN Jean-Claude,** "Conditions et formes de la domination coloniale en Algérie (1919-1945)", in R.A.S.I.P.E., n° 4, 1972, pp. 873-906.
Vidal-Naquet, de L'affaire Audin, Minuit, 1958 (réédit. Augmentée, 1989, 191 p.) Aux Crimes de l'armée française, Maspero, 1975, 176 p., en passant par la raison d'Etat, Minuit, 1962, 300 p., La torture dans la République, Minuit, 1972, réédit. Maspero, 1975, La Découverte, 1983, Minuit, 1998 de jean-luc Einaudi pour l'exemple… et la ferme Améziane Enquête sur un centre de torture pendant la guerre d'Algérie, L'Harmattan,1991, 117 p
-**WILLIAMS Ann**, Britain and France in the Middle East and North Africa, New-York,New-York,St Martin's Press,1968.
-**WISNER Sylvain**, L'Algérie dans l'impasse, Ed. Paris,Spartacus, 1949.
-**WILLIAMS Ann**, Britain and France in the Middle East and North Africa, New-York,New-York,St Martin's Press,1968.
-**WISNER Sylvain**, L'Algérie dans l'impasse, Paris, Ed.Spartacus, 1949.
-**YACONO Xavier**, "L"algérie depuis 1930" in Revue Africaine, 1956, tome 100, pp. 145 à 190 (porte sur la période 1931-1956). Centenaire de la société Historique algérienne 1856-1956 ou Gouvernement général de l'Algérie. Sous-direction des Beaux Arts.- Vingt cinq ans d'histoire algérienne. Recherches et publications 1931-1956 IV. L'Algérie depuis 1830, 46

-**YOUSFI M'Hamed**, L'O.A.S. et la fin de la guerre d'Algérie, ENAL, Alger, 1985, 223 p
-**YOUSFI M'HAmed,** Le complot (Algérie 1950-1954), ENAL Alger, 1986, 234, p.
-**ZUBAYRI Muhammad al 'Arabï**, Al thawra l jazâ-iriyya fi' amihalawal,
Alger,al mu-assassa l wataniyya lil kitab,1985,262 p.
-**ZEHRAOUI Ahsène,** Les travailleurs algériens en France, Maspero, 1971, 174 p.
-**ZERARI Rabah**, dit Azzedine, Commandant, On nous appelait fellaghas, Stock, 1976, 345 p16.
-**ZOUZOU Abdelhamid**, Le rôle des émigrants algériens dans le mouvement nationaliste algérien en France. Mémoire de D.E.A. Fac des lettres Alger.
ZOUAMEROFF Philippe,Abdelkader.1994

LIVRES CONCERNANT LE MOUVEMENT NATIONAL ET LA REVOLUTION ALGÉRIENNE 01 NOVEMBRE 1954

-**AOUALI Smail, Ramdane REDJALA. Philippe ZOUAMEROFF**.Abdelkader.1994.

-**ABBAS Farhat**.La nuit coloniale, Paris, 1962.

-**AUBIER Lieut Col. A**. La bataille de Sikkak 6 juillet 1836.Rev. De cavalerie (à part, Berger levrault.1905).

-**Abdelkader BOUTALEB**.L'emir Abdelkader BOUTALEB et la formation de la nation Algérienne Ed Dahlab, 1990.

-**Annia REY GOLDSEIGNER**.Le royaume arabe, S N E D, Alger, 1977.

-**Alexandre BENNINGSER et CH. L.**Quelquejay, le soufi et le commissaire, confréries musulmans en U.R.S.S, seuil, 1986.

-**ARON Rober** et **AL**. Les origines de la guerre d'Algérie, Paris, 1962.

-**AGERON Charles Robert**. Histoire de l'Algérie contemporaine : 1830-1979/Charles Robert Ageron 4ème Ed.Mise a jour, Paris : P.U.F, 1970.

- **AGERON Charles Robert**. Histoire de l'Algérie contemporaine : 1830-1988/Charles Robert Ageron.9ème Ed.Paris : presses universitaires de France .cop.1964.

-**Bachir IBRAHIMI**. Athar el Ibrahimi.S.N.E.D.Alger.3Vol .1979.

-**BELLEMARE A**. Abdelkader. Sa vie politique et militaire. Paris. 1854.

-**BENNACHENOU Abdelhamid**. L'état Algérienne en 1930.ses institutions sous l'Emir
.Alger, 1969.

-**BERBRUGER Adrien**. Échange des prisonniers. Discours prononcé à la chambre des
Députés. (8 juin 1838). Paris, 1844.

-**BRUNO Etienne**. Abdelkader. Hachette 1994.

-**BUGEAUD Le Maréchal**. Le traité de la Tafina. Paris, 1925.

-**BEN KHEDDA Benyoucef**. Les origines du 1er Novembre 1954 / Benyoucef Ben Khedda
-Alger. Ed Dahlab.1989.

-**CHRISTIAN P** .Pseudonyme de pitios, l'Afrique Française, l'empire du Maroc et le désert
du Sahara. Histoire nationale des conquêtes, victoire, et nouvelles découvertes des français
depuis la prise d'Alger jusqu'à nos jours. Paris, 1846.

-**CIVRY Contre Eugène de**.Napoléon III et Abdelkader.Charlemagne et witkind. Étude
historique et politique. Biographie de l'émir contenant un grand nombre de lettre et de
documents inédits avec un fac-similé et un portrait sur acier. Paris, 1853.

- **CHURCHILL Charles Henri**. La vie d'Abdelkader, S N E D, Alger, 1977.

-**CUSTINE Astolphe de**. La Russie en 1839.Paris 1843.

-**CHEIKH Bouamrane et L. GARDET**. Panorama de la pensée islamique, Sindbad, 1985.

-**CHAOUCHE RAMDANE, Zoubir**. L'Algérie à travers la presse Française et Algérienne
de gauche de 1945 à 1955/Zoubir CHAOUCHE RAMDANE.Paris : université de droit,
d'économie et de sciences sociales de paris, 1979.
Th.Doct. 3e cycle : science de l'information : université paris 2 : 1979 Bibliogr.

-**DELPIN G.Chamyl**. Le prophète au caucase.Paris 1854.

-**DRESCH Jean**. La question Algérienne/jean dresch, Charles André Julien, Henri Marron,
Alfred Sauvy, Pierre Stibbe.paris: Ed.De minuit, cop. 1958.

-**DEEMER,Lee Robert**.Regional politics in a unitary system : colonial Algeria:1920-
1954/Lee Robert Deemer.Columbia: Columbia University, 1972.
Th.:Ph.D.: Columbia university: 1972.

-**DERMENGHEIM E**. Les souvenirs de L'Emir dans la région de Mascara. Synthèse de
l'activité Algérienne.1849.Alger, 1950.

-**DUMAS Alexandre**. Impression de voyage.Paris.1868.

-**ESTAILLEUR Chanteraine Philippe D**. Abdelkader. L'Europe et l'Islam au XIXé. Paris,
1947.

-**ENFANTIN**.Colonisation de l'Algérie /Enfantin...-Paris : p.Bertrand, 1843.

-**FRANCE NAPOLEON MAURICE Pseud A de.** Les prisonniers d'Abdelkader ou cinq mois de captivité chez les Arabes. Paris, 1837.

-**FAVROD Charles Henri**.La révolution Algérienne, Paris, 1962

-**GAUTIER Théophile**. Voyage en Russie.Paris.1867.
Les religions et les philosophes dans l'Asie Centrale.Paris.1865.

-**GOSSET Pierre R**. Conspiracy in Algeria (1952-1943), New York, 1945.

-**GILLESPIE Jean**, Algeria rebelion and revolution, New York

-**GOLOVIN Ivan**. La Russie depuis Alexandre le bien intentionné. Paris, 1859.

-**GONTOR Jagues R**. Algeria and France (1930-1963), Indiana, 1965.

-**GLIBERT Léon**.Histoire de l'Algérie ancienne et moderne depuis les premiers
établissements des carthaginoise Jusques et y compris les dernières campagnes du général
Bugeaud avec une introduction sur les divers systèmes de colonisation qui ont précédé la
conquête Française/par Léon Galibert,...-Paris : furne et Cie, 1843.

-**HERZEN Alexandrer**. Du développement des idées révolutionnaires en Russie. Paris, 1851.

-**HOMMAIRE de Hell Xavier**. Voyage dans les steppes du midi de la Russie.3 vol.Paris.1844.

-**HUGONNET Fed**. Français et Arabes en Algérie.Larmoricière, Bugeaud, Dumas, Abdelkader Paris, 1860.

-**HANNACHE Ahmed**. La longue marche de l'Algérie combattante : 1830-1962/Ahmed HANNACHE.Alger : Dahleb, cop.1990.

-**IBN BADIS Athar**. Abdoulhamid Ibn Badis 4.v.1985.

-**JULIEN Ch. André**. Histoire de l'Algérie contemporaine.T.I : La conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871.Paris, 1964.

- **JULIEN Charles André**.L'Afrique du nord en marche, Paris, 1952.

- **JULIEN Charles André**.Une pensée anticoloniale : positions 1914-1979/Charles André Julien, avec la collaboration de Magali Morsy.Paris : Sindbad, cop.1979.

-**JACQUES Berque**.L'islam au temps du monde, Paris, Sindbad, 1984.

-**JUIN Alphonse**. Histoire parallèle : la France en Algérie : 1830-1962/Alphonse Juin, Amar Naroun.-librairie académique Perrin, cop.1963.

- **KHADDACHE Mahfoud**. L'Emir Khaled.l'Hamattan, paris.

- **KHADDACHE Mahfoud**.La vie politique à Alger (1919-1936), Alger, 1970.

- **KHADDACHE Mahfoud**.L'Algerie dans l'histoire/Mahfoud Kaddache, Djilali Sari.-Alger : Office des Publications Universitaires : Entreprise Nationale du livre, cop.1989.5 : La résistance politique (1900-1954), bouleversement Socio-économiques.283p.
Bibliogr.p.279-282.

-**LACROIX P**. Histoire de la voie et du règne de Nicolas 1er.Paris, 1865.

-**LOUIS Lataillade**. Abdelkader adversaire et ami de la France. Ed. Pygmalion.Paris, 1984.

-**LACHERAF Mostefa**.L'Algérie : nation et société/ Mostafa Lacheraf.- Paris : François Maspéro, 1976.

-**Les Mémoires de MESSALI Hadj**.1898-1938/texte établi par Renaud de Rochebrune; préf.de Ahmed Ben Bella; postfaces de Charles André Julien, Charles Robert Ageron, Mohamed Harbi.- Paris: J-C. Lattés, cop.1982.

-**LESLY Blanch**.Les sabres du paradis, édition Latès, 1990.

-**LE Tourneau, Roger,** évolution politique de l'Afrique du nord musulman (1920-1961), Paris, 1962

-**MARTIMPREY Le général compte E. CH. De**. Souvenirs d'un officier d'état-major.
Histoire de l'établissement de la domination française dans la province d'Oran, 1830 à 1847.Paris, 1886.

-**MERLIEUX Edouard**.Souvenirs d'une Française captive de Chamyl, Paris, 1857.

-**MONIN (F)**.Abdelkader, littérateur et philosophe.Lyon, 1896.

-**MONTPEREUX F Dubois de**.Voyage autour du Caucase, chez les Tchétchènes Abkhases, et en Arménie, Géorgie et Crimée, Paris, 1839.

-**Michel CHODKIEWICZ**.L'Emir Abdelkader- écrits spirituels, Paris, Seuil, 1982.

-**MAHSAS Ahmed**.Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie : de la 1ère guerre mondiale à 1954/Ahmed Mahsas.-Paris : L'Harmattan, c.1979.

-**MERAD Ali**.Le réformisme musulman en Algérie (1925-1940), Paris, 1967.

-**MARTIN Claude**.Histoire de l'Algérie Française (1830-1962), Paris, 1963.

-**MELLA Jean**.Histoire et la guerre 1914-1918/Jean Melia.-Paris : Plon, 1918.

-**NETTEMENT Alfred François**. Histoire de la conquête d'Alger, écrite sur des documents inédits et authentiques. -Paris : 1856.

-**Nina BACHKATOV et Andrew WILSON**.Tchétchènie.Histoire d'un conflit ,1985.

-**OPPERMANN Thomas**.Le problème Algérien : données historiques, juridiques, politiques/Thomas Oppermann; préf.Alfred Grosser, trad de l'allemand par J.Lererf.-Paris : f Maspéro, 1961.

-**PELLISSIER de Reynaud**. Annales Algériennes nouvelles ed .revue corrigée et continuée jusqu'à la chute d'Abdelkader. Paris. 1854. 3 vol.

-**PIERRE Laffont**. Histoire personnelle de la France au XIX^{é} siecle.Laffont, 1986.

-**RENE R Khawam**. Abdelkader. Lettre aux français Phébus.1984.

-**TEMIMI Abdeljali**. Recherche et documents d'histoire maghrébine. Tunis 1980.

-**VALEE Maréchal**. Correspondant du maréchal Valée, publiée par G.Yver.paris.1949-1958. 5 vol.

الفهرس العام المفصل :

الإهداء

تقديم

الخطة المعتمدة

- **مدخل :** مصطلح الحركة الوطنية (المفاهيم المتعددة)
- المفهوم العام لمصطلح الحركة الوطنية
- المفهوم الدقيق للحركة الوطنية

الفصل الأول :الأساس الديني و المنطلق الثقافي للحركة الوطنية الجزائرية:

(1830م- 1954م)

أ ــ الأساس الديني :

1 ــ الإسلام كعقيدة ترفض الخضوع للمستعمر

1.1 - الإسلام دين مهيمن على الديانات الأخرى
2.1-الإسلام دين الجهاد ضد المعتدي على بلاده

2 – دور الطرق الصوفية في إذكاء المقاومة الوطنية

1.2 المقاومة العسكرية

- دور الحاج سيدي السعدي
- الأمير عبد القادر
- دور الطريقة الرحمانية
- ثورة بو بغلة ولالة فاطمة نسومر
- ثورة المقراني والشيخ الحداد:
- دور الطريقتين الدرقاوية والطيبية في المقاومة
- دور الطريقة السنوسية في المقاومة

2.2 المقاومة الاجتماعية والثقافية

- موقف الطرق الصوفية من السياسة التعليمية الفرنسية

3 – البعد الإسلامي في الإصلاح السياسي والإجتماعي

1.3 الإصلاح السياسي:
2.3 الإصلاح الاجتماعي:

ب – المنطلق الثقافي للحركة الوطنية الجزائرية :

1– تدمير الثقافة العربية الإسلامية لإنهائها كمقوّم أساسي للوطنية الجزائرية :

1.1 – مصادرة السلطات الإستعمارية الفرنسية للأوقاف الإسلامية

2.1 ــ محاولة نشر اللغة الفرنسية كأداة للفرنسة والإدماج

3.1 ــ إعادة هيكلة المؤسسات الدينية الجزائرية وتنشيط الحركة التنصيرية في أوساط الجزائريين

2ــ المقاومة الثقافية الجزائرية (ثقافة الأجنبي) :

1.2 ــ دور الزوايا
2.2 ــ دور الكتاتيب القرآنية
3.2 ــ دور المساجد

3ــ الإنبعاث الثقافي الجزائري في بداية القرن العشرين

1.3 ــ مفهوم الإنبعاث الثقافي الجزائري
2.3 ــ من عوامل الإنبعاث الثقافي بالجزائر في بداية القرن العشرين :

أ - تأثير نداء الجامعة الإسلامية بالجزائر وعودة الاتصال الثقافي بالمشرق

ب- عواقب السياسة الإستعمارية الفرنسية بالجزائر :

- إفرازات حركة التعليم بشقيها العربي الإسلامي والأروبي الغربي المسيحي

ـ حصول المستوطنين على الإ ستقلال المالي في الجزائربداية من سنة 1900م

- مبالغة الإستعمار في تطبيق سياسة الزّجر والإرهاب والتفقير والتجهيل والحيف السياسي

ج - سياسة جونار الثقافية مع بداية القرن العشرين
د - التفاعل الثقافي المغاربي وقيام حركة هجرة واسعة من الجزائر إلى المشرق العربي وأوروبا
ه - إنتشار البدع والإعتقاد بالخرافات وطغيان الطّرقية

3.3 - العنـــــــاصر الفاعـــلة في الإ نبعـــث الثقافي في الجـــــــزائر :

أ - فئة المحـــافـــظين
ب ـ فئة النّخبة

4.3- أشكاله ومظاهره
أ - حركية الصّحافة الوطنية
ب ـ نشاط الجمعيات والنّوادي الثقافية الجزائرية
ج ـ إ حياء وبعث التراث الفكري والحضاري للشعب الجزائري
د ـ تجديد وإ حياء العمران المغربي الاسلامي وتنشيط التعليم بالمساجد

4 ـ تطور الثقافة الجزائرية (1920م ـ 1954م)

الفصل الثاني : المنطلقات والأسس السياسية للحركة الوطنية

(1830 م ــ 1954 م)

I ــ حركة النخبة في بداية الاحتلال :

1.1 التعريف بالنخبة (لجنة الحضر) :

2.1 تيارات النخبة (لجنة الحضر) ودور أبرز رجالتها في المقاومة السياسية :

ــ التيار العثماني :

نشاط حمدان بن عثمان خوجة :

محمد ابن العنابي :

ــ التيار الوطني :

أحمد بوضربة :

ــ التيار الفرنسي :

2 ــ المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي 1830-1916 (دراسة تحليلية استنتاجية)

ملاحظات حول كتابة تاريخ المقاومة الوطنية في القرن ال19

1.2 حركة المقاومة و مراحلها:

المتيجة مهد المقاومة1830-1835

الأمير عبد القادر والحاج أحمدباي :مرحلة المقاومة المنظمة1830-1847

المقاومات الشعبية1847-1916

2.2 مميزات المقاومة الجزائرية

الزعامة الدينية في قيادة المقاومات

العنصر الوطني(الأصالة الوطنية)

القاعدة الشعبية الريفية

التواصل والاستمرارية

الانتشار والشمولية

3.2 أهم أسباب فشل حركة المقاومة الوطنية في القرن ال19

التفوق العسكري الاستعماري وسياسة التدمير الشامل

الدور الخطير للعناصر الجزائرية العميلة

الطابع الاقليمي المحدود للمقاومات

التفكك السياسي للدولة الجزائرية

ظاهرة تعدد مراكز النفوذ السياسي

3 ـ منطلقات احتراف السياسة(1908-1919) :

- الصحافة:

-الجمعيات:

ا/- الجمعية الرشيدية

ب- الجمعية التوفيقية

ج- النوادي:

ـ جذور النخب السياسية الأولى:

ا/- كتلة المحافظين

ب- الكتلة الليبرالية

ـ النخبة و بداية النشاط السياسي في الجزائر:

ـ حركة الأمير خالد1920-1926

ـ نجم شمال إفريقيا و دوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1926-1937 (قراءة تحليلية)

نشأة النجم و تطوره 1926 - 1937 :

قراءة تقييمية لتجربة النجم (1926 - 1937)

ـ جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الوعي الوطني1931-1956

ـ الحزب الشيوعي الجزائري: 1935- 1945:

الشيوعية في الجزائر ... الخطوات الأولى 1920-1924:

الحزب الشيوعي الفرنسي والحركة الوطنية الجزائرية 1924-1935:

تطور علاقة الحركة الشيوعية بالحركة الوطنية الجزائرية 1924-1926:

الحركة الشيوعية ونجم شمال إفريقيا 1926-1930

الفصل الثالث : محاولات بناء الدولة الوطنية المستقلة بواسطة الحركة الجماهيرية المنظمة

1 ــ تجربة الأمير عبد القادر 1832-1847 نموذجا

1.1 - مواصفات الأمير كمؤسس للدولة:

أ -جهود الأمير في محاولة بناء الدولة الوطنية 1832-1847 :

نموذج الدولة وأسس نظام الحكم

- الطابع الموحد للدولة

ب- الطابع الشوري في نظام الحكم

ج- اقامة العدل والمساواة

د- البعد الاصلاحي في تجربة الأمير



2.1 -مؤسسات الدولة في عهد الأميرعبد القادر

أ -مؤسسة القيادة العليا المركزية:

ب-التقسيم الاداري في الدولة:

ج-خلفاء الأمير و رجال دولته:

د- الجيش النظامي للأمير عبد القادر:

3.1- تأملات واستنتاجات:

2 ــ إنجازات حزب الشعب الجزائري (1937ــ1945)

ترسيخ الوطنية الجزائرية عبر مبدأ الاستقلال وتأسيس البرلمان الجزائري

تنظيم الشعب الجزائري وتأطيره
العلم الجزائري
3ـ مساهمة جمعية العلماء المسلمين والتيارات الأخرى :
في الميدان السياسي
في المجال العلمي والثقافي
مساهماتها في الميدان السياسي
مساهمات الهيئات الأخرى

الدور الخفي للمنتخبين وخاصة المستقلين عن الإدارة الفرنسية.

خاتمة : تأملات واستنتاجات عامة

بيبليوغرافيا عامة

الفهرس العام المفصل